الأدب بتونس
في العهد الحفصي

(625 - 981هـ/1227- 1574م)



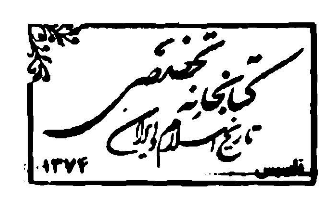
جمع وتحقيق
الدكتور أحمد الطويلي

مركز النشر الجامعي

ص.ب 255 - تونس - ر.أ.ب. 1080 .
الهاتف : 000 874 71 (216) الفاكس : 677 871 71 (216)

الأدب بتونس في العهد الحفصي

(625 ـ 981هـ / 1227 ـ 1574م)



جمع وتحقيق

الدكتور أحمد الطويلي



مركز النشر الجامعي

2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدأ العهد الحفصي من سنة 625 هـ وهي سنة دخول أبي زكرياء الحفصي لتونس و بعد وفاته سنة 647 هـ خلفه ابنه المستنصر بالله وسرعان ما أعلن نفسه خليفة و أميرا للمؤمنين. و قدمت البيعة له من مكة والشام و الأندلس. و قد استقطبت تونس الخلافة الموحدية و اعتبرت نفسها وريثة لدعوة المهدي و عبد المؤمن بن علي بعد تدهور الحكم في المغرب الأقصى، بل استقطبت تونس الخلافة الإسلامية بعد تساقط المُدن الأندلسية الإسلامية الواحدة بعد الأخرى تحت حكم النصارى و سقوط الخلافة العباسية ببغداد إثر هجوم التتر عليها و قتل الخليفة العباسي سنة 656 هـ.

ويعتبر العهد الحفصي فترة ازدهار حضاري و أدبي و فكري كبير له مميزاته و خصوصياته من حيث العمران و الأدب و الفكر. وهي مميزات وخصوصيات ستستمر طيلة العهد الحفصي خاصة في عهد السلطان إبراهيم بن أبي بكر الحفصي المتولي الحكم سنة 751هـ و الذي انتدب عبد الرحمان بن خلدون كاتبا له في ديوان الإنشاء على صغر سنه، ثم في عهود أبي العباس أحمد الذي أهدى إليه ابن خلدون كتاب "العبر"، وعهد أبي فارس عزوز، و عهد أبي عمرو عثمان الذي حكم طويلا وتميز عهده وعهد أبي العباس أحمد بوفرة الأدباء و المؤرخين و الفقهاء، و ينتهي العهد

الحفصي سنة 981 هـ باحتلال الأسبان لتونس. فيكون العهد الحفصي قد دام 356 سنة أي أكثر من ثلاثة قرون و نصف قرن.

لقد عاش في هذا العهد بتونس أدباء علماء أثروا في الأدب العربي و ترجمت آثار بعضهم إلى لغات أجنبية، و حصل بعض منهم على شهرة عالمية، مثل أحمد التيفاشي صاحب" نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب" و"أزهار الأفكار في جواهر الأحجار" و كلاهما طبع و ترجم إلى لغات عديدة، و كذلك القاضي النفزاوي صاحب" الروض العاطر في نزهة الخاطر"، و نذكر أحمد الغساني الشاعر الكبير و محمد بن شباط صاحب تقسيم المياه بالجريد و مؤلف كتاب "صلة السمط و سمة المرط" و محمد بن أبي تميم الشاعر الكبير أيضا و عبد الرحمان بن الدباغ صاحب كتاب"معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان" و كتاب "مشارق أنوار القلوب و فاتح أسرار الغيوب" في العشق الإلهي، كما نذكر عبد الرحمان بن خلدون صاحب المقدمة وأحمد الخلوف صاحب الدواوين في مختلف الأغراض.

إلى جانب هؤلاء نذكر الأدباء الأندلسيين الذين أقاموا بتونس طويلا وأنتجوا فيها روائعهم، نذكر منهم حازم القرطاجني صاحب كتاب "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" الذي درسه في جامع الزيتونة، و محمد بن الأبار صاحب "الحلة السيراء في أشعار الأمراء"، بدأه بأشعار أبي زكرياء الحفصي وثناها بأشعار الأغالبة، و كذلك "إعتاب الكتاب" الذي ألفه للمستنصر بالله ملتمسا منه العفو عن زلة اقترفها. و نذكر ابن سعيد صاحب كتب تحدث فيها عن المجالس الأدبية بتونس و ترجم فيها لبعض أدبائها من أصدقائه ومسامريه، من هذه الكتب نذكر" القدح المعلى في التاريخ المحلى"

و " رايـات المبـرزين وغـايات المميـزيـن " و " المقـتـطـف مـن أزهـار الظرف". ونذكر من الأدباء الأندلسيين المقيمين بتونس أيضا أبا المطرف بن عميرة ومحمد بن أبي الحسين و أبا بكر بن حبيش و أحمد بن الغماز.

و نلمس في الأدب بتونس في العهد الحفصي اتجاهات ثلاثة، يتمثل الاتجاه الأول في الاعتداد بالنفس و الافتخار و التعالي و الشعور بالمجد وتصوير الأبهة في المظاهر العمرانية و المعمارية و الحضارية الجديدة في العاصمة التونسية.

أما الاتجاه الثاني فهو يتعلق بالدعوة إلى التمتع بالحياة و بروز نزعة أبيقورية عند الكثير من الأدباء كشفت عنها الأشعار و التراجم و كتب التاريخ و المؤلفات النثرية.

وأخيرا يتعلق الاتجاه الثالث بالبحث عن الحقيقة العلمية في الأدب والفنون من جهة، و عن الحقيقة الاشراقية في الالتحام بالذات الإلهية وتصوير وحدة الوجود من جهة أخرى.

و لقد أصبحت تونس خلال العهد الحفصي مركزا نشيطا من مراكز الأدب، و حفلت فيها الحياة الفكرية و الأدبية بتآليف مهمة اتسمت بطابع الخلود، و بإنتاج شعري و نثري مهم. و قد وصل الكثير من الآثار الشعرية إلى القمة الفنية في الأداء و الأغراض خاصة عند شعراء أمثال ابن الأبار وحازم القرطاجني و أحمد الغساني و ابن القوبع و ابن الخلوف و أبي الفتح بن عبد السلام، فكل هؤلاء و غيرهم تميزوا بطريقتهم الشخصية في التعبير

عن أغراضهم الفنية، وكل منهم صار نموذجا لطريقة فنية خاصة بالأدب.

وهذه مدونة لواحد و خمسين شاعرا و أديبا. حاولنا أن نستقصي النصوص و أن نجمع شعرهم و نقدم نماذج من نثرهم إن كانت، و اكتفينا لمن نشرت لهم دواوين و هم حازم القرطاجني و ابن الأبار و أحمد الخلوف أن نقتصر على عينات من قصائدهم، و قد تميزوا غالبا برتبتهم العالية في البلاغة و البيان و ترصيف الكلام، وجلهم أصيلو إفريقية، و بعضهم نزح إلى تونس في صدر الدولة الحفصية واختار الإقامة بالحاضرة طيلة سنوات عديدة، و اضطلع فيها بدور أدبي وعلمي نشيط.

و تدل هذه النصوص على ما بلغت إليه الحياة الأدبية في تونس الحفصية من ازدهار و تألق و إشعاع كبير صارت بها من أهم مراكز الأدب العربي مشرقا و مغربا. و قد وصفنا في كتابنا "الحياة الأدبية في تونس في العهد الحفصي" مظاهر هذه الحركة و هذا الازدهار الأدبي. و قد بوبنا هؤلاء الأدباء وفق وفياتهم، و بوبنا النصوص حسب القوافي. أما النصوص النثرية فتلي الشعر، و أوجزنا تراجم أصحابها، و نحيل للتوسع إلى كتابنا المذكور و ما يحتويه من قوائم ببليوغرافية عريضة تخص حياة كل أديب منهم. و قد ذكرنا مواضع هذه النصوص من الدواوين أو بعض المصادر الأخرى ليرجع إليها من شاء، و وضعنا عناوين لها ليسهل الرجوع إليها.

عبد الرحمان الأصولي

(ت. بعد 639 هـ)

أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن ابراهيم الأصولي، من شعراء أبي زكرياء الحفصي وصاحب كتاب "تبكيت الناقد" في الأدب والنقد دفاعا عن ابن الابّار ومناصرة له حين أنشد السّينية أمام السلطان. كان يؤازر أبا زكرياء بشعره في غزواته ويتغنّى فيه بانتصاراته الحربية.

فطـام

قال يمدح أبا زكرياء الحفصي ويذكر ثورة ابن أبي يعقوب الذي سمّى نفسه بالإمام الفاطمي وقد انتصر أبو زكرياء عليه:

(الطويل)

لقــدْ عجلّــتَ للفاطمـــيّ فطامــهُ ... ومـا سوّغتْه دَرُّهَا البيضُ والسُّمْرُ

رجَـا رفعـة فاعتـاض منهـا بمنصِبٍ ... نمـاه بـه للجِـذْع مَنْصبـك الحُـرُّ

يـرى شرفَـات السـور قد قُمْنَ حوله ... يَصحْنَ لأمـر منــه أكذبـه الأمـرُ

ضُحًى فلحـرّ الشـمس لفْحٌ إهابه ... وللرِّيـح لا للـرُّوح فـي جسمـه كـرُّ

وكـم رام تشييـدَ القُصـور فَحلَّهَا ... وأعظـم مـا يرجـوه لو أُسْعِفَ، القبرُ

أتــى رهـبـة لّمـا دعــوتَ إجابـةً ... فجـرّده من ثـوبِ نعمتِك الكُفْر

وجــاءك منـــه بعضُـــه متنصّــلا ... وخلّـف بعضٌ حيث لا جَـادَه قطـرُ

يناجـي أخَـاه لا بقــول يبثّـــه ... وهيهـات عـزّ السـرّ فَحْواه والجهـرُ

تبـرّأ منـــه وانتـحَـاكَ لسانـــه ... فلـو رام نُطقـا لـم يـرمْه لك الشكرُ

فدونـك يـا يعقـوب عُقْبَـى منافِقٍ ... إلى النّار عُقبَاهَا إذا ضمّك الحشْرُ

المصدر : رحلة التجاني: ص 269 ـ 270، وعنوان الأريب ج 1 ـ ص 67

عنان بن جابر

(ت حوالي سنة 645 هـ)

عنان بن جابر بن جامع المرداسي من بني سليم زعيم قبيلة مرداس وشاعرها الفحل، ثار على أبي زكرياء الحفصي ورحل مع قومه الى المغرب الأوسط فكاتبه صديقه وزير أبي زكرياء الشاّعر ابن أبي الحسين بقصيدة يحاول فيها ارجاعه الى طاعة الأمير أبي زكرياء لكن لم يقتنع وواصل ثورته. توفّي بسلا في المغرب الأقصى وكان ينوي حثّ الأمراء الموحّدين بالمغرب على غزو تونس.

وفي الأرض أوطان

كتب مجيبا محمد بن أبي الحسين على قصيدته التي حثّهُ فيها على الرّجوع الى الطاعة ويذكّره فيها بالماضي:

(الطويل)

خليليّ عوجا بين سَلْعٍ وحاجرٍ ... بعوجٍ[1] عناجيج نواجٍ ضوامر

قلاصٍ خماصٍ شازبات عرامس ... مواضٍ نواض مرقلاتٍ عوابرِ[2]

طِوَال الهوادي لا يَخِفْن تَنُوفةً ... هملَّعة الأطرافِ هُدْل المشافر[3]

وعوجَا على دارٍ لنا في جنابها ... أفانينُ لهوٍ دائمٍ غيرِ داثرِ

بحدٍّ وشيجٍ واختلاف سَلاهبٍ ... ومجمع غاداتٍ وغانٍ وسامر[4]

وقولاَ لسُعْدى والرَّباب هلَ انتما ... على العهد أم ساعدتما زَجْرَ زاجر

وهل فيكما مُوفٍ بوعدي وقلّما ... يكون الوفا من صَامِتَاتِ الأساور

خليليّ مالي كلَّما رمتُ سلوةً ... دعاني منادي الشَّوق دعوة جابر

ولما رأيت الودَّ قد بان وانقضى ... دعوتُ ونارُ الشوق تغزو ضمائري

---

(1) العوج: ج عوجاء. الناقة المضمرة، والعناجيج: الإبل المختارة، ج عنجوج والنواجي: السريعة السير الناجية براكبها. وسلع: جبل متصل بالمدينة. وحاجر: موضع في ديار بني تميم.

(2) القلاص ج قلوص. الصغيرة من الإبل - الخماص: الضوامر، وفي الحديث: «الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» - والشازبات: ج شازبة وهي الضامرة أيضا - والعرامس ج عرمس: الناقة الشديدة الصلبة - والمواضي: المسرعات في سيرها - ومثلها النواضي - والمرقلات: التي ترقل إذا مشت، والإرقال: ضرب من السير الحثيث - والعوابر: النوق التي تعبر براكبها البر كما تعبر السفن في البحر.

(3) الهوادي. الأعناق - والتنوفة: المفازة - وهملعة الأطراف: أي سريعة حركة الأطراف، يريد يديها ورجليها - هدل المشافر: أي مسترخيات الشفاه، وهو ما تمدح به الابل عند العرب.

(4) الوشيج: المختلط من الرماح بعضها ببعض - السلاهب: ج سلهب. الفرس الطويل - السامر: القوم يسمرون.

ألاَ أيها الغادي على متن ضامرٍ سليم القرى عبل الذِّراعين فاطر[5]

يـرزف زفيـف الخاضبـات وينثني كحقْف لَحَتْها لافحاتُ الهواجر[6]

عليـه غـلام لا يَمَـلُّ مـن السُّرَى عليـمٌ خبيرٌ بالصُّوى[7] والمخاطر

تحمَّـل الى تَرْشيـشَ[8] عنّـي تحيَّةً كمـا سلَّـم الأحبـابُ عند التَّزاور

بـلاد بهـا نيطـت علـيَّ تمائمـي وفيهـا نما عقلـي ولبِّـي وخاطري[9]

وبلِّـغ لنـدب أرْيَـحِيِّ سُـمَيْـدَعٍ سلامًا يؤدَّى عن عنان بن جابر[10]

إلى الماجد الأسنى الى فارس الوغى مـرويِّ القنـا يـوم التقـاء العساكر

أبِـي عابـدِ اللّـهِ الكريم نجارُه حليـفِ الأيـادي والنّدى والمآثـر

بعثتَ أبـا عبـد الالـه بدائعًـا محبَّــرة منظـومــةً كالجـواهــرِ

تذكِّرنِـي الـوُدّ الـذي كـان بيننا وتزعـم أنّـي سالـيٌ غيـرُ ذاكـر

ليـالٍ وأيّـامٍ نَعِمْنَـا بـوصـلهـا علـى كـرم منّــا وحفـظ سرائـر

وكنّـا إذا مـا الجيش صفُّت جُنُودهُ ترانــا علـى خيـلٍ عتاقٍ ضوامر

عــرابٍ طــرابٍ صافِنَــاتٍ سلاهبٍ خفاف التَّوالي مدمجات الحوافر[11]

نَجُـر القنا المرّانَ فـوق خدودهـا ونقدُّهـا للطّعـن لا عَـنْ تشاجـر

نخوض وغاها والقنا تقرع القنا بِكُـلِّ حُسَــامٍ مَشْرفــيّ وبَاتِـر

---

(5) القرى: الظهر ـ الفاطر: البعير الذي فطرنا به أي طلع.

(6) يزف: يسرع، وفي القرآن: فاقبلوا إليه يزفون ـ الخاضبات: ذكور النعام التي أكلت الربيع فاحمرت سوقها ـ الحقف: ج أحقف وهو حمار الوحش ـ لحتها لافحات: أي إن الهواجر قشرت جلدها، ولحا بمعنى قشر، والهاجرة وجمعها هواجر: شدة الحر في منتصف النهار.

(7) الصوى: ج صوة، الاعلام من الحجارة العالية.

(8) ترشيش: اسم لمدينة تونس قديما.

(9) هذا البيت لابن ميادة الشاعر تمثل به هنا عنان بن جابر

(10) الندب: السريع الاجابة لما يندب اليه ـ الأريحي: الذي يرتاح الى المعروف ـ السميدع. السيد الوطيء الأكناف.

(11) العراب: من الخيل العتيقة غير الهجينة، والطراب: التي في سيرها خفة ونشاط، وفي صحاح الجوهري: إبل طراب. نازعة الى أوطانها والصافنات: التي تقف على ثلاث من قوائمها وتثني الرابعة.

فلما بدا لي بعض ما كنتُ أتَّقِي وحانت أمور ضيّقات المصادر

وعادت عليَّ الأرضُ حلقة خاتَمٍ بلا ذلّةٍ منّي سوى طَوْعِ آمر

رأيتُ رجالاً من رياحٍ ومالكٍ وعوفٍ ودبَّابٍ وزُغْب وماجر[12]

لهم مرقب دوني وقد كنت قبلهم بسيفي ورمحي في الوغى وعشائري

تبيّنتُ حالا لا أُطِيقُ احتمالها فحِدْتُ بنفسي عن عدوٍّ وجائر

وسلّمت أرض الشرق لا عن مذلّة ويمّمت أرض الغرب لا عن تخائر

إلى بلدٍ لا يعرف الذّلَّ، أهلهُ كرامُ الحشايا من هلال بن عامر

فسقيًا لها من بلدة جادها الحيا ولا زال فيها واكفاتُ المواطر

بلادٌ بها للغانيات مراتع مُنَمْنَمَةٌ أكنافُها بالأزاهر

وعزٌّ يصون النفسَ عن طارقِ الأذى ويحمِي الفتى عن جوْر بادٍ وحاضر

تُوَافي إلينا كلَّ يومٍ قبائلُ موشّحةٌ بالماضيات البواتر

فمنها صديق صادق الودّ منصفٌ ومنها عدوّ كاشحٌ غيرُ ناصر

فمن كان منّا نال عزّا ورفعة ومن حاد دُسْنَا أرضه بالحوافر

فلا لوم إنّ الجود فيما فعلته فَلَلْموت أحلى في الحشا والحناجر

من الذلّ، إن الذلّ عنّا بمعزل وما شأننا غيرُ اكتسابِ المفاخر

وفي الأرض أوطان ومأوى ومسرح وفي الناس من يُرْجَى لدفع الضَّرائر

وسيفي ورمحي واعترائي[13]وسابِقِي ودُرْعي وقومي كالأسود الهزابر

حُمِيتَ ـ أبا عبد الإله ـ من الأذى ولا زلت تسمو في جميع المآثر

المصدر: تحقيق حسن حسني عبد الوهاب للقصيدة عن مخطوطة خاصة. انظر: مجلة الفكر: السنة 8 ،العدد 10 ، جويلية 1963.

(12) قبائل من بني هلال كانت في خدمة أبي زكرياء الحفصي.

(13) مصدر اعترى: غشيه طالبا معروفه.

السّلطان أبو زكرياء الحفصي

(647 ـ 597)

أبو زكرياء يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي، ولد بمراكش سنة 597 ودخل تونس في 24 رجب 625 ، قضى على ثورة ابن غانية سنة 631 وانتصر على أعدائه فاتّسعت مملكته شرقا وغربا ووطد دعائم الدّولة الحفصية بتونس، قصده الشّعراء والأدباء من الأندلس والمغرب خاصة ابن الأبّار وحازم القرطاجنّي وأبا المطرف بن عميرة وأقاموا عنده ومثلوا مع شعراء تونس العنصر الأساسي لتنشيط حياة أدبية زاخرة بالابداع والعطاء، وكان أبو زكرياء يشجّع الأدباء والشعراء بما يسني لهم من الجوائز. له ديوان شعر لم تبق منه إلا هذه الأشعار التي جمعناها له، وكان شاعرا فحلا، طرق جميع الأغراض الشعرية. توفّي ليلة الجمعة 22 جمادى الثانية في بونة ودفن بها ثم نقل جثمانه الى قسنطينة.

1 ـ طلب العلياء

(الطويل)

أجبْ داعِيَيْهَا فالنَّجيبُ يُجيبُ ... وشُبَّ لظاها فالنَّخيب[1] يخيبُ

وشِمْ عزمةً لا يغمزُ العجزُ متنها ... فذو العزم في اليوم الصَّعيب يُصيبُ

ولا تبتغِ العلياء الا بأبيضٍ ... لغربيّه في هام الكُمَاة غُروب

وأسمرَ غِرٍّ شيَّبَ الوقعُ رأسهُ ... ألا إنما بعد القشيب[2] مشيبُ

وإن شئت قلتَ النجمُ توّج رأسه ... فلاح له بين القلوب ثُقُوب

ينضنضُ صِلاًّ[3] ثم يهوي كأنه ... رشاءٌ له قلبُ الكمي قَليب

وصفراء ربّتها الجيوب[4] وراوحت ... ذوائبَها فَوق الجَبوب[5] جَنُوب

إذا عِيجَ متناها أقيمت شباتها ... فمنها سَرُوبٌ لا يُرَى وَرسُوبُ

فان سدِكت بالكفّ[6] أو قَلّ خَطْوُها ... فخطوُ بنيها في الحروبِ رحِيبُ

وأجرد يستجلى بأوضاحه الوغى ... وقد جنَّهَا يوم الركوب عكُوب[7]

له من سعالِي الجنّ خلق مطهَّرٌ ... يروع ومن هوج الرياح[8] هبوب

بتلك يُنال الوترُ لو حال دونه ... سُهُوبٌ وحالت عن مداه لُهُوب[9]

فدعْ عنك أبناء الزمان فكلّهم ... لهُ عند تمحيص الغيوب عيوب

فلا توردنّه وردك الصفوَ إنهُ ... شروبٌ وعند الحادثات سَروب

ألا فاستعنْ واستغن باللّهِ ... إنه لفتح بتقدير الرّقيب قريبُ

المصدر: الحلة السيراء: ص 3 ـ 5 والبيتان 4 و5 في رايات المبرزين ص 57، مجمل تاريخ الأدب: ص 187 ـ 188

---

(1) النخيب: الجبان

(2) القشيب: الجديد

(3) ينضنضُ يتحرك بسرعة، والصل: السيف القاطع جمعه أصلال، والقليب: البئر

(4) الجيوب. الصدور

(5) الجبوب: الفرس المحبّب المحجّل إلى ركبتي يديه وعرقوبي رجليه.

(6) سدكت بالكف: شدت باليد.

(7) العكوب: الغبار

(8) هوج: هوجاء الريح السريعة المضطربة في هبوبها التي تقلع البيوت. لعبت به هوج الرياح.

(9) السهوب: ج سهب هي الأرض المستوية البعيدة واللهوب ج لهب: مضيق يكون بين جبلين.

2 ـ رياض أبي فهر

(الطويل)

أعدْ نظرًا حيث الرِّياضُ كأنّها خدودُ الغواني أو قدودُ الكواعبِ

تميل وليست بين كأس وقينةٍ ولكنَّها بين الصَّبَا والجنائب

وسال نميرُ الماء بين اخضرارها فجاء كمثلِ الفرق بين الذوائبِ

وإلاّ كما شقّ الكَنَهْوَرَ[1] بارقٌ وإلا كمثل الصُّبْحِ بين الغياهبِ

قد اطّردتْ فيه المذانِبُ دائمًا ولم ترَ حسنًا كاطّراد المذانِبِ[2]

وللنّرجِسِ النَّضْر اصفرارٌ تخالُهُ كشمس أصيلٍ بين بيض السحائب

يدِبُّ إليك الحسْنُ في جنباتِهَا بعقْربِ أصداغٍ من الآسِ لاسِبِ

وللياسمين الغضِّ في خُضْرِ بُسْطِهَا نثائرُ دُرٍّ أو سَبائكُ ساكبِ

وللسّوسن المبيضِّ إصغاءُ آلفٍ يحنُّ فيحنُو خاشعًا نحو شاربِ

وقد كُلِّلَتْ أغصانُ نارَنْجِهَا، فقلْ مجامرُ تِبْرٍ جامدٍ غيرِ ذائبِ

وعطّر منها النَّشْرُ ما بَلَّلَ الندى فنمّتْ بأنفاسِ الرياح الغرائب

وللماء في الدولاب ـ إن رمت وصفَهُ ـ سهامُ قسيِّ أو مخاريقُ لاعبِ[3]

تضمّنَ سقْيُ الرَّوضِ رفهًا يعلُّهُ وفاءً فعدِّ القول عن قوس حاجبِ

معطّرة الأردان يفغمُ[4] نفحُهَا يحيّيك عَرْفُ الطيّب من كلّ جانبِ

سمَاءٌ، وجريُ الماء فيها مجرّةٌ ومن زهرها المفترِّ زهرُ الكواكب

فدونكها تختال زهوًا ونضرةً وترفُلُ تيهًا في برودِ العجائبِ

المصدر: الحلّة السيراء: ص 7 ـ 8 والمجمل: ص 189 ـ 190 ومنها أسقطت خمسة أبيات.

---

(1) الكنهور: السحاب المتراكم. قطعة كالجبال

(2) المذانب: مجاري المياه.

(3) مخاريق: جمع مخراق. هو ما يتلاعب به الصبيان في منديل أو شبهه يفتلونه ويتضاربون به. يقال: هو مخراق حرب أو صاحب حروب.

(4) في الأصل: يَفْعم

3 ـ بطاقة

أصاب رئيس الكتاب أبا عبد الله بن أبي الحسين مرض اتّصل بسببه انقطاعه عن الخدمة، فوجّه إليه الأمير أبو زكرياء بطبقٍ مغطّى فيه ألفا دينار وبطاقة فيها هذه الأبيات:

(الوافر)

أبـا عبـدَ الإلـه وقيـتَ شَـرًا ... ولا طـارت بساحتـك الخُطُـوبُ

لقـد تاقـت إلـى رؤيتـك المآقي ... كمـا ذابـت لشكـواك القلـوب

إذا نابـت مهمّـاتٌ فمـن ذا ... يجلّيهـا سـواك ومـن ينـوبُ

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه ... يكـون وراءَه فـرجٌ قريـبُ

المصدر: الشّهب اللاّمعة: ص 252.

4 ـ مقطوعة

(الخفيف)

وُضِعَتْ فـي الزُّجـاجِ فالتهبتْ ... وكستْـه ثوبًـا مـن اللَّهَـب

وعـلا فوقهـا الحبـابُ فلـمْ ... تُبصِـر العـينُ مثـل ذا العجـبِ

ضـرَمُ النـارِ فـوقـهُ بـردٌ ... كائـنٌ عنـهُ مِنْـهُ فـي النَّسَبِ

المصدر: رايات المبرّزين: ص 258.

5 ـ شعراء السبّق

(الطويل)

ألا إنّ مضمـار القريـض لمتـدّ ... بـه شعـراءُ السّبـقِ أربعـة لُـدُّ

فأمـا المجلّـي فهـو شاعـر جمّـة ... أتـى أوّلاً والنـاس كلُّهـمْ بعـدُ

وأمّـا المصلّـي فهـو حبر قضاعة ... بآدابـه تزهـو الإمـارة والمجـدُ

وأمّـا المسلّـي فالمعـاويُّ إنّـهُ ... أتـى ثالثـا لكـن يلـين ويشتدُّ

وبعدهم الكوميُّ أقبل تاليا وكم جاء سبّاقا مسوّمةَ النهدِ
هم علماءُ الناسِ ما منْهمُ غِنًى وهمْ شعراء الملك ما منهم بدُّ[1]

المصدر: رحلة التجاني: ص 376

6 ـ شوق الى تونس

قال وقد رجع من غزوة إلى تونس:

(الوافر)

تقرّ جفونُ عينك بالقرارِ ومن شرط الهوى رعي الذّراري
ألاحَ البرْقُ معترضًا فغارتْ نجومُ الأفقِ من ماءٍ ونارِ
خَفَى يسرِي وظلّ الدمعُ يجري فواحرباهُ من سارٍ وجارِ
وهاب البدرُ أن يفرى دجاه فمال عن الشّرار إلى السِّرار
وساءل مسندًا يرويه عني فحدّثه الزفيرُ عن ادّكار
سقى أعلام تونس فالحنايَا فمقتبِلَ العشيَّةِ والعرارِ
فواكبِدَاهُ من شوق تناءتْ نهايتُهُ على قربِ المزارِ
وأبرحُ مَا يكونُ الشوقُ يومًا إذا دنتِ الدّيارُ من الدّيارِ

المصدر: الحلّة السّيراء: ص 5.

7 ـ هديّة

أهدى أبو زكرياء خوخًا لكاتبه أبي العبّاس أحمد الغسّاني وكتب:

(الوافر)

(1) الشعراء هم: عثمان بن عربية ثم ابن الأبّار ثم ابن معاوية اليحصبي ثم أبو زكرياء يحيى بن محمد الكومي، انظر تراجمهم أرقام: 31، 27، 4، 30 في كتابنا "الحياة الادبية بتونس في العهد الحفصي" عن بيت الحكمة.

بعثتُ بها إليك بناتَ أيكٍ ... غذاهَا في الثَّرى دَرُّ القطار
لـهُ لونانِ مخضرٌ عظيمٌ ... وآخر قانئٌ كالجلَّنار
ولم تَنْظُرْ أبا العباس حسنًا ... يروقك كاخْضِرارٍ في احْمِرار
كمثْلِ الخدِّ أحْجَمَهُ التّلاقِي ... فصرْنَا ورده أسد الغطار؟؟

المصدر: الأدلّة البيّنة: ط 2 ـ ص 55.

8 ـ سأبكيك

وله في الرّثاء:

(الطويل)

تصبّر فإنَّ الصبْر أوْلَى بذي حِجْرٍ ... وإن كان حِجرًا فالملامُ إلى الحِجر[1]
ومازالتِ الأيامُ تغدُو على الفتى ... فطورًا على بِشْرٍ وطورًا على بِسْر[2]
وإن سالمتْ، والظلم منها سجيَّةٌ ... فلا بدَّ يومًا أن تغرَّ وأن تُغْرِي
مرَى[3] الحزن دمعي أن أمرّ حِباله ... وكان قديمًا لا يُمِرُّ ولا يَمْرِي
وعهدي بهذا الدمع يا عينُ وافيًا ... فهل لك في الغدرِ المبرِّحِ من عذر؟
ألا من لعينٍ لا يُنَهْنَهُ غربُهَا ... ألا مَنْ لسَحْرٍ لا يملُّ من السَّحْرِ؟
ألا تلك شمس الجوِّ في الدوِّ[4] فاعجبوا ... ألا تلكمُ إدمانةُ العفْرِ في القفْرِ
أأسلو وهذا شخصُهَا حشوُ مقلتِي ... وأنسى وما تنفكُّ منِّي على ذكر؟
لئن ضمَّ منكِ اللحدُ ذاتًا زكيةً ... لقد حُنِيَتْ منّي الضُلُوع على جَمْرِ
سأبكيك ما أنَّتْ فقيدةُ بِكْرِها ... وحنَّتْ إلى وكرٍ مُطَوَّقَةُ النَّحْرِ
أطارحُهَا شجْوِي فيسعدُ شجوَهَا ... فتحسبُنا إلفي مصابٍ لدى وَكرِ
ومالي وما للعيدِ لولا تحفّلٌ ... يكلّفني ما لا أطيق من الصبر

(1) الحِجر الأولى والثالثة بمعنى العقل، والثانية بمعنى حرام.
(2) بسر الرجل وجهه: كلح.
(3) مراه حقَّه: جحده.
(4) الدو: المفازة.

فمن كان ذا هدْيٍ وهدْيٍ لعيده ... فعندي هدي من مدامعي الحمرِ
يُغادونها قُرْبَى لنحرٍ ثلاثةً ... ودمعي من تسكابِهِ الدَّهْرَ في بحر
وعندي ولا ردٌّ زفيرٌ مردّدٌ ... تهدّ لظاه جانبَ البشر
وتصديقُ إيمانٍ وإقرارُ موقنٍ ... وتسليمُ مربوبٍ لذي الخَلْق والأمرِ

المصدر: الحلة السيراء: ص 9 ـ 10.

9 ـ سيف صحابي

أهدى الملك الصّالح صاحب مصر إلى الأمير أبي زكرياء هديّة فيها سيف يذكر أنّه سيف عمّار بن ياسر رضي اللّه عنه، فوجّه به الأمير أبو زكرياء يحيى الى ابن أبي الحسين لانتسابه لعمّار بن ياسر واشتهاره بجودة الضّرب، وكتب إليه:

(الوافر)

أبا عبد الإله إليك عضبًا ... لِجدِّكَ قاطعَ الحدّين باتر
فأنت به أحقّ لذي انتساب ... ويوم الحرب إذ تبلى السرائر

المصدر: الشّهب اللاّمعة: ص 215

10 ـ خمرة

(البسيط)

خذها كما نمَّ عَرْفُ الرَّوضِ بالسَّحَرِ ... وأيقظ الطَّلُّ ريًّا نائم الزَّهَرِ
حمراءَ ترفُلُ في أثواب بهجتها ... تَفْتَرُّ عن لؤلؤٍ عذبٍ وعنْ أشَرِ[1]
زفَفْتُهَا ورواقُ الليل منْسَدِلٌ ... كأنها شفقٌ في هالةِ القمرِ

المصدر: الحلّة السّيراء: ص 9

11 ـ لغز في لجام

(المتقارب)

---

(1) تأشير الأسنان: تجزيزها وتحديد أطرافها.

ومـا اسـمٌ لـه أحرفٌ أربعـه وفيـه غـرائـب مستـودعـه
فمـن قـال أوّل حَـرْفٍ لمـن تشكّـى الخمـول فقـد رفعـه
وإنْ زاد حَـرْفًا فخلـقٌ عظيـمٌ كثيـرُ المـضـرّة والمنفـعـه
ومقلوبُـهُ اسـم لشـيء متـينٍ إذا أبصرتـه قلـت مـا أمتعـه!
ويبقـى اسـمُ مـنْ بِـرّه واجـبٌ فقـد اقتـرف الإثـم مـن ضيّعـه
ومقلـوبـه اسـمٌ لشـيء عزيـزٍ يهـان ولا شـيء إلاّ مـعـه

المصدر: المرتبة العليا: ج 2، ص 149 ـ 150 وتفسير اللغز: مراده بأول حرف اللام فإذا قال للخامل: لِ فقد أمره بالولاية ورفع منزلته. فإن زاد الجيم جاء منه لجْ وإن قلبه جاء منه جلٌ.

ويبقى بعد هذه الأحرف الألف والميم فيجيء منهما أمّ وهو قوله ويبقى اسم من برّه واجبٌ. ومقلوب أم: ماء وهو يهان ولا عيش إلا معه. ومقلوب الجميع ماجل.

12 ـ جفناك

(الطويل)

وحوراء تَسْتَعْلِي بنهدين أُشْرِعا ولا غروَ أن يدْعو هواها فأتْبعه
تقول، وقد رقّت لما بي: أجازعٌ وأنت جريٌ والأسنّةُ مُشْرعهْ؟
فقلت لها: جفناكِ عزًا تجلُّدي ونهداكِ هدًّا نفسَ هيمَان موجَعَهْ
وما زلتُ ألقَى القرنَ يعسلُ[1] رمحه فمنْ لي بمن يلقَى الفؤادَ بأربعهْ؟

المصدر: الحلّة السّيراء: ص 6

(1) عسل الرمح: هزّه

13 ـ فخـــر

(الوافر)

وما للنـاس منّـا غيـرُ رعْـي　　يفيدهـم رِفَـاهًـا وانتفـاعـا
فيمنعهـم ومـا شعبـوا مُضَامًـا　　ويُوسِعُهـم ومـا سَغِبـوا انتجاعا
بنـى لـيَ المـجـدَ آبـاءٌ كـرامٌ　　ورثنا مـجدهـم بَـاعًـا فبـاعَـا
وهذّبنـي الإبـاء ففـاتَ طـرفِـي　　وَكُـلٌّ بَعـدُ يجـرِي مـا استطاعَـا

المصدر: الحلة السيراء: ص 3

14 ـ لـزوميـة

من لزومياته في الغزليات :

(الطويل)

بـدت لـك فـي ثـوب يشـفُّ منجّمٍ　　أُزَيـرَق ـ يَاللَّـه للحُسْـنِ ـ أزرقـا
ولاحتْ، وبدر الأفق في الأفق كاملٌ　　فلـم أدْر أيٌّ راعنـي حين أشرقا
خـلا أنـه لما رأى حسـن وجهها　　تأنّى قليـلاً حـين شـام فأبْرقَا
وبونهمـا صفـوُ الغديـر مسلسلاً　　فأُقسـمُ لولا رقّـةُ الوصل أحْرقا
ولَمّا رنـا نحـو السّجنْجَل وجهها　　أطـلَّ علـى مـتن الغديـرِ فأطرقا
وزرّت عليـه الشهـبُ ثـوب سمائـه　　فقـارب في التّشبيـه منهـا وأغرقـا
ونـازعـهـا ثوبًـا ولـونًـا ورِفعـة　　وبعدًا وإشراقًـا ووجهًـا ترقـرقـا

المصدر: الحلّة السّيراء: ص 7

15 ـ طبق

في وصف طبق مملوء نثائر زهر النارنج والخابور وهو نوع من الشجر:

(البسيط)

بعثتها وذكيُّ العرفِ ألحفها ... بردين من وضَح الإصباح والشّفق

كأنّما الزّهر والخابور جزّعه ... شَذَرٌ تناثر في دُرٍّ من العُنُقِ

راق منظره حسنًا للمتفتٍ ... ورقٌّ مخبرُه عَرفًا لمنتشقِ

المصدر: الحلّة السّيراء: ص 8 ، والمجمل: ص 190

16 ـ وصف جوز

(المتقارب)

تفضّلْ بشَيءٍ له ملبس ... صلابةَ وجهِ لئيمٍ حكَى

إذا نُزِعَتْ عنه أثْوابُه ... أتاكَ كما تمضغ المصْطَكَى

المصدر: عنوان المرقصات: ص 44.

17 ـ رثاء

قال يرثي ولي عهده أبا يحيى:

(الطويل)

ألا جازعٌ يبكي لفقد حبيبه ... فإنّي لعَمري قد أضرّ بي الثُّكل

لقد كان لي مال وأهل عدمتهم ... فها أنا لا مالٌ لديّ ولا أهل

سأبكي وأرثي حسرة لفراقهم ... بكاءَ قريح لا يَمَلُّ ولا يسلو

فلهْفي ليوم فرّق الدهر بيننا ... ألا فرَجٌ يُرْجَى فينتظمُ الشّمل

وإنّي لأرضى بالقضاء وحكمِه ... وأعلمُ ربّي أنّه حاكمٌ عدلُ

المصدر: عنوان الأريب: ج1 ، ص 64.

18 ـ زهـديـة

(الكـامـل)

يَعْجَـلُ الإنسـانُ بالشّـيء، وهـل خُلِـقَ الإنسـانُ إلاّ مـن عجـل؟

ولـذِي العـدل قضـاءٌ فـي الـورى يتقـاضـاه كـتـابٌ وأجـلْ

إنّ ظُفْـرَ اللّيـث يُـدْمـى مـن ردًى مثـلَ خـدٍّ الخَـوْد يُدْمـى من خجَلْ

وأخـو الغفلـةِ فـي غفْلتِـهِ إنْ بكـتْ ورقـاءُ غنَّـى وارْتجـل

المصدر: الحلّة السّيراء: ص 10.

وصية لابنه ولي العهد

كتب أبو زكرياء الى ابنه وولِيّ عهده:

اعلم، سدّدك اللّه وأرشدك، وهداك لما يرضيه وأسعدك، وجعلك محمودَ السيرة، مأمون السّريرة، أنّ أوّل ما يجب على من استرعاه اللّه في خلقه، وجعله مسؤولا عن رعيّته في جلّ أمرهم ودقه، أن يقدّم رضى اللّه عزّ وجلّ في كلّ أمر يحاوله، وأن يكلَ أمره وحوله وقوّته لِلّه، ويكون عمله وسعيه وذبّه عن المسلمين، وحربهُ وجهاده للمؤمنين، بعد التوكّل عليه، والبراءةِ من الحولِ والقوّةِ إليه.

ومتى فجاك أمرٌ مقلق، أو وردَ عليك نبأٌ مرهِقٌ، فريِّضْ لبّك، وسكّن جأشك، وارع عواقِبَ أمرٍ تأتيه، وحاوِلْهُ قبل أن ترد عليه وتغشيه، ولا تقدم إقدامَ الجاهل، ولا تحجِمْ إحجام الأخرق المتكاسل، واعلم أن الأمر اذا ضاق مجاله، وقصّر عن مقاومته رجالُه، فمفتاحه الصّبرُ والحزامةُ والأخذُ مع عقلاءِ الجيشِ ورؤسائهم وذوي التجارب من نبهائهم ثمّ الإقدام عليه، والتوكّلُ على اللّه فيما لديه، والإحسان لكبير جيشك وصغيره. الكبير على قدره، والصغير على قدره. ولا تلحق الحقير بالكبير، فتجرّي الحقيرَ على نفسِك وتغلّطه في نفسه وتفسد نيّة الكبير، وتؤثره عليك فيكون إحسانك إليه مفسدة في كلا الوجهين ويضيع إحسانك، وتشتّت نفوس من معك.

واتخذ كبيرهم أبا، وصغيرهم ابنا، و"اخفض لهم جناح الذلّ من الرّحمة". وشاورهم في الأمر "فإذا عزمت فتوكّل على اللّه إن اللّه يحبّ المتوكّلين".

واتّخذ نفسك صغيرةً، وذاتكَ حقيرةً، وحقّر أمورك، ولا تستمع أقوال الغالطين المغلّطين بأنك أعظم الناس قدرًا، وأكثرهم بذْلاً وأحسنهم سيرةً وأجملهم صبْرًا، فذلك غرور وبهتان وزور. واعلم أن من تواضع للّه رفعه اللّه.

وعليك بتفقّد رعيّتك والبحثِ عن عمّالهم والسؤال عن سير قضاتهم فيهم. ولا تنم عن مصالحهم، ولا تسامح أحدًا فيهم. ومهما دعيتَ لكشفِ ملمّةٍ، فاكشفها عنهمْ، ولا تراعِ فيهم كبيرًا ولا صغيرًا إذا عدل عن الحقّ.

ولا تراعِ في فاجرٍ ولا متصرّفٍ إلاّ ولا ذمّة. ولا تقتصر على شخص واحدٍ في رفع مسائل الرعيّة والمتظلّمين، ولا تقف عند مراده في أحوالهم. واتّخذ لنفسك ثقاةً صادقين مصدّقين، لهم في جانب الله أوفر نصيب، وفي رفع مسائل خلقه إليك أسرع مجيب، وليكن سؤالك لهم أفذاذ، فإنك متى اقتصرت على شخصٍ واحد في نقلهِ ونصحه حمله الهوى على الميل، ودعته الحميّة إلى تجنّبِ الحق، وترك قولِ الصدق.

وإذا رفع إليك أحدٌ مظلمة وأنت على طريقٍ، فادعه إليك وسَلْه حتى يوضّح قصّته لك وجاوبه جواب مشفقٍ مصغٍ الى قوله، مصيخ إلى نازلته ونقله، ففي إصاختك له وحنوّك عليه أكبر تأنيس، وللسّياسة والرّئاسة في نفوس الخاصّة والعامة والجمهور أعظم تأسيس.

واعلم أن دماء المسلمين وأموالهم حرام على كلّ مؤمن بالله واليوم الآخر، إلا في حقٍّ أوجبه الكتابُ والسنّة، وعضدتْه الأقاويل الشرعية والحجّة. أو في مفسد عائثٍ في طرقاتِ المسلمينَ وأموالهم جارٍ على غيّه في فساد صلاحهم وأحوالهم، فليس إلا السّيف. فإنّ أثره عفاء ووقعه لداء الأدمغة الفاسدة دواء.

ولا تقل عثرة حسودٍ على النِّعم عاجزٍ عن السعي فإنّ إقالته تحمله على القول والقول يحمله على الفعل، ووبال عمله عائدٌ عليك فاحسم داءه قبل انتشاره، وتدارك أمره قبل إظهاره.

واجعل الموت نصب عينيك، ولا تغتر بالدّنيا وإن كانت في يديك. لا تنقلب إلى ربّك إلا بما قدّمته من عمل صالح، ومتجر في مرضاته رابحٍ. واعلم أن الإيثار أربح المكاسب، وأنجح المطالب. والقناعة مالٌ لا ينفد. وقد قال بعض المفسّرين في قوله عزّ من قائل "وتركنا عليه في الآخرين". إنه النّبأ الحسن في الدنيا على

ما خلّد فيها من الأعمال المشكورة، والفعلات الصالحة المذكورة. فليكفك من دنياك ثوبٌ تلبسه وفرسٌ تذبّ به عن عباده. وأرجو بك متى جعلت وصيّتي هذه نصب عينيك، لم تعدم من ربّك فتحا ييسّره على يديك، وتأييدا ملازما لا يبرح عنك إلا إليك، بمنّ الله وحوله وطوله. والله يجعلك ممّن سمع فوعى، ولبّى داعيَ الرشد إذا دعا إنّه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المصدر: تاريخ ابن خلدون، ج 12، ص 620 ـ 623 . ط. دار الكتاب اللبناني، د. ت.

أحمد التّيفاشي

(651 ـ 580)

شرف الدّين أبو الفضل وأبو العباس أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن أحمد التّيفاشي القفصي، ولد بقفصة ودرس بها ثم انتقل إلى تونس حيث درس بجامع الزيتونة ثم ارتحل إلى مصر ودمشق وأخذ عن العلماء فيهما ثم رجع الى قفصة وتولى قضاءها ثم عزل عنه وهاجر إلى المشرق وتنقّل بين مدن مصر والشّام والعراق وفارس ثم رجع الى مصر وانتصب بها للتّدريس وتخرّج على يديه فطاحل من العلماء.

توفّي بمصر ودفن بها. من مؤلفاته:

ـ فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب، طبع منه جزآن.

ـ أزهار الأفكار في جواهر الأحجار: في وصف الأحجار الكريمة، طبع وترجم إلى عدد من لغات العالم.

ـ متعة الأسماع في علم السماع: في الموسيقى

- رجوع الشّيخ الى صباه في القوّة على الباه: طبع بالمغرب

- نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب: مخطوط باسطنبول وترجم الى الفرنسية. ونشر عن دار الرّيس بلندن سنة 1993.

- قادمة الجناح في آداب النّكاح.

- رسالة فيما يحتاج إليه الرّجال والنّساء في استعمال الباه مما يضرّ وينفع.

- الشفاء في الطب المسند عن السيد المصطفى: نشر بتحقيق عبد المعطي أمين قلعجي. دار المعرفة، بيروت 1988.

- الوافي في الطب الشافي: لعله غير السابق

- الدرّة الفائقة في محاسن الأفارقة.

- سجع الهديل في أخبار النّيل.

- تفسير القرآن الكريم.

- كتاب البديع.

- كتاب في المسالك.

1 ـ ليل

(الكامل)

لا أظلمُ اللَّيلَ الطويلَ وأشتكي
منه ومالي في الصَّباح رجاءُ
من كان يَطْمَعُ في الصّباح براحةٍ
ويسرّه إن لاح منه ضياء
فَجوَاي متّصلُ الظّلام بضوئه
الليلُ عندي والنّهار سَوَاءٌ

المصدر: سرور النّفس: ص 22 ـ 23 ، الفقرة 42.

2 ـ فانوس

(الكامل)

أو ما ترى الفانوسَ يجمع شَكْلُهُ
إِلْفَيْ هوًى من شمعهِ وضيائه
وجهَ الحبيب يلوح تحت نقابه
وحشَا المحبٍّ يذوب من بُرَحائه

المصدر: سرور النّفس: ص 391 الفقرة 1180.

3 ـ نبّه نديمك

(البسيط)

نبّه نديمك إن الدِّيكَ قـد صخِبا — واللّيلُ قَوَّضَ مِنْ تخييمه الطُّنُبَا

والفجرُ فـي كبدِ اللّيل السّقيمِ حكى — سِـرَّ المتيَّـم عـن إخفـائـه غُلِبا

كأنّـه بِظَـلامِ اللّيــل ممتزجًــا — سمـراءُ تفتـرُّ أبـدت مبسِمًا شنبًا

كأنّمـا الفجـرُ زنْـد قـادحٌ شررًا — في فحمة اللّيل لاقَى الفحْمَ والتهبَا

كـأنّ أولَ فجـرٍ فـارسٌ حُمِلـتْ — راياتُهُ البيضُ في إثرِ الدّجَى فكَبَا

كـأنّ ثانــيَ فجـرٍ غـرّةٌ وضحـتْ — تسيلُ فـي وجـهِ طِـرْفٍ أدهـم وثَبَـا

المصدر: الوافي: ج 8 ، ح 288 ـ 291 والمجمل 207 ومقدّمة سرور النفس: ص 42

4 ـ تشبيه

قال في الهلال والليل:

(البسيط)

أمـا تـرى مستـهـَلّ الشّهـرِ حيـن بـدا

هــلالُــهُ والــدُّجــى تسطــو غياهبُــهُ

كـأنّما الدَّجْــن فيــه والهــلالُ معًــا

"شيــخٌ مــن الزِّنــجِ قد شابـتْ حواجبـهُ"

المصدر: سرور النّفس: ص 65 ، الفقرة: 191 ، ونصف البيت الأخير لمحمد بن أبي بكر الأرموي.

5 ـ نــار النفــط

قال في نار النّفط على الماء:

(الطويل)

رأيــتُ مــن الضدّيــن لمّــا تآلفــا
على البحر للرّحمان أكبرَ آياتِ
وللنّفــط نــارٌ يُحــرق الماءَ نورُها
كمثلِ شعاعِ الشّمسِ في سَطْحِ مرآة

المصدر : سرور النّفس: ص 368، الفقرة: 1079

6 ـ مســرجــة

قال في سراج ومسرجة:

(السريع)

مِسرجــة تُسْــرَجُ مــن فوقهــا ذبالــةٌ فــي جـوف مصبــاحِ
كأنهــا مســرجــةٌ فــوقــهــا تفاحــةٌ فــي غصــن تفّــاح

المصدر: سرور النّفس 397، الفقرة: 1203

7 - كتاب "المغرب"

قال بالقاهرة في أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي وكتابه الذي جمعه في محاسن المغرب وسمّاه "المغرب":

(الخفيف)

سَعِدَ الغربُ وازدهى الشَّرقُ عُجبًا ... وابتهاجًا بمغربِ ابن سعيد

طلعتْ شمسُهُ من الغربِ تُجلَى ... فأقامت قيامةَ التقييدِ

لم يدعْ للمؤرخين مقالاً ... لا ولا للرُّواةِ بيتَ نشيدِ

إن تلاهُ على الحَمامِ تغنَّت ... ما على ذا في حُسنِهِ من مزيدِ

المصدر: نفح الطّيب: ج 2 ، ص 325

8 - نار كانون

قال في كانون ونار فحمه:

(الطويل)

أتانا بكانونٍ يُشَبُّ اضْطِرَامُهُ

كَقَلْبِ مُحِبٍّ أو كَصَدْرِ حَسُودِ

كَأَنَّ احْمِرَارَ النَّارِ مِنْ تَحْتِ فَحْمِهَا

خُدُودُ عَذَارَى فِي مَحَاجِرَ سُودِ

المصدر: سرور النّفس: ص 374، الفقرة: 1112

9 ـ شكر

قال لأبي الحسن بن سعيد منوّها بكتابه "المغرب":

(البسيط)

يَا طيِّب الأصلِ والفرعِ الزكيِّ كما | يبدو جنى ثَمرٍ من أطيب الشَّجرِ
ومَنْ خلائقُهُ مثلَ النَّسيمِ إذا | يهفو على الزّهرِ حول النَّهرِ في السَّحرِ
ومَن محيّاه واللهُ الشّهيدُ إذا | يبدو إلى بصري أبهى من القمرِ
أثْقَلْتَ ظَهْرِي ببرٍّ لا أقومُ به | لو كنتُ أتلوهُ قرآنًا مع السُّورِ
أهديتَ لي الغرْبَ مجموعًا بعالمه | في قابِ قوسينِ بين السّمع والبصرِ
كأنّني الآن قد شاهدتُ أجمَعَهُ | بكلّ من فيه من بدْوٍ ومن حَضَرِ
نعم ولاقيتُ أهلَ الفضْلِ كلَّهُمُ | في مدّتِي هذه والأعصُرِ الأُخَرِ
إن كنتُ لمْ أرهمْ في الصدر من عمُري | فقد رددتَ عليَّ الصدرَ من عُمُري
وكنتَ لي واحدًا فيهم جميعهمُ | ما يُعجزُ اللَّهَ جمعُ الخلق في بشرِ
جُزيتَ أفضلَ ما يُجْزَى به بَشَرٌ | مفيدَ عُمْرٍ جديدِ الفضل مبتكرِ

المصدر: نفح الطّيب: ج 2 ، ص 325

10 ـ هجو الشمس

(السريع)

في خَلْقَةِ الشمس وأخلاقها | شتّى عيوبٍ جمّة تُذْكَرُ
رمداءُ عمشاءُ إذا أصبحتْ | عمياءُ عند اللّيل لا تبصر

وهي رقيبٌ في الهوى كاشحٌ تنمّ بالإلفين لا تَستُر
وخُلْقها خُلْقُ الملول الذي ينكثُ في العهد ولا يَصْبِر
من صبحها النور لإمسائها مغايِرُ الأشكَال لا تَفتُر
والظلُّ منها زائلٌ دائمًا شبْه خليلِ السوء إذ يغدر
ويغتدي البدرُ لها كاسفًا وجرمه من جرمها أصغر
حَرورها في القيظ لا يتَّقَى ودفؤها في القرّ مستنزر
ليست بحسناءَ وما حُسْنُ مَنْ تنبو لحاظٌ عنه إذا تنْظُر
لا تملأ العينين من وجهها فالشمس مرأى ساقط يحقر
البدرُ يهدي وهي من شؤمها تُضِلُّ فالخَلْقُ بها كفروا
وعُمْرها يومٌ وفي ليله تقبرُ في مالحة تنشر
تبيت في الحَمأةِ من خِسّةٍ وتغتدي منها لنا تَظهر

المصدر : سرور النفس: ص 54 ـ 55، القطعة 163.

11 ـ نار كانون

(المنسرح)

كأنّما نارنا وقد خَمَدَتْ وجمرُهَا بالرّمادِ مستورُ
دمٌ جرى من فواختٍ ذُبِحتْ مِنْ فوقه ريشُهنَّ منثور

المصدر : الوافي: ج 8 ص 288 ـ 291، وسرور النّفس: ص 375 ، الفقرة 1116 والمجمل: ص 207

12 ـ وصف زلزال

(البسيط)

أما ترى الأرضَ في زلزالها عجبًا	تدعو إلى طاعة الرحمان كلّ تقي

أضحت كوالدةٍ خرقاء مرضعةٍ	أولادها دَرَّ ثدي حافلٍ غدقِ

قد مهّدتهم مهادًا غير مضطربٍ	وأفرشتهم فراشًا غير ما قلِقِ

حتى إذا أبصرتْ بعض الذي كرهتْ	مما يشقُّ من الأولادِ في خُلُقِ

هزّت بهم مهدهم شيئا تنهنههم[1]	ثم استشاطت وآلَ الطَّبْعُ للخَرَقِ

فصكّت المهدَ غضبَى فهي لافظة	بعضًا على بعضهم من شدّة النَّزَقِ

المصدر: الوافي: ج 8 ص 288 ـ 291 ، سرور النفس: ص 328 والفقرة 1001، والمجمل: ص 207 (باختلاف).

13 ـ نجوم

قال في اللّيل والنّجوم:

(الطويل)

وليـلٍ سَهِرْنـاه كـأنّ سمـاءه	بسـاطٌ من الدّيبـاج يُنْشَـرُ أزرقُ

تلـوح بـه غُـرُّ النّجـوم كـأنّمـا	تبـدّد فـي تلـك البسـائط زئبق

المصدر: سرور النّفس: ص 165 الفقرة 570.

---

(1) في روايات أخرى: تنبههم، أو تنهضهم.

14 ـ بــرّادة

وقال في برّادة يتّخذها أهل مصر لتبريد الماء:

(الطويل)

وكالنّـار مـن سـرّ التُّرابِ كيانُها ... تُعَـدُّ لمـاءٍ فـي هــواءٍ معـدّلِ[1]

تجمّعـت الأضـدادُ أربعـةٌ بهـا ... بأعـدَلَ مـن جمـعِ الطِّبـاع وأكمـلِ

ينـاطُ إليهـا مـن بنيهـا أصاغرٌ ... كمثـل مهاةِ الرّمـلِ تُرْضعُ مُطْفِلِ[2]

تـرى كـلَّ خِلـفٍ لا تـدُرُّ وطفلةٍ ... تدرُّ عليـه بالرّحيـق المسلسلِ[3]

إذا أبصرتْها العينُ في حسن شكلها ... ورِفْعَتِهـا والمنظـر المتجمّـل

رأيتَ الثّريا علِّقت في مصامها ... بأمراسِ كتّانٍ إلى صمِّ جَنْدلِ[4]

وإن أُرسلت جاءت معًا بنجومها ... كما انقضّـتِ الجـوزاءُ للمتأمّـل

المصدر: رايات المبرّزين: ص 267 ـ 268.

---

(1) كالنار في لونها لأنها من الخزف فلونها أحمر كالنار.
سرّ: خالص أو جوهر

(2) المهاة: البقرة الوحشيّة. مطفل: ذات أطفال.

(3) يريد أنها ترى أولاد غيرها فلا تدرّهم بينما تدر على طفلها.

(4) البيت لامرئ القيس من معلقته، ويروى فيها هكذا:

كأنّ الثريّا علّقت في مصامها ... بأمراس كتان إلى صم جندل

15 . مروحة

ممّا يكتب على مروحة:

(مجزوء الخفيف)

أنا في الكفّ راحةٌ   لصحيحٍ وذي علَلْ

أنا سترٌ لعاشق   عندما يَخْلِسُ القُبَل

أنا مُخْفٍ لِوَجْنَةٍ   خَجِلت أيسرَ الخجَل

أنا أهدِي إليكمُ   أرَجَ الزّهر إن ذبل

أنا وحدي كروضة   جادها واكفٌ هطِل

أنا بي يُبعَثُ النّديـ   مُ على الكأسِ إن غفل

مجلسٌ لا أزوره   ليس في قربه أملْ

المصدر: سرور النّفس: ص 226 ، الفقرة: 636

16 . يوم فريد

(الطويل)

ويَومٍ سَرِقْناهُ مِنَ الدّهْرِ خِلْسَةً   بَلِ الدّهرُ أَهْداهُ لَنَا متفضّلا

أُشَبِّهُهُ بينَ الظّلامينِ غُرّةً   لحسْناءَ لاحتْ بين فَرْعَيْنِ أُرْسِلا

المصدر: الوافي: ج 8 ، ص 288 ، المجمل: 206 ومقدّمة سرور النفس: 43.

17 . مصر

قد كان للماضين من   أرْبابِ مصر هِمَمُ

فالفضل عنهم فضلةٌ   والعلمُ فيهم عَلَمُ

إن انقضت أعلامهم وعلمهم وانصرموا
فاليوم مصرٌ عدم إن كان يُرجَى العدم
وانظر تراها ظاهراً بادٍ عليها الهَرَم

(مجزوء الكامل)

المصدر: الوافي: ج 8، ص 288 ـ 291، ومقدّمة سرور النّفس: ص 43 ـ 44

18 ـ مغناك

(البسيط)

مَغْنَاك أَغْنَاكَ من أرضٍ تيمّمُها لكسْبِ مالٍ فلا تفرحْ بهِ ونَم
فسوف تأكل فيه زرق كلّ فتى من سائر النَّاسِ من عُرْبٍ ومن عجم
رُبْع تعدَى لما يلقَى بساحته من لذّة وانبساط سائرَ الأمَم
وكلٌّ ما فيه ممنوعٌ ومحترَم فلا سبيلَ بهِ إلا إلى الحَرَم

المصدر: مقدّمة سرور النَفس: ص 43

19 ـ هرما مصر

(الطويل)

خليليّ لا باقٍ على الحدثان مَنِ الأوَّلُ الباقي فَيَحْدُثُ ثان؟
إلى هرمي مصر تناهت قُوى الورى وقد هَرِمت في دهرها الهرمان
فلا تعجبا أن قد هرمْتُ فإنما رماني بفقدان الشّباب زماني
وعوجا بقرطاجنّةَ فانظرا بها جنايتيَ الغاديين تنتحبان
وإيوان كسرى فانظراه فإنّه يخبرُكُمَا بالصّدق كلّ أوان
فلا تحسِبَا أن الفناء يخصُّنِي ألاَ كُلُّ ما فوق البسيطة فان

المصدر: مقدّمة سرور النَفس: ص 44

20 ـ غـــلام

(الوافر)

ومكحـولِ اللّحـاظ كغُصْـنِ بـانِ — مـن الولـدانِ فَـرَّ مـن الجِنـان
تنـاول شمعـة ليقُـطَّ منهـا — بمثـل الـدّرّ مـن رَخْـصِ البنـان
فقمـتُ إليـه أنهـاه فولّـى — وقـال: إليـك يـا مـن قـد نهانـي
ألسـتُ ربّيـتُ فـي جنّـاتِ عدنٍ — فجسمـي مـن سعيـرٍ فـي أمـان؟

المصدر: سرور النّفس: ص 389 القطعة: 1171

21 ـ وصف الأهرام

(الطويل)

ألستَ ترى الأهرام دام بناؤها — ويفنى لدينا العالَمُ الإنسُ والجنُّ
كأنّ رَحَى الأفلاك أكوارُهَا علَى — قواعدها الأهرامُ والعالم الطَّحْن

المصدر: مقدّمة سرور النّفس: ص 44

22 ـ فصل الخريف

قال في الخريف والأشجار المتعرية عن أوراقها:

(البسيط)

أَبْدَى الخريفُ لنا حُسْنًا وإحْسَانا

إذَا بَزَّ مِنْ كِسْوَةِ الأوْرَاقِ أغْصَانَا

فَأَصْبَحَتْ كَرَشِيقِ القَدِّ ذِي هَيَفٍ

نَشْوَانَ أمْلَحَ مَا يَأْتِيكَ عُرْيَانَا

المصدر: سرور النّفس: ص 236، الفقرة 669

نصوص نثرية

1 ـ في جواهر الأحجار

قدم التيفاشي كتابه "**أزهار الأفكار**" بقوله: هذا كتاب غريب عجيب الجمع، عظيم النفع، ضمنته ذكر الأحجار الملوكية التي توجد معظمها في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء مما لا يستغنى عن اقتنائه ملك كبير ولا رئيس خطير لما يشتمل عليه من عظيم المنافع وعجايب الخواص. ولم أشرك بها ذكر شيء من الأحجار القديمة المنافع ولا أذكر شيئا من الأحجار الشاذة المتداولة في أيدي العوام العرية من الخواص الجسام والمنافع العظام. ولا أشرك بها ذكر شيء من الأحجار الشاذة الأسماء النادرة الوقوع المتعذّرة الوجود إذ كان ذلك مما لا طائل في ذكره وإنما ينتفع بذكر الحاصل في الوجود، لا الدّاخل في خبر المعدوم المفقود، وترجمته بأزهار الأفكار في جواهر الأحجار.

وجملة عدد الأحجار المثبتة فيه خمسة وعشرون حجرا وهي:

الجوهر، الياقوت، الزمرد، الزبرجد، البلخش، البنفش، البجادي، الماس، عين الهر، البازهر، الفيزوزج، العقيق، الجزع، المغناطيس، السبناذج، الدهنج، اللازورد، المرجان، السبج، الجمشت، الخماهان، اليشم، اليشب، البلور، الطلق.

وسبيلنا أن نتكلم على كل واحد من هذه الأحجار المعدودة بعد الإلمام بشرح لغة ماله لغة منها في لسان العرب من خمسة أوجه: الأول: علّة تكوّنه في معدنه، الثاني: ذكر معدنه الذي تكوّن فيه، والثّالث: ذكر جيّده ورديئه وخالصه ومغشوشه، الرابع: ذكر خواصه ومنافعه، الخامس: ذكر قيمته وثمنه على أغلب الأمور وأوسط وأتم الأحوال.

فيكون هذا الكتاب بذلك زائدا مزيداً على الكتب الموضوعة في هذا الفن من عدّة وجوه إذ الكتب الموضوعة فيه إما أن تذكر فيها علّة تكوّن الأحجار ككتب المعادن، وإما تذكر فيها منافع الأحجار ككتب الخواص، وإما أن تذكر الأمرين معا ولا تتعرّض لذكر علل تكوّنها وقيمتها وأثمانها. فلأجل ذلك كان هذا الكتاب أعمّ فائدة وأجلّ غاية من سائر الكتب الموضوعة في هذا الفنّ واللّه أعلم بالصّواب. ومع ذلك فمعظم الخواص المذكورة فيه مما جَرّبتُه بنفسي أو وثقت بصحّة النقل فيه عن غيري من المقتدرين فأحلت عليه مسندا قوله إليه، وهذا حين ابتدأ الكتاب واللّه ولي التّوفيق.

المصدر: أزهار الأفكار: ص 37 ـ 39.

2 ـ الزّوجة الفطنة

المرأة الفطنة الحسنة التبعُّل تُراعي جميع هذه الأحوال وما سواها ممَّا يَتِمُّ به متعة الزوج وتتفقَّدُ من أحوال ظاهرها وباطنها وشاهدها وغائبها ما تأمن معه أن يسبق إلى طَرَف بعلها أو أنفه حالة يذمّها أو يكرهها من أجلها. وترى مع ذلك أنَّ نظرها إنما هو لنفسها، وأنَّ الحظَّ في تَصنُّعِهَا عائد عليها خشية أن يَتَبَيَّنَ لبعلها التقصير منها فتطمح نفسُه إلى غيرها.

وأعظم محافظة الفطنة على أحوال خلوتها وأكثر احتفالها واستعدادها للأوقات التي يعتاد فيها قربه منها، وهي في غالب الأوقات التي ذكرها اللّه تعالى في كتابه ونهى المماليك والولدان عن الدخول عليهم فيها إلا بعد الاستئذان قال اللّه سبحانه وتعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ العِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ**".

المصدر: قادمة الجناح: عن تحفة العروس: ص 48 ـ 49.

3 ـ وصيــة أمّ لابنتــها عنـد زواجــهــا

كانت أسامة بنت الحارث الثعلبية عند عوف بن محلم بن زهل بن شيبان، فولدت له أم إياس بنت عوف فتزوّجها الحارث بن عمرو الكندي فلما أرادت أمها إهداءها إليه قالت لها:

"أي بنيّة: إن الوصيّة لو كانت تترك لفضل أدب أو مكرمة حسب لتركت ذلك معك ولكنها تذكرة للعاقل ومنبّهة للغافل.

أي بنية: لو استغنت ابنة عن زوج لِغِنَى أبويها لكنتِ أغنى النّاس عنه، ولكنا خلقنا للرِّجال كما خلق الرِّجال لنا.

أي بنية: إنك قد فارقت الوكْرَ الذي منه خرجت، والعُشَّ الذي فيه درجت، إلى وَكْرٍ لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، أصبح بملكه إياك ملكا عليك (ملكا عليك) فكوني له أمة يكن لك عبداً، واحفظي له خلالاً عشراً:

أما الأولى والثانية: فالصُّحبة بالقناعة، والمعاشرة بالسّمع والطّاعة، فإنّ في القناعة راحة القلب وفي المعاشرة بحسن السّمع والطّاعة رضى الرّبّ.

وأما الثالثة والرابعة: فالتّعهّد لموقع عينه والتّفقّد لموقع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشمّ أنفه منك إلا أطيب ريح، واعلمي أن الكحل أحسن الحسن الموجود، وأن الماء أطيب الطيب المفقود.

وأما الخامسة والسّادسة: فالتّعهّد لوقت طعامه، والهُدُوُّ عند منامه، فإنّ حرارة الجوع ملهبة، وتنغيض النوم مغضبة.

وأما السّابعة والثّامنة: فالاحتفاظ ببيته وماله، والرّعاية لحشمه وعياله، فإنّ أصل حفظ المال من حسن التّقدير، والرّعاية على الحشم والعيال من حسن التّدبير.

وأما التّاسعة والعاشرة: فلا تفشينّ له سرّاً ولا تعصينّ له أمراً فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدرَه.

واتّقِي مع ذلك الفرح إذا كان ترحًا، والاكتئاب إذا كان فرحًا، فإن الخصلة الأولى من التّقصير والثّانية من التّكدير، وأشدّ ما تكونين له إعظامًا أشدّ ما يكون لك إكرامًا، وأكثر ما تكونين له موافقة أحسن ما يكون لك مرافقة.

واعلمي أنّك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثرين هواه على هواك، ورضاه على رضاك فيما أحببت أو كرهت.

ثم ودّعتْها وصَرَفَتْها.

المصدر: قادمة الجناح: عن تحفة العروس (الطبعة الأولى): ص 66 ـ 67.

محمد بن الأبّار

(658 ـ 595)

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرّحمان بن أحمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي الشهير بابن الأبّار، ولد ببلنسية ووفد الى تونس في 4 محرم سنة 636 وسنّه حوالي 40 سنة وبقي في افريقية 22 سنة الى وفاته مقتولا بالرّماح في 20 محرم سنة 658 . كان من الشّعراء الملازمين لأبي زكرياء الحفصي والمستنصر بالله ومن مادحيهما بغرّ القصائد الطّوال. ألّف الكثير من الكتب بافريقية منها ما هو مطبوع:

ـ الحلّة السّيراء في أشعار الأمراء.

ـ إعتاب الكتّاب.

ـ مظاهرة المسعى الجميل ومحاذرة المرعى الوبيل في معارضة ملقى السبيل لأبي العلاء المعري.

ـ درر السّمط في خبر السّبط: نشر بتحقيق عز الدين عمر موسى عن دار الغرب الإسلامي، بيروت 1407.

ومما ألفه في الأندلس وطبع:

ـ تحفة القادم.

ـ تكملة الصّلة في تراجم أهل الأندلس.

1 ـ وصف رياض أبي فهر وقصور راس الطابية

(الطويل)

وَرَوْض نضير جادَه الجُود والنَّدى　　　فليس يُبالي بعدُ ما صنع العَهْد

نَمتْ صُعُداً في جِدَّة غُرُفَاتُهُ　　　على عُمُدٍ ممَّا استجاد لها الجَدُّ

تُخَيَّلْنَ قامات وهُنَّ عقائل　　　سوى أنَّها لا ناطقاتٌ ولا مُلْدُ

قُدُودٌ كَسَاهَا ضافِيَ الحُسْنِ عُرْيُهَا　　　وأَمْعَنَ في تَنْعيمها النَّحتُ والقَدُّ

تُذَكِّرُ جنَّاتِ الخُلُودِ حدائقٌ　　　زواهر لا الزُّهراء منها ولا الخُلد[1]

فأَسْحَارُهَا تُهْدِي لها الطيبَ مَنْبجٌ[2]　　　وآصالُها تهْدي الصبَا نَحْوَهَا نَجْد

أناف علَى شمِّ القُصور فلَمْ تزَلْ　　　تَنَهَّدُ وَجْداً لِلْقُصُورِ وتَنْهَدُ

رَحيبُ المغَاني لا يَضيق بِوَفْدِه　　　ولَوْ أنَّ أَهْلَ الأَرْضِ كلَّهُمُ وفْدُ

تَلاقَى لَدَيْه النُّورُ والنُّور فانجَلَتْ　　　تَفَارِيقَ عن سَاحَاتِه الظلمُ الرُّبْدُ

وحُفَّ بأَعْنَابٍ ونَخْلٍ نَوَاعِمٍ　　　تكاد فُروعًا بالنَّواسِمِ تَنْقَدُّ

منَ البَاسِقَات السابقَات بحملها　　　إذا تُعْسِرُ الأَشْجَارُ كان لها وَجْدُ

عليها من القِنوان[3] عِقْدٌ ودملجٌ[4]　　　وإن لم يكن جيدٌ لديها ولا عضد

فتلك عُرُوشُ الياسمين وزَهْرُهُ　　　كزُهرِ النجوم وَسطَ أفلاكها تبدُو

---

(1) الخلد: قصر ببغداد بناه المنصور العباسي على شاطئ دجلة سنة 159 هـ.

(2) منبج: مدينة كبيرة واسعة في الشمال الشرقي من حلب بينهما عشر فراسخ. قيل: إن كسرى بناها وسماها. من به نبغ فيها كثير من الأعلام خلال عصورها الاسلامية.

(3) العناقيد

(4) الدملج: حلي يلبس في المعصم.

وذاك نضيدُ الطلع[5] والطلح قد جلا ... محاسنه للأعين اليَنْعُ والنُّضَدُ

ولاح لنا خوخٌ كما خَجِل الخَدُّ ... ويانع رمّان كما كعب النُّهدُ

وجَوْزٌ لهُ مُبْيَضٌ لبّ وإن ضَفَا ... على متنه جَوْنٌ من القِشْرِ مُسْوَدُّ

وعَنْ جَنَى العُنّابِ غضّا كأنّما ... تُلاحظُ من أفنانه حَدَقٌ رُمدُ

وإلاّ كما أبدت بنانًا مُطَرّفًا ... من السُّندس الموْشيِّ خَمصانة رُؤْدُ

ولوْ قَنَأَ[6] النارنج أبْصرْتَ أغصُنًا ... بِهَا ماؤُها تُبدي جِماراً لها وَقْدُ

وكم لِمّةٍ للآسِ تقطرُ جَعْدَةٍ ... يُؤَمِّنُها مَسٌّ الجفوف ثرًى جعدُ

حَوَالَيْ قِبَابٍ فُجّرَ الماءُ وسطهَا ... فأَنْحى علَى حَرّ المَصيفِ لهُ بردُ

ومرٌّ كأَيْمٍ فِي مَذَانِبِ[7] مرْمَرٍ ... يلِجُّ قسيباً[8] مثل ما جَلْجَلَ الرّعد

وخَاضَ حَشَا بحرٍ هنالك طافح ... كما قُدّ بالعَضْبِ الرّهيف الظُبَى سرْدُ[9]

تطلّعُ منها كلُّ حسناء جسمُهَا ... لُجَيْنٌ ولكنْ منْ نُضَار لها بُرْد

تناهتْ جمالاً أو جلالاً فأصبحتْ ... تندُّ على الأوْصاف إذْ ما لها نِدُّ

جنينا بها الإسعاد من مغرس المنى ... وحفّ بنا أثْنَاءَهَا الرّفْهُ والرِّفْدُ

وذاب لنا فيها النُّعيم فلا ترى ... سوى دائب[10] هزْلاً وشيمتُهُ الجِدُّ

أفانين شتى والفواكه شُفِّعت ... بأطْعِمةٍ يعْيَا بها الشّكر والحمد

---

(5) طلع النخل: أوّل الثمار يخرج كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود... أي ما يبدو من أول الإثمار.

(6) أي اشتد في حمرته.

(7) الأيم: الحية والمذانب ج مذنب: الجدول ومسيل الماء.

(8) الخرير.

(9) الدرع.

(10) الدائب: القصير.

طيافُرهــا مستوسقــات[11] كأنّهــا
وسَائِقُ تطمو[12] أوْ كراديس تشتد[13]

فبعض ضعيف يحسر الطّرف دونه
وبَعْـضٌ قدير دُونَـه يَحْصُـرُ العـدّ

أتـت بجفـانٍ كالجواري تُديرُهـا
علينا طُهَاةٌ دأبها الخفْر والحفد[14]

فمـا يُشْتهى من لحم طيرٍ كأنّنا
وما ضنمّنا الأبرار تحبُر[15] والخلدُ

علـى مائـداتٍ ضافيـاتٍ غضـارةً
تروحُ بأصناف النَّعيم كما تغدو

وقـد حَمَّلوهـا كـلَّ مزدفـر بهـا
يُرَى دارما وهو السُّليك إذا يعدو[16]

وعُجِّـلَ عِجْلٌ سنَّةً فارضِ القِرى
حنيذٌ[17] وُعِدْناه فما استأخر الوعد

تجلّـى يسـرّ النّاظريـن كأنّمـا
تَجَـلَّـلَ رَقْـرَاق العَبِيـرِ لَـهُ جِلْـدُ

وَرُدِّيَ كافـورُ الرّقـاق مصنـدلاً
لِيُونِـقَ ضـدٌّ فيـه قابلَـهُ ضـدّ

فلا وأبينـا مـا أبينـا كضيفـه
تَنَاوُلَـه، بَـلْ سابَـقَ الرّاحـةَ الزَّنْدُ

المصدر: الديوان: ص 148 ـ 150

2 ـ أدرك بخيلك

أنشد ابن الأبار هذه القصيدة بين يدي أبي زكرياء الحفصي حينما أوفده ابن مردنيش الى العاصمة الحفصية للاستنجاد بالملك عند حصار بلنسية.

---

(11) منظمات.

(12) أي قافلة من الابل تشتد في السير

(13) جماعة من الخيل

(14) الحفد: الاسراع والخفة في الحركة

(15) أي تسر.

(16) الدارم: المتقارب الخطو، والسليك هو السليك بن السلكة السعدي المشهور بشدة العدو

(17) حنيذ: مشوي ناضج

(البسيط)

أدْركَ بِخَيْلِكَ خَيْلِ اللَّهِ أندلسَا ... إنَّ السَّبِيلَ إلى مَنْجاتِها دَرَسَا

وَهَب لهَا مِنْ عَزِيز النَّصْرِ ما التَمَسَتْ ... فَلَمْ يَزَلْ مِنْك عزُّ النَّصْرِ مُلْتَمسا

وحاش ممَّا تُعانيه حُشَاشَتُهَا ... فطَالَمَا ذَاقَتِ البَلْوَى صَبَاحَ مَسَا

يَا لَلْجَزِيرَةِ أَضْحَى أهلُها جَزَرًا ... لِلحَادِثَاتِ وَأَمْسَى جَدُّهَا تَعَسَا

فِي كُلِّ شَارِقَةٍ إِلْمَامُ بَائِقَةٍ ... يَعُودُ مَأْتَمُهَا عِنْدَ العِدَى عُرُسَا

وكلِّ غَارِبَةٍ إِجْحَافُ نَائِبَةٍ ... تَثْنِي الأَمَانَ حِذَارًا وَالسُّرُورَ أَسَى

تَقَاسَمَ الرُّومُ مَا نَالَتْ مَقَاسِمُهُمْ ... إلاَّ عَقَائِلَهَا المَحْجُوبَةَ الأُنُسَا

وَفِي بَلَنْسِيَّةٍ مِنْهَا وقُرْطُبَةٍ ... مَا يَنْسِفُ النَّفْسَ أو مَا يَنْزِفُ النَّفَسَا

مَدَائِنٌ حَلَّهَا الإِشْرَاكُ مُبْتَسِمًا ... جَذْلاَنَ وَارْتَحَلَ الإيمَانُ مُبْتَئِسَا

وَصَيَّرتها العَوَادِي العَابِثَاتُ بِهَا ... يَسْتَوْحِشُ الطَّرْفُ مِنْهَا ضِعْفَ مَا أنِسَا

فَمِنْ دَسَاكِرَ كَانَتْ دُونَهَا حَرَسًا ... وَمِنْ كَنَائِسَ كَانَتْ قَبْلَهَا كُنُسَا

يَا لَلْمَسَاجِدِ عَادَتْ لِلْعِدَى بِيَعًا ... ولِلنِّدَاءِ غَدَا أَثْنَاءَهَا جَرَسَا

لَهْفِي عَلَيْهَا إِلَى استرجَاعِ فَائِتِهَا ... مَدَارِسًا لِلْمَثَانِي أَصْبَحَتْ دُرُسَا

وأرْبعًا نَمْنَمَتْ يُمْنَى الرَّبِيعِ لَهَا ... مَا شِئْتَ مِنَ خِلَعٍ مَوْشِيَّةٍ وَكُسَى

كَانَتْ حَدَائِقَ لِلأَحْدَاقِ مُؤْنِقَةً ... فَصَوَّحَ النَّضْرُ مِنْ أَدْوَاحِهَا وَعَسَا

وَحَالَ مَا حَوْلَهَا مِنَ مَنْظَرٍ عَجَبٍ ... يَسْتَجْلِسُ الرَّكْبَ أَوْ يَسْتَرْكِبُ الجُلُسَا

سُرْعَانَ مَا عَاثَ جَيْشُ الكُفْرِ وَاحَرَبَا ... عَيْثَ الدَّبى فِي مَغَانِيهَا الَّتِي كَبَسَا

وابْتَزَّ بِزَّتَهَا مِمَّا تَحَيَّفَهَا ... تَحَيُّفَ الأَسَدِ الضَّارِي لِمَا افْتَرَسَا

فَأَيْـنَ عَيْـشٌ جَنَيْنَـاهُ بِهَا خَضِرًا ... وَأَيْنَ غُصْنٌ جَنَيْنَاهُ بِهَا سَلِسَا

مَحَـا مَحَاسِنَهَـا طَاغٍ أُتِيحَ لَهَا ... مَا نَامَ عَنْ هَضْمِهَا حِينًا وَلاَ نَعِسَا

وَرَجَّ أَرْجَاءَهَـا لَمَّا أَحَـاطَ بِهَـا ... فَغَادَرَ الشُّـمَّ مِنْ أَعْلاَمِهَا خُنُسَا

خَـلاَلَهُ الجَـوُّ فَامْتَـدَّتْ يَدَاهُ إِلَى ... إِدْرَاك مَا لَمْ تَطَأْ رِجْلاَهُ مُخْتَلِسَا

وَأَكْثَـرَ الزَّعْـمَ بِالتَّثْلِيـثِ مُنْفَـرِدًا ... وَلَوْ رَأَى رَايَـةَ التَّوْحِيـدِ مَـا نَبَسَـا

صِلْ حَبْلَهَا أَيُّهَا المَوْلَى الرَّحِيمُ فَمَا ... أَبْـقَـى المِرَاسُ لَهَا حَبْلاً وَلاَ مَرَسَا

وَأَحْيِ مَا طَمَسَتْ مِنْهُ العِـدَاةُ كَمَا ... أَحْيَيْتَ مِنْ دَعْوَةِ المَهْدِيِّ مَا طُـمِسَـا

أَيَّامَ سِرْتَ لِنَصْرِ الحَقِّ مُسْتَبِقًا ... وَبِتَّ مِنْ نُورِ ذَاكَ الهَدْيِ مُقْتَبِسَا

وَقُمْتَ فِيهَا بِأَمْرِ اللَّهِ مُنْتَصِرًا ... كَالصَّارِمِ اهْتَزَّ أَوْ كَالعَارِضِ انْبَجَسَا

تَمْحُو الَّذِي كَتَبَ التَّجْسِيمُ مِنْ ظُلَمٍ ... وَالصُّبْحُ مَاحِيَةٌ أَنْوَارُهُ الغَلَسَا

وَتَقْتَضِي المَلِكَ الجَبَّارَ مُهْجَتَهُ ... يَوْمَ الوَغَى جَهْرَةً لاَ تَرْقُبُ الخلسَا

هَذِي رَسَائِلُهَا تَدْعُوك مِنْ كَثَبٍ ... وَأَنْتَ أَفْضَلُ مَرْجُوٍّ لِمَنْ يَئِسَا

وافَتْكَ جَارِيَةً بِالنُّجْحِ رَاجِيَةً ... مِنْكَ الأَمِيرِ الرِّضَى وَالسَّيِّدِ النَّدِسَا

خَاضَتْ خُضَارَةَ يُعْلِيهَا وَيُخْفِضُهَا ... عُبَابُهُ فَتُعَانِي اللِّينَ وَالشَّرَسَا

وَرُبَّمَـا سَبَحَـتْ وَالرِّيـحُ عَاتِيَـةٌ ... كَمَا طَلَبت بِأَقْصَى شَدِّهِ الفَرَسَا

تَؤُمُّ يَحْيَـى بْنَ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ أَبِي ... حَفْص مقبلَةً مِنْ تُرْبِهِ القُدُسَا

مَلْـكٌ تَقَلَّـدَتْ الأَمْـلاَكُ طَاعَتَـهُ ... دِينًا وَدُنْيَا فَغَشَّاهَا الرِّضَى لبسًا

مِـنْ كُـلِّ غَـادٍ عَلَـى يُمْنَاهُ مُسْتَلِمًا ... وَكُلِّ صَادٍ الَى نُعْمَاهُ مُلْتَمِسَا

مُـؤَيَّـدٌ لَـوْ رَمَـى نَجْـمًـا لَأَثْبَتَـهُ ... وَلَوْ دَعَا أُفُقًا لَبَّى وَمَا احْتَبَسَا

تَاللَّـهِ إِنَّ الَّذِي تُرْجَـى السُّعُـودُ لَـهُ ... مَا جَالَ فِي خَلَـدٍ يَوْمًا وَلاَ هَجَسَا

إِمَـارَةٌ يَحْمِـلُ المِقْــدَارُ رَايَتَهَــا   وَدَوْلَةٌ عِزُّهَا يَسْتَصْحِبُ القَعسَا

يُبْدِي النَّهَارُ بِهَا مِنْ ضَوْئِهِ شَنَبًا   وَيُطْلِعُ اللَّيْلُ مِنْ ظَلْمَائِهِ لَعَسَا

مَاضِي العَزِيمَةِ وَالأَيَّامُ قَدْ نَكَلَتْ   طَلْقُ المُحَيَّا وَوَجْهُ الدَّهْرِ قَدْ عَبَسَا

كَأَنَّــهُ البَــدْرُ وَالعَلْيَــاءُ هَالَتُــهُ   تَحُفُّ مِنْ حَوْلِهِ شُهْبُ القَنَا حَرَسَا

تَدْبِيــرُهُ وَسِــعَ الدُّنْيَــا وَمَــا وَسِعَتْ   وَعَرْفُ مَعْرُوفِهِ وَاسَى الوَرَى وَأَسَا

قَامَتْ عَلَى العَدْلِ وَالإِحْسَانِ دَعْوَتُهُ   وَأَنْشَرتْ مِنْ وُجُودِ الجُودِ مَا رُمِسَا

مُبَـارَكٌ هَـدْيُـهُ بَـادٍ سَكِيـنَــتـهُ   مَا قَامَ إِلاَّ الَى حُسْنَى وَلاَ جَلَسَا

قَـدْ نَـوَّرَ اللَّـهُ بِالتَّقْـوَى بَصِيرَتَـهُ   فَمَا يُبَالِي طُرُوقَ الخَطْبِ مُلْتَبِسَا

بَـرَى العُصَـاةَ وَرَاشَ الطَّائِعِـينَ فَقُلْ   فِي اللَّيْثِ مُفْتَرِسًا وَالغَيْثِ مُرْتَجِسَا

وَلَـمْ يُغَادِرْ عَلَـى سَهْلٍ وَلاَ جَبَـلٍ   حَـيًّـا لِقَاحًا إِذَا وَفَّيْتَهُ بَخسَا

فَـرُبَّ أَصْيَـدَ لاَ تُلْفِـي بِـهِ صَــيدًا   وَرُبَّ أَشْــوَسَ لاَ تُلْقَـى لَـهُ شَـوَسَــا

إِلَـى المَلاَئِـكِ يُـنْمَى وَالمُلُوكِ مَعًـا   فِي نَبْعَةٍ أَثْمَرَتْ لِلْمَجْدِ مَا غَرَسَا

مِنْ سَاطِعِ النُّورِ صَـاغَ اللَّهُ جَوْهَرَهُ   وَصَانَ صِيغَتَهُ أَنْ تَقْرُبَ الدَّنَسَا

لَهُ الثَّرَى وَالثُّرَيَّـا خُطَّـتَانِ فَـلاَ   أَعَزَّ مِنْ خُطَّتَيْهِ مَا سَمَا وَرَسَا

حَسْبُ الَّذِي بَاعَ فِي الأَخْطَارِ يَرْكَبُهَا   إِلَيْهِ مَحْيَاهُ أَنَّ البَيْعَ مَا وَكِسَا

إِنَّ السَّعِيـدَ امْـرُؤٌ أَلْقَـى بِحَضْرَتِـهِ   عَصَاهُ مُحْتَزِمًا بِالعَدْلِ مُحْتَرِسًا

فَظَلَّ يُوطِنُ مِنْ أَرْجَائِهَا حَرَمًـا   وَبَاتَ يُوقِدُ مِنْ أَضْوَائِهَا قَبَسَا

بُشْـرَى لِعَبْدٍ إِلَى البَابِ الكَرِيمِ حدَا   آمَالَهُ وَمِنَ العَذْبِ المَعِينِ حَسَا

كَأَنَّمَـا يَمْتَطِي وَاليُمْـنُ يَصْحَبُـهُ   مِنَ البِحَارِ طَرِيقًا نَحْوَهُ يَبِسَا

فَاسْتَقْبِـلِ السَّعْـدَ وَضَّاحًـا أَسِرَّتُهُ   مِنْ صَفْحَةٍ غَاضَ مِنْهَا النُّورُ فَانْعَكَسَا

وَقَبِّـلَ الجُـودَ طَفَّاحًــا غَوارِبُــهُ ... مِنْ رَاحَةٍ غَاصَ فيهَا البَحْرُ فَانْغَمَسَا

يَـا أَيُّهَا المَلِكُ المَنْصُورُ أَنْتَ لَهَا ... عَلْيَاءُ تُوسِعُ أَعْدَاءَ الهُدَى تَعَسَا

وَقَدْ تَوَاتَرَت الأَنْبَـاءُ أَنَّـكَ مَــنْ ... يُحْيِي بِقَتْلِ مُلُوكِ الصُّفْرِ أَنْدَلُسَا

طَـهِّرْ بِـلاَدَكَ مِنْهُـم إِنَّهُـمْ نَجَـسٌ ... وَلاَ طَهَارَةَ مَا لَمْ تَغْسِلِ النَّجِسَا

وَأَوْطِـئِ الفَيْلَــقَ الجَـرَّارَ أَرْضَهُــمُ ... حَتَّى يُطَأْطِئَ رَأْسًا كُلُّ مَنْ رَأَسَا

وَانْصُـرْ عَبِيدًا بِأَقْصَى شَرْقِهَا شَرِقَتْ ... عُيُونُهُم أَدْمُعًا تَهْمِي زَكًا وخَسَا

هُمْ شِيعَةَ الأَمْرِ وَهْيَ الدَّارُ قَدْ نُـهِكَتْ ... دَاءً وَمَا لَمْ تُبَاشِرْ حَسْمَهُ انْتَكَسَا

فاملأ هنيئًا لك التمكينُ ساحتهَا ... جُــرْدًا سلاهِــبَ أو خطيّــةً دُعُسَـا

واضربْ لها موعدًا بالفتح ترقبهُ ... لعلّ يوم الأعادي قد أتى وعسَى

المصدر: الديوان: ص 395 ـ 400

3 ـ طنّب قبابك هذا العزّ والشرف

قال يمدح أبا زكرياء الحفصي ويصف بستان أبي فهر:

(البسيط)

طَنِّبْ قِبَابَكَ هَذَا العِزُّ وَالشَّرَفُ ... وَاصْحَبْ شَبَابَكَ لاَ شَيْبٌ وَلاَ خَرَفُ

رَيْعَانُ مُلْكٍ لِرَيْعَانِ الحَيَاةِ بِهِ ... إِقَامَةٌ وَلِمَاضِي العُمْرِ مُنْصَرَفُ

وَطِيبُ عَصْرٍ، جَنَاهُ الغَضُّ مُهْتَصَرًا ... كَمَا حَلاَ مِنْ ثُغُورِ الحُورِ مُرْتَشَفُ

رَقَّتْ وَرَاقَتْ حَوَاشِيهِ وَغُرَّتُهُ ... فَلَـيْلُـهُ بِالصَّبَاحِ الطَّلْقِ مُلْتَحِفُ

أَمَا تَرَى دَوْلَةَ الإِقْبَالِ مُقْبِلَةً ... خِصْبٌ، وَلاَ عَجَبٌ، عَدْلٌ، وَلاَ جَنَفُ



وَحَضْرَةُ السَّعْدِ فِي أَبْهَى مَنَاظِرِهَا رَاحَتْ بِخِدْمَتِهَا الأَقْدَارُ تَزْدَلِفُ
تُزْهَى بِمَا أَخَذَتْ مِنْ زِينَةٍ صَلَفًا وَمَا لِرَاعِدَةٍ فِي جَوِّهَا صَلَفُ
كَأَنَّ يَحْيَى الرِّضَى آلَتْ إِيَالَتُهُ أَنْ يَشْمَلَ الخَلْقَ مِنْهَا الرِّفْقُ وَاللُّطَفُ
مَلْكُ المُلُوكِ الَّذِي دَانَتْ بِطَاعَتِهِ زُلْفَى تَقَاصَرَ عَنْ إِدْرَاكِهَا الزُّلَفُ
وَاسْتَشْرَفَتْ طُمَّحًا مِنْ لَثْمِ رَاحَتِهِ إِلَى أَمَانِيَّ فِيهَا المَجْدُ وَالشَّرَفُ
مُقِــرَّةٌ بِمَعَــالِيــهِ الَّتِـي بَهَـرَتْ وَالحَقُّ أَبْلَجُ لِلْأَلْبَابِ مُنْكَشِفُ
إِمَــامُ دِيــنٍ وَدُنْيَــا قَــامَ دُونَهُمَــا والأرض تُنْقَصُ والأَطْـوَادُ تُـنتسفُ
وَشَــدَّ أَزْرَهُــمَــا طَلْـقًــا أَسـرَّتُــهُ وَالنَّاسُ قَدْ وَهَنُوا طُرًّا وَقَدْ ضَعُفُوا
فِي عَسْكَرٍ لَجِبٍ مِنْ مَعْشَرٍ نُجُبٍ قَامَاتُهُمْ كَعَوَالِيهِمْ بِهَا قَضَفُ[1]
لاَ يَسْلُفُونَ[2] سِوَى مَجْدٍ إِلَى كَرَمٍ صِيدًا كِرَامًا أَبُو حَفْصٍ لَهُمْ سَلَفُ
عِصَابَةٌ تَطْلَعُ الأَقْمَارُ إِنْ طَلَعُوا وَتَدْلِفُ الضَّارِيَاتُ الغُلْبُ إِنْ دَلَفُوا
تَـدَارَكَ الأَمْـرُ مِنْـهُ وَالأُمُورُ سُدًى جَذْلاَنُ يَبْسَمُ وَالأَرْوَاحُ تُخْتَطَفُ
بِمَظْهَــرِ العَالَــمِ العَلْــوِيِّ مُتَّصِلٌ وَبِاتِّبَاعِ هُــدَى المَهْدِيِّ[3] مُتَّصِـفُ
لِلْحَقِّ مُمْتَعِضٌ فِي اللهِ مُرْتَمِضٌ بِاللَّــهِ مُنْتَصِـرٌ لِلَّــهِ مُنْصَـــرِفُ
وَجْــهُ الحَنِيفِيَّةِ البَيْضَــاءِ مُؤْتَلِــقٌ بِــهِ وَشَمْلُ النَّدَى وَالبَأْسِ مُؤْتَلِفُ
مَا بَيْنَ سِيرَتِهِ الحُسْنَى وَسَوْرَتِهِ يُرْجَى وَيُخْشَى التَّلاَفِي المَحْضُ وَالتَّلَفُ
مُبَــارَكٌ عَصْــرُهُ المَيْمُــونُ مُعْتَــدِلٌ وَعَنْ سِوَى العَدْلِ وَالإِحْسَانِ مُنْحَرِفُ

(1) القضف: النحافة والدقة.

(2) سلف يسلف: يطلب

(3) يقصد المهدي بن تومرت

مِنْ جَأْشِهِ يَسْتَمِدُّ الجَيْشُ مُحْتَفِلاً ... ثَبَاتَــهُ وَمُتُونُ السُّمرِ تَنْقَصِفُ

وَعَنْ سَعَادَتِهِ تَمْضِي السُّيُوفُ إِذَا ... كَلَّتْ وَتُدْرِكُ شَأْوَ السَّابِقِ العُطُفُ[4]

يُمْنُ النَّقِيبَةِ فِي أُولَى مَنَاقِبِهِ ... يَرْمِي فَيُصْمِي وَغَايَاتُ المُنَى هَدَفُ

حَتَّى الرِّيَاحُ إِذَا هَبَّتْ بِأَسْعُدِهِ ... هَبَّتْ سَوَاجِيَ لاَ هُوجٌ وَلاَ عُصُفُ

مُحَمِّلاً وَقْدَهَا مِنْ عُرْفِهِ بَرَدًا ... مَا لاَ تَزَالُ بِهِ الآصَالُ تَعْتَرِفُ

قَدْ شَادَ سُلْطَانُه مَا شَاءَ مُخْتَرِعًا ... وَالدَّهْرُ ثَاوٍ عَلَى الإِسْعَادِ مُعْتَكِفُ

مَصَانِعًا ضَلَّتْ الأَمْلاَكُ صَنْعَتَهَا ... لاَ القَصْدُ وَافٍ بِهَا وَصْفًا وَلاَ السَّرَفُ

وَضَّاحَةٌ حَلَّتِ الأَنْوَارُ سَاحَتَهَا ... فَأَوْضَعَتْ رِحْلَةً عَنْ أُفْقِهَا السُّدُفُ

كَأَنَّ رَأْدَ الضُّحَى مِمَّا يُغَازِلُهَا ... عَنِ الغَزَالَةِ هَيْمَانٌ بِهَا كَلِفُ

تَجَمَّعَتْ وَهْيَ أَشْتَاتٌ مَحَاسِنُهَا ... هَذَا الغَدِيرُ وَهَذِي الرَّوْضَةُ الأُنُفُ

حَيْثُ القُصُورُ عَلَيْهَا الحُسْنُ مُقْتَصِر ... فَوْقَ البُحَيْرَة مِنْهَا البَحْرُ مُغْتَرِفُ

وَحَيْثُ حَفَّتْ سُقَاةُ المُزْنِ أَكْؤُسَهَا ... لِلطيرِ تَشْدُو وَلِلْأَغْصَانِ تَنْعَطِفُ

وَالزَّهْرُ مُنْشَقَّةٌ عَنْهُ كَمَائِمُهُ ... كَالْجَوْهَرِ انْشَقَّ عَنْ شَفَّافِهِ الصدَف

يُضَاحِكُ النُّورَ فِيهَا النَّوْرُ عَنْ كَثَبٍ ... مَهْمَا بَكَتْ لِلغَوَادِي أَعْيُنٌ ذُرُفُ

خُضْرٌ خَمَائِلُهَا زُرْقٌ جَدَاوِلُهَا ... فَالحُسْنُ مُؤْتَلِفٌ فِيهَا وَمُخْتَلِفُ

دَوْحٌ وَظِلٌّ يَلَذُّ العَيْشُ بَيْنَهُمَا ... هَذَا يَرِفُّ كَمَا تَهْوَى وَذَا يَرِفُ

يَجْرِي النَّسِيمُ عَلَى أَرْجَائِهَا دَنِفًا ... وَمِلْؤُهُ أَرَجٌ يُشْفَى بِهِ الدَّنِفُ

حَاكَ الرَّبِيعُ لَهَا مِنْ صَوْبِهِ حِبَرًا ... كَأَنَّهَا الحُلَلُ الأَفْوَافُ وَالصُّحُفُ

---

4) العطف: ج عاطف، السادس من خيل السباق

غَرِيرَةٌ مِنْ بَنَاتِ الرَّوْضِ نَاعِمَةٌ ... يَثْنِي مَعَاطِفَهَا فِي السُّنْدُسِ التَّرَفُ
صَافَ الجَنَى الغَضُّ فِي أَدْوَاحِهَا وَشَتَا ... فَتَجْتَنِي اليَدُ مَا شَاءَتْ وَتَقْتَطِفُ
بِكْرُ الحَدَائِقِ وَالأَحْدَاقُ شَاهِدَةٌ ... لاَ عَانِسٌ جَهْمَةُ المَرْأَى وَلَا نَصَفُ[5]
تَنْدَى أَصَائِلُهَا صُفْرًا غَلاَئِلُهَا ... كَأَنَّ مَاءَ نُضَارٍ فَوْقَهَا يَكِفُ
فِي حَبْرَةٍ وَأَمَانٍ مَنْ تَبَوَّأَهَا ... كَجَنَّةِ الخُلْدِ لاَ رَوْعٌ وَلاَ أَسَفُ
تَظَلُّ مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ جَارِيَةً ... يَرُوقُ مُنْعَرَجٌ مِنْهَا وَمُنْعَطَفُ
أَضْحَتْ إِلَى غُرَفِ الرِّضْوَانِ دَاعِيَةً ... تِلْكَ المَحَارِيبُ وَالأَبْيَاتُ وَالغُرَفُ
تُلْهِيكَ عَنْ زُخْرُفِ الدُّنْيَا زَخَارِفُهَا ... وَعَنْ أَغَانِي الغَوَانِي وُرقها الهُتُفُ
يَا حَبَّذَا المَجْلِسُ الوَضَّاحُ مَبْسَمُهُ ... كَأَنَّهُ عَلَمٌ يَسْمُو بِهِ شَغَفُ
يَجُولُ مَاجِلُه كَالطِّرْفِ[6] مِنْ فَلَقٍ[7] ... فَمَا لَهُ وَسْطُهُ سَاجٍ وَلاَ طَرِفُ[8]
يَرْتَاحُ لِلرِّيحِ أَعْطَافًا إِذَا نَسَمَتْ ... كَأَنَّهُ مُسْتَهَامٌ قَلْبُهُ يَجِفُ
مِلْءَ الفَضَاءِ طَمُوحُ المَوْجِ مُزْبِدُهُ ... يَعُبُّ مُنْفَرِدٌ مِنْهُ وَمُرْتَدِفُ
يَمُدُّهُ لِلْفُرَاتِ العَذْبِ مُطَّرِدٌ ... خُضْرُ البِحَارِ إِذَا قِيسَتْ بِهِ نُطَفُ
كَأَنَّ أَمْوَاجَهُ الأَبْطَالُ دَارِعَةً ... كَرَّتْ تُلاَقِي وَلاَ بِيضٌ وَلاَ جَحَفُ[9]
وَحَبَّذَا القُبَّةُ العَلْيَاءُ شَامِخَةً ... بِأَنْفِهَا يَزْدَهِيهَا العِزُّ وَالأَنَفُ
حَفَّتْ بِحَافَتِهَا الأَشْجَارُ تَكْلَؤُهَا ... كَمَا تَقُومُ عَلَى سَادَاتِهَا الوُصُفُ

---

5) النصف: المرأة المتوسّطة العمر.

6) الطرف: العتيق من الخيل

7) الفلق: المطمئنة من الأرض

8) طرف: متحرّك

9) الجحف: الموت والقتال

كَـأَنَّ منْ وَشْـي صَنْعَاءَ بِهَـا شِيةٌ فَلِلْعُيُونِ بِصُنْعٍ زَانَهَا شَغَفُ

قَعِيـدَةٌ لِلْعُلَـى قَامَـتْ عَلَى عمـدٍ مَصْفُوفَة حُسْنُهَا يُزْرِي بِمَنْ يَصِفُ

كَأَنَّهُـنَّ العَـذَارَى الغِيـدُ نَاصِيَـةٌ شُفُوفُهَا عَنْ قُدُود كُلُّهَا هَيَفُ

مَطَالِـعٌ لِلنُّجُـومِ السَّعْـد يَكْنُفُهَا قَصْرُ الإِمَارَةِ نِعْمَ القَصْرُ وَالكَنَفُ

لَوْ تَهْتَدِي الشَّمْسُ أَنْ تَخْتَارَهَا فَلَكًا لِسَيْرِهَا لَمْ تَكُنْ تَخْفَى وَتَنْكَشِفُ

مَـا خُلْـدُ بَغْـدَادَ أَوْ زَهْرَاءُ أَنْدَلُس وَالْمُلْـكُ مُقْتَبِـلٌ فِيهَـا وَمُؤْتَـنـفُ

وَأَيْنَ إِيوَانُ كِسْرَى مِنْ سَرَارَتِهَا وَكَالأَكَالِيلِ فِي هَامَاتِهِ الشُّرَفُ

تَحَدَّثُوا بُرْهَةً عَنْهَا وَلَوْ عَرَفُوا مَبَانِيَ الْمُرْتَضَى يَحْيَى لَمَا هَرَفُوا

وَهَـذِهِ خَلَفَتْ تِلْكَ الَّتـي سَلَفَـتْ وَلَيْسَ مِنْهَا وَلاَ مِنْ حُسْنِهَا خَلَفُ

بُشْرَايَ فُزْتُ بِهَا أُمْنِيَةً أَمَمًا[10] لَمَّـا حَدَتْنِـي إِلَيْهَـا نِيَّـةٌ قُذُفُ

آوَتْنِي الحَضْرَةُ العُظْمَى وَقَدْ كَلِفَتْ بِيَ الخُطُـوبُ وَأَدَتْنِـي لَهَـا كُلَـفُ

وَأَوْسَعَتْـنِـيَ تَشْرِيفًـا بِخِدْمَتِهَـا فَخَيْـرُهَا مُتْلَـدٌ عِنْـدِي وَمُطَّرَفُ

حَسْبِي مِنَ الفَخْرِ أَنِّي عِنْدَهَا، وَكَفَى بِمُثْبِتٍ لِيَ حِينًا لَيْسَ يَنْحَذِفُ

لِي عَائِدٌ مِنْ عَطَايَاهَا وَلِي صِلَـةٌ سَحَّتْ سَحَابًا فَلاَ مَحْلٌ وَلاَ شَظَفُ

فَرَوْضَةُ الأَمْنِ فِي أَفْنَانِهَا غَضَفٌ وَدِيمَةُ الْمَنِّ فِي أَثْنَائِهَا وَطَفُ

مَكَارِمٌ عَاقَنِي عَنْ حَصْرِهَا حَصَرٌ وَاقْتَادَنِي لَهَجٌ وَاعْتَادَنِي لَهَفُ

جَلَّتْ وَدَقَّ بَيَانٌ أَنْ يُعَدِّدَهَا وَالبَحْرُ لَيْسَ مِنَ الأَوْشَالِ يُنْتَزَفُ

أَيْنَ الإِجَادَةُ إِلاَّ أَنْ يُجَادَ بِهَا مِنْ مُعْجِمَاتٍ قَوَافٍ دُونَهَا تَـقِـفُ

المصدر: الديوان: ص 373ـ 378.

---

10) أمم: قريب

4 ـ رثاء يحيى بن أبي زكرياء

(الكامل)

رِبِنِـي ثَلاَثًـا سَـلْـوَةَ الأَيَّـامِ ... أَوْدَى الحِمَـامُ بِنَاصِـرِ الإِسْـلاَمِ

وَدَعَـا دِعَامَتَـهُ إِلَـى تَعْوِيضِهَا ... تَأْسِيسُـهُ بِالتُّـرْبِ دَارَ مُقَـامِ

وَدَهَى الوَرَى مِنْ ثُكْلِ هَادِيهِمِ بِمَا ... أَعْيَـا عَلَـى الأَفْهَـامِ وَالأَوْهَـامِ

هَذِي الشُّجُونُ الجُونُ قَدْ أَخَذَتْ عَلَى ... وَفْـدِ العَـزَاءِ مَطَالِـعَ الإِلْمَـامِ

وَتَقَاضَـتِ الأَجْفَـانَ حُمْرُ دُمُوعِهَا ... فَمِنَ القُلُوبِ عَلَى الخُدُودِ دَوَامِ

مَـا رَاعَهُـمْ إِلاَّ نَعِـيَّ وُجُودِهِ ... فِـي حَيْـثُ لاَ أَمْـنٌ مِنَ الاعْدَامِ

فَلَـوِ الْتَفَـتَّ لَقُلْـتَ: شُـرْبُ مُدَامِ ... وَلَوْ اسْتَمَعْتَ لَقُلْتَ: سِـرْبُ حَمَـامِ

أَنْـوَارُهُ هَامُـوا لَهَـا فَذَكَـرْتُ مَا ... نَسِيَتْ "نَـوَارِ مِـنْ هَوًى وَهُيَـامِ[1]

تَاللَّـهِ لَـوْ قَتَلُـوا عَلَيْـهِ نُفُوسَهُمْ ... أَسَفًـا لَمَـا وَفَّـوْا قَضَـاءَ ذِمَـامِ

خَطْبُ الخُطُوبِ أَبَاحَ مُحْتَكِمًا حِمَى ... مَلِـكِ المُلُـوكِ فَطَاحَ دُونَ مُحَامِ

أَنَّى وَمِنْ أَيْنَ اسْتَدَارَ لَهُ الرَّدَى ... وَالجَيْشُ مِلْءُ عَمَائِرٍ وَمَوَامِ[2]

فِيهِ الكُمَاةُ إِذَا هُمُ اعْتَقَلُوا القَنَا ... وَافَـوْكَ بِالآسَـادِ وَالآجَـامِ

أَصْمَاهُ رَامٍ كَمْ ثَنَى عَنْهُ العِدَى ... صَرْعَى يُنَاضِلُ دُونَهُ وَيُرَامِي

نُورُ الوُجُودِ أُتِيحَ مِنْ إِطْفَائِهِ ... مَا أَلْبَسَ الدُّنْيَا مُسُوحَ ظَلاَمِ

سَيْفُ الهُدَى أَوْدَى بِهِ سَيْفُ الرَّدَى ... قَدْ يَفْتِكُ الصَّمْصَامُ بِالصَّمْصَامِ

مَا لِلنُّجُومِ طَوَالِعًا؟ مَا لِلْجِبَا ... لِ رَوَاسِيًا؟ مَا لِلْبِحَارِ طَوَامِي؟

---

(1) نوار: زوج الفرزدق

(2) موام: ج موماة وهي الصحراء

لِمْ لَمْ تَغُرْ لِمْ لَمْ تَزُلْ لِمْ لَمْ تَغُضْ ... مِنْ شِـــدَّةِ الحَسَـــرَاتِ وَالآلاَمِ؟

فِي بُونَة بَانَتْ حَيَاةُ الْمُرْتَضَى ... يحيى وَقِيـدَ إِلَـى الثَّرَى بِزِمَـــامِ

وَهُنَاكَ خُطَّ ضَرِيحُه سَقْيًا لَهُ ... هَلاًّ[3] بِأَفْئِـــدَةٍ عَلَيْـــهِ حِيَـــامِ

لَمَّا ثَوَى دَارَ السَّلاَمِ تَرَحَّلَتْ ... عَنَّا مَحَاسِـــنُ دَهْرِنَـــا بِسَـــلاَمِ

لاَ طِيبَ فِي الأَسْحَارِ وَالآصَالِ مُذْ ... طَابَ الثَّـــرَى مِنْـــهُ بِخَيْـــرِ إِمَامِ

عَطِلَتْ ظُهُورُ الأَرْضِ مِنْ تِلْكَ الحُلَى ... إِذْ حُلِّيَـــتْ مِنْهَا بُطُـــونُ رِجَـامِ

كَانَ الزَّمَانُ يَضِيقُ عَنْهُ جَلاَلَةً ... فَـــإِذَا بِـــهِ فِـــي تُرْبَـــةٍ وَسَلاَمِ

سَلْ عَنْ ظُبَاهُ مشَارِقًا وَمَغَارِبًا ... تُنْبِئْـــكَ عَـــنْ إِغْمَادِهَا فِي الْهَامِ

وَانْظُـــرْ إِلَيْـــهِ مُسَالِمًـــا وَمُحَارِبًا ... تَجِـــدِ الهِدَايَةَ أُسْوَةَ الإِلْهَـــامِ

غَلَبَتْهُ صَادِمَـــةُ المَنُـــونِ وَطَالَمَا ... هَابَتْهُ أَغْلَـــبَ مَاضِـــيَ الإِقْدَامِ

وَانْجَابَتِ الحَرَكَـــاتُ عَنْ إِسْكَانِـــهِ ... مَا بَيْـــنَ أَجْـــدَاثٍ وَبَيْنَ رِمَـــامِ

وَاهًا وَآهًـــا لَـــوْ شَفَى تَرْدَادُهَا ... مِـــنْ زَفْـــرَةٍ مَشْبُوبَـــةٍ كَضِرَامِ

أَتْهِمْ وَأَنْجِدْ يَا نَجِيـــبُ فَقَدْ قَضَى ... نَحْبًا أَخُـــو الإِنْجَـادِ وَالإِتْـــهَـامِ

كَيْفَ احْتِسَابِي مَـا أَلَـمَّ وَإِنَّمَـا ... حَسَنَـاتُ صَبْـــرٍ فِيـــهِ كَالآثَـــامِ

لاَ تَحْسَبُونِي صَاحِيًـا مِنْ خَمْرَةٍ ... لِلْحُـــزْنِ فِيهَـــا العَالَمُـــونَ نَدَامِي

أَمِـــنَ الوَفَـــاءِ وَفَاتُـــهُ وَحَيَاتُنَا ... أُفٍّ لِكُـــفَّـــارٍ يَـــدَ الإِنْعَـــامِ

سَوْأَى مِنْ الأَحْدَاثِ وَافَتْ بَعْدَهَا ... حُسْنَـــى لَهَا فِي اللهِ حُسْنُ مُقَامِ

لَمَّا انْتَأَى مَـلأَ الهُدَى أَثْنَاءَهَا ... فَكَفَى عَظَائِمَهَا اكْتِفَاءُ عِظَامِ

يَـا فَوْزَهُـمْ بِخِلاَفَـةٍ تَعْنُو لَهَا ... خُلَفَـاءُ بَيْـتَـيْ هَاشِـمٍ وَهِشَامِ

---

(3) هلاًّ: هلّ السحاب هلا أي: أمطر بشدّة.

وَتَدُومُ فِي الأَعْقَابِ لَيْسَ لِحُكْمِهَا نَسْخٌ مَـدَى الأَحْقَـابِ وَالأَعْوَامِ
أَرْضَـوْا إِمَامَهُمُ فَأَمْضوا عَهْدَهُ وَوَفَوْا لِأَنْـفِ البَغْـيِ بِالإِرْغَامِ
قَسَمًـا بِـهِ لَـوْلاَ إِمَـارَةُ نَجْلِهِ لغَدَا الهُدَى نَثْرًا بِغَيْرِ نِظَامِ
أَتـ ـاهُ كُوشِـفَ بِالَّذِي هُـوَ كَائِـنٌ فَـاعْتَامَـهُ(4) مَـنْ جَـوْهَـرٍ مُـعْتَـامِ
وَأَقَامَـهُ لِلنَّـاسِ يَجْمَعُهُـمْ عَلَى سلْطَانِهِ وَرَآهُ خَيْرَ قِوَامِ
دَهَمَتْهُمُ دُهْمُ الخُطُوبِ فَشَدَّ مَا جَلَّـى دُجَاهَـا مِنْـهُ بَـدْرُ تَمَامِ
لَمَّا ارْتَضَاهُ نَضَاهُ عَضْبًا حَاسِمًا غُـدرَ العِـدَى مِـنْ رَأْيِهِ بِحُسَامِ
أَوْلَـى ذِمَــامٍ بِالرِّعَايَــةِ عِنْـدَهُ مَا لَمْ يُجَـاوِزْهُ، سُـؤَالُ مُضَامِ
لِلَّهِ زَحْـفُ خَمِيسِـهِ بِزَعِيمِـهِ تَحْـتَ اللِّـوَاءِ لِعُبَّـدِ الأَصْنَـامِ
مِـنْ كُـلِّ مـوردٍ رُمْحَهُ أَدْرَاعهمْ فَتَــرَى بِــهِ أَلِفًــا مُخَالِـطَ لاَمِ
رَجَفَـتْ بِلاَدُهُــمُ لِبَيْعَتِـهِ الَّتِي مَرَّتْ بِهَـا الأَرْوَاحُ فِي الأَجْسَامِ
وَعَـنِ القُلُـوبِ تَفَقَّأَتْ أَضْلاَعُهُمْ فَكَأَنَّهَا الأَزْهَـارُ دُونَ كِمَـامِ
لِمُحَمَّدٍ وُعِـدَتْ رَعَايَـا أَحْمَـدٍ أَلاَّ تَـزَالَ زَوَاهِـرَ الأَيَّـامِ
وَكَأَنَّ بِشْـرًا سَاطِعًـا إِشْرَاقُـهُ فِي وَجْهِهَـا مِنْ وجْهِـهِ البَسَّامِ
مَلِـكٌ نَمَتْـهُ فِـي المُلُـوكِ عِصَابَةٌ هِـيَ مَفْخَـرُ الأَسْيَـافِ وَالأَقْلاَمِ
بُشْـرَى الأَنَـامِ بِدَوْلَـةٍ حَفْصِيَّةٍ مَنْصُـورَةِ الرَّايَـاتِ وَالأَعْـلاَمِ
أَبَـدًا تُوَافِـي مِنْهُـمُ بِأَئِمَّـةٍ زُهْـرِ المَنَاقِـبِ رُجَّـحِ الأَحْلاَمِ
فِـي يَوْمِهِمْ أَحْيَـوْا خَلِيفَةَ أَمْسِهِمْ شَبَهًا بِهِ فِـي النَّقْضِ وَالإِبْـرَامِ

(4) اعتامه: اختاره

تِلْكَ الشَّمَائِلُ كَالشَّمَائِلِ[5] قَدْ سَمَتْ بِأَبِـي غَمَــامٌ مُقْلِــعٌ بِغَمَــامِ
يَا خَجْلَتِـي لِلفِكْرِ أَقْعَدَهُ الأَسَى عَــنْ نَهْضَــةٍ بِحُقُوقِهَــا وَقِيَــام
كُنْتُ الْمُطِيــلَ مُهَنِّئًــا وَمُعَزِّيًــا لَكِــنْ كَفَانِيهَــا أَبُــــو تَمَّــامِ[6]
«تِلْــكَ الرَّزِيَّــةُ لاَ رَزِيَّةَ مِثْلُهَــا وَالقِسْــمُ لَيْـسَ كَسَائِرِ الْأَقْسَامِ»

المصدر: الديوان: ص 262 ـ 265

5 ـ بستان أبي زكرياء الحفصي

قال يصف حدائق أبي فهر:

(الكامل)

زَارَ الحَيَــا بِمَــزَارِهِ البُسْتَانَــا وَأَثَــارَ مِــنْ أَزْهَــارِهِ أَلْوَانَا
فَغَــدَا بِــهِ وَبِصِنْوِهِ يَخْتَــالُ فِي حُلَــلِ النَّضَــارَةِ مُونِقًــا رَيَّانَا
وَيَمِيـسُ أَفْنَانًــا فَتُبْصِــرُ خُرَّدًا تَثْنِـي القُــدُود لِطَافَـةً وَلِيَـانَـا
وَكَأَنَّمَــا الأَدْوَاحُ فِيــهِ مَفَــارِقٌ بِلِبَاسِهَــا قَطْـرُ النَّــدَى تِيجَانَا
وَكَأَنَّمَــا رَامَ الثَّنَــاء فَلَمْ يُطِقْ فَشَــدَتْ بِــهِ أَطْيَــارُهُ أَلْحَانَــا
مِنْ كُلِّ مُفْتَنٍّ الصَّفِيرِ قَدِ ارْتَقَى فَنَنًــا فَأَفْحَــمَ، خَاطِبًا، سُحْبَانَــا
هِيَ عَادَةٌ لِلْمُزْنِ يَحْفَظُ رَسْمَهَا حِفْــظَ الأَمِيرِ العَــدْلَ وَالإِحْسَانَا
أَسْرَى إِلَى النِّسْرِينِ يُرْضِعُهُ النَّدَى وَيَهُبُّ طَــرْفَ النَّرْجِسِ الوَسْنَانَا
وَحَبَــا العَــرَارَ بِصُفْــرَةٍ ذَهَبِيَّةٍ رَاعَــتْ فَتَــاهَ بِكُمِّهَــا فَتَّانَــا

(5) "الشمائل" الثانية: الرياح التي تهب من ناحية القطب، مفردها شمال وشمأل.
(6) يشير الى قصيدة أبي تمام يمدح فيها الواثق ويهنئه بالخلافة ويعزيه في أبيه المعتصم.

وَدْقٌ تَوَلَّـدَ عَنْـهُ وَقْـدٌ فِي الرُّبَى لِأَزَاهِـرٍ طَلَعَـتْ بِهَـا شُهْبَانَا

تِلْكَ الأَهَاضِيـبُ اسْتَهَلَّتْ دِيمَةً فَكَسَـا الهِضَـابَ النَّوْرُ وَالغِيطَانَا

شَرِقَـتْ بِعَارِضِهَا المُلِثِّ وَأَشْرَقَتْ لِلَّـهِ أَمْـوَاهٌ غَـدَتْ نِيرَانَـا

يَا حَبَّـذَا خَضِلِ البَهَارِ مُنَافِحًا بِأَرِيجِـهِ الخَيْـرِيَّ وَالرَّيْحَانَـا

وَالآسُ يَلْتَثِمُ البَنَفْسَجَ عَارِضًا وَاليَاسَمِـينُ يُغَـازِلُ السَّوْسَانَـا

وَالرِّيحُ تُرْكِضُ سُبَّقًا مِنْ خَيْلِهَا فِـي رَوْضَـةٍ رَحُبَـتْ لَهَا مَيْدَانَا

هَوْجَاءُ تَسْتَشْرِي فَيُلْقِحُ مَدُّهَا هَيْجَاءَ تُنْتِـجُ حَبْـرَةً وَأَمَانَـا

حَرْبًا عَهِدْتُ أَزَاهِرًا وَمَزَاهِرًا أَوْزَارَهَـا لاَ صَارِمًـا وَسِنَانَـا

يَغْدُو الحَلِيمُ يُجَرِّرُ الأَذْيَالَ مِنْ طَـرَبٍ هُنَـاكَ وَيُسْبِلُ الأَرْدَانَا

وَكَأَنَّمَا هَابَ الغَدِيرُ هُبُوبَهَا فَاهْتَـاجَ مِقْدَامًـا وَكَـعَّ[1] جَبَانَا

يُـبْـدِي مُعَنَّاهَا الثَّبَاتَ وَإِنَّمَا يُخْفِي جَنَانًا يَصْحَبُ الرَّجَفَانَا

وَاهًا لَهُ لَبِسَ الدِّلاَصَ كَأَنَّمَا يَخْشَى مِـنَ القَصَبِ اللِّدَانِ طِعَانَا

وَاسْتَلَّ مِنْ زُرْقِ المَذَانِبِ حَوْلَهُ قُضُبًـا تَرَقْـرَقُ كَالظُّـبَـى لَمَعَانَا

سَـالَتْ تَفُـذُّ[2] الهَمَّ لَيْسَـتْ كَالَّتِي صَالَـتْ تَقُـدُّ الهَامَ وَالأَبْدَانَا

وَكَأَنَّمَا كَانُونُ[3] مِمَّا صَفَّ مِنْ نُـورٍ وَنَـوْرٍ وَاصِـفٌ نِيسَانَا

قَدْ حَلَّـتِ الحَمَلَ[4] الغَزَالَةُ عَادَةً خُرِقَـتْ وَإِنْ لَمْ تَبْرَحِ المِيزَانَا

فِي دَوْلَةٍ أَنَّـتْ وَفَتَّـتْ مِنْ جَنَى مَعْرُوفِهَا مَـا نَاسَبَ العِرْفَانَا

---

(1) كع: أي جبن وضعف

(2) تطرد بشدة

(3) كانون الأول: ديسمبر - كانون الثاني: جانفي

(4) الحمل: برج من بروج السماء، وكذلك الميزان

غرَّاءُ تُطْلِعُ لِلْبَسَالَةِ وَالنَّدَى وَجْهَيْنِ ذَا جَهْمًا وَذَا جَذْلاَنَا

لاَ غَرْوَ أَنْ حَسَنَ الوُجُودُ فَإِنَّهُ لَمَّا أَطَاعَ لَهَا وَخَفَّ ازْدَانَا

يَا مَصْنَعًا بَهَرَتْ مَحَاسِنُهُ النُّهَى فَسَمَا ذَوَائِبَ إِذْ رَسَا أَرْكَانَا

لَمَّا بَنَوْا شُرُفَاتِهِ مِنْ فِضَّةٍ جَعَلُوا أَدِيمَ قِبَابِهِ عِقْيَانَا

سَدِرَ الخَوَرْنَق وَالسَّدِيرُ[5] لِحُسْنِهِ أَنَّى لَهُ أَنْ يُنْسِيَ الإِيوَانَا[6]

إِنِّي لَأَحْسَبُهُ مِنَ الفِرْدَوْسِ مُذْ أَبْصَرْتُهُ لِلْمُتَّقِينَ مَكَانَا

وَكَأَنَّ سَيِّدَنَا الإِمَامَ أَتَى بِهَا عَمْدًا لِيُرْغِبَ فِي الجِنَانِ جَنَانَا

فَمَقَالُهُ أَرْشِدْ بِهِ وَفِعَالُهُ مِمَّا يَزِيدُ قُلُوبَنَا إِيمَانًا

وَلَطَالَمَا اعْتَمَدَ المَرَاضِيَ دَائِبًا فَاشْتَدَّ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَلاَنَا

إِنَّ الإِمَامَةَ صُورَةٌ أَضْحَى لَهَا يَحْيَى لِسَانًا صَادِقًا وَجِنَانًا

مَلِكٌ بِيُمْنَاهُ الخَلاَصُ عَلَى الوَرَى أَنْ يُخْلِصُوا الإِسْرَارَ وَالإِعْلاَنَا

آلاَؤُهُ كَالرَّوْضِ حَيَّتْهُ الصَّبَا لاَ يَسْتَطِيعُ لِنَشْرِهِ كِتْمَانَا

وَإِذَا يَلُوذُ بِظِلِّهِ الجَبَّار لم تُحْرِقْهُ شُهْبُ رِمَاحِهِ شَيْطَانَا

ميمونةٌ أيّامهُ من شأنِها أَنْ تُذْهِبَ البَغْضَاءَ وَالشَّنْآنَا

عمّ الصباحُ العالمين فأصبحوا طُرًّا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِخْوَانَا

لَمَّا اسْتَعَانَ بِهِ الهُدَى فَأَعَانَهُ لاَنَتْ لَهُ أَزْمَانُهُ أَعْوَانًا

خَضَعَتْ لَهُ صِيدُ المُلُوكِ وَشُوسُهَا وَتَعَوَّضَتْ مِنْ بَأْوِهَا الإِذْعَانَا

هَذِي الطُّغَاةُ لِأَمْرِهِ مُنْقَادَةٌ فَكَأَنَّهَا لَمْ تَعْرِفِ الطُّغْيَانَا

---

(5) الخورنق: قصر النعمان بظهر الحيرة.

السدير: قصر عظيم من انشاء ملوك لخم في القديم.

(6) الإيوان: إيوان كسرى بالمدائن من العراق.

عــــربٌ وَعُجْــمٌ يَلْثِمُونَ بِسَاطَهُ وَكَفَــــى عَلَــى تَمْكِينِــــهِ بُرْهَانَا

يَهْنِي الإِمَامَ المُرْتَضَـــــى سُلْطَانُهُ أَنْ فَاتَ أَمْـــلاَكَ الدُّنَـــى سُلْطَانَا

المصدر: الديوان: ص 312ـ 315.

سقاية جامع الزيتونة

وصف سقاية بجامع الزيتونة أنشأها الخليفة المستنصر بالله الحفصي:

الحمد لله حمدا لا نقلّه، هذا الزّمان الذي كنّا نؤمّله، بلدة طيبة وربٌّ غفور، ودولة مباركة محفوفة بالسُّرور والحبور، نهض بها آل أبي حفص فما آلوا، ولا جالت النُّجوم حيث جالوا، ولا نالت الملوك إلا بعض ما نالوا. ملك يشمل الإقبال، وعزّ يقلقل الأجبال، وكرم صريح الانتماء في النّماء، وشرفٍ سمت نوائبه على السّماء، إلى عدل وإحسان، هما قِوام نوع الإنسان، مع رفق وإسجاح، ضَمِنَا كلَّ فوز وإنجاح، فقد أضت الظُّلمات أنوارا، وفاضت البركات أنجادا وأغوارا، أليس العام ربيعا، والعالم جميعا، والسُّعود طالعة، والعصور طائعة، بصالح الأعمال تحلّيها، وعلى منصّة الكمال تجلّيها، فمن ذا أيها المولى يجاريك، إلى هذا أو يباريك، في إقدام صادق، وترى راياتك للأبصار هدى، وحياتك للكفار ردى، بسيرتك عدل الدَّهْرُ فما جار، ولولا غُرَّتُكَ ما أنار:

(الوافر)

لقد حسُنت بك الأوقاتُ حتّى كأنك في فم الزَّمَنِ ابتسامُ

(1) اللاَّبة: الحرة، وهي الأرض فيها مجارة سور.

غلبهم على صفتي النَّدَى والباس، وسلبهم منقبتي حمزة والعباس، فلا غرو أن أَمَّنَ ووَقَى، ثم لمّا كسا وأطعم سقى، إنها نُعمى وَفَتْ بالميعاد، وحسنى مثلها يُعَدُّ للمَعاد. أتت بماء معين قد أصبح غَوْرًا، وملأت ما بين لابتيها[1] حنانا يرفُ ظلاً ويرفّ نَوْرا، فيا بشرى لتونس أخصب جريبها[2]، وأحسن وصفَ الرَّوض والغديرَ أديبها، وطالما أطلعت صحراء بل رمضاء. فكم للإمارة قِبلها من يد بيضاء، غُشِّيت حِبَرَ الحُبور والسُّرور، وعُوِّضت بُرد الظلِّ من وهج الحرَور، خمائل وجداول، تزاول منها العين ما تزاول، تلك تضل من أحصاها، وهذه يضل فيها حصاها، ويا لقصرها السعيد نعمت أدواحه، وهبّت على خضر الأغصان ونُزق الغدران أرواحه، هذا وإن بات السَّماح المفاض يسقيه، وبات الجود الفضفاض ينقع جُوَادَه[3] ويشفيه، وهنيئًا للمسجد الجامع أن رويت جوانحه الصادية، وجمعت في شرِعته السَّارية والغادية، فها هو بادي الغُرر والأوضاح، منبجس بالزّلال القَراح، وللجمهور بصفوه المنساب، لهج الغُيَّاب بالإياب، وطرب الشّيب بذكر الشباب، أمسَوا قد سوّغوا مآربهم، وأضحوا وقد علم كل أناس مشربهم، فهم يَرِدُون على العذب النَّمير، ويجدون بركة الأمير مكرَّمة ذكرها لسلطانه الزّمان، وكرامة هنّأه بها الإيمان، وسلمت ليمينه فيها الأيمان، وقضية إن حُجبت عن داود فما حجبت عن سليمان:

(البسيط)

جمعــت للنّاس بين الرِّيِّ والشِّبع	فهم بأخصـــب مُصطـاف ومُرْتَبع
ولم تــدع كرمـــا إلا أتيـــت به	تُضيــف مبتدعًـــا منـــه لمبتدع
لمَّا وَلِـيــتَ جعلــت الخيرَ أجمعــه	عليهـمُ فبـــدَوْا في أجمـل الخلِع

---

(2) الجريب: مقدار معلوم من الأرض

(3) الجواد: العطش.

وحسـب مجدك ما أولاه جُودك من رفع الدُّعاء لـه فـي كل مُجتمع

للّه أيامُـك استوفـت محاسنهـا فلا مزيّـة للأعيـاد والجُمَـعِ

دامت مساعيك والأقدارُ تُسْعِدُها تُولى المساجـد أنصابًا من البِيَع

المصدر : القدح : ص 194 ـ 195.

أبو المطرّف بن عميرة

(658 ـ 582)

أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي من ألمع الوجوه الأدبية بالبلاط الحفصي. هاجر إلى افريقية من الأندلس وعيّن قاضيا بالأربس ثم قابس بعد سنة 643 وأقام بالحاضرة التونسيّة يختلف إلى المجالس السلطانيّة ويشارك في المجالس الأدبيّة الى جانب زملائه من الشّعراء أمثال أحمد الغسّاني ومحمد بن أبي الحسين وعلي بن سعيد ومحمد بن الأبّار،

1 - شاقه غب الخيال الوارد

كتب يمدح أبا زكرياء الحفصي:

(الرمل)

شَاقَهُ غِبُّ الخَيَالِ الوَارِدِ ... بَارِقٌ هاجَ غَرامَ الهاجِدِ

صَدَقَا وَعْدَ التَّلاقِي ثُمَّ مَا ... طرقَا إلا بِخُلْفِ الواعِدِ

وكلا الزَّوْرَيْنِ مِنْ طَيْفٍ ومن ... وافِدٍ تحت الدياجي وَارِدِ

لم يَكُن بعد السُّرى مُسْتَمْتَع ... فيه للرَّائي ولا للرائِدِ

وشديد بثُّ قلبٍ هائمٍ ... يشتكيه عند رَبعٍ هامِدِ

بالأمير المُرْتَضَى عَزَّ الهُدى ... وثنى عِطْفَ المَلِيِّ الواجِدِ

وبه أصْحَبَ ما كان يُرى ... حاملاً أنفَ الأبيِّ الشارِدِ

إنّما الفخرُ لمولانا أبي ... زكريّاء بن عبد الوَاحِدِ

ملك لَوْلا حُلاه الغُرُّ لَمْ ... يَجْرِ بالحَمد لسانُ الحامِدِ

وَلَوَ انَّ العَذْبَ أبْدَى رغبةً ... عنهُ لم يَشْفِ غليلَ الوارِدِ

فضله مثل سنا الشّمس، وهلْ ... لِسَنَى الشّمس يُرى من جاحِدِ

قَهَرَ البَغْيَ بجِدٍّ صادع ... ما تَعَدَّاه وَجَدٍّ صاعِدِ

إنَّما آلُ أبي حَفْصٍ هُدًى ... للوَرَى من غائبٍ أو شاهِدِ

قعدوا فوق النجوم الزُّهرِ عن ... هِمَمٍ نَبَّهن عزمَ القاعِدِ

وعن الإسلام ذادُوا عندما ... فلَّ طولُ العهدِ غَرْبَ الذائدِ

أيُّ فخرٍ عُمريٍّ المُنْتَمى ... ورِثوه ماجدًا عن ماجِدِ

ما الفُتُوح الغُرُّ إلاَّ لَهُمُ ... بين ماضٍ بادىءٍ أو عائدِ

فِي مُحَيًّا لاحقٍ من سابقٍ ... وعلى المولود سِيما الوالِدِ

وليَحْيى راجــحُ الحِــلــمِ الــذي		تَــرَكَ الطَّــوْدَ بعطفــي مــائــدِ
عِقْـدُ أحسـابِهمُ تــمَّ بِـــهِ		مثـلمــا تــمَّ حســابُ العـاقدِ
أيّهــا الجــامــعُ مــا قــد أحْـرَزُوا		جَمْـــعَ مَنْ هِمّتُـــه في الزائــدِ
هــذه الأمــة قــد أوْسَـعْـتَـــهَا		نظــرًا يكــلأ ليــلَ الــرّاقِــدِ
لم تَـزَلْ منــك بخــيرٍ طــارفٍ		ريشُــه تــالٍ قُــدامى تالــد
ولهُــمْ منــك ليــوم حــاضِــرٍ		وغَــدٍ رأيُ البصيــر النّـاقــدِ
أرشـدَ اللّــه لأولــى نظــر		بالــوَرَى رأيَ الإمــام الرّاشــدِ
وتـــولاّه بتـــوفيـــق الألــــى		سَعِـــدُوا مــن عاقــد أو عاهــد
ولـــه فـــي اللّــه أوفــى كافــل		بالــذي يبقــى وأكــفى عاضِــدِ

المصدر: نفح الطيب: ج 1، ص 308 ـ 309.

2 ـ أقبلت نحوك البشائر

قال يمدح أبا زكرياء الحفصي:

(الخفيف)

أقبلتْ نحوك البشائرُ تترى		ووجــوهُ المُنَــى تلاقيــك غَرًّا
وتَخَطّى مسيرَك الرُّعبُ يبدو		مستطيرا أمامَ شمسِك فجرا
فإذا قُدْتَ جحفلاً قادَ ألفًا		وإذا سِـرْتَ سـاعةً سار شهرا
وإذا ما طوى البلاَد مُغِذًا		كان سرًا بالفتح يُبْعَثُ جَهْرا
قد درى الملك أنه سلّ عَضْبا		منك يفري الطُّلَى[1]، وهزّ هِزَبرا

(1) الطلى: ج طلية وطلاة: العنق

ورأى نفسه عروسَ هُدَاء ... من بروج السَّماء تسكن خِدْرا

فبحقٍّ أن يُرخِيَ الذيلَ عُجْبًا ... يزدهيه، ويُثْنِيَ العِطْف كِبرا

ويثيرَ العجاجَ شرقًا وغربًا ... ويسدَّ الفِجاج بيضًا وسمرا

ويقودَ الجِياد شَعْث النَّواصي ... مشرفات الصِّلا[2] الى الطَّعن خَزْرا

مُسْمعاتٍ من الصَّهيل نداءً ... يملأ الخافقيْن أمْنًا وذُعرًا

ما سَرَتْ تحت فحمة اللّيل إلا ... ألهبتها من السَّنابك جمرا

وإذا أحضرت مع الصبح أرختْ ... من دُجَى نَقْعِها على الجَوّ سُمْرا

وابتغت شأوها الرياحُ فلمّا ... لم تُطِقْه جَثَتْ من الأين حَسْرًا

المصدر: المجمل: ص 194.

3 ـ عند قبر أبي لبابة

قال وقد انصرف من قبر أبي لبابة الأنصاري صاحب رسول الله، المدفون بقابس وهو من شهد العقبة وبدرا.

(الكامل)

خَبَرُ الأحبّة ما ألذَّ مساقَه ... وجَنَى القطيعةِ ما أمرَّ مذاقَهُ

وهوى القلوب لها عليه شواهدٌ ... سبقت بناطق حالها استنطاقَهُ

وَأيُ المنازل إن ذَكَرْتَ عهودَها ... فتهيجُ من كلفٍ بها أشواقَه

يعتادُه منها جوًى بين الحشا ... والصدرُ رقرق دمعَه وأراقَه

ويبيت منها كالسَّليم ومَالَهُ ... أَرَقٌ إذا مدّ الظلامُ رُوَاقَهُ

حَمَلَ الغَرَامَ وما استقل لحمله ... قبل النَّوى فالآن كيف أطاقَهُ

---

(2) الصلا: ج صلوات وأصلاء. وسط الظهر من الانسان ومن كل ذي أربع.

ورمتْ به الأقدارُ كلَّ تنُوفةٍ لم تألُه لجمالها إغراقَه

قبرٌ تشاكينا الفراق لديه والـ أشهى لنا أن لا نُسَام فراقَه

وموارد حملت أجنّةَ آجنٍ يَلْقَى بها طعمَ النَّوَى من ذاقه

خَفَقَ الجوانحُ دونه ويردّ من أفضى إليه مع الصَّدَى إخْفَاقَه

مازلتُ أقطعها مَهَامِهَ لم تزل بالصَّبْر حتى مَزَّقَتْ أخلاقَه

حتى وقفتُ وما أفقتُ بمنزل كالظُّـلم في صـدري أرَى آفاقَـهُ

وَقَبَسْتُ من شَوْقي لِقَابِسَ جنوةً شـبّت علـى قلب سِـوَاها شَاقَـه

من بلدةٍ في العين أظلم جوُّها مَع أنَّهَا ما أنكرت إشراقَه

قد كان منظرُها يروق بعين من يشكو النَّوَى لو أن شيئا راقه

لكنْ بقبر أبي لُبابة لي هوًى ما من هوى في النَّفْس إلاَّ فاقه

أملٌ بنفسي لو ظفرت بتُربه فجعلت إثمدَ نَاظِرَيْ دُقاقه

وتمثَّل القبرُ الكريمُ بمقلتي فدنوت منه والتزمت عناقه

فوثاقُ ذنبي أرتجي لفكاكه من فكَّ خيرُ العالمين وثاقَه[1]

صلى الإلاه على النبيِّ محمّد وأناله بجواره استحقاقه

وعلى صحابته وعِترته التي لزمتْ رضاهُ واقتفت أخلاقه

وقضى لنا من بطئنا في سيرنا يوم الجزاء على الصّراط لحاقَه

المصدر: رحلة التجاني ص: 92 ـ 93. والحلل السّـندسية: ج 2، ص 350 - 351

(1) ربط أبو لبابة نفسه بسارية المسجد وفكّ النّبيّ وثاقه.

4 ـ تأملات

(الطويل)

أسير بأرجاءِ الرَّجاءِ وانّما
حديثُ طريقي طارق الحدثانِ

وأحضر نفسي إن تَقدَّمْتُ خيفةً
لغضّ عنانٍ أو لعضّ زمان

أيُتْرَكُ حظّى للحضيض وقد سرى
لإمكانهِ فوق الذُّرا جبلانِ

وأخبِط في ليل الحوادث بعدما
أضاء لعيني منهما القمران

فيَحيى لآمالي حياة معادة
وإنّ عزيزا عزّةً لمكانِي

وقالوا: اقترحْ إنّ الأماني منهما
وان كنَّ فوق النجم تحت ضمانِ

فقلت: إذا ناجاهما بقضيّتي
ضميريَ لم أحفِلْ بشرْحِ لِسَانِي

المصدر: النفح ج 1 ، ص 316 ـ 317 ، والوافي: ج7، ص 135.

5 ـ فضل الماء

قال مخاطبا أبا الحسن بن سعيد صديقه:

(البسيط)

إنّ المكارم في قَعْبَيْن[1] من لبنٍ شيبا بأعذب من ماء الحيا الهَتِنِ

لو الرسولُ بِذَاكَ الرسْل[2] قابلني قبّلْتُ من منكبٍ منه إلى أُذُنِ

ولو بقرعته للباب أيقظني فَدَيْتُهُ بمحلّ[3] السُّهْدِ والوسن

من عاذ بالحرَم استحيا لنشوته من الحرام غويٌّ عاذ بالوثن

فاثْبُتْ على النُّسك واسأل ما تريد به تَنَلْهُ من غير ما إثم بلا ثمنِ

المصدر: القدح: ص 43

---

(1) القعب: القدح الضخم

(2) الرسل: اللّبن

(3) أي العين.

نصوص نثرية

1 ـ قابس

كتب يصف قابس من رسالة:

«بلد غوطيّ البساتين، طوريّ الزيتون والتّين، فأما النَّخلُ فجمع عظيم، وطلْع هضيم، وسكك مأبورة، ونواعمُ في الخدور مقصورة، وإنّ بقعته لوارفةُ الظلّ، آمنة الحرم والحلّ، جنّة لو نزع ما في صدور أهلها من الغلّ، وبالجملة فهو تام الغرابة، مدهام الغابة، مستأثر بسيّد من سادات الصحابة، ولا عيب بتربته إلا وخامة مائها، وحميّات قلّما يعرى من عدوائها».

وفي رسالة أخرى يصف شدّة الوباء بها وكثرة عقاربها:

وهذه البلدة الآن في ضلال من شرخ الشباب، وظلال من ثمرات النّخيل والأعناب، فهي بحال يقرّ بجمالها الأندلسي، ويجارى بين خلالها الدّبسي[1]، ولا عيب فيها إلا هواء و خامته تُخاف، وماء غير من خالصه الماء المضاف، ولبيوت المدينة دواجن سيئة الجوار، سريعة إلى القطّان والزوّار، كراها تنفيه، وسرّها تخفيه، وصلحها لا يطمع أحد فيه، فقبحت شائلة الأذناب، شاملة بالعذاب، كامنة بارزة، هامزة لامزة، تطرق بالبليّة، وتقسم شرّها بين البرّ والفاجر بالسَّويّة، دبّت عندنا ليلة الى من كان يرمق دبيبها، ويحاول قبل أن تصيبه أن يصيبها، فأوقعت به لدغا في القدم، ولقي أشدّ الألم، وبات وبتنا معه في ليلة أخي ذبيان[2]، وتعالى الله ما أطول ما كانت وأهول ما كان.

المصدر: رحلة التجاني: ص 90 ـ 91.

(1) الدبس: عسل التمر ونحوه.

(2) يعني النابغة الذبياني.

2 ـ رسالة تهنئة للمستنصر

قال من رسالة يهنئ المستنصر بالله الحفصي بإيصال ماء زغوان الى جامع الزيتونة:

"كتب العبد ـ كتب اللّه للمقام العليّ الكريم تأييدا يملك أمر الورى، وسعودا تعلو فوق الذّرى، وتنزل الى ما تحت الثّرى ـ من فلانة وبركات الإمارة أيّدها اللّه تخرق المعتاد خرقا، وتجوب البلاد غربا وشرقا، وتبشر باغِي الورود، بالعذب البرود، وما رأى عارضا ولا شام برقا وإنما هي هداية ألقيت في جنانها، وآية استخرت الى زمانها، وهمة انيطت بعد طول الاكداء، وسقيت قبل قلب الرّداء، ذلك بأنّ أمرها يعلو كل أمر، ويوم منها كليلةِ القدر، خير من ألف شهر،...

وكان المسجد الجامع استسقى لقومه، واقتضى حقّ أمسه ليومه، ورأى ما يوعيه بسبب الخلق، من سيل الودق، ربّما نضبت ثميلته، وكذبت مخيلته فشفع للظماء في معين الماء، واستغاث يد الجود، للرّكع السّجود، ولَجَأ في إسباغ الطهور، لسابغ الكرم المشهور، فلم يلبث أن سمع النّداء لبّيك، وهذه السّقيا تنتهي إليك، وتسيل حواليك لا عليك، فإن كنت دعوت بأن تروّي الضلوع الحرار، وترضي الصفوة الأبرار، فالدّعوة بحمد اللّه مجابة، والديمة لا مقلعة ولا منجابة، نشأت بحرية لأعظم البحار هي منسوبة، برية لأنها من جانب البرّ مجلوبة، تعدّ كونيّة عند من يعقل ويحصل، كوثريّة لأن ماءها الى الكوثر يوصل، وكيف لا ومسيله، الى شطر الإيمان وسيلة، وغرفاته للغرة والتحجيل مطيلة، والنّظر إليه كاستعماله عبادة، وخروج الخطايا مع آخر قطرة فضيلة من الخبر مستفادة، فما أعظم منه جالبه، وأجل قدر هِبَتِهِ في مواهبه، وأحْراه بأن يكون له من الثّواب ما يرفعه الى الدّرجات العلى، ويزينه من شرف الذكر بأبهى الحلى، ومنها التهنئة بهذا الأثر الكريم قد سبق إليها الحقّ وهو أبلج، والدّهر

وهو الخطيب الذي لا يتلجلج، ولسان الحال والليل والنّهار شاهداه، والقول بمدّه البليغ لا يبلغ مداه، ولكن يقول هنيئا لمجالس الذكر والحمد، وأوّل ما ينظر فيه من عمل العبد، هذا الصّنع الذي يهنّئ فاعله عليه الإسلام، وتحطّ عنده الآثام، وتتناوب كتب حسناته الأقلام، وتتهادى خبره مصر واليمن والعراق والشام، فإن طرزت تاريخها فبتاريخ أيامه، وإن غضت من ملوكها فعند مقايسة طلّهم برهامه، والله يزيد ملكه عزّا وظهورا، ويجعل في عينيه نورا وفي قلبه نورا، ويبقيه مؤيدا منصورا، آمرا (أن) يقف الزمان أمامه مأمورا».

المصدر : رفع الحجب المستورة: ص77.

عثمان بن عربية

(600 ـ 659)

أبو عمرو عثمان بن عتيق بن عثمان القيسي بن عربية المهدوي، ولد بالمهدية وتوفّي بتبرسق قاضيا في 28 محرم 659 ودفن هنالك. نظم القصائد في الحنين إلى مسقط رأسه واشتهر في الأوّل بشعره الدّيني وكان من شعراء أبي زكرياء الحفصي الفحول وكان يعدّه في الصّدارة وأوّل شاعر له. وقد كان جلبه الى بلاطه حين قرأ تخميسه على الشقراطسية. ولابن عربية تآليف عديدة كلها مفقودة.

1 ـ تشوّق إلى المهدية

(الطويل)

أقول لركب قافلٍ عن معرّس بجُمّة تَرْدِي بالحمول مشاحجهْ[1]

لك الله أمتعْنَا عن البلد الذي أكابره أسْلافُنَا وأبالجُه[2]

وعن وطن لولا العلى وطِلاَبُها لعزّ عَلَيَّ مثواي أنّي خارجُه

وعن رسم إيوان تداعت عرَاصُهُ ودُكّتْ حناياه وخرّت معارجُه

وما صَنَعَ القَصْرُ العبيديُّ والحِمَى وسورُ المصَلَّى والكثيبُ وعالجُه[3]

وشاطئُه أنَّى تنوّع حسنه وخِضْرِمُـــهُ أنَّـى تَـدفَّع مَائِجُـــه[4]

سلامٌ على المهديّتين ففيهما أبٌ بِنْتُ عنه قاصرُ الخطوِ هادجُه[5]

المصدر: رحلة التجاني: ص377، والمجمل: ص 196 ـ 197 وعنوان الأريب: ج 1، ص 75.

2 ـ مقطوعة

وله يحنّ إلى المهديّة والمنستير يلتمس من أبي زكرياء الحفصي توليته قضاء بلده:

(البسيط)

ذكرت جُمَّةَ وَالذِّكْرَى تهيج أَسًى وأين جُمَّةُ مِنّي والمنستير؟[1]

وما مُنَاي لياليها التي سلفت وما هواي مجانيها المعاطير

لكن بها رَحِمٌ محفوفةٌ يئست من أن تقرّبني منها المقادير

فإنْ رأى من أدام اللّهُ نعمتَه عليه لي خطّة فيها فمأجورُ

---

(1) جمة: اسم الموضع المشيدة عليه مدينة المهدية، ومشاحج: جمع مشحج وهو هنا البغل، ومعرّس: موضع النزول آخر الليل والحمول: الهوادج

(2) أبالجه: جمع أبلج وهو الرجل الطلق الوجه.

(3) القصر العبيدي: هو القصر العظيم الشأن الذي أنشأه عبيد الله المهدي: والحمى: فضاء بين المهدية وزويلة، والمصلى كان خارج المهدية.

(4) الخضرم: البحر

(5) المهديتين: يشير بهما إلى المدينة نفسها والى زويلة كانت مدينة عامرة ذات أسواق وتجارات مجاذية للمهدية.

المصدر: رحلة التّجاني: ص 378 والمجمل: ص 198 وفيه الأبيات الثلاثة الأولى مع اختلاف في البيت الثالث، وعنوان الأريب: ج1، ص 76.

3 ـ رثاء وتهنئة

قال يرثي أبا زكرياء يحيى الحفصي ويهنّئ ابنه المستنصر محمد بتوليته الخلافة من قصيدة طويلة، وكلّ بيت جمع الرّثاء والتهنئة:

(الكامل)

يأتي الزمان الغضُّ ثمّت يربعُ ويضرّ هذا الدهر ثُمّت ينفعُ

... فلئن طوى بَدْرَ الإمارة مغربٌ فلقدْ جلا شمسَ الخلافةِ مطلعُ

فأضاء بالمرحوم ذلكم الثرى وأنار بالمنصور ذاك المربعُ

بسطوا لسان الشكرِ فيمن بايعوا وَثَنَوْا عِنَانَ الصَّبْر عمّن ودّعوا

ورأوا خلال محمّدٍ فتباشروا وتذكّروا يحيى الرّضى فتفجّعوا

المصدر: الفارسيّة: ص113 ، والأدلّة البيّنة: ط 1 : ص 53 ـ 54، وط 2: ص 62 وبالطبعتين في الأبيات تحريف.

4 ـ حبّ

(الطويل)

نسيم الصَّبَا حدّثْ عن البان والحمى وعن ساكِنِي حُزْوى من الخرّد الدُّمى[1]

وعن معهد أقوى من العُفْرِ والمها وعن ركب جيران الغضا أين يمّما[2]

أَيَمَّمَ ذاتَ البان أم بطنَ رامة أم الجزَع أم بالأجرع الفردِ خيّما؟[3]

ألا فرعى اللّه الحمى ونسيمَه وإن جلّ ما ألقاه من ساكن الحمى

---

(1) حزوى: موضع في ديار بني تميم، فيه يقول ذو الرمة:

خليلي عوجا من صدور الرواحل بجمهور حزوى فابكيا في المنازل

(2) العفر: ج عفراء نوع من الظباء وهو من أضعفها عدوا.

(3) هي أماكن بالحجاز.



وتيّمكم يا أهل نجد فإنّني أراكم تلومون المشُوقَ المتيّما
أما وَلَمَى لُعْسِ الدُّمى لو لحظتُم طلاب الحمى ظلّت لواحظكم دما
وذيّاكُم الثّغر الذي يستبي النُّهى تبسّمُه ما كنتمُ لي لوّما
هجعتم ومن لي بالهجوع فربّما ألمّ به منكم خيالٌ مسلّما
أيطرق جفنًا بات منّيَ ساهرًا ويترك أجفانًا لكم بتن نوّما؟
أغرّ شنيب ما أعيذَب ثغرَه وأحلى أليفاظًا وأندى وأرخما
هو الظّبْي لكن لا أسمّيه باغمًا إذا رشأ ناغاه بل متكلّما[4]
تبدّى لنا والبدر ليلة تِمِّه فلم أدر مَنْ بدرُ الدُّجنّة منهما
هل البَلِجُ الأضوا الذي استكمل السّنى أم الغَنِجُ الأحوى الذي راق مبسِما
ولمّا استطار البرقُ قلت لصاحبي أقلبي هفا أم ثَغْرُهُ قد تبسّما؟
أعار وميضَ البرق حسنُ ابتسامه وماذا عليه لو أعار له اللّمى
أو البَرَدُ العذبُ الذي لن تذيبه حرارةُ أنفاسِ امرئ قبّل الفما
تعلّم منه خلّبُ البرق خُلْفَه فمن أيِّما برق تراه تعلّما
تجنّى فجئنا خضّعا لجماله عسى عَطفة نحظى بها ولعلّما
فهزّ الصِّبَى والدلّ معطفه كما تهزّ الصَّبا الغصنَ الرطيبَ المنعّما
فَأُبْنَا وخلّفنا طيور قلوبنا على ثغره العذب المقبّل حوّما

المصدر: رحلة التّجاني. ص 378 ـ 379 ، والمجمل ص 198 ـ 199 وأسقطت منها 7 أبيات ومنها أبيات في عنوان الأريب. ج 1 ص 76.

---

(4) الباغم: والباغمة: الظبية تصوّت بأرخم ما يكون من صوتها.

عتيق بن عربيّة

(عاش أواسط القرن السابع)

أبو يحيى عتيق بن أبي عمرو عثمان بن عتيق القيسي ابن الشاعر المذكور آنفا. نشأ بتونس لكنّه لم يبق فيها طويلا وهاجر إلى مكّة وتحصّل فيها على وظيفة. وصفه التّجاني بقوله: "برع في الطلب وتقدم في حفظ مسائل الفقه".

1 ـ يا واحد الحسن

(البسيط)

يا واحد الحسن أنت السمع والبصر	عِطفاك إن فتكت، عيناك لي وزَرُ[1]

أَبعْدَ ما كان ليلي كُلُّه سَحَرًا	صيّرتَه بالتجنّي ماله سَحَرُ[2]

قد رقّ لي في الهوى كلّ الأنام سوى	من حاز رقّي ومالي عنه مصطبرُ

فإن شكوت له يَفتَرُّ مبتسما	عن عَشرة قد حواها ثغره العطر:

طلع أقاح صباح جوهرٌ بَرَدٌ	دُرٌّ حُبَابٌ لُجَيْنٌ بارقٌ زهرُ

المصدر: رحلة التجاني: ص 380

2 ـ سعادة

وكتب إلى أهله من مكّة:

(الطويل)

حَجَجْتُ وزرتُ المصطفى خاتِم الرُّسْل	نبيَّ الهدى ذا المجد والجود والفَضلِ

ومرّغت خدّي في مواطئ نعله	وقابلتُ ذاك العزَّ منّيَ بالذلّ

ومتّعت ألحاظي برؤية سيّد	سَرِيّ كريم طاهر الذّات والأصل

وبوّأت نفسي من معادن مكّة	مكانا عن الدّنيا بأجمعها يُسْلي

أقام بها قومٌ يناجون ربّهم	وقد نبذوا كلّ العلائق والشغل

فَدَعْوَتُهم مقبولة وصَلاَتهم	بألف كما قد جاء عن سيّد الرّسل

ومازلت فيها داعيًا متضرّعًا	لنفسيَ والإخوان والصّحب والأهل

المصدر: رحلة التّجاني: ص 380.

---

(1) الوزر: الملجأ.

(2) السّحر: آخر الليل قبيل الصبح.

أحمد اللّياني

(ت 659)

أبو العباس أحمد بن ابراهيم القيسي اللّياني نسبة إلى للّيانة إحدى قرى المهدية. من أئمة اللّغة والأدب والرواية في عصره. تعلّم بالمهدية وتكوّن على أيدي علمائها وأدبائها في شتّى ميادين المعرفة الدينية والأدبيّة. قصد تونس حيث تولّى خططا عالية في أعمال الجباية وتنمية الأموال. توفّي مقتولا بتونس بمفعول الدّسائس، وكان من أبرز شعراء تونس في صدر العهد الحفصي وارتبط بعلاقات أدبية متينة مع شعراء عصره أمثال الغسّاني وابن أبي الحسين وابن الأبّار، ومنهم من تآمر على حياته فذهب ضحيّة للحسد والخيانة.

1 ـ مقطوعة

قال عازما على أمر:

(المجتث)

فــي أمّ رأســـي حديـــثٌ ... لســامـــع ليـــس يُذْكَـــر
فـــإن تطــــاول عــــمــــري ... وســاعـــد الجَـــدُّ يَظْــهَـــر
أرى جمــوعـــا صحـاحـــا ... ومـذهبـــي أن تكـــسَّـــرْ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 371.

2 ـ حنين

(الكامل)

هـــذا العُذَيـــبُ وهـــذه نجـــدُ ... أيــن الــذي يَقْضِـــي به الوجدُ
مـــا هكـــذا حـــال المحبّ إذا ... أعلام ربـــعٍ حبيبـــه تبـــدو
ســـرّحْ دمـوعَ العيـــن مبتـدرًا ... وبذكـــر ماضـــي عهدهم فاشْدُ
والثَّـــمْ علـــى شَغَـــفٍ مواطنَهم ... إن عـــاق عن مقصـودك البعدُ
لم أنــس يـوم وداعهـم سَحَـرًا ... والدمـعُ أسلـــم دَرَّه العِقْـــد
هـــزّ الصَّـبـــا أغصـــانَ بانِهـم ... فتعانقـــت وتواجـــد الرَّنْـــدُ
هـــذا العذيـــبُ بـــدت لـه عَذَبٌ(1) ... فـــي ظلّهـــا قـــد خيّـم المجـد
لا يَخْفِــق المسعـى إذا خفقـت ... أعلامُهـــا بـــل يَنْجَـحُ القصد
فعســـى اللّقـــاءُ يكـــون مقترنًا ... إن أنْجَـدَتْ كلفًـــا بهـــا نجدُ
ولعــلّ ما نرجـــو تجـــود بـــه ... كـــفُّ الزّمـــان ويُسْعِـد الجَـــدُّ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 372 ، المجمل: ص 195 وعنوان الأريب: ج1 ص. 74

---

(1) العذب: ج عذبة: أغصان الشجرة.

3 ـ كيف أنسى؟

(الخفيف)

خلّياني يــا صاحبــيّ ونجـدا — هجْتمَــا بالمـلام شوقًــا ووجدا
فَلِنَجْـدٍ بــين الجوانــح وُدٌّ — مستجدٌ ما دام رَبْعًـا لسُعْـدى
لا تقولـوا مـرامُ سُعْـدى بعيدٌ — ربَّ سعــدٍ أتى فقـرَّب بُعْـدًا
أهلَ وُدّي ما حِلتُ عن حفظ عهدي — وهواكــم مــا غيّــر النـأيُ عهدا
كيف أنسى عهدًا كريما وأنْسًا — بـذلا لـي من خالص الودِّ شَهْـدا
أرشفانــي مـا شفّنــي وشفاني — مـن بَـرود[1] أحبـب بذلـك وِردا
خيــرُ عيش مصقولُ تلك اللّيالي — حبــذّاه من طيــب عيش مفدّى
إذ يعاطينــي المدامــةَ بـــدرٌ — يُخْجِـل البــدرَ نــورُه إن تبدّى
إنّ دينــي ومذهبــي للتّصابي — لا أرى غيــره مدى الدهــر رشدا
فاغتنــم رابحــا مســـرّة يـوم — ولتبادر سير الزّمـــان مُجِـــدّا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 373 والمجمل: ص 196 وسقط منه البيتان قبل البيت الأخير.

4 ـ يا زائرا خير بيت

قال مخاطبا أبا الحسن علي بن سعيد:

(المجتث)

يــا زائــرًا خيــرَ بيــتٍ — ديــانــــةً وريــاضــهْ
أفِـــضْ أزاهـــر عِلْـــم — تجلــو علينــا ريــاضــهْ
قــد تمّ حجّــك لكـــن — بَقِــي طــوافُ الإفــاضــهْ[2]

المصدر: القدح: ص 9

---

(1) برود: ماء بارد. وقرأها محقّق رحلة التجاني: بُرود

(2) طواف الإفاضة بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر: وهو واجب. والطواف ثلاثة أنواع: طواف القدوم على مكة وطواف الإفاضة وطواف الوداع، والطواف الأول والثالث سنة.

5 ـ ردّ قلبي

(المديد)

شـادنٌ فـي القلـب مرتعُـهُ ... حظّـه فـي الحسـن أبدعُـه
لامنـي فيـه أخـو سَفَـهٍ ... بمـلامٍ لسـت أسْمعـهُ
رُدّ قلبـي لـي لتعذِلـهُ ... فهـو فـي كفّيـه أجمعُـه
هـل تـرى دهـري يجـود بـه ... بعـد مـا قـد كـان يمنعه
وشقيـق النّفـس يُتْحِفُنـي ... بحديـث جـلّ موقعـه
لفظـه درٌّ يسـاقطـه ... ونطـاق السَّمْـعِ يجمعـه

المصدر: رحلة التّجاني ص 373 ـ 374 وعنوان الأريب: ج1 ، ص 74 .

6 ـ شوق

كتب لأحمد الغسّاني ومجالسيه باعثا إليهم دنّا وشمعا:

(السريع)

دام لإخوانـي بلـوغُ المنـى ... فـي خفض عيشٍ وحميد انتظام
وقـرّب الدهـرُ لهم كـلّ مـا ... رامـوه مـن أنـسٍ بغير انصرام
فـي لـذّة معسولـة المجتنـى ... وغبطـة موصولـةٍ بالـدّوام
ما أشـوقَ الصّـبّ إلى أنسكـم ... وأشغَـفَ اللـبّ بـذاك المقام
لكنّـه عـاق الفتـى عـذرُهُ ... فالشيـخ منـه عوَضٌ والسّلام

المصدر: رحلة التّجاني. ص 374 والمجمل، ص 196 ـ 197.

محمّد الرّعيني السّوسي

(ت 662)

أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الرّعيني السّوسي أستاذ أبي زكرياء الحفصي وشاعر أبيه عبد الواحد بن أبي حفص، كان يقرئ مختلف العلوم وأجاز عددا وافرا من العلماء في كل علم وفنّ. وكان مسموع الكلمة لدى الأمراء، لم يبق من شعره إلاّ نتف قليلة.

مقطوعات

- 1 -

قال يخاطب بعض الرّؤساء وقد قدّم له فرس أشهب حديدي لركوبه.

(الكامل)

اركب بإقبال السّعادة أشهبا مثلَ الصّباح إذا يشوب الغيهبَا

ما شابَ من مرّ السِّنين وإنّما لاقى سناك فلاح يحكي الأشيبَا

قد ألجموه بالثريّا فانهوى ينقضّ في ليل العجاجة كوكبا

المصدر : رحلة التّجاني: ص 53.

- 2 -

قال في بداية قصيدة يمدح بها الشيخ أبا محمد عبد اللّه ابن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص:

(الكامل)

جـرَّدْتَ عزمَك صارماً مسلولا ماء ولكن ما يَبُلُّ غليلا

المصدر : رحلة التّجاني: ص 52.

- 3 -

(المتقارب)

عكفنا على الكأس في جَنّة نحاكي بها مَيْل أغصانها

ورسْل النَّسيم بها سُحرة تُحَرِّشُ ما بين رَيْحانها

أظنُّ تغاريد ألحانها زهتْها فَأَصْغَتْ بآذانها

المصدر : رحلة التّجاني: ص 52.

أحمد الغسّاني

(ت 668)

أبو العباس أحمد بن ابراهيم الغسّاني تولّى خطة الانشاء لأبي زكرياء الحفصي سنة 238 عوضا عن ابن الأبار. كان يحظى بمكانة أدبية رفيعة في عصره إذ كان قطب المجالس يحضرها الأدباء والشعراء من أمثال ابن سعيد وابن عميرة وابن أبي الحسين وأحمد اللياني وابن الأبار. وغدر بهذين الأخيرين وأدّى بهما الى الهلاك. له كتاب في التّاريخ لعهد المستنصر باللّه الحفصي (ضائع) وله ديوان شعر لم تبق منه الا هذه القصائد والمقطوعات المبثوثة في مصادر مختلفة جمعناها له.

ـ 1 ـ لله درّ الأنس

قال من رسالة إلى أحد أصدقائه:

(الطويل)

فللّـه دَرُّ الأُنْـس فـي كـلّ حالـةٍ تَـروق غَبوقًـا أو تَشُـوقُ صبوحَا

وهـل مـن جُنـاح إن حَنَنْتَ لصبْوةٍ وأبديتَ مـن فـرط الغـرامِ جُنوحًا

فصافـحْ أكفًّـا بالكـؤوس مشيـرةً وأبشِـرْ بـأنْ تَلْقَـى الإله صفُوحَا

ولا تمنعـنَّ النَّفْـسَ لـذّةَ سَاعـةٍ لِتُرضِـي عدوًّا أو تُطِيـعَ نَصوحَا

ولا خَيْـر فيمـن قُدْتَـه لمسرّةٍ فلم تُلْفِـه طلـق العِنَـان طَمُوحَـا

المصدر: القدح: ص 16

ـ 2 ـ جنة

كتبت إلى صديقه أبي الحسن علي بن سعيد:

(السريع)

مـن قـال فـي الجنّـة غيـرَ الذي أقولُـه فـي خَلْقهـا يفتـري

هـا إنّهَـا زُفَّـتْ بمـا لـم يَكُنْ لسامـعٍ يبـدو ولا مُبْصِـر

أطْلَـعَ قُرْصُ الشَّمْسِ بَرْعُومَهَا[1] ومُشْتريهـا[2] الأسـعـدُ المشتـري

وتاجُ كِسْـرى لاح في كِسْرِها[3] رُصِّـع باليـاقـوت والجوهـر

مـا نُظِّـمَ العِقْـدُ كتنظيمـه مـن ورْده الأبيضِ والأحمرِ

---

(1) البرعوم والبرعومة: ج براعيم: جسم يتفتح عن غصن أو عن زهر وهو زهر الشجرة ونور النبت قبل أن يتفتح.

(2) المشتري: نجم من السيارات، والمشترى الثانية: طائر.

(3) الكسر، بالكسر: الجانب.

مستودع في قَصَب لا يُرى ... من نَصب فيه ولم يَشْعر
وشَرَّع السوسنُ من حوله ... أجنّةً رائقةَ المنظر
وخضَّب الفستقُ أطرافَه ... بأحمرٍ قانٍ على أحمر
حكى مناقيرَ طيورٍ ثوت ... لم ترمِ الوَكْر ولم تصفر
ولو شَحَت[4] أفواهها خلتَها ... تلتقط الحَبّ من العُصْفر
وشذ للتّفّاح فيه شذًى ... أهْدَى فتيقَ المِسْك والعَنْبَر
ونمّ خيريٌّ بأن قد أتى ... خيارُها عن فاضلٍ خيِّر
وقطّ من أطرافها فاغتدى ... مثل جِعاب القَصَب السُكَّر
باللَّهِ لو رُمْتُ لما قد حوتْ ... حَصراً مدى الأيام لم أحصُر
وعنّ قبقاب[5] لعُنّابها ... يحكى أبا الشقشاق[6] في المِنسر
هذا وكم من طائرٍ واقعٍ ... من مورد الورْد على كوثر
ولم يزل من وُدُّهُ صافياً ... إن تكدُر الأمواه لم يكدر
فالحمد للّه على مِنّةٍ ... جلّت عن الشُكر ولم تُقْدَر

المصدر: القدح: ص 13 ـ 14

(4) شحا فاه يشحوه: فتحه
(5) القبقاب: الحرز الذي تعقل به الثياب
(6) أبو الشقشاق: طائر.

3 ـ تشبيه

قال في خسوف القمر ممّا قاله ارتجالاً:

(الوافر)

كـأنّ البـدر لَمَّـا أن عـلاهُ خسـوفٌ لم يكـن يعتـادُ غيـرهْ

سجنجـلُ غـادةٍ قَلَبَتْـهُ لَمّـا أراهـا شبْهها حَسَـدًا وغيـرهْ[1]

المصدر: نفح الطّيب: ج 2 ، ص 367.

4 ـ جنان

قال بالاشتراك مع أبي الحسن بن سعيد وأبي القاسم أحمد بن يامن وقد استدعاهما إلى جنانه بالحريرية قرب باب السويقة، وفي هذه القصيدة وصف لثمار الأرض التونسيّة:

(المتقارب)

رَنَـتْ نحـوكـم مُقَـلُ النَّرجـسِ

وأمْسـت تُشـيـر إلـى الأكْـؤُسِ

وقـد حـدّد الآسُ آذانَـه

ليسـمَـعَ مـا دار فـي المجلـسِ

وأخجـل تفّاحنـا فاغتـدى

يـروم الكـلامَ فـلـم ينْـبِسِ

وقـد بـاح أُتـرجُّنـا بالهـوى

وظـاهـرُهُ بالضـّنَـى مـكتـسِ

(1) السجنجل: المرآة.

وماس التُّرنْجَانُ في حُلَّةٍ

تروق العيونَ من السّندسِ

وكالجمر نَارنْجُنَا قد بدا

يروع العيونَ ولم يُقْبسِ

وزنبوعُنا بعضُه مثل ما

نظرت إلى الذَّهب الأملسِ

وتضريسٌ بعضٍ كشمعٍ أسيل

ولكنه بارد الملمس

وقد ضحكتْ بيننا أكْؤُسٌ

فوجهُ الدُّجُنَّةِ لم يعبِسِ

فيا ربّة العود حُثِّي الغنا

ويا ساقيَ الكأْسِ لا تحْبِسِ

المصدر: المقتطف من أزاهر الطّرف: ص 158 ـ 159، والقدح: ص 54.

5 ـ بكّر غدا

(مجزوء الكامل)

بكّر ـ فديتك ـ في غد	إذ كان موعدنا الخميسْ
فالرَّوض مَوْشِيُّ الحُلَى	والقُضْب في حلَلٍ تميس
وأجلُّ كافات الشتا	ء وخيرها كأس وكيس
ما حظُّ مَنْ أسْعفْته	بلقائك الحظُّ البخيس

لّـــــــه دَرُّك لُــــــقــيـــــةً بـــل لِقـــوةً وجـــدت قبيـــس[1]

قـــد أقـــرأتنـــي نعـمـــةً مـــن بـــاب نِعـــم بغيـــر بيس

فإليـــك منّـــي لـــــوعـــة وعليـــك لـــي حُـــبٌ حبيـــس

لـــك كـــلُّ مسمـــوعٍ غـــدا فـــي كـــلّ فـــنّ أو مَقِيـــس

تلقـــى الخَمِيـــسَ بكأسِـــــهِ وتحُـــلّ فـــي صَـــدْر الخميـــس[2]

تحمـــى الحقيقـــةَ لا تطيـــ ـــشُ ولـــو يـــرى حمـــي الوطيس[3]

ولأنـــت مـــن قَبـــل الكتـــاب وبعـــدِه نِعْـــم الجـــليـــس

المصدر: القدح: ص 14 ـ 15.

6 ـ أيام الخميس

كتب إلى صاحب له من جنّته بجزيرة الوطن القبلي.

(مجزوء الرجز)

إنَّ لِـيَـــوْم الأخـمـســة مواثِقًـــا مـــؤسّـــســـه

نجمـــع فيهـــا شـمـلـــنـــا ببِكرنـــا المـــعنّـــســـه[4]

ولـم تـــزل تـضـحـــك مـنـّـــــك أوجـهًـــا مُـــعَـــبِّـــسَـــه

مـــا عَبَسَـــتْ مـــن زائـــرٍ تُقِـلُّ[5] يومًـــا مجـــلـــسـه

بـــل مـــن حُمَيّـــا قهـــوةٍ حمـــراءَ أو مـــورّســـه[6]

---

(1) اللقوة: الناقة السريعة اللقاح، وكذلك الفرس، والقبيس: الفحل السريع الإلقاح لا ترجع عنه أنثى.

(2) الخميس: الأول: اليوم المعروف. والثاني: الجيش.

(3) الوطيس: التنور: وبه شبه الحرب.

(4) المعنسة: التي كبرت وعجزت في بيت أبويها: يريد الخمر المعتقة.

(5) تقل: أي تستقله وتحقره.

(6) مورسة: صفراء.

يديـرهـا الظَّبْـــىُ الـــذي ... صيّـــر قلبـــي مـــكْنِســـه

عجبـتُ مِــنْ ســاكنــــه ... أمــــا توقّـــى قَـبَـســـــه

ريــاض حســن ليتنــــي ... ممّــن جنـــى مغْتَـرســـه

فــمــن خــــدودٍ ورده ... ومـــن جفـــون نرجســـه

إنّ اللّيالـــي لــــم تـــزل ... بمؤنـــسٍ لـــي مُؤنســـه

وإنّهـــا عـــن بعــض مــا ... ينهضــــنــــا لمُـجْـــلِـسه

تبــدي رضًــى مطمعـــةً ... بعــد ازورار مُــؤيـــســـه

ولَيْلُنَـــا يبـــدي لنـــــا ... خنّســـه وكـــنّـــســـه[4]

ومـــن أتـــى فليتركـــنْ ... عنـــه بعيـــداً فَـــرَسَـــه

المصدر: القدح: ص 16 ـ 17.

7 ـ شمعة

قال بالاشتراك مع صديقيه أبي الحسن علي بن سعيد وأبي القاسم أحمد بن يامن:

(الكامل)

مـا بــالُ شمـعتِنا كقلبي تخفقُ ... أبدًا تـهيـم كما أهيـم وأعشـــقُ

أم زارهــا ســارى النّسيم بسُحْرةٍ ... فـغدت إلى لُقيـا المُعانق تـعنـــق

عجبًــا لها فالجسم منها فضّـة ... وجُفـونها ينهـلُّ منهـا الـزّئبـــقُ

عُـريـانةٌ وثيـابُـهـا فـي جوفـــهـا ... لكنّهــا مــن حُرْقـة تتحـــرّق

زُفَّـتْ ظـــلامًـــا كالعــروس بحَلْيها ... لكنّهــا عنـد الصّبــاح تُطَلّــقُ

---

(4) الخنس: الدراري الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد. والكنس: النجوم تطلع جارية.

تُـفني الدَّيــاجـي وهــي فانـيةٌ بها ... وبِمـائـها أيــان تُشْـرِقُ تَـشْــــرَقُ

مــا حـقّـهـا إذ جَمّـعَتْ شمل المنى ... أن يـغتـدى مـثـل لهـا يـتفـرّق

قامــت خطيبًــا تشتكــي بخطوبها ... وبـنـقلـة الحـالات أمـست تـنـطـق

المصدر: القدح، ص 54.

8 ـ يا حسن ورد

(البسيط)

يـا حـســنَ وردٍ تـبـدّى مـن تـلـوُّنـه ... في أحمر قانىءٍ أو أبيضٍ يَقَق

كـأنّ مـبـيـضـّهُ زهـرُ الـنجـومِ ولـمْ ... يـعْـدلْ بمحـمـرِّهِ عن حُمْرةِ الشّـفقِ

كـأن مــا اصـفــرّ منه في أواسطه ... حبٌّ من السّمـسمِ المجموعِ في طبقِ

المصدر: رايات المبرزين: ص 264 ونفح الطيب: ج 2 ص367.

9 ـ عادة الأيام

كتب إلى أبي القاسم بن يامن:

(الخفيف)

شِيمَـةُ الخُلْـف عــادةُ الأيّــام ... فغريــبٌ إذا وَفَــتْ بمــــرامِ

وعجيــبٌ مــن الليالــي رَبَــــاحٌ ... وسمــــاحٌ لشملنــــا بانتظــــام

وإذا أسعفــت بنَيْــل الأمانــي ... فرصَــةٌ منـك بُـودرت باغتنــام

رُبَّ بــرق أبـدى مَخيلـة صِـدْقٍ ... بتوالــي تألّـقٍ وابتســــامِ

وتصــدّى يكــرّر الومــض حتّــى ... أطمــع الـرَّوْض بانسكاب الغمام

فســرى دَجْنُــه ولــم يســر عنه ... ما كســا وجـهَ بِشْرِه من قَتَام

وعزيــز أن بــتُّ ليلــي سليمـا ... ذا ارتـقــابٍ لطــارقِ الأحــلامِ

وارتقــابُ الخيــال غيــرُ مفيــدٍ لجفونٍ لم تكتحل بمنام

مِـن تمام الوعود قد خفتُ نقصًا فانتقاصُ البدور عند التَّمام

ورأيــت ائتلافنــَا دون وعــدٍ هو أحلى كالرّي بعد الأُوامِ

فَصِـلِ الآن دون ريثٍ لنقْضـي ما علينا من واجب الآثاموات

إنَّمَـا نَشْوَةُ النَّهـارِ افْتِضَـاحٌ ضاح السّرور عند الظلام

المصدر: القدح: ص 17 ـ 18.

10 ـ دعــوة

وكتب إلى أحمد اللياني "سبع جمة" داعيا إياه لحضور مجلسه:

(السريع)

يـا سابـقَ النّـاس الى غاية في ذيلها يعثر صوبُ الغمام

إخوانـك الكتّـاب يرجــون أنْ يُـلْـفَـى بكم شملُهم ذا انتظام

فاطلعْ علـى الشّرب فهم أنجمٌ مرتقبات منك بدر التّمام

وسُرُّهـــم منـك بسِـرّ المنــى وزُرْهم عند اختلاط الظّلام

ثم أجابه عن أبيات:

قد أقبل الشّيخ بعـذر الفتى فتـــى المعالـي والرئيس الهُمام

وأمطرتْنــا مــن سمــاء النّــدى يــدٌ له بيضــاءُ تجلــو الظّلام

لا زال يُهْــدِي لأوِدّائـــــه أسنــى الأيــادي وأجلّ النّظام

المصدر: رحلة التجاني، ص 374 ـ 375 والمجمل: ص 196 ـ 197.

11 ـ حمام

(المجتث)

أهــدى الحميــمُ حَمَــامَــا فهمــت فيــه غـرامَــا

أبْـدَى صباحًــا ولكــن جَـرٌّ الذُّنابـى[1] ظلامـا

ابيـضّ واحمــرّ جفنًـا فهــل سَقَــوْه مــداما

قـد فـارق الـدَّوْحَ لمـا رأى الفـراق لــزاما

لِــذَاكَ سـحٌّ عليـه دمـع الغمـام سِجامـا

وقـد ثنـى الغصـنُ عِطفًـا فمـا استطـاع قَـواما

فـإن تـهـبّ ريــاحٌ تبـدي الغصـونُ التداما[2]

علـى فـراق حَمـام لا ذاق يـومًـا حِمامـا

المصدر: القدح: ص 18.

12 ـ إخوانية

كتب إلى صديقه أبي الحسن بن سعيد من تونس حين غادره الى المشرق:

(الكامل)

يا نازحــا عنّي أجب كتبي كما

صدح الحمامُ إذا الحمام ترنّما

وأجِل جفونَكَ في سطور لم تكُنْ

لولا تصعُّدُ زفرتي أن تُفْهَمَا

وَإِذَا لَمَحْتَ فَرِيدَةً مِنْهَا فَلاَ

تَعْجَب لناظمها فَمِنْكَ تعلَّمَا

---

(1) الذنابى: ذنب الطائر.

(2) الالتدام: الاضطراب.

بالله طارحْني الحديث فإنّني
أهوى حديثك مفصِحًا ومجمجمَا
واستبقِ بالنّجوى الخفيّة بعض ما
أبقيت لي إذ لم تَدَعْ إلا ذَمَا[1]
باق على حفظ الوداد وطالما
أمسى بأيدي الحادثات مقسَّمًا
أتراك عن نادي السّرورِ سلوتَ أم
مازلت مثلى فيه صبًا مغْرَمًا
تتجاذبُ الأشواقُ قلبي كلّما
أبصرتُ فيه مكانك المتوَهّمَا
ويطول ردّي للكؤوس تذكّرًا
فإذا شربتُ شربتُ فيها عَلقمًا
إذ ليس يعذُبُ موردٌ حُلِّئْتَ[2] عن
أرجائه ولو أن أموت من الظَّما
ويحًا لهذا الدهر فوّق أسهمًا
للحادثات فكنتُ أولَ من رمَى
أغرى بنا البين المشتِّتَ والنَّوى
لما رأى شمل الجميع منظّما
ما كان يقنعنا التواصل دائمًا
فاليوم يقنعنا الخيال مسلِّما

المصدر: المقتطف: ص 162 ـ 163 ، والقدح: ص 19 (بزيادة بيتين ونقص بيت) والبيت الأول ورد في القدح كما يلي:

(1) الذماء: بقية النفس في الجسم.
(2) حلئت: منعت.

إيه أبا الحسَن استمع شدوي كما يصغِي الحمامُ إلى الحمام ترنّما

13 ـ جوّانس

قال ابن سعيد: حضرت عنده (أي الغسّاني) ليلة ومعنا أبو القاسم بن يامن الشاطبي، خرجنا معه إلى الرياض بالحريرية فاقتضى الحال أن اشتركنا في نظم هذه الأبيات:

(البسيط)

منادل الشُّرب أطرافُ الرَّياحين
لم يعلُها درنٌ بل مسكُ دارين[1]
تناولتْه يدُ النَّدمان فاكتسبتْ
بالطيّ نشرًا له مازال يُحييني
لا كان من قال أعرافُ الجياد لنا
مَنَادلٌ فهو مجنونُ المجانينِ
فللشّياطين كانت تلك في قَـدَمٍ
بين القفار وهذي للسّلاطينِ
في مجلس جمعَ الأشتات من نِعَمٍ
في دارة الملك لا في دَيْرَ عبدون
ركائبُ الأنسِ فيه من مُدَامتنا
تُحْدَى إلينا بأنواع التّلاحين

(1) دارين: قرية من بلاد فارس على شاطئ البحر وهي مرفأ سفن الهند بأنواع الطيب فيقال مسك دارين وطيب دارين.

والشمع يضحك أنسًا من تجمُّعنا
وشدّة الضحك تبكيه إلى حين
أمست عرائس تُجلى في منابرها
من نفسها برزت في حسن تزيين
فالتاجُ من ذهبٍ والعقدُ من دُرَرٍ
والكلُّ منها بدا في كلّ تحسين

المصدر: المقتطف من أزاهر الطرف: ص153 ـ 154.

14 ـ أمنية

قال ارتجالاً:

(الوافر)

أأشياخَ الخلافة لا برحتم ... على حال ائتلافٍ دون بَيْن
وإحسانُ الخليفة[1] في توالٍ ... عليكم كلّ يوم مرّتين
وللكُتّاب قد وجبت عليكم ... زكاةُ المالِ وهي زكاةُ عين
وقد أدّى الذي قد كان فرضًا ... على إحسانه ابنُ أبي الحسين[2]

المصدر: القدح: ص 18.

---

(1) يعني: المستنصر بالله الحفصي.
(2) هو الشاعر الرئيس انظر الشاعر الموالي.

15 ـ دعوة

كتب تعقيبا على أبيات لابن أبي الحسين يحثّ أحد أصحابه على شرب المدام:

(الوافر)

أبا الفضـل اغتنم شـرب الحُمَيَّا ... يطـوف بكأسهـا طَلْـقُ المحيّـا

وبـادر دون مـا عُـذْرٍ وغـدرٍ ... فأنـت أحـبُّ مـن وافـى إليَّـا

المصدر: القدح: ص 43.

16 ـ رسالة

كتب إلى الفقيه أبي القاسم بن يامن جوابًا عن هديّةٍ أهداها إليه:

(الوافر)

أدام اللّـهُ وُدَّكُـمُ وأبقـى ... إخاءكـمُ علـى مـرّ الزّمـانِ

فقـد وصـل الثّـلاثُ وهـن ستٌّ ... ولـو رُبعـت لجـاءت بالثّمـان

ولـم تـك قسمـةٌ ضيزى وأجْرَتْ ... لسانـِي وهـو أمضـى من سِنانِي

فـإن ضيّعتـه لبنًـا بصيـفٍ ... فما بينـي وبينك مـن لبـان[1]

أسعد اللّه الأخ المبجّل المكرّم، المفضّل في حَلْبَةِ السّبْق المقدّم، ولا زالت سراياه معتولة[2]، وصفاياه إلى محلّ الصّفا[3] منقولة، من كلّ مالئة الإناء[4]،

---

(1) اللبان: الرضاع: يشير بالشطر الأول إلى المثل: «الصيف ضيعت اللبن». وبالشطر الثاني إلى أنه ليست بينه وبينه أخوة رضاع.

(2) السّرايا: ج سرية: القطعة من الجيش، ومعتولة: أي مسبوقة مكدودة، والعتل : الدّفع والارهاق بالسوق العنيف يشير الى تشميره للكفاح.

(3) الصفايا: المختار المصطفى من الغنم. والصفا: أحد جبلين ببطحاء مكة، وثانيهما المروة، يشير إلى ما ينحر هناك للضحية.

(4) الإناء: الوعاء: يريد سمينة غير هزيلة، كثيرة الدر.

مليئة بالشُّكر مدى الآناء[5]، تُرِيك ما أحار المِشْفر في البَشَر، وتكرُم في المحلِّ عن تحمّل العُشرِ[6]، وإن كان المَطْلُ أساء به الظّنّ، ومثَلَ لي وحاشاه أن قد ضنّ، لكنه ادّكر بعد أمّه، وما يُنْكر عِرفانَ من أمَّه، فجاءت تهادى عرائس، وتغادى ظباء كَوَانس[7]، مُشعرة بأن تُشْفع بأخواتها، مُذَكِّرَة بذات الحسن وَحُوَّاتِهَا[8]، فحنينُها يأبى الغَزر، وشِكاؤها[9] يَشْكى من المُستدرّ، فيا لك من حَلَب لو كان له شَطْر[10]، وجلَب لو انفرد به زيد أو عمرو، ولا خفاء أن البغي يُثير الحسيكة[11]، ويدعو المُشَاكس أن يفارق شريكَه، على أن الرَّثيئة[12] تفثأ الغضب، وتُعيد عِدًّا[13] مورداً نَضَب، واليد البيضاء حليها لاتمام، حتى تُتبع الفرسَ اللجام، وإذا وقع الاجتراء، وكَمُلَتْ بسُورة البقرة الأجزاء، فالشُّكر موصول، وخِضَاب عملك ماله نُصول[14].

المصدر: القدح: ص 13 .

(5) الآناء: أجمع أني، بفتح همزته وكسرها: الوهن، والساعة من الليل.

(6) العشر: من كبار الشجر له نور حسن المنظر، ترعاه الإبل.

(7) الكوانس: الداخلة في كناسها: وهو حيث تأوي.

(8) الحوات: جمع حوة، وهي سمرة الشفة.

(9) الشكاء: جمع شكوة، وهي وعاء من أدم يحبس فيه اللبن.

(10) يشير الى المثل: احلب حلبا لك شطره.

(11) الحسيكة: الحقد.

(12) الرثيئة: اللبن الحامض يحلب عليه فيخثر. وتفثأ: تكسر وتسكن. يشير الى المثل في اليسير من البرّ: «إن الرثيئة تفثأ الغضب». وأصله أن رجلا كان غضب على قوم، وكان مع غضبه جائعا، فسقوه رثيئة فسكن غضبه.

(13) العد: الموضع يجتمع فيه الماء الكثير.

(14) النصول: الخروج من الخضاب.

محمّد بن أبي الحسين

(ت 689)

أبو عبد الله محمّد بن الحسين بن أبي الحسين الرئيس لدى خلفاء بني حفص خاصة أبي زكرياء والمستنصر بالله، أديب وشاعر وعالم لغوي، رتّب المحكم لابن سيده الأندلسي على نسق الصّحاح للجوهري واختصره. كان مستودع أسرار أبي زكرياء وكان من أبرز رجال السّياسة والأدب في عصره. قال عنه ابن خلدون في تاريخه: "كان متفنّنا في العلوم مجيدا في اللغة، يقرض الشعر فيحسن ويترسّل فيجيد.

1 ـ دولاب

(الطويل)

وَمَحنيّةِ الأصلابِ تحنُو على الثَّرَى
وتَسقِي نَبَاتَ التُّربِ دَرَّ التَّرائبِ

ترى نصفَها العلويَّ قوسًا مرنَّةً
تُرامي سهام الماءِ عن كلِّ جانبِ

تُعَدُّ من الأفلاكِ أنَّ مياهَها
نجومٌ لرجمِ المحْلِ ذاتُ نوائبِ

وأطربها رقصُ الغصونِ نوابلاً
فدارتْ بأمثال السُّيوفِ القواضبِ

وما خلتُها تشكو بتَحنانها الصَّدَى
ومن فوق متْنيها اطّراد المذانب

وتحسَبُها وَالرَّوضَ ساقٍ وقَيْنَةً
فما بَرحَا حولها ما بين شادٍ وشاربِ

كأنَّ مجاريها ودُهْمةَ لونِها
(بياضُ العطايا في سوادِ المطالبِ)[1]

المصدر: نفح الطيب: ج2، ص 287 ـ 288 (باختلاف، والبيت الثاني ناقص) رايات المبرزين ص 172، ومنها خمسة أبيات في المجمل: ص 200 باختلاف وكذلك في رحلة البلوي : "تاج المفرق": ج1 ص 180 ـ 181. ومنها أربعة أبيات في المقتطف من أزاهر الطّرف :ص 120 ـ 121

---

(1) هذا عجز بيت لأبي تمامٍ وتمامه:
وأحسن من نورٍ تفتّحه الصّبا — بياض العطايا في سواد المطالب
وفي المقتطف: الصدر هكذا في البيت الأخير:
"فخذ من مجاريها ودهمة لونها"
وكذلك في رحلة البلوى.

ـ 2 ـ افتخار

قال يفتخر بجدّه عمّار بن ياسر صاحب رسول اللّه صلّى عليه وسلّم:

أَبُنَيَّ ما صرفُ الزَّمانِ بغالب

كَلاَّ ولا حظّي لديه بعاتب

صحبِ الخلافَةَ ما اصطفتْه وَجَـدُّه

صحبِ النبوّةَ في الزّمان الذّاهبِ

فإذا سطا زمن عليك فقل له:

لي ذمّةٌ بالصّاحب ابن الصّاحب

المصدر: الفارسيّة : ص 133.

3 ـ شكر

كتب إلى ابي زكرياء الحفصي حين أهداه ألفي دينار في طبق مغطّى وبطاقة فيها أبيات:

(الوافر)

حيـيتُ بنعمتـين وذاك نثـر ... وهـذا النّظـم يعشَقـه حبيـبُ

ومولانـا الـذي مـازال قدمـا ... ينـوّع جـوده مهمـا يُثِيـب

المصدر: الشهب اللامعة: ص 252.

4 ـ لبن

كتب مداعبا أحد أصدقائه مهديا إليه هدايا وفي جملتها جرّة من لبن:

(الوافر)

ولمـا صـحّ زهـدُك فـي مُـدامٍ ... متـى تُلْقَى علـى كَبِـد يُحِـجُّ

بعثـتُ إليكـمُ لبنًـا صريحًـا ... فمـا يَبْغـي المدامـة مـن يَحُـجُّ

فأعـرضْ عن فتى غسّان[1] فيها ... ولا يخدَعْـك ذُو حُجَـج يحُـجُّ[2]

(1) فتى غسان: أبو العباس أحمد الغساني، انظر الشاعر السابق.

(2) يحجّ: يغلب بالحجج.

المصدر: القدح: ص 42.

5 ـ سلوا دمنة

كتب إلى عنان بن جابر الثائر على أبي زكرياء الحفصي يؤنّبه على الثّورة ويذكّره بصداقته له وولائه الماضي للسّلطان الحفصي ويدعوه الى الطّاعة ونفض يديه من التمرّد ويغريه بصفح السلطان عنه:

(الطويل)

سَلُوا دِمْنَةً بين الغضا والسَّواجِرِ ... هـل اسـتنّ فيهـا واكفـاتُ المواطرِ

وإلاّ فعنـدي ديمـةٌ مستهلّـةٌ ... تطلـع ما بـين الحشـا والمحاجر

مساحبَ أذيـالٍ ومركـزَ نُبّـلٍ ... ومربـض آسـاد وملهـى جَـآذِرِ

عهـدت بهـا عليـاء لا السرُّ عندها ... مـذاعٌ ولا جَـدُّ الوصـال بغابـر

إذا طـرق الشّوقُ المبرّح زرتُها ... طُـروقَ خيـالٍ بـين راعٍ وسامـر

ولولا حـذارى أن تُرَاعَ لزرتُـها ... بأسمـرَ عسّـالٍ وأبيـض باتـر

ومُرْدٍ على جُرْدٍ إذا اشتجر القنا ... ترى الجنّ تعروري ظهور الكواسر

فديتكمُ ما الشوقُ آلٍ ولا الهوى ... ببالٍ ولا قلبي الغداةَ بصابر

دعوها فإن يسمحْ بها الدّهرُ أغتفر ... له ولها ذنبَ اللّيالي الغوابر

ودونكم يـا للرّجـال تحيّـةً ... يُخَصُّ بها عنّي عنانُ بن جابر

فتًى مـا دعتـه زلّةٌ فأجابها ... فكيف طوى كشحًا على نفس غادر[1]

وقد كان بيني ـ يا عنان ـ وبينكم ... بواطنُ صنّاها بحفظ الظّوَاهِرِ

وفـي كلّ عام كان للجيش وقعةٌ ... نجـرُّ بهـا أذيالنـا جـرّ سـادر[2]

علـى كـل خـوّار القِنَانِ كأنّه ... ربيبُ سعالٍ لاح في شكل طائر

---

(1) طوى كشحا: ولى معرضا

(2) السادر: الذي لا يبالي

يُريك على عِطفيه مسحةَ مؤمنٍ ويكتم في جنبيه أضغان كافر

نمدّ لها سمر القنا فتخالها كَلِين القنا ما بين أُذْنٍ وحافر

فتختال أعطاف وتُعسِلُ سمرنا وتهتزّ كالسّمر ابتغاء المفاخر

نشاوَى على خيل نشاوى كأننا وأسيافَنا لم نستفق من تساكر

تُظَلّلنا الراياتُ وهي خوافق على كلّ رئبال بخفّاقٍ خادر

وحشو القباب الحمر بيضٌ أوانس عفيفات ما تحت اشتمال المآزر

يطالعن من بين الشفوف كأنّما يطالعن خِلسا من كِمام الأزاهر

أذكّرك العهد الذي كان بيننا وإن كنتَ عنه ساليًا غيرَ ذاكر

ألم يعلق التَّوحيدُ[3] قلبك ناشئًا ألم تتكفّل حفظَ تلك الأواصر

وكنتَ تجيرُ النّاس في خير دولة فأصبحتَ جاراً في هلال بن عامر

وكنتَ كليثِ الغاب عزّا ومنعةً فصرت كأمثال الرئال النّوافر

وكنتَ نزيلَ الملك تجني ثماره أفانينَ من أفنان ريّانَ ناضر

وكنت تلقى العزّ تحت ظلاله فها أنت تلقى الذلّ تحت الهواجر

وكنت ترى الآبال كومًا غضاضةً فأصبحت في أُتباع شاء وباقر

تبدّلتَ بالسّهلين والعطف زاغراً[4] وبالصّافنات الجردِ جُرْبَ الأباعر

كأن لم تجرّر في زَرود[5] وصبرة[5] ذُيُولَ التَّصَابِي فِي حِسَانٍ غَرَائِرِ

---

(3) دعوة بني حفص ومذهبهم العقائدي.

(4) السهلين: والعطف : اسمان لمكانين غير بعيدين عن القيروان وزاعر: بلد متسع يقع بصحراء بلاد الجزائر في جنوب جبل طيرى.

(5) زرود واد كبير يأتي من ناحية تبسة وينسرح في بسائط القيروان من قبليها وصبرة وتسمى المنصورية، مدينة أحدثها اسماعيل المنصور الفاطمي في سنة 337 هـ، تقع في جنوب القيروان وتبعد عنها نحو الكيلومتر ـ وكثيرا ما يقصد بصبرة مدينة القيروان نفسها لأنه في وقت ما اختلطت المدينتان ببعضهما بعضا.

ولم تَـلْوِ خطّارًا بأكناف عَمْرَة[6] ولم تَثْنِ بالقصرين أعطاف ضامر
ولم تُدْرِكِ الأوتار بالقرن[7] غالبًا ولم تقض بالألواح أوطار زائر
عزيز علينا - يا عنان - ضلالة حدت بك لا تلوي على زجر زاجر
تبصّرْ ولا تحمل على النفس غيّها أعيذك من كرّات دهرٍ جواسر
فديتك لا تشرِ الضَّلاَلَة بالهدى فديتك لا تشر العمى بالبصائر
وما العَرَبُ العرباء إلا بعهدها فمن كان أوفى كان أوَّلَ فاخر
فكم حُفِظَتْ من ذمّة قوسُ حاجب وكم مَثَلٍ أبقى السموأل[8] سائر
كذلك كان الناس يوفون فابتغوا سبيل الوفاء كابرًا إثر كابر
وفي يوسف الوافي عليهم زيادة أبي هجرس الندب الصفي المثابر
رأى الرّشد حيث العزّ ألقى جرانه فخيّم مثْوَاه عزيزَ المجاور
رأى الغيّ من يتبعه يضلل سبيله فآوى الى ظلٍّ من الحقّ باهر
غلام غذاه منذ كان يافعًا فوفّى وما وفيت يا للعشائر
وكم فتية من آل منصور أسعدوا لدى خير منصور وأكرم ناصر
لدى مَلِكٍ يعفو ويغفر دائمًا فأين الفرار من عفو غافر
ومن تنفع الذّكرى تَلاَفَى تَلاَفَه وكشّفَ عن وجهٍ من الرُّشْدِ سَافِرِ
هَدَتْكَ الهَوَادِي - يَا عِنَانُ - وَأَمْطَرَتْ ذَراك الغوادي بين بادٍ وحاضر

المصدر: مجلة الفكر: السنة 8 العدد 10 جويلية 1963 ومنها أبيات في المجمل: ص 200 - 201. عن مخطوط خاص لحسن حسني عبد الوهاب.

---

(6) عمرة فحص متسع جدا في أواسط البلاد التونسية - والقصرين: ولاية في الجنوب الغربي من البلاد التونسيّة والخطار مبالغة في الخاطر وهو الطحان بالرمح.

(7) القرن: جبل عال في الجنوب الغربي من القيروان، أسماه موسى بن نصير الوالي الأموي بهذا الاسم، ويعرف الآن بجبل الباطن يعني باطن القرن.

(8) السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي، شاعر جاهلي حكيم، اشتهر بالوفاء لأصدقائه، تروى عنه قصة لم يخن فيها أمرئ القيس الشاعر.

6 ـ خمرية

كتب إلى ابن عمه أبي الحسن بن سعيد مع هديّة وكان ابن أبي الحسين في حالة مرض:

(الطويل)

أكفُّ الصَّبا حَفَّتْ جنى زَهَر الرّبَى سؤالك عن نِضو يُسامِي بك الزّهْرا

بعثتَ بمثلِ الزّهرِ فِي مثْلِ صفحةٍ لذلك ما قَلَّدْتَها الشّذْرَ والدُّرَّا

معانٍ لها أعْنُو وأُعْنَى بِهَا فكمْ وقفتُ عليها العينَ والسّمعَ والفكرا

فلوْ عرضَتْ للبحْرِ لم يلفَظِ الدُّرّا ولو عارضتْ هاروتَ لم ينفث السحرا

أبا حسنٍ هنئتَ ما قدْ مُنِحْتَهُ ضروبًا من الآداب تُحْلِي بها الدهرا

وبُونَكَ بحرًا من ودادي تلاطمتْ به زاخراتُ المدِّ لا يعرفُ الجزرا

فإنْ خَطَرَتْ فِي جانبٍ منك هفوةٌ فلا تحسبنْ أنّي أضيقُ بها صدرا

يزلُّ الجوادُ عندما يبلغُ المدى ويعثر بالرّمث[1] النسيمُ إذا أسرى

فدعْ ذا وخذها شائبات قرونُهَا عروبًا لعوبًا جائزًا حكمها بكرا[2]

ولو غادروا في وصفها متردَّمًا لشنّفتُ من شعري بها أُذُنُ الشعرى[3]

ألا فاحجبنها عن صديقٍ معمّمٍ فإنَّ قصارى الغمر أن يبكيَ العمرا

ومن كان ذا حجْرٍ ونبلٍ ورقّةٍ فلا يخلُوَنْ إلا على الخمرة الحمرا

قرنتُ بها صفراءَ لم تعرف الهوى[4] ولا ألفتْ وصلاً ولا عرفتْ هجرًا

ولا ضُمِّخت نضخ العبير وإن غدتْ تؤخّره لونًا وَتَفْضَحُهُ نشرًا

---

(1) الرمث: شجر يشبه الغضا.

(2) العروب والعروبة من النساء: الضحاكة .

(3) الشعرى: كوكب يطلع في الجوزاء في شدة الحر. والبيت ورد باختلاف في "نفح الطيب".

(4) في رايات المبرزين: لم تدر ما الهوى .

فإن خلتها بنت الظّليم أظلّها فقد فرش الإذخرٌ[5] من تحتها تبرا

لها نسبٌ بين الثريّا أو الثرى وسل بِربَاها المزن والغُصُن النَّضْرا

فشربًا دهاقًا وانتشاقًا ولا ترِم عن البيت فترًا أو تقيم به شهرا

المصدر: نفح الطّيب: ج 2، ص 321 ومنها 5 أبيات في رايات المبرّزين: ص 173.

7 ـ هدية

كتب إلى الحسن بن سعيد موجّها إليه ما طلبه منه:

(المتقارب)

أتــاك أبــا حســـن غائـــبٌ متـــى مــا أردتَ تــراه تـــرهْ

بحَـــبٍّ بـــه طيبـــة تنتميـــه ولكـــن بنـــارٍ أتـــتْ نيّـــره

وجـوه النّعيـم عراهــا الجحيـمُ فأبرزهـــا أوجهًـــا مسفِـــــره

فكُلْهـــا هنيئًـــا مريئًـــــا ودعْ لسكّرهـــا قهـــوةَ الدّسكـــرة[6]

وأقــدِمْ فإنِّـــي أرى جُبنهـــــا يقـــوّي الجبــــان علـــى القَسْـوره

ومهمــا صبــرتَ لوقــت الضُّحى فلِلّـــهِ قلبـــك مـــا أصبـــره

المصدر: القدح: ص 10.

---

(5) الإذخر: ج إذخرة وتجمع أيضا على أذاخر. نبات طيب الرائحة. أو الحشيش الأخضر. والظليم: ذكر النعام. وفي "رايات المبرزين.. الأدحيّ: وهو مبيض النعام في الرمل.

(6) الدسكرة: القرية العظيمة أو بيوت يكون فيها الشراب والملاهي أو قصر تكون حواليه بيوت، يجتمع فيها الشطار.

8 ـ سيف

كتب يمدح أبا زكرياء يحيى الحفصي حين أهداه سيف جدّه عمّار بن ياسر الصّحابي:

(الوافر)

أمولانا لئن أصبحتُ أولى	بسيف الجدّ عمّار بن ياسر
فودّي لو غزوتُ به حياتي	عِداك ولست محتاجا لناصر
فسعدك قاتل كلّ الأعادي	وحزبك ظاهر أبدا وقاهر

المصدر: الشّهب اللاّمعة: ص 252.

9 ـ نهر

قال يصف نهرا نزل على جانبه الأمير يحيى أبو زكرياء:

(الطويل)

ونهر يرفّ النّور في جنباته	ويثْني النّسيمُ قُضْبَه فتأطّر
يميل كما عَنَّ الصبّاح بأفقه	وإلاّ كما شيم الحسام المجوهر
عليه ليحيى قبة هل سمعتم	بقرصة شمس حلّ فيها غضنفر
فإن قلت هذي قبّة لعفاتها	فقل ذلك الوادي الذي سال كوثر

المصدر: ديوان الأدب التونسي: ص 229.

10 ـ شراب ونقل

وقال في وصف شراب غليظ أسود وخرّوب وزبيب فيه غصون:

(المتقارب)

ويوم نزلنا بعبدِ العزيز ... فلا قدّس اللهُ عبد العزيزِ
سقانا شرابًا كلونِ الهِناء[1] ... ونقّلنا بقرونِ العنوزِ
وجاءت عجوزٌ فأهدت لنا ... زبيبًا كخيلانِ خدِّ العجوزِ!

المصدر: رايات المبرّزين: ص 173 وديوان الأدب التونسي: ص 224.

11 ـ هدية

(المتقارب)

وناعمةِ الأحشاء طيّبةِ الجنا ... أتتك مع الإصباح في فحمة الغَسَقْ
معذّبةٍ بالنّار وهي غريقةٌ ... وما أن شكت نار الحريق ولا الغَرَق
وأعجبُ ما فيها إذا ما عضضتَها ... أرتك ابتسامَ الفجر في حُمْرَة الشّفق

المصدر: القدح: ص 10.

12 ـ الخشكلان

وله في الخشكلان وهو نوع من الخبز في شكل هلالي. والكلمة فارسية الأصل:

(المجتث)

هو الأهلّة لكن ... تدعونه خشكلانا
فإن تفاءلَت صحّفْ ... تجدْ: حبيبك لانا

المصدر: نفح الطّيب: ج 2، ص 321.

---

(1) الهناء: القار.

السلطان المستنصر بالله الحفصي

(ت 675)

أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء يحيى الحفصي. بويع له سنة 647 وتسمى خليفة سنة 650 وتلقّب بالمستنصر بالله. جاءته البيعة من مكّة والشّام والأندلس. كان شاعرا أديبا وكانت مجالسه الأدبيّة حافلة بأبرز العلماء والأدباء من تونس والأندلس والمغرب. شيّد القصور ونضّد البساتين وبنى الجوابي وأصلح الحنايا الرومانيّة التي تأتي بالماء الى العاصمة وأوصله الى جامع الزيتونة. وكان ولوعا بالاجازة الشعرية. وقد أنشد حازم القرطاجني مقصورته الشهيرة تخليدا له. وفي عهده فشلت الحملة الصليبيّة الثامنة على تونس ممّا ساهم في ازدهار الحضارة في تونس ووصولها الى الأوج من حيث العمران والاقتصاد والفكر.

مقطوعات

- 1 -

عرض المستنصر مرّة أجناده، وقيل: بل سلّم عليه الموحّدون يوم عيد بتونس، وفيهم شاب مليح وسيم اسم جدّه النّعمان، فسأله السّلطان عن اسمه، وأعجبه حسنه، فخجل واحمرّ وجهه، وازداد حسنًا، فقال السلطان هذا المصراع:

(الكامل)

كلّمته فَكَلَمْتُ صفحة خدّه

وسأل من الحاضرين الإجازة، فلم يأتوا بشيء، فقال السلطان مجيزًا شطره:

فتفتّحت فيها شقائق جَدِّه

المصدر: نفح الطّيب: ج 2 ، ص 323

- 2 -

قال مخاطبا أبا بكر بن سيد النّاس في أحد مجالسه الأدبية:

(البسيط)

ما حالُ عينيك يا عينَ الزّمان فقد
أورثْتَني حزنًا من أجلِ عينيكَا

وليس لي حيلةٌ غيرَ الدّعاء فيا
ربٍّ براوِي الصّحيحين حنانيْكا

المصدر: نفح الطيب: ج 4، ص 110.

- 3 -

كان السّلطان المستنصر باللّه في بعض متصيداته، فكتب لأبي عبد الله بن أبي الحسين يأمره باحضار الأجناد لأخذ أرزاقهم بقوله:

(الوافر)

ليحضُــرْ كلُّ ليـثٍ ذي منــال زكــا فرعًــا لإســداء النّــوال

غـدًا يـومَ الخميس فما شغُلنَا بأُسْـدِ الوحـشِ عن أُسْدِ الرِّجال

المصدر: نفح الطّيب: ج 2 ، ص 322 ـ 323 والوافي: ج 5، ص 203.

ـ 4 ـ

قال متغزّلا

(الكامل)

مالـي عليكَ ســوى الدُّمُوعِ مُعِينُ إن كنت تغْدرُ فِي الهوى وتخونُ

مـنْ منْجِـدِي غير الدُّمُوعِ وإنّها لمغيثــةٌ مهمـــا استغـــاثَ حزينُ

اللّهُ يعلـمُ أنّ مـــا حمّلْتَنِـــي صـعـبٌ ولكِــنْ في رضــاكَ يهُونُ

المصدر: نفح الطّيب: ج 2 ، ص 323 ، والوافي: ج 5 ، ص 202.

أبو بكر بن حبيش

(ت 615 . ت بعد 679)

أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن الحسن بن حبيش اللخمي المرسي الأندلسي. ولد في جمادى الأولى سنة 615 بمرسيّة ونشأ بها وتكوّن. نزح إلى تونس حيث أقام وأكثر من مدح المستنصر بالله. وكان من أبرز الأدباء والعلماء من أفراد الجالية الأندلسيّة الذين اتصلوا بالبلاط الحفصي واضطلعوا بدور كبير في نشر المناهج والطّرق الأندلسيّة في التّعليم ورواية الأدب. وكوّن ابن حبيش العديد من الأدباء التونسيين والمغاربة بتونس. وهو من أهم الأدباء الذين ساهموا في بلورة المدرسة الأدبيّة التونسيّة في العهد الحفصي وارسائها على قواعد راسخة.

1 . تخميس

قال مخمسا لأبيات قالها أبو العباس بن القصير يصف مركبا قاصدا البقاع المقدّسة:

(مجزوء الرجز)

طوبى لوفد المغرب ... لما سَروْا ليثرب
فازوا بأعلى طلب ... للّه درُّ المركب
إذ سار سيرَ الكوكب

بشرى لكلّ من به ... نال الرّضى من ربّه
مطهّرا من ذنبه ... يا ليتني من صحبه
أسري إلى قبر النبي

اللّه حسبي وكفى ... عساه يدْني للصّفا
وروضة فيها الشّفا ... ما غير قبر المصطفى
برءاً لداء المذنب

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 125.

2 . عيناك

(الكامل)

لولا الحيَاءُ مِنَ الرّقِيبِ الرّاصِدِ
لجعلتُ قصدَكَ مِنْ أجلّ مقَاصِدِي
يَا مَنْ تسلّمَ مُهْجَتِي نَقْداً بِلاَ
ثمنٍ، وسوّفَ بِاللّقَاءِ مَوَاعِدِي
عَيْنَاك تَقْتُلُنِي وَلَسْتَ بِرَاحِمِي
وهَوَاكَ يمْرِضُنِي وَلَسْتَ بِعَائِدِي

نَفْسِي فِدَاكَ! أمَا بَدَا لَكَ بَعْضُ مَا

أخْفِي وقدْ كَثُرَتْ عليَّ شَوَاهِدِي؟

حلَّيْتُ نفسِي فِيكَ حِلْيَةَ شُهْرَةٍ

شَهِدَتْ بِإِخْلَاصِي وَصِدْقِ عَقَائِدِي

السُّقْمُ حَلْيِي والصَّبَابَةُ حلَّتِي،

والعشقُ تاجِي والدُّمُوعُ قَلَائِدِي

يَا غُصْنَ بانٍ فِي انثِنَاءٍ دائمٍ،

وهِلَالَ تمٍّ فِي اكتِمَالٍ زَائِدِ

وغَزَالَ إِنْسٍ مَا تَأَنَّسَ بِالهَوَى

صَادَ القُلُوبَ ومَالَهُ مِنْ صَائِدِ

فإِذَا تجلَّى مِنْ حِجَابِ نِفَارِهِ

حَجَبَتْهُ أنوارُ الشُّعَاعِ الصَّاعِدِ

وَبَدَا فَلَمْ يُمْكِنْ سَنَاهُ لِنَاظِرٍ

ومَشَى فأَمْكَنَ خَصْرَهُ لِلْعَاقِدِ

يَا مَنْظَرًا لِلْحُسْنِ فِيهِ بَدَائِعٌ

شَهِدَتْ بِإِبْدَاعِ القَدِيرِ الوَاحِدِ

رَقْرَاقُ وجْنَتِهِ كَدَمْعٍ ذَائِبٍ

ونِظَامُ مَبْسَمِهِ كَنَظْمٍ جَامِدِ

يَا وَرْدَ خَدَّيْهِ أمَا مِنْ نَاشِقٍ!

يَا عَذْبَ مَرْشَفِهِ أمَا مِنْ وَارِدِ!

يفترُّ عنْ ظَلْمٍ[1] لِقَلْبِي ظَالِمٍ

يَجْرِي عَلَى شَهْدٍ بِشَوْقِي شَاهِدِ

لحَبَابِهِ[2] فِي النَّفْسِ، لوْ حاَبَى بِهِ،

فِعْلُ ابن مرْيَمَ[3] فِي الرّمِيمِ البَائِدِ

مَنْ لِي بِهِ يَخْتَالُ بَيْنَ لِدَاتِهِ

كالبَدْرِ بَيْنَ كَوَاكِبٍ وَفَراقِدِ!

ويَمِيسُ فِي حُلَلِ الجَمَالِ كمَا ثنَى

نَفَسُ الصَّبَا عِطْفَ القَضِيبِ المَائِدِ

فتَّانُ لحظٍ مَا خَلَتْ أجْفَانُهُ

عنْ سَاحِرٍ أوْ نَافِثٍ أوْ عَاقِدِ

هلْ أرْتَجِي إقبَالَهُ وقَبُولَهُ

والدّهْرُ فيهِ مُعَارِضِي ومُعَانِدِي؟

أوْ قربَهُ، والسّعدُ غيرُ مُسَاعِدِي؟

أوْ طَيفَهُ، والجَفْنُ ليْسَ برَاقِدِ؟

أأَلَذُّ بِالبُقْيَى وَمَا عَهْدُ الرِّضَى

بَاقٍ، ولا عصْرُ الوِصَالِ بِعَائِدِ؟

لَوْ شِئْتَ يَا حَسَنًا تَسَمَّى أحْمَدًا

لَجَمَعْتَ بَيْنَ مَحَاسِنٍ وَمَحَامِدِ

---

(1) الظلْم: بريق الأسنان.

(2) الحباب: فقاقيع على وجه الشراب.

(3) هو عيسى بن مريم عليه السلام.

مَا بَالُ منْ وافَى بِدِينٍ خَالِصٍ

فِي الحبِّ يَبْقَى فِي عذَابٍ خَالِدِ؟

يَا ربِّ هبْ أجْرِي لهُ فِي قتْلَتِي

عَمْدًا، وهبْ لِي عَنْهُ وِزْرَ العَامِدِ

يَا مَنْ أطَاعَ بِيَ الوشاةَ وطَالَمَا

عَاصَيْتُ فيهِ نَصَائِحِي وَمَرَاشِدِي

يَكْفِي جمَالَكَ أن فَتَنْتَ عَوَاذِلِي

وكَفَى سقَامِي أنْ تَرِقَّ حَوَاسِدِي

لمْ أحْظَ مِنْكَ، وأيُّ حظٍّ فِي الهوَى

لِمُسَارِقِ اللّحَظَاتِ غيرِ مُعَاوِدِ؟

أفْنَيت أيَّامِي بِهَجْرِكَ لِي، فَصِلْ

قَبْلَ المَاتِ ولَوْ بِيَوْمٍ وَاحِدِ

تاللّهِ ما بَالَيتُ بِالدّنْيَا وَمَنْ

فِيهَا إذَا كَانَ الحَبِيبُ مُسَاعِدِي

المصدر : مختارات من الشّعر المغربي والأندلسي: ص 125 ـ 128.

3 ـ سلوا ساحر الأجفان

(الطويل)

سلوا سَاحرَ الأجفانِ يُنعمْ بِوَعْدِهِ

ولاَ يَلْوِهِ لَيَّ التثنِّي لِقَدِّهِ

فقدْ ـ وهواهُ ـ ألهبَ الشّوقُ أضلُعِي

كما ألهبَتْ نارُ الشّبابِ بخَدِّهِ

وألبَسَ جِسْمِي السُّقْمَ مِنْ سُقْمِ طرفهِ

وعَلّمَ صبْرِي الضّعفَ من ضعفِ عَهْدِهِ

فَيَا قمرًا غَارَ الهلالُ بوجهِهِ

كمَا التحفَتْ زُرْق السَّحَابِ بِبُرْدِهِ

تطلّعْ بأفْقِي فهْيَ ليْلَةُ أسعُدِي

كمَا لاح بدْرُ التمِّ فِي أفْقِ سَعْدِهِ

تملّكتَ رُوحِي والفُؤادَ فلمْ تدعْ

سوى رمَقٍ إن كنتَ تَقْبَلُ أُهْدِهِ

بِنَفْسِي غزالٌ فاتِرُ اللّحْظِ فَاتِنٌ

غدَا الحسْنُ عقدًا وهوَ وسْطَى بِعِقْدِهِ

تحيّرَتِ الألحاظُ منهُ تعجُّبًا

متَى امتزَجَتْ خَمْرُ الرُّضَابِ بِشَهْدِهِ؟

بِفِيهِ لَمًى يَشْفِي العَلِيلَ بِرَشْفِهِ

على بَرَدٍ يُذْكِي الغَلِيلَ بِبَرْدِهِ

أمَا وعقيقٍ ذابَ فِي دُرٍّ وجنةٍ

أذابَتْ فؤادَ الصَّبِّ فِي نارِ وجْدِهِ

ونفحةِ مسكٍ إن تنسّم يُهْدِهِ

ورَائِقِ دُرٍّ إن تبسَّمَ يُبْدِهِ

لَقَدْ خِفْتُ أن يَقْضِي السرور بقربِهِ

عليَّ ولمْ أَنْعَمْ بِسَاعةِ وَعْدِهِ

فيا ربِّ أنِّسْنِي بِقُرْبِ مَزَارِهِ

وأنِّسْهُ لِي منْ نفرةِ الصدِّ واهدِهِ

المصدر: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: ص 128 ـ 129.

4 ـ أنعم بيوم

(البسيط)

أنعم بيوم له في الحسن آثار ... تقضى به لك آمالٌ وأوطارُ

وجه الزَّمَانِ وقد راقت محاسنُه ... له سفورٌ، وللإصباح إسفارُ

والأرضُ في بركاتٍ منكمُ، فبها ... في اللّيل والمحلِ أنوار ونوّار

والرَّوض يُهْدي نسيما ليس يُشْبِهُهُ ... في الطّيب إلا ثناءً منك مِعْطار

والطيرُ يفتنّ في الفَنَّانِ من نَغَمٍ ... تفسيرها لك إجلالٌ وإكبار

والشّرق نو شفق في البحر مؤتلقٍ ... كأنّما الماء شبّت فوقه النّار

والشمس تطلع كالدِّينار أخلصَ من ... محض النُّضَار، فهامت فيه نُظَّار

تبدو مع الماء طورا، ثم يرفعها ... أوجٌ ويدفعها موجٌ وتيّار

ما كان للبحر إذ حاكى يديك ندى ... أن يُمْسِكَ الشَّمسَ فيه وهي دينار

المصدر: ملء العيبة: ج2 ، ص 118.

5 ـ مدحية لأمير حفصي

له من قصيدة يمدح بها الأمير أبا فارس بن الأمير أبي إسحاق بن الأمير أبي زكرياء بن أبي حفص عمر. وتوفّي هذا الأمير مقتولا في حربه مع المسيلي الدّعيّ سنة 682 هـ:

(الطويل)

بِنَفْسِيَ والهيمانُ فِي الحسن يُعْذَرُ
وذنبُ التسلِّي فِي الهوَى ليسَ يُغْفَرُ

جمالٌ، أطَالَ الهائمُونَ صبابةً
بهِ، ورآهُ اللاّئمونَ فأقْصرُوا

محيًّا يحيِّى بالنُّفوسِ إذا بدَا
ويُتْحَفُ بالأرواحِ ساعةَ يُنْظرُ

تكامل كلُّ الحسنِ فِيهِ، فقد أرى
وعنْدِيَ كلُّ الحبِّ، أنّي مقصّرُ

وبي من ظِباء الإنس ذاتُ لواحظٍ
تعلّم هاروت بها كيفَ يسحرُ

مهفهفةُ الألحاظِ تَنْآدُ في الحلَى
كما ماسَ غصنٌ ناعمٌ وهو مُزْهِـرِ

محجّبةٌ لو طالعَ البدْرُ خدِرَهَا
رأى أنّ بدْر الأرضِ أبْهَى وأبْهرُ

تلوحُ بِهَا شمسٌ وترتاحُ خوطةٌ[1]

ويسجَعُ قُمرِيّ ويلحظُ جؤذَرُ

وتزْهرُ منهَا بِالمحاسنِ روضةٌ

ولكنّها بالوصلِ لِي ليْسَ تُثْمرُ

هلاَلٌ محيّاهَا، تخالفَ حكْمُهُ،

بِمَرْآهُ صَامَ الخِصْرُ والرّدْفُ يُفْطِرُ

ترِيكَ غزَالَ القفْرِ، جِيداً ومُقْلَةً،

فنفَّرتهَا عَنْ عَاشِقٍ ليْسَ تُنْكرُ

لَهَا مِعطفٌ لو علّمَ اللينَ قلبَهَا

لما باتَ قلبِي لوعةً يتفطّرُ

وجسمٌ نُضَارِيٌّ[2] يكادُ نضارةً

يُؤثِّرُ فيهِ أن أقولَ يؤثِّرُ!

وخدٌّ إذا فكّرْتُ فِي رقّةٍ بِهِ

تخوّفتُ أنْ يُدْمِيهِ ذاكَ التفكُّرُ!

وطَرْفٌ حكى في الضّعفِ حجّةَ لائمِي

على الحبّ أو صبْرِي لهَا حينَ تهجُرُ

يسهّدُ أجفَانَ الورى وهو نائمٌ

ويهْدِي لنهجِ العشقِ وهو محيَّرُ

---

(1) الخوطة والخوط: الغصن الناعم، والقضيب عامّة.

(2) نضاريّ: نسبة الى النضار، وهو الذهب.

كحيلٌ، ولكن زاد بالكحلِ صولةً
كَمَا صقلَ الهنديُّ[3] وهو مجوهرُ
وتبسمِ عنْ ألْمَى كأنّ نظامهُ
عقيقٌ ودرٌّ بالزَّبَرْجَدِ يَمْتُرُ[4]
تجسّـَمَ فيهِ النُّـورُ نَوْرًا، يَعُـلُّهُ
زلالٌ وجِريالٌ[5] وَشَهْدٌ وَعَنْبرُ
يرُوقُ ابتِسَامًا وانْتِسَامًا، كأنّهُ
صباحٌ منيرٌ أو أقاحٌ منوِّرُ
قضتْ لذَمَائي[6] أن يذوبَ مِن الظّما
وفى المرشفِ الأحْلَى رحيقٌ وكوثرُ
وهلْ يرْتوِي منْ حامَ واللّحظ قدْ حمَى؟
أيورَدُ عذبٌ فوقهُ العَضْبُ يُشْهرُ؟
ويسْكَرُ مَنْ تُرْوِيهِ خمْرٌ، وهَا أنَا
لِخَمْرِ اللُّمَى ظَامٍ، فما ليَ أسكَرُ؟
ولمّا تساوتْ فِي البهاءِ عقُودُهَا
وأَلْفَاظُهَا لمْ أدْرِ، والكلُّ جوهَرُ،

---

(3) الهندي: صفة السيف المصنوع من حديد الهند.
(4) قرأها المحقق يهتر ولا معنى لها ولعلها يمتر أي يمتدّ.
(5) الجريال: الخمر.
(6) الذّماء: بقيّة الروح في الجسد.

هل العقْدُ منْ ذاكَ الكلامِ منظّمٌ؟

أمِ اللّفظُ منْ تلكَ القلائدِ يُنْثَرُ؟

فيا عاذلي فيها التفتْ من صفاتها

إلى أربعٍ فيهَا تهيمُ وتعذِرُ:

يشُوقُكَ معسُولٌ ويَسْبِيكَ أغْيَد

ويُصْبِيكَ مَيّاسٌ ويُصْمِيكَ أحْوَرُ

المصدر: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: ص 122 ـ 125.

6 ـ أذكِ السّراج

حضر أبو بكر بن حبيش ليلة مع بعض أصحابه وطفئ السّراج، فقال ارتجالا:

(البسيط)

أذكِ السّراج يُرينا غرّةً سفرتْ

فباتت الشّمسُ تستحيي وتستترُ

أو خلِّهِ فكفانا وجهُ سيّدنا

لا يَطْلُبُ النّجمَ من في بيته قمرُ

المصدر: نفح الطّيب: ج 3 ، ص 461.

7 ـ رثاء القائد هلال

قال يرثي القائد هلالا، وقد كان معطاء مفضالا:

(الطويل)

وقالوا: رثيتَ المجد؟ قلت لهم: نعم رثائي له حزني عليه إلى الحشر

ولو كنتُ حيّا بعده لرثيتُه ولكنّ رُوحِي سابقته إلى القبر

المصدر: ملء العيبة: ج 2، ص 122.

8 ـ كافات الشتاء

(الكامل)

إن قيل: كافاتُ الشِّتاء كثيرةٌ، قل أنت: بل هي واحد دون امترِا

إن صحّ كاف الكيس صحّ جميعها وكذاك كلّ الصَّيْدِ في جوفِ الفِرا

المصدر: ملء العيبة: ج 2، ص 122.

٩ ـ وصف البهار

(مجزوء الوافر)

بهارٌ باهرٌ عبقُ   إليه الطَّرْفُ يستبقُ
كأنَّ القُضْبَ منه حيـ   ـن حيّاها الحيا الغدقُ
أناملُ غادةٍ فيها خضا   ب أخضرُ أنقُ
خَوَاتِمُهَا مكلَّلةٌ   بدُرٍّ زانه نسقُ
له من أصفرِ الياقوت   فصٌّ وسطَها شرِقُ
حكى مُصْفَرُّهُ جسمي   ويحكي وُدِّيَ اليقَقُ
رُزِقتُ به الغنى واللّـ   ـهُ يَرْزُقُ من به يثِقُ
فلي من عينه عين   ومن أوراقه وَرِقُ[1]

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 121 ـ 122.

10 ـ صادات الصيام

(البسيط)

جاء الصِّيامُ ومِنْ صاداته بيدي   سبع، فقد أكسبتني بالقبول ثقهْ
صوفيَّتي وصفائي في صالحيتي   والصبرُ والصَّونُ، ثم الصِّدْق وَالصَّدَقَهْ

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 122.

---

(1) الورق: المال من الدراهم والماشية والورِق: الدراهم المضروبة.

11 ـ نفسي فداك

(الكامل)

نفسي فداك أما ترى صوبَ الحيـا قـدْ رام أن يحكـي عميم نداكا

والجـوّ منسكـب الدُّمُـوعِ كأنّـه يهـواك أو يرثـي لمن يهواكـا

واليـومُ منهـزمٌ كـأنّ ذمـــاءه صبـري وقد عنّـت لـه عيناكا

والليـلُ يبـدي ظلمةً فـي وحشة كفـؤاد صبّـك أو كيـوم نواكـا

المصدر: ملء العيبة: ج 2، ص 117 ـ 118.

12 ـ العيد لي وحدي

قال أبو بكر بن حبيش، وقد زاره بعض أودّائه في يوم عيد فطر:

(الرجز)

أكلُّ ذا الإجمالِ فِي ذَا الجمالْ اللّهَ أستحفظُ ذاك الكمالْ

يَا مالِكًا بالبرٌ رقِّي أما يكفيك أن تملِكَني بالوصال

سرتَ الى رَبعِيَ زَورًا كما سرى إلى المهجور طيفُ الخيالْ

العيد لي وحديَ بين الورى حقًا لأنّي قد رأيتُ الهلال

صوميَ مقبولٌ وبرهانُهُ أنّيَ أُدْخِلْتُ جنانَ الوِصالْ

المصدر: نفح الطيب: ج 4، ص 16.

13 ـ الحبّ ديني

(البسيط)

الحبُّ دينِيَ لاَ أبْغِي بهِ بَدَلاَ

والحُسْنُ مَلْكٌ مطاعٌ، جَارَ أوْ عدَلاَ

يَا منْ عَذَابِيَ عذْبٌ فِي محبّتِهِ

لا أشتكِي منكَ إلاّ الصدَّ والمَلَلاَ

النّفسُ عزّتْ ولكِنْ فيِكَ أبْذُلهَا

والذُّلُّ مُرٌّ ولكنْ فِي رضاكَ حلاَ

كأنّما القلبُ منّي مِجْمَر عبِقٌ

يزِيدُ فِي حبّكُمْ طيبًا إذا اشْتَعَلاَ

بدْرٌ على الأرْضِ، أمْ رِضْوانُ قدْ غفلا؟

أمْ فتنةٌ تسحَرُ النسّاكَ والعُقَلاَ؟

تبارك اللّهُ! ماذَا للعقولِ جنى

منَ الفتونِ؟ وماذا للعيُونِ جلاَ؟

يا منظرًا إن بدَا كانتْ محاسنُهُ

للحِبِّ عذرًا وللاّحِي لهُ خجلاَ

أمّـن فؤادِيَ مِنْ تِلْكَ الجُفُون كما

أمّنتنِي بالجمالِ اللّومَ والعذَلاَ

إنْ كنتَ للخلقِ فتّانًا فلا عجبٌ،

لكنْ عجِبْتُ لسالٍ عنكَ كيفَ سلاَ

بالله هل يُنْعِمُ العِطفُ المنعَّم لِي

بالعَطْفِ؟ أو يعدِلُ القدُّ الذي اعتدلاَ؟

منْ لِي بِهِ؟ لمْ يدَعْ فِي مهْجَتِي رمقًا

منَ الحياةِ، وَلاَ فِي وصلهِ أملا!

جعلْتُ خدِّي له أرْضًا، فوقّعَ: لاَ

أرْضى، وأتحفْتُهُ نفْسِي فمَا قبِلاَ

سطَا على الخلْقِ سلْطَانُ الجمالِ، فمِنْ

زيْنِ السّلاطينِ أن صارُوا لهُ خوَلاَ

يا والِيَ الحسنِ تنقادُ النُّفُوسُ لهُ!

يا آمرَ الحبِّ! كلُّ العالَمِ امتثلاَ

موْلايَ! ولِّ فُؤادِي للرِّضى خُطَطًا

كمَا خَلَعْت عَلَيْهِ الضّنَى حُلَلاَ

وهبْ لقلبِي نعيمَ القربِ منكَ كمَا

حَمَّلْتَهُ ألمَ الأشواقِ فاحتمَلاَ

شرِّفْ بخدْمةِ ذاكَ الحسْنِ عاشقَهُ،

وابْذُلْ رضاكَ لرُوح فيكَ قدْ بُذِلاَ

يَا مَنْ لهُ دولةٌ فِي الحسنِ باذلةٌ

مِثْلِي ومثْل فؤادِي يخْدِمُ الدّولاَ

المصدر: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: ص 136 ـ 138.

14 ـ قالوا

(البسيط)

قالوا تصبّر عن الدّنيا الدنيّة أو

كن عبدها واصطبر للذّلّ واحتملِ

لا بدّ من أحد الصّبرين قلت: نعم

الصّبر عنها بعون اللّه أوفقُ لي

المصدر: نفح الطّيب: ج 3 ، ص 227.

15 ـ احتجاج

(الطويل)

وأحورَ وسنانِ الجفون سقيمِها ... مهفهفٍ أثناءَ الوشاح هضيمِها

من الإنس لم يدرِ الفلاة، وقد سبَى ... لحاظًا وجيدًا من مهاها وريمِها

ضَرَعْتُ إليه في الوصال، فردّني ... مَرَدًّ مليء بالحِجاج عليمِها

وقال: وصالا رمتَ، والنهيُ عنه في ... شريعتنا حكمٌ أتى عن حكيمِها!

فقلت: اشتراكُ اللّفظ غرّك، إنما ... نَهَى في الليالي عن توالي مصومِها

فقال: إمامي الشّافعيُّ، وقد رأى ... لمشتركِ الألفاظ حكمَ عمومها

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ص، 116.

16 ـ تعاطف

قال متعاطفا مع القائد هلال كبير علوج المستنصر في مرضه وكان يرعى أهل العلم ويحسن الى المساكين:

(البسيط)

كيف العلاء؟ فإشفاقي كما عُلِما ... وإن وثقتُ بأنّ اللّه قد عَصَما

فارقتُكمْ ويد الشّكْوى تُلاعِبكم ... فجدّ خوفي وجاءت عَبرتي دِيمَا

شكاتُكم أوجبت أن بتُّ مشتكيا لعلّ جسميَ عنكم يحمل الألما

فإن حملت ضناكم كلّه فكفى أوْلاَ، فصحُّوا وزيدوا عبدكم سقَما

المصدر: ملء العيبة: ج 2، ص 124.

17 ـ نسيم الصّبا

(الطويل)

نَسيِمَ الصبَّا عَرِّجْ بأكنافِ نَعمانِ[1]
وَصَرِّفْ لِأَحْبَابِي غَرَامِي وَأَشْجَانِي

وَخُذْ مِنْ سَلَامِي نَفْحَةً تَنْثَنِي بِهَا
لِلُقْيَاكَ أَعْطَافٌ مِنَ الرَّنْدِ وَالبَانِ

تَوَصَّلْ بِإِخْلَاصِ المَحَبَّةِ نَحْوَهُمْ
تُلاقِ لَدَيْهِمْ كُلَّ عَطْفٍ وَتَحْنَانِ

وَإِنْ سَأَلُوا مَاذَا النُّحُولُ؟ فَقُلْ لَهُمْ:
حَنِينِي لمَا يَلْقَى المُحِبُّونَ أَضْنَانِي

تَحَمَّلْ إِلَى تِلْكَ الأَبَاطِحِ وَالرُّبَى
تَحِيَّةَ خَفَّاقِ الجَوَانِحِ ولْهَانِ

رِيَاضٌ كَأَنَّ الرَّوْضَ فِيهَا عَرَائِسٌ
تُحَلَّى بِأَسْمَاطِ[2] وَتُجْلَى بِتِيجَانِ

تَدَفَّقَ فِيهَا كُلُّ أَزْرَقَ سَلْسَلٍ
وَغَنَّى عَلَيْهَا كُلُّ أَوْرَقَ[3] حنَّانِ

أَنُوبُ لَهَا شَوْقًا وَإِنْ لَمْ أُلاَقِهَا
وَلَكِنَّ أَوْطَارِي لَدَيْهَا وَأَوْطَانِي

---

(1) نَعْمَان: هو نعمان الأراك، واد بين مكة والطائف.

(2) أسماط: ج سمط، وهو العقْلُ.

(3) الأورق هو الحمام، مؤنثه الورْقَاءُ.

أَيَعْلَمُ سكَّانُ الغَضَى[4] أَنَّ بُعْدَهُمْ

يَشُبُّ الغَضَى[5] فِي قَلْبِ مُكْتَئِبٍ عَانِي

وَهَلْ عِنْدَ جِيرَانِ العَقِيقِ[6] بِأَنَّنِي

لِفُرْقَتِهِمْ ذَابَ العَقِيقُ بِأَجْفَانِي؟

وَأَنَّ أَحَادِيثَ العُذَيْبِ[7] لِمَسْمَعِي

أَلَذُّ مِنَ العَذْبِ الزُّلالِ لِظَمْآنِ؟

كَفَى شاهِدًا بِالشَّوْقِ جِسْمِي وَمَدْمَعِي

فَذَا رَمَقٌ فَانٍ وَذَا غَدَقٌ[8] قانِي

وَحَسْبِي وَفَاءً أَوْ صَفَاءً بِأَنْ أَرَى

مِنَ الغَدْرِ صَبْرِي أَوْ مِنَ الإِثْمِ سُلْوَانِي

أَرَاهُمْ بِعَيْنِ الشَّوْقِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ

فَلاَ البُعْدُ أَنْسَانِي وَهُمْ وَسْطَ إِنْسَانِي

مِثَالُهُم فِي حَبَّةِ القَلْبِ مَاثِلٌ

وَرُمْتُ لِقَاءً فِي العِيَانِ فَأَعْيَانِي

وَلِي مُهْجَةٌ تَصْبُو إِلَى نَفَسِ الصَّبَا

فَلَوْ هَبَّ فِي الأَحْيَانِ مِنْهُمْ لَأَحْيَانِي

---

(4) سكّان الغضى: سكان نجد، سمّيت به لكثرة الغضى بها، وهو نبات من الأثل خشبه من أصلب الخشب.

(5) يشب الغضى: يوقد نار الغضى، لأن جمر الغضى يبقى زمانًا طويلاً لا ينطفىءُ.

(6) العقيق: هو اسم لأربعة أودية بالحجاز.

(7) العُذَيْب: ماء بين القادسيّة والمغيثة وهو أيضا وادٍ لبني تميم من منازل حاجّ الكوفة.

(8) الغدق: الماء الكثير.

فَبِاللَّهِ حَيٍّ السَّفْحَ يَا سَافِحَ الحَيَا

وَقِفْ بِالمَحَانِي وَقْفَةَ المُشْفِقِ الحَانِي

وألحفْ ثراهَا فِي بساطِ زَبَرْجَدٍ

عليه نُثار منْ لجينٍ وعِقيانِ

ليختالَ ذاكَ القصرُ فِي وشْيِ زَهرِهِ

كما اختال مأمون على فُرْشِ بورانِ(9)

المصدر : مختارات من الشعر المغربي والأندلسي:ص 131 ـ 132.

18 ـ متّع جفوني

(البسيط)

متّع جفوني بذاك المنظر الحسن،

واستبقِ روحِي فإنّ الجسم فيك فَنِي

حنّتْ للقياكَ نفسِي يا معذّبَهَا

واستعذبتْ فيكَ ما تلقَى من المِحَنِ

مولايَ علّلْ عليلاً أنت ممرضُهُ

وارفقْ بقلبٍ به سكناكَ، يا سَكَنِي

دينِي ودنيايَ في مرآكَ قد جُمِعَا

يا من تجمّع من بدرٍ ومنْ غُصُنِ

أَقْبِلْ بوجهك واقبلْ مهجتِي ثمنًا

ما للوصال سوى الأرواح منْ ثَمَنِ

---

(9) بُورَان: هي خديجة بنت الحسن بن الحسن بن سهل (حوالي 191 هـ / 807 م ـ 271 هـ / 884م)، تزوّجها الخليفة المأمون سنة 209 هـ / 824 م في حفل مشهود قيل إنه فرش فيه حصيراً من الذّهب ونُثِرَتْ عليه أصنافُ الجواهر.

بما بعينيكَ من سحْرٍ قتلتَ بهِ

لبّي ومن سقمٍ أورثتَهُ بدنِي

نعَّم بوجهِكَ مشتاقًا لرؤيتهِ

يا منْ تنعَّمتُ فيهِ حينَ عذّبنِي

يا من إذا لَـمَـحَـتْـهُ مقلتِي قدحتْ

نارًا تنيرُ بخدّيهِ وتُحرقُنِي.

عِطفاكَ تُطمِعُ فِي عَطْفٍ وقلبكَ لِي

قاسٍ على ما أقاسِي فيكَ منْ شجَنِ

قاسيتُ بعدكَ ما رقّ الجمادُ لهُ

فما لقلبكَ لم يُشفِقْ ولمْ يلِنِ

وقد وهبتك نفسي لا أمنّ بها

فإنْ تقبّلتَ كانتْ أشْرَفَ المِنَنِ

باللّه يا من جفانِي سلْ جفونكَ لِمْ

قاسمْنَنِي السُّقمَ واستأثرنَ بالوسنِ؟

حسبِي من الدّينِ والدنْيَا رضاك، ومنْ

باع الورى بك لم يُنْسبْ إلى الغبنِ

بذكركمْ يأنسُ المشتاقُ بعدكمُ

أنس الغريبِ إلى الأحبابِ والوطنِ

يُدْرَى هواك وإن أخفيتُهُ، ومتى

يَغْلِبْ على السرِّ شيءٌ كان في العلنِ

المصدر: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: ص 130 ـ 131.

19 - ولوع بالحب

كتَب أبو بكر بن حبيش لمن يهواه بقوله:

(الطويل)

متى ما تَرُم شرحًا لحالي وتبْيينا فصحِّفْ على قلبِي «علومك تحيينا»

المصدر: نفح الطّيب: ج 3 ، ص 466 ، وأراد: إنّي بحبّك مولع.

20 - إلى الله أشكو

(الطويل)

أيقدِرُ أن يَنْسَى الغرامَ ويسلوَ
محبٌّ عصى العذّال فِي طاعةِ الهوى؟
فأجفانُهُ فِي قبضةِ السُّهدِ والبُكَا
وَمِقْوَدُهُ فِي راحةِ الوجْدِ والجوى
فؤادٌ بحرٍّ الشوقِ يشكُو من الظّما
ففِي طرفهِ داءٌ وفي ثغْرِهِ دوًا
بدتْ لك أسراري وأخفانِيَ الضّنى
فسرِّيَ منشورٌ وجسمِي قد انطوى
عجبْتُ لسرِّي ضاقَ عن كتمِ سرِّهِ
فكيفَ حوى من فرطِ حبّك ما حوى؟
إلى اللّهِ أشكُو ما أجِنُّ منَ الأسى
إذا لم تُبِحْ لِي أن أبوحَ وأشْكُوَا

أيا موسرًا يلوِي بدْينٍ لمعسرٍ

ألم تدرِ ما قدْ جاء في موسرٍ لوى[1] ؟

ويا مضْرِمًا نارَ الجوى فِي جَوانِحِي

أتحرق رَبْعًا كم أطلْتَ بهِ الثَّوى؟

ألحَّ عذُولِي بالملامِ، ولوْ رأى

حبيبيَ لاستحيى من العذْلِ وارعوى

محَيًا كما أبصرت من قمرِ الدُّجَى

وجيدٌ كما حُدِّثْتُ عن ظَبية اللِّوى[2]

وطرفٌ ضعيفٌ مثلَ حُجَّةِ لائِمِي

على حُبِّهِ، أو مثل صبريَ للنَّوَى

يسدِّد من جفنيه نحويَ أسهمًا

مواقعُهَا منِّي المقاتلُ لا الشَّوَى[3]

يُميتُ بلحظٍ ثمَّ يُحيي برشفةٍ،

ففي طرفهِ داءٌ وفي ثغره دوا

إذا عُدَّ فرسانُ الهوى مثل عُروةٍ

وقيسٍ[4] فإنِّي فيهمُ حاملُ اللِّوا

---

(1) لوى: مطل وتباطأ. جاء في القرآن الكريم: "وأما من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى، وما يغني عنه ماله إذا تردّى" (سورة الليل) وجاء في الحديث: "ليّ الواجد يحلّ عرضه وعقوبته".

(2) ما التوى وانقطع من الرمل.

(3) الشوى: أطراف الجسم، واحدتها شواةٌ.

(4) يعني بعروة عروة بن حزام العذريّ، من بني عذرة، من شعراء القرن الأول للهجرة، اشتهر بحبّه لابنة عمه عفراء بنت عقال وشعره فيها. أما قيس فاسم قد اشتهر به رجلان هما: قيس بن الملوّح، مجنون بني عامر، صاحب ليلى وقيس بن ذريح صاحب لبنى.

ولمْ أنسَ فكرِي ساعة البينِ موقفِي

ومنآدُ أضلاعِي زفيرٌ قد استوى

وعينِي تَدْمَى ثُمَّ تدمعُ تارةً

فتنثر ياقوتًا هناكَ ولُؤْلوَا

تولَّوْا بقلبِي كيفَ بالعيشِ بعدهمْ

وخَلَّوْا فؤادِي مثْلَ ربْعِهِمُ قَوَى[5]

فإنْ كانَ محبوبِي أرادَ منيّتِي

فقد نالَ منِّي بالنّوى فوقَ ما نوى

مواثِيقُهُ مرعيّة جارَ أو رعى

ومثْواهُ فِي طيٍّ الحشَى سارَ أوْ ثَوى

المصدر: مختارات من الشعر لمغربي والأندلسي: ص 138 ـ 140.

21 ـ حنايا زغوان

(الوافر)

تمتّـع مـن بقـايـا للحنايـا ... بأبـدعٍ منظـرٍ تصبـو إليـه

تأمّـل بعـض أرسُمِها البواقـي ... وقـد مـدّ الفنـاء لها يديـه

كسطـرٍ بعـضُ أحرفـه تمحّـى ... وبعـضٌ لاح مضـروبـا عليـه

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 122.

---

(5) قوى: الأصل قواء: قفر الأرض والخلاء: من قويت الدار: خلت.

محمّد بن شبّاط

(681 ـ 618)

أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عمر بن شبّاط المصري التوزري، ولد بقسنطينة في 20 شعبان سنة 618 من أصل توزري، نقله أبوه وهو ابن أربع سنوات الى توزر فنشأ بها وحفظ القرآن ودرس النّحو واللّغة والفقه والأصول على أيدي علمائها خاصة والده. تولّى قضاء توزر وأشرف على إعادة توزيع المياه على غابات الواحات بالجريد. لقب المصري لأن جدّه انتقل إلى مصر واستوطنها وولد بها أبوه علي. من مؤلفاته:

ـ تخميس الشّقراطسيّة وشرحها في كتابه "صلة السمط وسمة المرط". والشقراطسيّة في مدح خير البرية نسبة الى عبد الله بن يحيى الشقراطسي التوزري المتوفى في ربيع الأول سنة 466 والشقراطسيّة تبتدئ هكذا:

الحمد للّه منّا باعث الرسل   هدى بأحمد منّا أحمد السّبل

ـ عجالة الروية في تسميط القصيدة النحوية المسماة بالمنفرجة وهي منسوبة الى العالم التوزري أبي الفضل يوسف بن النحوي (ت 513).

ـ أنيس الفريد في حلية أهل الجريد.

عجالة الروية في تسميط القصيدة النحوية

وهي تخميس لقصيدة ابن النّحوي (ت 513) "المنفرجة" وتسمى أيضا النّحوية نسبة الى قائلها:

(الخبب)

يَا مَنْ يَشْكُو أَلَمَ الحرَجِ وَيَرَى عسْرَ أقرَبِ الفَرَجِ
أبْشِرْ بِشَذَا فرَجٍ أرِجِ اشتدّي أزْمة تَنْفَرِجي
قدْ آذنَ لَيْلُكِ بِالبَلَجِ

وارتَحْ للرّوح فَلاَ حرَج فمراقِي اللّطفِ لها دُرُج
ومَعَانِي الضّيقِ لَهَا فرجُ وظلامُ اللّيْلِ لَهُ سُرُج
حتّى يغْشَاهُ أبُو السُّرُجِ[1]

اليَأْسُ لِذِي البلْوَى خَطَرُ واليَأْسُ مَعَ النّعمى بَطرُ
والقَلْبُ لَهُ أَبَدًا وطَرُ وَسَحَابُ الخَيْرِ لَهَا مَطَرُ
فإذا جاء الإبّان تجِي

وَالغَافِلُ عَنْ هَذَا همَلُ والنَّفْسُ يَمْلِكُهَا الأمَلُ
مَلاَكُ الخَيْرِ هُوَ العَمَلُ وفَوَائِدُ مَوْلاَنَا جُمَلُ
لسُرُوح الأنفسِ والمهجِ[2]

عَمَّ الأكْوان نَدًى وجدَى فعَلَى الآفَاقِ شمُوسُ هُدَى
ورِيَاضُ الجُودِ تصدّ صدى وَلَهَا أرج محْيي أبَدًا
فاقصد مَحْيا ذاك الأرجِ

(1) السرج: يعني بها الكواكب. أبو السرج: الشمس

(2) في الأصل سروج النفس: وفيها روايات، سروح: من سرحت الدابة أي ذهبت لطلب معاش، وشروح: أي لشرح النفس بإذهاب حزنها.

للّه نسيمٌ حيَّ أحيَا ومسيرُ طريقٍ ما أعْيَا

فالزمهُ فربّتما أغْيَا ولربَّتَمَا فاضَ المَحْيَا

ببحورِ الموجِ منَ اللّجَجِ[3]

نوُ العقلِ يقومُ بسيّده ومسدّده ومؤيّده

ومصرّفه ومردّده والخلقُ جميعًا في يَدِهِ

فذوو سعةٍ وذوو حرجِ

ونزاعهمُ ونزوعهمُ وقناعتهمْ وقنوعهمُ

وسلُوّهُمُ وولوعُهُمُ ونزُولهمْ وطلوعُهُمُ

فإلى دركٍ وعلى درجِ

ومَطَالِعُهُمْ ومراقِبُهُمْ وَطَوَالِعُهُمْ وَثَوَاقِبُهُمْ

ومثالِبُهُمْ ومنَاقِبُهمْ وَمَعَائِشُهُمْ وَعَوَاقِبُهُمْ

ليْسَتْ فِي المَشْيِ على عِوَجِ

نفسٌ عدلتْ، نفسٌ ظَلَمَتْ نفسٌ سلِمَتْ، نفسٌ ألمتْ

نفسٌ جَهِلَتْ، نفسٌ علِمَتْ حِكَمٌ نُسِجَتْ بِيَدٍ حكَمَتْ

ثمّ انتسجَتْ بالمنتسِجِ

هذى دخلتْ هذي خرجتْ هذي بقيت هذي درجت

هذي سفلت هذي عرجت فإذا اقتصدت ثمّ انعرجَتْ

فبمقتصِدٍ وبمنعرجِ

---

(3) المحيا: مكان الحياة.

خاضــتْ بحْــرًا فيــهِ لُجَـــجُ صــدّت قومًـــا لهـــا انتهجُـــوا
وهـــدتْ قومًـــا فيهـــا ابتهَجُـوا شهِـــدَتْ بِعَجَائِبِهَـــا حُجَـــج
قامت بالأمرِ على الحِجَجِ[4]

اقــرَعْ بَابَــيْ أمَــلٍ وَرَجَــا واسلــك هــوْلاً واركــبْ لُجَجَــا
فرجـــاءُ اللّــهِ هـــدًى وَنَجَــا ورضًـــا بِقَضَـــاءِ اللّــهِ حِجَى
فعلَى مركُوزَتِهِ فَعُج

احفَــظْ أنفَاسَــكَ الصُّعَـــدَا واحــذَرْ أن تَذْهَــبَ عنــكَ سُــدَى
وانعــمْ باللاّئـــحِ حـــينَ بـــدَا وإذَا انفتحــتْ أبْـــوَاب هـــدَى
فاعْجَلْ لخزَائِنِهَا ولِج

وتـــوخَّ بقــصْــدِكَ آيتَهَـــــا وارفَـــعْ بِالهِمَّـــةِ رَايَتَهَـــــا
وانْهَـــضْ كَـــيْ تُـــدرِكَ غَايَتَهَـــا وإذَا حاولْـــتَ نِهَايَتَهَـــــــا
فاحذَرْ إذَّاكَ منَ العرجِ

واتْــرُكْ أمــرًا يُجنيـــكَ أذَى والْـــزَمْ ذِكْــرًا يُجْدِيـــكَ غــدَا
واهجُـــرْ هَجْـــرًا وهـــوًى وَبَــذَا لِتَكُـــونَ مِـــنَ السُّبَّـــــاقِ إذَا
ما جِئْتَ إلى تلك الفُرَجِ

بُرهـــانُ الحـــقِّ وحُجَّـــتُـــــهُ ولســـانُ الصِّــدْقِ ولهجتُــهُ
وطريـــقُ الرُّشْـــــدِ ونهْجَتُـــــهُ فَهَنــــاءُ العيْـــشِ وبَهْجَتُـــــهُ
فلمبْتَهِجٍ ولمُنْتَهِجِ

---

(4) الحجج: بكسر الحاء أي السنين.

نفس رضيتْ باللّه جَدَتْ شكَرَتْ نعما مهما شكرتْ

وكذلك إن بخلت جحدتْ فَهِج الأعمال إذا ركدَتْ

فَإذَا ما هِجْتَ إذنْ تَهِج

نفسٌ، كثفتْ فزُجاجتُهَا خبُثَتْ بالهجْرِ مُجَاجَتُهَا

وبدَتْ فِى الذَّنْبِ لُجَاجَتُهَا وَمَعَاصِي اللّه سمَاجتُهَا

تزدان لذِي الخلُقِ السَّمِجِ

عرِّجْ عن سَاحِ مساحتها واقْبَضْ راحًا عنْ رَاحَتِهَا

فلتقوى اللّه وراحتِها وَلِطَاعَتِهِ وَصَبَاحَتِهَا

أنوارُ صباحٍ منْبَلِجِ

فادخل فِي منسب منصبها واسْلُكْ فِي مسْلَكِ مَكْسَبِهَا

واسمَكْ فِي مطلعِ مطلبِها مَنْ يخْطِبْ حُورَ الخُلْدِ بِهَا

يظْفرْ بالحُورِ وبالغُنُجِ(5)

يا من بالحسن هوى علقا جَرِّدْ عزما وانفِ العلقا

حورا عِينًا تهوَى علقا فكن المرضيَّ لها بتقى

ترضاهُ غدا وتكونُ نَجِي

بمعاصِي اللّه القلبُ أُذِي وبِطَاعَتِهِ عُوفِي وغُذِي

فيها فِي كلِّ حلاك خذ واتْلُ القُرآنَ بقلْبٍ ذِي

حزَنٍ وَبِصَوْتٍ فيه شجِ

---

(5) الغنج: الدلّ.

فحجـــابُ النَّفْـــسِ وآفتــهـــا عجـــب توليـــه ســـلافتُهـــا
وأمـــانُ الطـــرقِ مخافتُهَـــا وصـــلاَةُ اللّيـــلِ مسافَتُهَـــا

فاذْهَبْ فيهَا بِالفهْمِ وجي

واعْمُـــرْ بِالذّكْـــرِ مَحَانِيَهَـــا واقْطِـــفْ بِالفِكْـــرِ مَجَانِيَهَـــا
والـــزَمْ مَـــا عِشْـــتَ مَغَانِيَهَا وتأمّلْهَـــا ومَعَـــانِـــيَـــهَـــا

تأْتِ الفِرْدَوْسَ وتفتَرِجِ

والهَـــجْ بِلَطَائِـــفِ مِحْجَرِهَـــا وابْهَـــجْ بِطَرَائِـــفِ متْجَرِهَـــا
وبِمَبْرَدِهَـــا ومَهْجَرِهَـــا واشْـــرَبْ تسنِيـــمَ مفجّرهـــا

لا ممتَزِجًا وبِممْتَزِجِ[6]

مَـــا مِـــنْ خَلْقٍ أنْشَاهُ سُدَى كُـــلٌّ بِالأمـــرِ بـــدَا وَغَـــدَا
أعْمَـــى مَـــنْ شَـــا أزلاً وَهَـــدَا مُـــدِحَ العَقْـــلُ الآتِـــيه هُـــدى

وَهَوًى متولٍّ عنه هُجِي

هَـــذَا بَحْـــرٌ وإِفَـــاضَتُـــهُ مـــا غَصَّـــتْ عَنْـــهُ إغاضتُـــهُ
والصَّعْـــبُ تقـــدَّم راضتُـــهُ وَكِتَـــابُ اللَّـــهِ رِيَاضَتُـــهُ

لِعُقُولِ الخَلْقِ بِمُنْدَرِجِ

أسبـــابُ الخَـــوفِ حُداتُهُـــمُ وأولُـــو التّثْبِيـــطِ عداتُهُـــمُ
وَلَـــهُ لا تَـــكْـــسَـــلُ ذاتُـــهُـــمُ وخِيَـــارُ الخَلْـــقِ هُدَاتُهُـــمُ

وسواهم من همج الهمَجِ

---

(6) مفجّرها: بفتح الجيم أي الماء المجرى.
والتسنيم: عين في الجنّة يشرب منها المقرّبون أي هذا الماء من نوعين غير ممتزج وممتزج.
(7) في الأصل: الهرج: والرهج هو الغبار.

جنّب عبداً جهلا غَفَلا   واترك بدرا إمَّا أفلا
وحُزِ الإقدام تَحُزْ نَفَلاَ   فإذا كنت المقدامَ فلا
تجْزَعْ فِي الحرْبِ منَ الرَّهَجِ[7]

وارقبْ برقًا للسّرِّ بدَا   وامْدُدْ لكريمِ الوعدِ يدَا
واعمُرْ أوقاتَكَ مُجْتَهِدَا   وإذا أبْصَرْتَ منارَ هُدَى
فاظهر فردًا فوق الثَّبَجِ[8]

لِلّه جباهٌ قَدْ سَجَدَتْ   فِي جُنحِ اللَّيْلِ مَا هَجَدَتْ
أضْنَاهَا الشَّوقُ وما وجدتْ   وإِذَا اشتَاقَتْ نفْسٌ وَجَدَتْ
أَلَمًا بِالشَّوْقِ المُعْتَلِجِ

أهواءُ النَّفْسِ مماحِكَةٌ   وَرِيَاضُ الأنسِ ملاحكةٌ
وشُمُوسُ الفَضْلِ مُضَاحكَةٌ   وَثَنَايَا الحَسْنَا ضَاحِكَةٌ
وتَمَامُ الضِّحْكِ عَلَى الفَلَجِ[9]

وبُرُوقُ الرَّحْمَةِ قَدْ لَمَعَتْ   وَغُيُوث النِّعمةِ قَدْ همَعَتْ
وَمَعَانِي الحِكْمَةِ قدْ جُمِعَتْ   وَعِيَابُ الأسرارِ قد اجتمعَتْ
بأمَانَتِهَا تَحْتَ الشَّرَجِ[10]

شمِّرْ بطرِيقِكَ لاحِبِهِ   واسلك قصدًا بِمَصَاعِبِهِ
فالقصدُ هُدًى لِمُصَاحبِهِ   وَالرِّفْق يَدُومُ لِصَاحِبِهِ
والخرقُ يَصيرُ إلى الهَرَجِ[11]

---

(8) الثبج: الوسط أو معظم الشيء. يقال: يركبون ثبج هذا البحر أي معظمه وأعلاه.
(9) ماحك: خاصم ولجَّ في الخصومة.
لاحك الشيء بالشيء: ألزقه به، تداخله، تلاحم معه. والفلج في الأسنان: الانفراج.
(10) عياب: ج عيبة: وعاء من جلد تصان فيه الأمتعة كالثياب
والشّرج: في الأصل السرج. والشرج: عرى العياب.
(11) الهرج: بسكون الراء: الفتنة وكثرة الفساد، والهرج: بفتح الراء تحير البصر.
(12) سارية الخلج: سارية بن حصن أو الحصين الديلمي: كان عمر بن الخطاب يخطب بالمدينة فرأى

واقْمَـــعْ شَهَوَاتِـــكَ بِالزّهـــدِ واكحـــلْ أجفانَـــكَ بِالسَّهْـدِ

وَصَـــلِّ الصلواتِ لِمَنْ يَهْدِي صلّـــواتُ اللَّـــهِ عَلَـــى المَهْدِي

الهادي النَّاس إلى النَّهَج

إمـــامِ الخلـــق وخيرتِـــه ووسيلتـــه وذَخِيرَتِـــه

وعَلَـــى خُلْصَـــانِ عَشِيرَتِـــهِ وَأَبـــي بكْـــرٍ فِـــي سيرَتِـــهِ

ولِسَانِ مقَالَتِهِ اللُّهجِ

الشَّاهِـــر سَيْـــفَ صَرَامَتِـــهِ ومُجَهِّـــزِ جَـــيش عَزَامَتِـــهِ

لِمُسَيْلَمَـــةٍ وَيَمَـــامَتِـــهِ وأَبـــي حفْـــصٍ وَكَرَامَتِـــهِ

فِي قصَّةِ سارِيَة الخُلُجِ[12]

قَالِـــي الدُّنْيَـــا ذِي الطُّمْرَيْـــنِ ومُزِيـــلِ الرِّيـــبِ مـــعَ الرَّيْـــنِ

وَمذِيـــقِ الكُفْـــرِ المُرَّيْـــنِ وأبـــى عمـــرو ذي النُّورَيْـــنِ

المستَحْيَى المسْتَحْيِي البَهِجِ

جَـــلاَ عَنْ جَيْـــشِ العُسْـــرِ أذَى وحمـــى عـن عينِ الحـــقّ قَـــذَى

وأخَـــا عيْـــنٍ رَمَقَـــتْ وَقَـــذَا وأبـــي حســـنٍ فِي العلـــمِ إذَا

وَافَى بِسَحَائِبِهِ الخُلُجِ

المصدر: رحلة العبدري: ص 52ـ 59.

العسكر بنهاوند وجعل يصيح: يا سارية الجبل الجبل فصعد سارية وجنده الجبل وقاتلوا الكفار فهزموهم وكتبوا بذلك إلى عمر.

والخلج: قوم من العرب الحقهم عمر بن الخطاب بالحارث بن مالك.

مسيلمة ويمامته: هو مسيلمة بن ثمامة الكذاب متنبئ ولد ونشأ باليمامة في نجد توفي سنة 12 هـ مقتولا على يدي خالد بن الوليد .

الحسن بن معمر

(682 _ 609)

أبو علي الحسن بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي، ولد بطرابلس وتوجّه الى المهديّة وأخذ فيها عن أساتذتها وكانت مركزا تعليميا وأدبيا مزدهرا زاخرا بالعلماء والأدباء. تولّى القضاء بباجة ثم بجاية، وقلّد بتونس منصب العلامة الكبرى بعد أحمد الغسّاني، وكلّف بالاشراف على المكتبة الحفصيّة في عهد المستنصر ثم أقصي عنها وأرجع إليها في عهد الواثق بالله فوجدها تالفة. وكان نديما للمستنصر وامتحن عديد المرّات في حياته وعرف السّجن والتّعذيب ما نجد منه صورا في شعره. توفّي في 2 جمادى الأولى سنة 682.

1 ـ شجـــون

(البسيط)

آهًا نُرَدِّدُ لوْ تشفِي لنَا كربا ... وبالتَّعلاَّتِ نَحْيَا لَوْ قَضتْ أَربَا

وَبِالأَمَانِي يَنَالُ القَلْبُ بُغْيَتَهُ ... وقَدْ تَحقَّقَ مِنْ مُعْتَادِهَا كَذِبَا

يَرْتَاحُ إِنْ لاَحَ بَرْقٌ مِنْ جَهَامَتِهَا ... ومَا تَرَاءَى لَهُ إلاّ وقَدْ ذَهَبَا

يُسَرُّ إن مُدّ يَوْمًا حبْلُ مُنْيَتِهُ ... ومَا تَطَاوَلَ إلاَّ جُذَّ وانْقَضَبَا

إنْ عزّ ما يبْتَغِيهِ فَهْوَ فِي هَرَجٍ ... وَيَخْتَشِي الفَقْدَ إنْ مَا يَبْتَغِي قَرُبَا

وَارَحْمَتَاهُ لِقَلْبِي كَمْ أجَشِّمُهُ ... أمرًا يذِيبُ مِنَ الأَصْلاَدِ مَا صَلُبَا

وكم يعانِي ملمّات بأيْسَرِهَا ... يهوّن المَرْءُ منْ دُنْيَاهُ ما صَعُبَا

وَكَمْ يُلَجْلِجُ فِي أفْكَارِهِ لُجَجًا ... سودًا توَجّج فِي أحشائهِ لهبَا

وكَمْ تهبّ سمومٌ من تنفّسه ... لو استمرّتْ لما هبّت نسيمُ صبَا

أسْتَغْفِرُ اللّهَ لاَ أشْكُو الزّمانَ ولا ... أبدي إذا طرقت أحداثُهُ رَهبَا

ولا أئنُّ لحظٍّ منهُ أعْوَزَنِي ... ولا أُسَرُّ إذَا ماءُ المُنَى انسكَبَا

أنّى يُسَرُّ لَبِيبٌ إن رأى حلُمًا ... وكَيْفَ يَطْرَبُ مَنْ خَمْرِ الفنَا شربَا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 279 ـ 280.

2 ـ تهنئة الخليفة

أنشد وقد أبلّ الخليفة المستنصر من مرضه:

(البسيط)

اللّه أنعم بعد اليأس بالفرج   يا أزمة الدّهر عند الشدّة انفرجي

شُكْرُ الخلائقِ لا يكفي لأيسر ما   كفى وسكّن من هَرْجٍ ومن رهَجِ

أبقى الأنامَ بإبقاء الإمامِ فكمْ   بِصَوْنِهِ صَانَ مِنْ مال ومنْ مُهَجِ

إذا رعى اللّه للإسلام رَاعِيَهُمْ   لمْ نأسَ منْ فَقْدِ ذِي قدْرٍ ولاَ هَمَجِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 278، وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 71.

3 ـ إخوانية

قال عبد اللّه التّجاني:

"وفي مدة لزومه داره للجفوة التي كانت عرضت له قبل نفيه الى المهدية قدم من السفر صديق له ممن تلزمه زيارته فلم يمكنه ذلك فكتب إليه:

(الطويل)

كتبتُ ولولا الحكمُ كنت إليكمُ   من الشّوق في متْنِ الرّياح أطيرُ

وإنّ يسيراً أن أسيرَ مسلِّمًا   عليكمْ على وجهي وذاك يسيرُ

وما فِي صميمِ القلبِ منْ خَالِصِ الوَفَا   فسيّان فيهِ غيبة وحضور

المصدر: رحلة التجاني: ص 277.

4 ـ مداعبة

وقال مخاطبا أبا المجد الصّوفي المهدوي يداعبه لولوعه بتزوّج العجائز وقال البيتين بالاشتراك مع أحد أصحابه:

(الطويل)

أبا المجد كم تُغْرَى بحبّ العجائز وذلك في شرعِ النُّهَى غيرُ جائزِ

كلفتَ بأطلالٍ محا الدّهرُ رسْمَهَا فَأَصْبَحْتَ تبغي الفوز بين المفاوزِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 279.

5 ـ أسف

أنشد مرتجلا مخاطبا صديقا له سجِنَ معه وكان ابن معمّر أطلق سراحه قبله:

(الطويل)

لئنْ سرَّني فَكُّ الإسارِ من الحبسِ لقد ساءني فقدي لما فيه من أنْسِي

ولو أنّني خُيِّرْتُ فيما أرِيدُه لآثرتُ تقديمِي سراحك عن نفسِي

المصدر: رحلة التّجاني: ص 277 وعنوان الأريب: ج 1، ص 71.

6 ـ ذمّ الدنيا

قال متمّما بيتين لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي وهما الأوّلان في ذمّ الدنيا:

(الوافر)

«مَضى زمـن المكـارم والكـرام | سقـاه اللّــهُ من صـوب الغمــام
وكـان البِـرُّ فعـلا دون قـول | فصــار البــرُّ نطقًــا بالكــلام»
وزال النّطـق حتى ليس تَلْقَــى | فتــى يسخــو بمرجـــوع السّــلام
وزاد الأمــر حتّــى ليـس إلاّ | سخــيٌّ بِالأذى أو بالمــــلام

المصدر : رحلة التّجاني: ص 276 وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 71.

7 - أرق

(البسيط)

لولا احورار جفُونٍ أودعتْ سَقَمَا | ما أمطرت سحْبُ أجفاني الدّموع دَمَا
ولا وقفتُ أصيلاَنا بربعكمُ | ولا سقيت رباه من دمي ديَمَا
ولاَ نثَرْتُ عَقِيقَ الدّمعِ فِي طللٍ | منْهُ أُذِيعَ الذي قدْ كَانَ مُكْتَتَما
شَمْلُ السلّوّ شتيتٌ بعد بعدكمُ | وطالما كان قبل اليومِ ملتئمَا
البينُ يقطعُ منهُ كلّ متّصلٍ | والشّوقُ ينثر منه كلّ ما انتظما
والوجد شاد بجسمي ما يُهَدِّمُهُ | آه على ما بنى فيه وما هدمَا
يا منْ يلوم على ما جلّ منْ أَسَفِي | هذا اليسيرُ من الأمرِ الذِي كتمَا
ما خَطَّطَ النَّومُ فِي جَفْنَيَّ رَسْم كرَى | إلاّ محا السّهدُ ما قد خُطّ أو رُسِمَا
أنبيكُمْ أنّنِي منْ يومِ بينكُمُ | مازلتُ للسّهدِ والتّذكارِ ملتزِمَا

أرْتاحُ إنْ هبّ ريحٌ منْ جنابِكُمُ　　　أو لاح برقٌ بذاك الأفقِ وابتَسَمَا

أما ومَنْ قدَّرَ الأشْيَاء مقتدراً　　　وحبِّكُمْ وكفى بالحـبّ لِي قَسَمَا

ما رامَ قلبِي اصطباراً بعدَ بعدِكُمُ　　　ولاَ تأخَّر بِـي مـن وجده قَدَمَا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 277 ـ 278 ، وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 71.

أحمد الكبّبو

(ت 683)

أبو العباس أحمد بن محمّد بن أحمد اللّخمي الكببّو، كان من شعراء الدعيّ ابن أبي عمارة أحمد بن مرزوق المسيلي (تولى الحكم في تونس من سنة 681 الى سنة 683). توفّي أحمد مقتولا إثر هزيمة الدعيّ. يمتاز شعره بغنائية واضحة وبمعان رقيقة ناعمة، وكان يحسن الغناء والضّرب على العود. نوّه به النقّاد القدامى لكنّ المؤرّخين أغفلوه لنصرته للدعيّ.

1 - لست أسلو

(الرمل)

كُلُّ معنًى من معانيه بدا لست أسلو عن هواه أبدا

مُطْلَق الحسن خلا عن مشبَّهٍ وأنا في الحبّ ممّن قُيِّدَا

شهد الكون له أجمعُهُ لا ترى في حبّه من فَنَّدَا

إنّ غَيِّي فِي هواهُ رَشَدِي وضلالي فيه لا شكّ هدى

المصدر: الوافي: ج 7 ، ص 336 ـ 337.

2 - ماذا يريد العذول مِنّي

(مخلّع البسيط)

ماذا يريدُ العذول منّي صمّت عن العاذلين أذني

بمهجَتِي شادن ربيبٌ يَسْبِي البرايا بكلّ فنٍّ

رشا كِناس، قضيبُ آس، رياضُ حسنٍ، هلالُ دجْنِ

قلبي مقيم على هواه إن ضجّ أو لجَّ فِي التجنّي

فحدّثوا بالدّلال عنه وحدّثوا بالخضوع عنّي

المصدر: الوافي: ج 7 ، ص 336 ـ 337.

عبد الحميد بن أبي الدّنيا

(684 ـ 606)

أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بنِ عمران بن أبي الدّنيا الصّدفي الطرابلسي، كان يعتبر رأس العلماء وشيخ الفقهاء. كان له با ع في نظم الشّعر. ولد في منتصف شعبان سنة 606 بطرابلس ثم ارتحل الى المشرق قبل أن يتوجّه الى تونس ويستكمل فيها تعلّمه. تولّى الخطابة بجامع الزّيتونة وقضاء الأنكحة ثم قضاء الجماعة. من مؤلفاته:

ـ العقيدة الدينيّة وشرحها في علم الكلام.

ـ جلاء الالتباس في الردّ على نفاة القياس.

ـ مذكّر الفؤاد في الحضّ على الجهاد.

توفي بتونس في ربيع الأول سنة 684.

1 ـ طرق السلامة

(الكامل)

طُـرقُ السّلاَمَــةِ والفـلاَحِ قنَاعَةٌ ... ولُـــزُومُ بيـتٍ بِالتوحّـشِ مؤنـسِ
يَكْفِيـهِ أُنْسًـا أنْ يكُـونَ أَنِيسَهُ ... آيُ القُـرانِ ونُـورُهُ فِــي الحِنْدِسِ
وإِذَا رَأَتْ عَيْنَــاهُ إِنْسَانًــا أتــى ... فَلْينفـرنَّ نفـورَ ظبْـي المكنَــسِ
ولقلَّمَــا يَنْفَــكُّ صاحِــبُ مقْــوَلٍ ... مــن زَلَّــة أوْ عثْـرَةٍ فِــي المجْلِسِ
تحصَى وتُكْتَبُ والجَهُولُ مغفَّلٌ ... حتَّى يَرَاهَا فِي مَقَامِ المفْلِسِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 273 وعنوان الأريب: ج 1، ص 69.

2 ـ استعطـاف

كتب الى الخليفة الحفصي المستنصر يستعطفه:

(الطويل)

أمـولايَ مازلتـم تُنِيلـون عبدكم ... ضروبا من النّعماء جلّت عن المثْلِ
ولـم يبـق إلا العفوُ وهو أجلُّ ما ... يُنَالُ فأكْمِلْ لِي بِهِ منحةَ الفَضْلِ
فما العيش في الدّنيا بغير رضاكمُ ... بصـافٍ ولا طعـمُ الحياةِ بمحلولِي
وقد كدّر الإعراضُ صفو معيشَتِي ... فأنكـرتُ أحوالِي وأنكرنِـي أهلِـي
ولـي أملٌ يقضِي بغفرانِ زلّتِي ... وبالعفو عن جُرْمِي وبالصّفحِ عن فعلِي
بقيـتَ تزيد المُلْــك عزّا وبهجــةً ... وتحيِي رسومَ الفضْلِ والدِّينِ والعدْلِ
ولا يخطئنِـي منـك عفوٌ ورحمــةٌ ... فإنّهُمَـــا ما أخْطَئَا أحــدًا قبْلِــي
وصلّى إلاه العرشِ بدْءًا وعودةً ... على المصطفى من خلقه خاتمِ الرُّسلِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 273 ـ 274 وعنوان الأريب: ج 1، ص 70 (6 أبيات الأولى فقط).

محمد بن أبي تميم

(ت 684)

أبو عبد اللّه محمد بن أبي تميم المعزّ بن سليمان الحامي، من فحول شعراء تونس. ولد ببجاية ونشأ بها ثم تحوّل الى تونس حيث استقرّ. كان مخلوع العذار في حياته ويذهب مذهب أبي نواس في شعره. كان له ديوان من الشعر قد تلف. قال في المدح والفخر والهجاء والغزل إلى جانب الخمريات.

1 ـ صفاقس

(البسيط)

صفاقس لا صفا عيشٌ لساكنها ولا سقى أرضَها غيثٌ إذا انسكبَا

ناهيك من بلدة من حلّ ساحتها عانى بها العَادِيَيْنِ الرّومَ والعَرَبَا

كم ظلّ في البَرِّ مسلوبًا بضاعته وباتَ فِي البحرِ يشْكو الأسر والعطَبَا

وَلِيتُها فتولّتني الهموم وقد لقيتُ منْ سَفَرِي فِي أرْضِهَا نَصبَا

قد عاين البحرُ قبحًا في جوانبها فَكُلَّمَا همَّ أن يدْنُو لهَا هَرَبَا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 69.

2 ـ مطل

وكتب إلى الأستاذ الأديب أبي الحجّاج البيّاسي في شاعر مدح ممدوحا فلم يصله شيء منه:

(السريع)

ما مذهب الأستاذ في شاعر أهدى إلى ممتدَح مُذْهَبَه

فانقضت الأيَّام في مطله ولم ينل منه بها مطلبه

فهمّ أن يسلبه فخرَها فهل يرى الأستاذ أن يُسْلَبَه

فأفتنا، واكتب بما يقتضي علمك في الآداب أن تكتبه

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 383.

3 ـ رثاء وهجاء

قال يرثي الأديب أبا الطيّب محمد الأريولي ويهجو ناعيه:

(السريع)

مات أبو الطيّب واويلتاه مات النَّدَى والجود والمكرمات

ولو نعوْا قائله قيل قد مات الخنا والفسق والمكر مات

المصدر: الوافي: ج 2، ص 278 ـ 279.

4 ـ نصر

قال عند تغلّب المستنصر سنة 666 على بني رياح ووجّه رؤوس رؤسائها على الرّماح إلى تونس:

(الطويل)

وهام جناةٍ أبْرزُوهَا على القنَا

فثق بنجاة عندها ونجاح

فيَا حسنَ ما قرّت به أعْيُنُ الورى

رؤوسُ رياحٍ في رؤوس رماح

فهــذي دمــاءُ المارقــينَ مباحــةٌ
وهذَا حمــى الإســلام غــيرُ مُبــاح
بمستنصــرٍ يرمِي العِدَى بكتائبٍ
تَعُــمُّ نواحِــي أرضهــم بنُــواح

المصدر: الفارسيّة: ص 130، الأدلّة البيّنة: ص 65.

5 ـ فخر

وله معرّفا بِنَسَبِهِ ومفتخرا بحسبه:

(الخفيف)

أنــا مــن نسْل جعفــر بن فــلاح وَاهِــبِ المــال ناهــب الأرواح
فاتــح الغــرب والشــاَم ومفنــي مُلْــك آل الطّــريــد والسّــفّــاح
مــن عــلا قــدره علــوّ الدّراري وســرى ذكره مسيــر الرّيــاح
ســل قريض ابــن هانــيء فهويُنْـ بِـيك بمــا بُـثّ فيه من أمداح

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 383ـ 384.

6 ـ رمضـان

قال وقد قرب رمضان والنّاس يشترون الصبحيات بسوق الزجاج:

والصبحية نوع من القناديل:

(المتقارب)

بسـوق الزّجـاج جـرت عبرتـي   فولّيـتُ عنـه بقلـبٍ قريـح

لتبديـل كـأسٍ بصبحيّـة   وإبريـق راح بقنديـل ريـح

المصدر: الوافي: ج 2، ص 278 ـ 279.

7 ـ جـارية

قال يصف جارية مملوكة له سوداء جميلة حسناء تدعى العنبر:

(الطويل)

وليليـةٍ، لـولاَ تبسَـمُ ثغرهـا   لما شُكَّ في فضل الظّلام على الصّبح

معنبـرة في اللّون والاسم والشّذا،   غزالية في اللّحظ والجيد والكشح

أُحِبُّ مسائـي لا ضحـايَ لأجلها   وأمْسِي مشوقًا في هواها كما أُضْحي

تملّكْتُهَا رقّـا، وتملِكُنِـي هـوًى   ولكـنّ مملـوكَ الهـوى فـاز بالرّبـح

المصدر: ملء العيبة: ج2، ص 378.

8 ـ حنين

(الطويل)

نأى عن كِناس البان والرّند والسِّدر فَعُوِّضَ منها بالجوانحِ والصّدر

غزال يرُوعُ الأسْدَ حين يروقها يُريها المنايا الحمرَ فِي الحلل الخضر

يميس بعِطفيه، ويرنو بطَرفه، فتُغْنيه عن بيض وتُغنيه عن سمر

ويجني، فتجني العينُ منه وتجتلي محاسنَ لم تُجْمَع لزَهر ولا زُهرِ

فبدْرٌ على غصن، وغصن على نقى، وآس على ورد، وخمر على درّ

لقد عاد فيه عاذلي وهو عاذري وأصبح مثلي فيه صبًا بلا صبـر

فكم بيننا عند الكرى من تزاور وبـذلٍ بلا منع ووصـلٍ بـلا هجر

أحِنُّ إلى اللّيل الذي هو مسعفي بقرب، كما حنّ الحَمام إلى الوكر

على أن حُجب اللّيل ترفع حجبنا فتسدلهـا مـا بيننـا غرّةُ الفجـرِ

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 382 ـ 383.

9 ـ طلب أضحية

وكتب إلى أبي العباس أحمد بن إبراهيم الليّاني وقد قرب عيد الأضحى يعرّض له بالأضحية:

(السريع)

أمسيـــــــتُ لا أملـــك ذا أربـــع وليـس لـي أضحيـةٌ حاضـره

فالحـمـد للّـــه عـلـى رحلتـــي لا فـارس الدنيـا ولا الآخـره

المصدر : ملء العيبة: ج 2 ، ص 383.

10 ـ رقم العذار في التهنئة بالختمة والإعذار

قال يمدح أبا عبد الله محمد بن أبي علي يونس الهنتاتي ويهنّئه بختمة حفيده يونس وإعذاره. وسمّى هذه القصيدة رقم العذار في التهنئة بالختمة والإعذار.

(الخفيف)

أيُّ يوم يفوق حدَّ التَّهاني	لم يقم وصفُه مقامَ العيان
ارْوِ عنّي به حديثًا صحيحًا	عن عياني لا عن فُلٍ وفُلانِ
إن تسلْني به تسائلْ خبيرًا	لو يطيقُ البيانَ عنه لساني
كلّما رام عنه نطقِي بيانًا	أخرستني مهابة في جَنانِي
ما حسبنا أنّ اللّياليَ تسخو	قبلها بالأمان أو بالأماني
قد غفرنا به ذنوبَ اللّيالي	ومحونا به خطوبَ الزّمان
وافتتحنا باب السّعادة بـ	الإعذار فيه وختمةِ القرآن
بعض ما نيل فيه محوُ الخطايا	وامتنان المهيمن المنّان
ولعمري لأنفسُ العمر يومٌ	يظفر المرء فيه بالغفران
لستُ أنسى مهابة أدهشتني	حين عاينت محفل الأعيان
ومقامَ الحفيد يونسَ فيهم	ساحبا ذيله على سحبان:
مرّةً منشدا، وأخرى خطيبا	بلسانٍ أمضى شبا من سنان[1]
والفتى منْ لسانُهُ ساعة الـ	ـقول كأسيافه لدى الميدان
والبليغُ الشّجاع أهدى سبيلا	للمعاني من البليغ الجبان

(1) الشبا: ج شباة ويجمع أيضا على شبوات: قدر ما يقطع به من السيف. أو حدّ كل شيء.

لم يـر النّاس قبله يافعا قد ظَلّ يــزري بالشّيــب والشّـبّـــان

إنْ شـأَوْه سنّـا فلـم يفضلـوه فالعلــى لا تُنَــال بالأسنـــان

فلـو أنّ العلـى بسبـق لجـاءت ليلــةُ القــدر وهــي في شعـبان

أيّ يـوم لـم يلْفِـه مهرجـان جـلّ عـن أن يقـاس بالمهرجان

ألّـف الدهــرُ فيه شمــلَ المعالي بكـــرام تخالفـوا في المعــاني

كـم رأت مقلتـي بـه من زيـاد يأخـذ الكـأس مــن يـد النّعمان

وكـم ابصـــرت واهبـا مطعامـــا جالســا حـول ضــارب مطعـان

وحسيبـا بمجـــده ذا افتتـــان وأديبـــا فـــي علمـه ذا افتنـان

كلّهـــم طلّــق الهمـــوم ثلاثـا هائمــا فــي مثالــثٍ ومثـاني

ما أملنـــا الكـــؤوس إلاّ أمالــت كــلّ عِطــف[2] إمالةَ الأغصانِ

وذهــابَ العقــول قد أشعرتنـا حين تذهيب كأسنــا والبنـــان

كم خليـع سمعـتُ مثلـي ينـادي: أسقيــاني يا عاذلــيّ اسقيــاني

وادعوانـــي لشربهـــا ودعانـــي ولِـدَنِّ المُـدَامِ فلتُدْنيـــانـــــي

مــا أبالـــي إذا هُديــت إليهــا ما يقـــول العـــذول مـــن هذيــان

هــي رَوْحِي، وإن أشأ قلت رُوحِي فلتعيـدا رُوحِـي إلى جثمانــي

فلو أنّي بلغــت أدنــى الأمانــي كان جسمـي من بعض تلك الدّنان

فتُـروّي المُدامُ ظامــي عظامــي ويكـون السـرور حِلْـف مكانــي

يا نهاراً نَهَى نُهَانَـا عن النُّسْـك فِدنّـا فيـه بِدِيـنِ ابـنِ هانــي[3]

---

(2) عطفا الرجل: جانباه، وناحيتا عنقه.

(3) هو أبو نواس.

بيـن ورد ونرجـس لـم يكونـا ... جُمِعـا قبـلُ في جِنَـانٍ لجـانِ

ودليـل السعـود لليونسـي النَّـد ... ب أن حـلّ روضَـهُ ضـدّان:

نرجِـس ما حكـى العيـونَ سـواه ... بدليـل يصـحّ أو برهـان

فبيـاض يحـلّ فـيـه سـواد ... لم تخالـف وصفيهمـا العينـان

ليس كالنّرجِس الذي لا يحاكى ... غيرُ عـين تصـاب باليَرَقَـان[4]

لم نزل نُدْمِنُ التّساقي إلى أن ... حكـت الشّمـسُ أنمـل النّدمـان

وسطا بالنّهـار ليـلٌ فحاكـى ... بازيـا فـي مخالـب الغربـان

فاجتلينـا سَنَـى محيّـا الحميّـا ... وسنَـى نـار شـاركَ ابنَ سنـان

وأزال الظّـلام عنّـا شمـوسٌ ... في ثيـاب يَلُحْـنَ أو فـي أوان

وبشبْه لما شربـت ومـا نادمـت ... يَزْهَـى وَيـزْهَـرُ النَّـيّـران

يا لهـا ليلـة أباحـت قيادي ... للهـوى، إذ سمعـتُ شدو القيـان

بتّ فيهـا أُفرغُ القلبَ من همّ ... بتفـريـغ جـامـيَ المـلآن

وثناني السّرور فيها صريعا ... فاعجبـوا مـن مجـدّل جـذلان

وبعقـلي لعـبن أوتـارُ عـود ... لعبـتْ بينهـا بنـانُ الغوانـي

ثمّ لمّا نعـى لنـا الليلَ نـاع ... مـؤذِنٌ بالصّبـاح قبـل الأذانِ

مفرقاه تتـوّجا تـاج ملـك ... وبأذنيـه مثـلَ قرطـيْ حَصان

وإذا مـا اعتلـى بأعلـى جدار ... قلـتَ كسـرى علا على إيـوان

لست أدري إذا قضى الليل نحبا ... أنحيـب تغريـده أم أغـان

مزّق الأفق مـا كستـه الدّياجـي ... ونضـا عنه ملبـس الرّهبان

وحكـى الليـل والصبـاح غرابـا ... ناشـبا فـي مخالـب العقبـان

(4) اليرقان: مرض يسبب اصفرار الجلد.

فوصلنا غَبوقنا بصَبوح وتركنا لشأنه كلّ شاني

وظفرنا بنيْل ما نتمنّى وأمِنّا طوارق الحدثان

ورتعنا ما بين روْضيْنِ من زَهـ ـرٍ وشِعْر فحبّذا الروضتان

نجتني بالبنان أزهار هذي وأزاهيرَ تلك بالآذان

وإذا هذه ازدهتنا بزهرٍ سحرتْ هذه بسحر البيان

لا عدمنا بنجل يونس مَغْنًى كم جنينا به المنى في أمان

سيدٌ إن تُسَرِّح الطَّرفَ فيه تبصر الحسنَ منه في حسّان

إن يلحْ جُلِّيتْ دياجي اللّيالي أو يفه حُلِّيتْ نحورُ الحسان

قدَمٌ سامتَ السِّماكين حتّى غادرته اعتلى على كيوان

ويدٌ مكّنت من الجود حتّى لم تدع من يد بلا إمكان

ما وصلنا جنابه الرَّحب إلا ورمتنا الخطوبُ بالهِجران

وإذا أمّهُ مقارن فقر قراَ ثَمَّ سورة الفرقان

شتّت المال جامعا كلَّ مجد هل تُنال العلا بلا أثمان؟

وجدير بأن يعيش عزيزا من رمى الجودُ مالَه بالهوان

نكب النّاسُ عن طريق المعالي وجرى نحوها طليقَ العِنان

سل بيمناه مرهفات يراع فهي تُنبيك، أو غرارَ يماني

كم أبانت بهنّ من مشكلات وأبانت به طُلَى الأقران

أسّست مجده الجدودُ فوافى بانيا بعدهم على بنيان

وإذا المرء لم يرث عن جدود مجدَه كان واهيَ الأركان

يا أجلّ الأنام قدرا كفاني مدحةً أن يكون مدحك شاني

ما ثناني لمدح غيرك ثان مذ تيقّنتُ أنّ ما لك ثان

غير أنّي أُجِلُّ قدرك عن شعـ ـر ولو نُظِّمَت لك الشِّعْريان

لا أوفّي حقّا بمجدك عمري ولو أنّي استعرت كلَّ لسان

حسب قلبي وُدٌّ تملّأ منه لك يبقى ويذهب الملوان

قد كفاني بيانه لك صدقي ودليل الكتاب في العنوان

فاحكِ في الرفعة الكواكب واصحبْ عـزّة ما تَصاحَب الفَرقدان

وابق والعزّ في جَنابك باق وأعاديك عرضة للتفاني

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 379 ـ 382.

11 ـ رثاء

قال يرثي بعض الأكابر من قصيدة:

(الخفيف)

كن من الدّهر بعدها في أمانِ هذه منكمُ نصيبُ الزّمان

ألمٌ لا يخاف لقيا سواه وأسًى لا يُرَى له بعدُ ثان

ليس تُصْغِي من بعدها لِيَ أذن في ذراكم لغير سمع التّهاني

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 384.

12 ـ مغنّ قبيح الغناء

أنشد في مغنّ قبيح الغناء:

(الكامل)

غنّى فصحت تألّما لغنائه: يا للرّجال فظنّه استحسانا

فأعاد ما غنّى وقال لِيَ: استمع هذا الثّقيلَ. فقلت: من غنّانا

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 378.

13 ـ بنـــزرت

وقال لمّا حلّ أمير المؤمنين المستنصر بالله الحفصي ببنزرت:

(مجزوء الرجز)

لَمـَّــا حللتـــم باللّــــــوى بـــين ظِـــلال الألـــــويـــه
رأيـــت في بنـــزرت مـــا لـــم أر فـــي إفريقيـــــه
سعْــد السعـــود قَـــادَ للـــ ـبلـــدة سعْــــدَ الأخبيـــــه

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 384.

حازم القرطاجنّي

(684 ـ 608)

أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن بن حازم الأنصاري القرطاجنّي، شيخ البلاغة والأدب في الأندلس ثم في تونس. ولد بقرطاجنّة الأندلس ونشأ فيها وفي مرسية وأخذ العربيّة والفلسفة والمنطق والخطابة والفقه ودرس مصنّفات ابن سينا وابن رشد والفارابي. غادر الأندلس وهو في سنّ الثّلاثين من عمره إلى المدن المغربيّة قبل أن يستقرّ بتونس ويتّصل بملوك بني حفص واختص في مدحهم وتدريس البلاغة والأدب بتونس وتخرّج على يديه عدد كبير من أدباء تونس من تآليفه:

ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء نشر بتونس.

ـ ديوان شعر

ـ كتاب التّجنيس

ـ شد الزنّار على جحفلة الحمار: في الرد على ابن عصفور في النحو.

توفي حازم بتونس في 24 رمضان 284.

1 ـ بلغت في الأعداء كلّ مراد

مما قاله ارتجالا يمدح الخليفة الحفصي أبا عبد الله بن أبي زكرياء ويذكر انتصاره على قبيلة رياح بالشّمال التّونسي:

(الكامل)

بُلِّغْتَ فِي الأعْدَاءِ كُلِّ مُرَاد | وَغَدا لَكَ التَّأْيِيدُ ذَا إسعاد
وَغَدَا الأَعَادِي مِنْ رِيَاحٍ، كُلَّمَا | هَبَّتْ بِنصركُمُ الرِّيَاحُ، كعاد[1]
أَضْحَى سِبَاعٌ لِلسِّبَاعِ فَرِيسَةً | وسطا بِشِبْلِ غالب الآسادِ
وَكَبَتْ بِحَدَّاد وَسَائِرِ صَحْبِه | دُهْمٌ أَتَتْ مِن مَرْبَط الحَدَّاد
أَمْطَيْتَهُمْ غُرَّ الجِيَادِ فَمَا ابْتَغوا | إلاّ امتطاءَ أداهِمَ الأقياد
طَوَّقتهم بِظُبَاك أن لم يشكُروا | ما طُوِّقُوا مِنْ أَنْعُمٍ وأيادِ
فَتْحٌ بِه أبوابُ كلِّ بشارةٍ | فُتِحَتْ بيُمْنِ البِيضِ والأنجاد
إن كان قبلَ العيدِ قدّم يومه | فَلَقَدْ غَدَا مِنْ أَكْرَمِ الأعياد

المصدر: قصائد ومقطّعات: ص 114، وديوان حازم: ص 37 ، والفارسيّة، ص 130.

(1) رياح: قبيلة عربية ضاربة بسهول تونس الشمالية، وعاد: قبيلة بائدة.

2 ـ عيد بجودك

قال يهنّئ الخليفة المستنصر بعيد الأضحى:

(الكامل)

عيدٌ بِجودِك جيدُهُ قد قُلِّدا ... وبيُمن جَدِّكَ يُمْـنـهُ قد أُكِّدا

فَاهْنَأْ بِهِ، وَبِأَلْفِ عِيدٍ بَعْدَهُ ... واسْعَدْ بِلُقْيَاهُ كَمَا بِكَ أسْعِدَا

وابلُغْ مُرَادَكَ فِي الزَّمَانِ وَأَهْلِه، ... واخْلُد وَدُمْ أبدًا دوامًا سَرْمَدا

وَامْدُدْ لَنَا يَدَكَ الكَرِيمَةَ نَسْتَلِمْ ... منها المكارِمِ والعُلا والسُّؤْدَدَا

وَنَرَى الغَوَادِي كَيْفَ يَنْشَأُ مُزنُها ... طَلْقَ الأسِرَّةِ لاَ عَبُوسًا أَرْبَـــدَا

والبَحْرَ كَيْفَ يُنِيلُ ٠أَنْفَسَ دُرِّهِ ... كرمًا، ويقذفُ لؤْلؤًا وَزَبَرْجَدا

بحرٌ إذا لاَقَى العُفَاةَ رَأَيْتَه ... رَهْوًا، وَإِنْ لَقِيَ الأعَادِي أَزْبدَا

وَحَـيًــا إِذَا جَادَ الحَيَا بِقِطَارِهِ ... سَقْيًا رأيْنا القَطْرَ منه عَسْجَدا

مَا العِيدُ فِي التَّخْلِيقِ إلاَّ عَادَةٌ ... لِيَدَيْكَ فِي مَـنْـحِ الأَيَادِي والجدا

أَضْحَى نَدَاكَ لِكُلِّ عِيدٍ قَادِمٍ ... عيدًا مُفِيدًا للسّرور مُجَدَّدا

فَلَوْ أَنَّ ذَا العِيد احتذَى حِذْوَ الوَرَى ... فعلاً، أَهَلَّ إلى سناك وَعَيَّدا

عيدٌ تَشَرَّفَ يومُهُ بل شهرهُ ... بكَ، فاغتدى بين الشُّهُور مُمَجَّدًا

أيامُ تشريق، وإشراق بما ... أَطْلَعْتَ فِيهَا مِنْ سَنَى شَمْسِ الهُدَى

ووقوتُ حجّ قد علت لك حجَّة ... فِيهِ، وَسُلْطَان عَلَى كُلِّ العِدَى

وقدوم عيدٍ عاد بالبُشرى لكُمْ ... وَبِمِثْلِ مَا قَدْ عَادَ مِنْ خَيْرٍ بَدَا

وَسَمَتْهُ نُعْمَاكُم فَسُمِّي مَوْسِمًا   إِنَّ الأسَامِي قَدْ تُبِينُ المَقْصــــدَا
ودعوه عيدًا إذ غدا لك مُنْجــزًا،   فِي النَّصْرِ وَالفَتْحِ المُعَجَّلِ، مَوْعِدًا
حشدَ الصَّنَائِعَ والمُنَى لك، والذي   يَتْلُوهُ يُلْفَى للصنائع أَحْشَدَا
وَبَدَأْتَ فيه وعُدْت بالنُّعمى، وما   زالت هبَاتُكَ باديَاتٍ عُوَّدَا
سَمَتِ العيونُ به لِغُـرَّتِـكَ التي   أضحت لماء البِشْرِ منها وُرَّدا
وَسَمَتْ إلى تقبيل راحتك المنى   فَغَدَتْ لِغَيْثِ الجُودِ مِنْهَا رُوَّدَا
فاستقبلتْ، بابَ القبول مفتَّحاً،   أعمال كُلِّ مقبِّلٍ تلك اليدا
لَثَمُوا يدًا بَيْضَاءَ مِنْكَ كَأَنَّهُمْ   لَثَمُوا بها الحَجَرَ الكريم الأسودا
أَكْرِمْ بها من راحةٍ! إحسانُها   أَضْحَى مرَادًا للعُـفَـاةِ وَمَوْرِدَا
كَمْ مِنْ يَدٍ لِيَدِ الأميرِ مُحَمَّدٍ   عَادَتْ، فكان العَوْدُ منها أحمدا
مَلِكٌ بذكرى مُنجبيهِ، وذكره   يُسْتَفْتَحُ الذكرُ الجميلُ ويُبتدا
بأبيه يحيى المُرتضى، وبه جرَت   للنَّصْرِ أرواح وكانتْ رُكَّدَا
وبِهَدْيِهِ، وَبِهَدْيِ مُنْجِبِهِ الرِّضَى   وُقِدَتْ مَصَابِيح، وَكَانَتْ خُـمَّـدَا
أَبْقَى لَهُ العُمَرَانِ مَجْدًا لَمْ يَزَلْ   بِالبِيضِ وَالسُّمْرِ الطِّوَالِ مُشَيَّدَا
عُمَرُ الذي ابْتَدَأَ الفُتُوحَ بِيُمْنِهِ   وَسَمِيُّهُ عُمَرُ المُتَمِّمُ مَا ابْتَدَا؛
لاَ خَلْقَ مِنْ بَعْدِ النَبِيِّ وَصَحْبِهِ   أَعْلَى يَدًا مِنْهُ، وَلاَ أَسْنَى يَدَا
فَبِهِ اقْتَدَى مِنْ بَعْدِهِمْ كُلُّ امْرِىءٍ   مُسْتَبْصِرٍ، وَمَنْ اقْتَدَى فَقَدْ اهْتَدَى
وَبِهِ رَعَوْا رَوْضَ الأَمَانِي نَاضِراً   سَرَقًا بِأَنْوَاءِ النَّدَى مُسْتَأْسِدا
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَرْتَجِي إِحْسَانَه   مَنْ يَرْتَجِي بِنَبِيِّهِ الحُسْنَى غَدَا
إِنْ قِيلَ: مَنْ لِشَفَاعَةٍ وَمَعِيشَةٍ   أَعْدَدْتَ؟ قَالَ: مُحَمَّدًا وَمُحَمَّدًا
مَلِكٌ غَدَا يُغْنِي الجَمِيعَ بِفَضْلِهِ،   وَإِنْ اجْتَلَتْهُ العَيْنُ شَخْصًا مُفْرَدًا

أَضْحَى النَّدَى طَبْعًا لَهُ وَتَعَوُّدا فَغَدَا فَرِيدًا فِي المَكَارِمِ أَوْحَدَا

وَالفَضْلُ فِي الإِنْسَانِ لَيْسَ بِكَامِلٍ حَتَّى يَكُونَ طَبِيعَةً وَتَعَوُّدا

أَعْطَى فَأَغْنَى سَيْبُهُ مَنْ قَدْ رَجَا، وَسَطا فَأَفْنَى سَيْفُهُ من قَدْ عَدَا

أَرْعَى الأَمَانِي خُضْرَ أَنْدِيَةِ النَّدَى، وَكَسَا الأَعَادِيَ حُمْرَ أَرْدِيةِ الرَّدَى

فَإِذَا سَقَى أَرْوَى الأَمَانِيَ جُودُهُ، وَإِذَا رَمَى غَرَضَ الأَعَادِي أَقْصَدَا

فَيَرُوعُهُمْ بِالخَيْلِ أَيْقَاظًا، وَكَمْ قَدْ رَاعَ مِنْهُمْ بِالخَيَالِ الهُجَّدَا!

وَكَم اسْتَطَارَ قُلُوبَهُمْ بِطَوَائر هُدِيَتْ إِلَى قَلْبِ العَدُوِّ كَمَا هَدَى!

وَخَوَافِقٍ مَنْشُورَةٍ مَنْصُورَةٍ أَعْدَتْ بِطُولِ الخَفْقِ قَلْبَ مَنِ اعْتَدَى،

وَسَوَابِحٍ تَجْرِي، إِذَا تَجْرِي، لَهَا فِي الأُفقِ سَابِحَةُ الكَوَاكِبِ أَسْعـدَا

خَيْلٌ تَخَيَّلُ بُهْمُهَا غُرًّا إِذَا ضَوْءُ الأَسِنَّةِ فَوْقَ أَوْجُهِهَا بَدَا،

وَتَرَى الأَغَرَّ حَقِيقَةً فَتَخَالُهُ بِالصُّبْحِ قُـلِّدَ، وَالأَهِلَّةِ قُيِّدَا

فَإِذَا تَتَلَّعَ أَوْ تَطَلَّعَ غُرَّةً وَصفَ الغَزَالَةَ وَالغَزَالِ الأَغْيَدَا

تَغْشَى الحُرُوبَ بِكُلِّ مُرْتَاحٍ لَهَا نَصَبَ القَوَاضِبَ وَالقَضِيبَ الأَمْلَدَا

مَا زَالَ مِنْ حَزْمٍ وَرَأْيٍ يَكْتَسِي فِي السِّلْمِ وَالحَرْبِ الدِّلَاصِ المُحْصَدَا

فَتَرَاهُ أَكْسَى مِنْ أُحَيْحَةَ فِي الوَغَى، وَأَتَمَّ حَزْمًا من يزِيدَ وَأَزْيَدَا[1]

يَلْقَى الوَغَى جَذِلاً بِهَا مُسْتَأْنِسًا حَيْثُ الأُسُودُ الغُـلْبُ تُـلْـفَـى شُرَّدَا

وَالحَرْبُ قَائِمَةٌ، وَقَدْ خَرَّتْ بِهَا هَامُ العِدَى لِرُكُوعِ سَيْفِكَ سُجَّدَا

أَإِمَامَنَا وَغَمَامَنَا الغَادِي الَّذِي كَمْ رَاحَ فِي طَلَبِ العُفَاةِ وَكَمْ غَدَا

فِي كُلِّ حَالٍ جُودُ كَفِّكَ سَائِلٌ عَنْ سَائِلِيهِ، وَمُجْتَدٍ أَنْ يُجْتَدَى

---

(1) أحيحة بن الجلاح: كان من أغنياء المدينة في الجاهليّة، كانت عنده درع ليس بيثرب مثلها أعطاها لقيس بن زهير.

ويزيد: يزيد بن معاوية، بن أبي سفيان كان اشتهر بالحزم.

أَضْحَتْ بِرِقِّكَ كُلُّ نَفْسٍ حُرَّة ... لَمَّا غَدَتْ أَحْرَارهَا لَكَ أَعْبُدَا

أَطْلَقتَ مَنْطِقَ كُلِّ مَنْ أَنْطَقْتَهُ ... شُكْرًا، فَأَصْبَحَ مُطْلَقًا وَمُقَيَّدا

أَضْحَى بِكُمْ رَوْضُ الأَمَانِي نَاضِرًا، ... وَغَدَا بِكُمْ ظِلُّ الأَمَانِ مُمَدَّدَا

فَمَتَى يَرُمْ إِيقَادَ نِيرَانِ الوَغَى ... عَاصٍ، فَبَأْسُكَ مُخْمِدٌ مَا أَوْقَدَا

وَمَتَى يَرِمْ إِطْفَاءَ أَنْوَار الهُدَى ... بَاغٍ، فَهَدْيُكَ مُوقِدٌ مَا أَخْمَدَا

مَنْ كَانَ مُعْتَلَّ الضَّمِيرِ مَرِيضَهُ ... لم تَأْتِهِ إِلاَّ رِمَاحُكَ عُوَّدَا

كَمْ قَدْ شَفَيْتَ بِبَأْسِهَا وَمَضَائِهَا ... أَدْوَاءَ مَنْ لَمْ يَشْفِهِ مِنْكَ النَّدَى!

عَلِمَتْ بِأَنَّ الحِقْدَ أَمْرَضَهُمْ فَمَا ... عَادَتْ مِنَ الأَعْدَاءِ إِلاَّ الأَكْبُدَا!

قَدْ أُحْمِدَتْ سِيَرُ الأَمِيرِ مُحَمَّدٍ ... عدْلاً، وَحُقَّ لِمِثْلِهَا أَنْ يُحْمَدَا

مَلِكٌ غَدَا بِالمَشْرَفِيَّةِ مُلْكُهُ ... فِي الخَافِقِين مُوَطَّأً وَمُوَطَّدا

كَمْ قَدْ جَلاَ لَيْلَ الخُطُوبِ! وَكَمْ جَلاَ ... نُورَ الخطَابَةِ سَاطِعًا مُتَوَقِّدًا!

كَمْ حِكْمَةٍ جَلَّتْ، جَلَتْهَا لِلنُّهَى ... أَفْكَارُهُ، فَجَلَتْ بِهَا عَنْهَا الصَّدَا!

وَصَحِيفَةٍ قَدْ صُحِّحَتْ بِيَرَاعَةٍ ... قَدْ صُحِّفَتْ، فَشَفَتْ تَبَارِيحَ الصَّدَى!

يَا نَاصِرَ الدِّينِ الَّذِي آرَاؤُهُ ... فِي نُصْرَةِ الإِسْلاَمِ تُورِي أَزْنُدَا

إِنَّ المُؤَيَّد دِينَهُ بِكَ قَدْ قَضَى ... لَكَ أَنْ تَكُونَ مُظَفَّرًا وَمُؤَيَّدًا

وَمُمَكَّنًا مِمَّا أَرَدْتَ مُخَيَّرًا، ... وَمُوَفَّقًا فِيمَا رَأَيْتَ مُسَدَّدًا

وَدُعَاؤُنَا لَكَ أَنْ تَدُومَ مُهَنَّأً ... وَمُبَشَّرًا وَمُنَعَّمًا وَمُخَلَّدًا

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 115 ـ 118 ، والديوان: ص 38 ـ 41.

3 . تهنئة

قال يمدح أبا زكرياء الحفصي ويهنّئه بقدوم ابنه أبي يحيى:

(الكامل)

أزكَى سَلِيلٍ زَارَ أكْرَمَ وَالِدِ ... أكْرِمْ بمَوْرُودٍ عَلَيْهِ ووَارِدِ

قَمَرَانِ فِي أُفُقِ العلاَ، مَا مِنْهُمَا ... عِنْدَ التَّقَارُنِ، غيْرُ نَامٍ زَائِدِ

فَغَدَتْ لِعِزِّهِمَا النُّجُومُ سَوَاجِداً ... فَوْقَ الثَّرَى مَعَ كُلِّ نَجْمٍ سَاجِدِ

لِلَّهِ يَوْمٌ أقْدَمَتْهُ سُعُودُهُ ... نَعِمَ الوَرَى مِنْهُ بِعِيدٍ عَائِدِ

نَاهِيكَ مِنْ يَوْمٍ كَرِيمٍ حَاشِرٍ ... إنْسَ[1] الوَرَى مِنْ كُلِّ أوْبٍ حَاشِدِ

لَوْ أنَّ غَسَّانًا رَأتْهُ أُنْسِيَتْ ... يَوْمَ السَّبَاسِبِ فِي الزَّمَانِ البَائِدِ[1]

وَعُهُودَ جِلَّقَ، إذْ تُحَيِّيهِمْ بِهَا ... وَسْطَ القُصُورِ الحُمْرِ بِيضُ وَلاَئِدِ[2]

عُنِيَ الغَمَامُ بِسُبْلِهِ فَتَرَفَّهَتْ ... مِنْ خُضْرِ أسْمِيَةٍ وَزُرْقِ مَوَارِدِ،

سَارَى وَلِيُّ العَهْدِ عَهْدَ وَلِيِّهِ ... وَغَدَا لَهُ كَالزَّائِرِ المُتَعَاهِدِ

وَكَسَا الأبَاطِحَ وَالرُّبَى مَا زَانَهَا ... مِنْ كُلِّ نَوْرٍ تَوْأمٍ أوْ فَارِدِ

خَافُوا عَلَى لَحْمِ الجِيَادِ تَقَطُّعًا ... مِنْهَا بِزُرْقِ مَوَارِدٍ كَمَبَارِدِ،

وَخَشُوا عَلَى مَا أنْعَلَتْهُ تَوَقُّداً ... مِنْ كُلِّ نَوْرٍ لِلنَّوَاظِرِ وَاقِدِ

---

(1) اشارة الى قول النابغة الذبياني يمدح بني غسان:

رقاق النعال طيب حجزاتهم ... يحيون بالريحان يوم السباسب.

(2) اشارة الى قول النابغة أيضا:

تحييهم بيض الولائد بينهم ... وأكسية الاضريج فوق المشاجب.

عجباً أيُخشى لفحُ مُخضرٍ ند ... أوْ أنْ يؤثّرَ ذائبٌ في جامدِ!

فسرتْ بخُضرِ خمائلٍ، ولقدْ ترى ... قبلَ الحيا الوسميِّ غُبْرَ فدافدِ

ما إنْ يملُّ الرائحُ الغادي لها ... منْ لؤلؤِ الأنداءِ صوْغَ قلائدَ

فكأنّهُمْ في حرِّ كلِّ هجيرةٍ ... يسرُونَ في سحَرٍ بليلٍ باردِ

هلْ ذاكَ إلاّ لاغتناءِ يقتضي ... إسعادَ آمالٍ ونُجحَ مقاصدِ

ببني أبي حفصٍ علا علَمُ الهُدَى ... ورسا بناءُ الملكِ فوقَ قواعدِ

تلكَ الأصولُ الطيّباتُ أريْننا ... ممّنْ نمتْهُ كلُّ فرعٍ ماجدِ

قدْ بانَ طيبُ الأصلِ في طيبِ الجنَى ... طيبُ الفرُوعِ دليلُ طيبِ محاتدِ

أركانُ ملكٍ راسخٍ بُنيانُهُ، ... سامٍ، إلى زُهْرِ الكواكبِ صاعدِ

اللّهُ شيّدَهُ فدامَ، وإنّما ... يَخشى البلى ما اللهُ ليسَ بشائدِ

ليسَ الحياةُ أوْ الحيا لمؤمّلٍ ... إلاّ ندى يحيى بن عبدِ الواحدِ

ملكٌ نداهُ سائلٌ عنْ سائلٍ ... صفِرِ الحقائبِ، قاصدٌ للقاصدِ

فالحلمُ منهُ مُخلفٌ إيعادهُ، ... والجُودُ منهُ مُنجزٌ للواعدِ

ومُؤيَّدٌ تسْري أمامَ جيُوشهِ ... أبداً رياحُ النصْرِ غيْرَ رواكدِ

وطئتْ سنابكُ خيلهِ هامَ العدَى ... منْ قبلِ وطْءِ منازلٍ ومعاهدِ

منْ كلِّ مُجفرةِ الضلُوعِ كأنّما ... تطْوِي على الأعداءِ زفرةَ حاقدِ[3]

أوْ كالمُحلّقةِ الصيُودِ مُطهَّمٍ ... يهْوِي بمُقتنصِ الفوارسِ صائدِ[4]

يمضي فيسبقُ لحظَ ناظرهِ ويرْ ... جع قبْلَ أنْ يرتدَّ طرْفُ الراصدِ

ولَوَ انّهُ مُتجفّلٌ بعقالهِ ... لمْ تُلفِهِ إلاّ عقالَ الشاردِ

---

(3) المجفرة: من الجفرة وهي جوف الصدر أو منحنى الضلوع. وفرس مجفرة: عظيمة الجفرة.

(4) المحلّقة الصيود: العقاب، والصيود: التي تنقض بشدة على الصيد.

حتَّى لَقَدْ نَسِيَ الجَوَادُ اسْمًا لَهُ ... مِنْ طُولِ مَا سَمَّوهُ قَيْدَ أَوَابِدِ
شَأَتِ البَوَارِقِ غَيْرَ جَاهِدَةٍ، وَلَمْ ... يَقْطَعْنَ نَومَ قَطَا الفَلاَةِ الهَابِدِ
سَهِدَتْ مِنْهُمْ كُلُّ جَفْنٍ نَائِمٍ ... لَمَّا أَنَمْتُمْ كُلَّ جَفْنٍ سَاهِدِ
خَصَمَتْ سُيُوفُكَ عَنْكَ كُلَّ مُجَادِلٍ ... أَلْوَى، وَقَدْ أَلْوَت بِكُلِّ مُجَالِدِ
وَتَوَاضَعَتْ شُمُّ المَعَاقِلِ هَيْبَةً ... مِنْ كُلِّ دَانٍ مِنْكَ أَوْ مُتَبَاعِدِ،
وَأَذَلَّ عِزُّ الأَبْلَقِ الفَرْدِ الَّذِي ... أَخَذَ التَّمَرُّدَ عَنْ أَخِيهِ مَارِدِ[5]
وَإِلَيْكَ مِنْهَا رَوْضَةٌ مَطْلُولَةٌ ... تُحْمَى بِهَا أَنْفَاسُ نَفْسِ الحَاسِدِ[6]
فَانْظُرْ بِعَيْنِ رِضَاكَ مِنْهَا أَعْيُنًا ... نَظَرَت إِلَيْكَ بِهَا عُيُونُ مَحَامِدِ
وَانْفَحْ بِجُودِكَ لِلأَمَانِي نَفْحَةً ... حَتَّى أَرَى كَيْفَ اهْتِزَازُ الهَامِدِ
فَيُرَاجِعُ الآمَالَ صِدْقَ رَجَائِهَا ... كَالضَّوْءِ يَعْلَقُ بِالذُّبَالِ الخَامِدِ
وَاهْنَأْ بِمَقْدَمِ مُقْتَدٍ بِكَ فِي العُلاَ ... حِذْوَ الشِّرَاكِ عَلَى مِثَالٍ وَاحِدِ
مَنْ أَنْتَ مُنْجِبُهُ، فَمُضْطَلِعٌ بِمَا ... حَمَّلْتَهُ، مِنْ كُلِّ عِبْءٍ آيِدِ
يُزْهَى حُسَامُ المُلْكِ، إِذْ وُصِلَتْ بِهِ ... مِنْهُ يَدٌ وُصِلَتْ بِأَطْوَلِ سَاعِدِ
وَاسْعَدْ بِزُهْرِ كَوَاكِبٍ أَطْلَعْتَهَا ... يَقْذِفْنَ دُونَكَ كُلَّ غَاوٍ مَارِدِ
وَاخْلُدْ خُلُودَ الشُّهْبِ، وَابْقَ بَقَاءَ مَا ... ذَرَأَتْ هِبَاتُكَ مِنْ ثَنَاءٍ خَالِدِ[7]

المصدر: قصائد ومقطّعات: ص 122 ـ 124، والدّيوان: ص 43 ـ 45.

---

(5) الأبلق الفرد: حصن بتيماء، ومارد: حصن آخر.
(6) منها: يعود الضمير على قصيدة حازم.
(7) ذرأت: أنشأت وخلقت.

4 ـ عيد الفطر

قال يهنّئ المستنصر بالله الحفصي بعيد الفطر:

(الطويل)

أَهَلَّ هِلاَلُ العِيدِ مِنْكَ الَى بَدْرِ ... وَلاَقَاكَ مِنْهُ بِالطَّلاَقَةِ وَالبِشْرِ

هَلِ العِيدُ إلاّ مَوْعِدٌ لَكَ بِالمُنَى ... وَبِاليُمْنِ، وَالإِقْبَالِ، وَالفَتْحِ، وَالنَّصْرِ

ثَلاَثَةُ أَعْيَادٍ تَجمَّعْنَ لِلْوَرَى ... بِوَجْهِكَ، وَالفَتْحِ الَّذِي جَلَّ، وَالفِطْرِ

بِوَجْهِكَ شَهْرُ الفِطْرِ يُهْدِي بَشَائِرًا ... مُؤَرَّجَةَ الأَنْفَاسِ عَاطِرَةَ النَّشْرِ

تَسَابَقُ أَيَّامُ المَسَرَّاتِ نَحْوَكُم ... فَمِنْ سَابِقٍ مِنْهَا، وَمُوفٍ عَلَى الإِثْرِ

وَمِنْهُنَّ يَوْما مَوْسِمٍ وَبِشَارَةٍ ... كَمَا شَاءَت الآمَالُ جَاءَا عَلَى قَدْر

فَهُنِّئْتَ إِقْبَالَ الفُتُوحِ وَلاَ عَدَتْ ... عِدَاكَ الرَّزَايَا مِنْ عَوَانٍ وَمِنْ بِكْر

وَلاَ زِلْتَ تَحْمِي سَاحَةَ الدِّينِ وَالهُدَى ... بِكُلِّ خَمِيسٍ مُسْتَبِيحٍ حِمَى الكُفْرِ

كَتَائِبُ فِيهَا الأَسدُ فِي أجمِ القَنَا ... قَدْ ادَّرَعَتْ بِالسَّابِرِيَّةِ وَالصَّبْرِ[1]

عَلَى مُنْعَلاَتٍ بِالأَهِلَّةِ، قُرِّطَتْ ... بِأَنْجُمِ قَذْفٍ مِنْ شَبَا الذُّبَّلِ السُّمرِ

مَتَى مَا تَرِدْ مَاءً تُرِدْ مَا وَرَاءَهُ، ... وَلَوْ خَيَّمَتْ يَوْمًا عَلَى مَنْشَإِ القِطْرِ

وَيَـغْـنَـيْـنَ عَنْ وِرْدِ المِيَاهِ كَأَنَّهَا ... مِنَ الحلَقِ المَاذِيِّ يَكْرَعْنَ فِي غُدْرِ

فَكَمْ بِهَوَادِيهَا رَمَى ثُغَرَ العِدَى ... إِمَامُ هُدًى، مَازَالَ يَحْمِي حِمَى الثَّغْرِ!

---

(1) السابرية: دروع منسوبة الى سابور

سُلاَلَةُ عَبْدِ الوَاحِدِ الأَوْحَدِ الَّذي أَبُوهُ أَبُو حَفْصٍ، وَنَاهِيكَ مِنْ فَخْرِ!

إِمَامٌ بِجَيْشِ الرُّعْبِ يَغْزُو عُدَاتَهُ، فَلَوْ شَاءَ لاسْتَغْنَى عَنِ الجَحْفَلِ المَجْرِ

وَيَسْرِي إِلَى الأَعْدَاءِ كَالبَرْقِ عَزْمُهُ، إِذَا لَمْ يَكُنْ نَجْمٌ لِهَوْلِ الدُّجَى يَسْرِي

إِذَا بَثَّ فِي أَرْضٍ مَقَانِبَ[2] جَيْشِهِ ثَنَى الوَعْرَ مِثْلَ السَّهْلِ، وَالسَّهْلَ كَالوَعْرِ

وَبِالمُنْشَآتِ البحْرِ كَالبرِّ يَنْثَنِي إِذَا مَا غَزَا وَالبـرُّ بِالجَيْشِ كَالبَحْرِ

تَقَلَّدَ أَمْرَ المُؤْمِنِينَ بِحَقِّهِ فَأَضْحَى مُطَاعَ النَّهْيِ مُمْتَثَلَ الأَمْرِ

حَكَى عُمَرَ الفَارُوقَ هَدْيًا وَسِيرَةً وَفِي دَهْيِهِ الأَعْدَاءَ أَرْبَى عَلَى عَمْرِو[3]

جَرَى مِنْهُ جَرْيَ المَاءِ فِي الغُصْنِ حلمهُ فَلَمْ يُعْزَ حِلْمٌ لابْنِ صَخْرٍ وَلاَ صَخرِ[4]

تَبَارَى يَدَاهُ فِي السَّمَاحِ، فَلِلْمُنَى وَلِلْيُمْنِ يُمْنَاهُ، وَيُسْرَاهُ لِلْيُسْرِ

يُبِيدُ نُفُوسًا، أَوْ يُفِيدُ نَفَائِسًا بِسَيْبٍ لَهُ يَسْرِي، وَسَيْفٍ لَهُ يَفْرِي

غَمَامٌ بِلاَ دَجْنٍ، وَصُبْحٌ بِلاَ دُجًى، وَبَدْرٌ بِلاَ نَقْصٍ، وَبَحْرٌ بِلاَ جَزْرِ

تَلُوحُ عَلَى أَبْنَائِهِ مِنْ صِفَاتِهِ سِمَاتٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ فَاضَ عَلَى البَدْرِ

فَقَدْ شَمَلَتْهُمْ لِلسَّمَاحِ شَمَائِلٌ أَمِيرِيَّةُ الأَعْرَاقِ، حفصيّة النَّجر

فَمِنْ أُنُـفٍ شُمٍّ، وَمِنْ أَوْجُهٍ زُهْرٍ ومِنْ نِـعَـمٍ بيضٍ، ومن شيمٍ غرّ

فَمَا بَالِغٌ أَدْنَى سَمَاحِكَ ذُو نَدًى، ولا بالِغٌ أدنى امتداحك ذو فكر

وَلَـوْ أَنَّـهُ بِالشِّعْرِيَيْـنِ[5] مُـصَرِّعٌ فواتحَ ما يُهدى إليك من الشّعر

وَكَمْ مِنْ يَدٍ بَيْضَاءَ مِنْكَ بَدَتْ لَنَا! فَجَلَّتْ سَوَادَ الخَطْبِ وَالحَادِثِ النُّكْرِ

---

(2) ج مقنب: جماعات من الخيل تجتمع للغارة.

(3) عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص.

(4) معاوية بن أبي سفيان وصخر هو أبو سفيان

(5) الشعريان: كوكبان يطلعان في الجوزاء. واحدتها شِعْرَى.

وَكَمْ حِكْمَةٍ غَرَّاءَ مِنْكَ قَضَتْ لَنَا بِإِبْطَالِ مَا أَبْدَى الْبَيَانُ مِنَ السِّحْرِ!
فَهَلْ آيَتَا مُوسَى الْكَلِيمِ لَدَيْكُمُ بِمَا حُزْتَ مِنْ حُكْمٍ، وَمِنْ نَائِلٍ غَمْرِ
أَصَاخَتْ لِدَاعِي هَدْيِكُمْ أَنْفُسُ الْوَرَى وَأَشْعِرَتِ الإِخْلَاصَ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
قَضَى اللَّهُ إِذْ وَلَّاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ بِتَخْلِيدِ هَذَا الأَمْرِ فِيكُمْ إِلَى الْحَشْرِ
فَقَدْ ضَمِنَتْ تَمْكِينَ مَا اللَّــهُ مُرْتَضٍ مِنَ الدِّينِ بِاسْتِخْلَافِكُمْ عِدَةَ الذِّكْرِ
إِمَامَ الْهُدَى، دُمْ لِلدِّيَانَةِ وَالدُّنَى، وَلَا زِلْتَ مَحْفُوفًا بِأَنْجُمِكَ الزُّهْرِ
وَلَا بَرِحَتْ غُرُّ الْفُتُوحِ بِسَعْدِكُمْ تَوَالَى اتِّسَاقًا مِثْلَ مُنْتَظِمِ الدُّرِّ

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 134 ـ 136 ، والديوان: ص 55 ـ 57.

5 ـ مُنَى النَّفْسِ تُدْنِي مِنْكُمْ

قال يمدح أبا زكرياء يحيى الحفصي:

(الطويل)

مُنَى النَّفْسِ تُدْنِي مِنْكُمُ، وَالنَّوَى تُقْصِي، فَكَمْ ذَا يُطِيعُ الدَّهْرُ فِيكُمْ وَكَمْ يَعْصِي!

يُقَرِّبُ فِي حَالِ التَنَائِي مَزَارَكُمْ، فَيَدْنُو، وَيَنْأَى بِالْخَيَالِ وَبِالشَّخْصِ

فَيَنْقَادُ لِلأحْلاَمِ فِيكُمْ وَلِلمُنَى، وَيَأْبَى عَلَى المُشْتَاقِ فِيكُمْ، وَيَسْتَعْصِي

وَكَمْ رُمْتُ أُحْصِي فِي نَوَاكُمْ فَلَمْ أُطِقْ خُطُوبًا، خَطَايَا الدَّهْرِ فِيهِنَّ لاَ أُحْصِي

وَكُنْتُ تَأَوَّلْتُ النَّوَى أَنَّهَا نَوًى وَهَلْ بَعْدَ نَصِّ العِيسِ أَحْتَاجُ لِلنَّصِّ؟

فَكَمْ حَجَبَتْ مِنْ مُجْتَلَّى يَبْهَرُ الحِجَا، بِبَدْرٍ عَلَى غُصْنٍ، وَغُصْنٍ عَلَى دِعْصِ؟

وَنَاظِرَتِي غَيْدَاء، مُنْتَصة الطُّلَى، تَرِيعُ إِذَا رِيعَتْ، لأغْيَدَ مُنْتَصِ

وَفَرْعٍ يُرِيكَ اللَّيْلَ يَغْشَى نَهَارَهُ، أَوْ الصُّبْحَ يَجْلُوه لَدَى الحَلِّ وَالعَقْصِ

فَمَا أَخْرَسَ القَلْبَ الَّذِي قَدْ أَغَصَّهُ تَمَلُّؤُهُ مِنْ ذَلِكَ المِعْصَمِ الرَّخْصِ!

وَمَا أَفْصَحَ الوُشْحَ الَّتِي تَشْتَكِي النَّوَى عَلَى حَالِ قُرْبٍ مِنْ خُصُورٍ لَهَا خُمْصِ!

كَأَنْ لَمْ تُمَدِّد بَعْدَمَا قَلَّصَتْ بِكُمْ ظِلاَلَ المُنَى ـ أَيْدِي النَّجَائِبِ وَالقُلُصِ[1]

وَلَمْ تَعْدُ بِي عَدْوَ الطِّلاَ، يَمْسَحُ الفَلاَ وَيَمْحَصُ فِي عِرْضِ المُلاَ[2] أَيَّمَا مَحْصِ،

وَلَمْ تَخْتَدِعْ عَيْنَ الرَّقِيبِ وَسَمْعَه بِوَخْدٍ على وخد، ونصٍّ على نصِّ

تَخِفُّ وَتُخْفِي الوَطْءَ عَنْ كُلِّ مَسْمَعٍ فَآثَارُهَا تَخْفَى عَلَى كُلِّ مقتصِّ

---

(1) القلص: ج قلوص: الناقة الفتية.

(2) الملا: ج ملاء: الرماد الحار.

وَكَمْ زُرْتُ رَبَّاتِ الحِجَالِ، وَزُرْنَنِي بِرَأيٍ مُطَاعٍ فِي الهَوَى، وَحِجًى مَعصي!
وَقَصَّتْ، وَلَكِنْ مَا اهْتَدَتْ رُقَبَاؤنَا الـى أَثَرَيْنَـا، بِالقِيَافَـةِ والقـصِّ،
فَيَحْكِي انسيابَ الصِّلِ طِرْفِي اذا سَرَى إِلَيْهَا، وَطَرفِي، إِنْ سَمَا، خِلْسَةَ اللِّصِّ
بِعَزْمِي أَسْتَدْنِي البَعِيدَ، وَإِنَّنِي، لِمَا النَّجْمُ مُسْتَقْصٍ لَهُ، غَيْر مُسْتَقْص
وَزَهَّدَنِي فِي العِيشَةِ الخَفْضِ أَنَّنِي عَلَى رِبْـعِ كُورٍ فِي ذُرَى العِيسِ ذُو حِرْصِ
وَعِفْتُ مِنَ الدُّنْيَا الدَّنَايَا، فَلَمْ أشِرْ بِقَبْض إِلَى مَا عَنَّ مِنْهَا وَلاَ قَبْص[3]
سَأَتْرُكُ فِي الدُّنْيَا ثَنَاءً مُخَلَّدًا إِذَا غَدَت الأَيَّامُ مُخْلَقَةَ القُمْصِ
عَقَائِلُ قَدْ عَزَّتْ عَلَى كُلِّ خَاطِبٍ، وَلَوْ حُلِّيَتْ عِقْدَ الثُّرَيَّا لَدَى النَّصِّ
أَرَادَتْ وَحِيدًا فِي المُلُوكِ، فَلَمْ تَجِدْ كَيحيى بن عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْص
أمِيرٍ لِأَقْدَامِ السُّعودِ تَـقَــدُّم إِلَيْهِ، وَأَقْدَامُ العِدَى عَنْهُ فِي نَكْصِ،
لِخِرْصَانِهِ صِدْقُ الجِلادِ، الَّذِي بِهِ تَظَلُّ الأَعَادِي فِي جِدَالٍ، وَفِي خَرْص[4]
بِحَيْثُ تَرَى زُهْرَ الوُجُوهِ كَأَنَّهَا مِنَ الرَّوْعِ عُلَّتْ بِالعَبِيرِ، أَوِ الحُصِّ[5]
وَبَحْرٍ تَهِيمُ المَكْرُمَاتُ بِهِ، فَمَا لَهَا الدَّهْرَ مِنْ خِلٍّ سِوَاهُ وَلاَ خِلْص
فَمَنْ يَعْدُ شَطَّ الحِلْمِ مِنْهُ مُلَجِّجًا فَأَيْدِي المَنَايَا فِيهِ نَاشِبَةُ الشِّصِّ
نَـأَى وَدَنَا مِنَّا عُلاً وَسَمَاحَةً فَيُدْنِيهِ مِنَّا جُودُهُ، وَالعُلاَ تُقْصِي
لِآلِ أَبِي حَفْصٍ مَآثِرُ لَمْ تَكُن لِتُحْصَى بِطُولِ البَحْث عَنْهَا وَلاَ الفَحْص
وَمَا لَيْسَ يَبْدُو مِنْهُمُ فَوْقَ مَا بَدَا مِنَ الفَضْلِ، إِنْ أَحْصَى فَضَائِلَهُمْ مُحْصٍ
فَلَيْسَ بِمُسْتَقْصٍ لَهَا وَاصِفٌ مَدًى، وَلَوْ أَنَّهُ فِيهَا مَدَى القَوْلِ مُسْتَقْص

---

(3) القبص: وجع يصيب الكبد من أكل التمر على ريق وشرب الماء عليه.

(4) الخرص: الكذب. والخرص: الرمح القصير السنان.

(5) الحص: الزعفران وحب الصنوبر ونحوه.

فَلِلَّه مَا لَمْ يَبْدُ مِنْهَا، وَمَا بَدَا وَلِلْمَجْدِ مَا لَمْ يُحْصَ مِنْهَا. وَمَا أُحْصِي!

بُيُوتُ المَعَالِي بِالعَوَالِي مَشِيدَةٌ لَدَيْهِمْ، وَأُسُّ المَجْدِ مُسْتَحْكَمُ الرَّصِّ

فَتِلْكَ هَوَاهُمْ، لاَ هَوَى البِيضِ كَالدُّمَى وَتِلْكَ بُنَاهُمْ، لاَ بُنَى الشِّيدِ وَالجِصِّ

سَمَوْتُمْ إِلَى العَلْيَا بِطُولِ قَوَادِمٍ، فَمَنْ ذَا يُسَامِيكُمْ بِأَجْنِحَةٍ حُصِّ[6]

تُرَاثُ الهدى. فِيكُمْ، وَمَا لِسِوَاكُمُ مِنَ النَّاسِ فِيهِ مِنْ نَصِيبٍ وَلاَ شِقْصِ[7]

بِمَا حُزْتُم مِنْ هَدْيِ أَفْضَلِ صَاحِبٍ وَأَكْرِمِ مُخْتَصٍّ بِأَكْرَمِ مُخْتَصِّ

أَبِي حَفْصٍ البَحْرِ الخِضَمِّ الَّذِي طَمَا، فَمَدٌّ بِلاَ جَزْرٍ، وَزَادٌ بِلاَ نَقْصِ

بِهِ أَصْبَحَ المَهْدِيُّ قَدْ شُدَّ أَزْرُهُ، كَمَا شُدَّ أَزْرُ المُصْطَفَى بِأَبِي حَفْصِ[8]

وَكَمْ فِئَةٍ ضَلَّتْ، هَدَيْتَ إِلَيْهِمْ هَوَادِيَ خَيْلٍ، ذَلَّلَتْ كُلَّ مُسْتَعْصِ!

وَعَرَّاصَةٍ قَدْ جَادَ فِي عَرَصَاتِهِمْ لَهَا عَارِضٌ وَارِي السَّنَى، دَائِمُ العَرْصِ[9]

وَمُخْتَلِيَاتٍ لِلْجَمَاجِمِ وَالطُّلَى، بِضَرْبٍ مُبِينِ الحِسِّ، مُسْتَأْصِلِ الحِصِّ

تَزِيدُ حَيَاةَ الدِّينِ طُولاً قِصَارُهَا وَتُنْقِصُ أَعْجَازَ العِدَى أَيَّمَا نَقْصِ

كَسَوْتَ جَنَاحَ الجَيْشِ مِنْهُ قَوَادِمًا قَصَصْتَ قُدَامَاهُمْ بِهَا أَيَّمَا قَصِّ

فَأَصْبَحَ مُنْحَطًّا بِهَا كُلُّ كَاسِرٍ مَهِيضَ الخَوَافِي وَالقَوَادِمِ، مُنْحَصِّ

وَأَضْحَتْ عَلَى غَيْرِ العَوَالِي رُؤُوسُهُمْ تُسَاقُ، وَمِنْ مَقْصُودِهِنَّ عَلَى وَقْصِ[10]

فَكَمْ قَدَمٍ مِنْ صَادِقِ القدم مِنْهُم غَدَتْ وَهْيَ فِي دَحْضٍ هُنَاكَ وَفِي دَحْصِ[11]

---

(6) حصّ: مقطوعة

(7) الشقص: من شقص الذبيحة: فصّل أعضاءها معتدلة بين الشركاء.

(8) المهدي بن تومرت صاحب الدعوة الموحدية وأبو حفص عمر بن أبي حفص من أول رجاله.

(9) العرص: عرص البرق: اضطرابه واختلاجه .

(10) وقصت العنق: انكسرت وقص الرجل: اندقت عنقه .

(11) الدحص: دحص المذبوح برجله: فحصه. دحص الرجل: أسرع .

فَمِنْ مُنْسَإٍ مِنْهُمْ لِأَنْكَلِ عِيشَةٍ، وَمِنْ مُعْجَلٍ مِنْهُمْ إِلَى مِيتَةٍ قُعْصِ[12]

بِكُلِّ مُقَادٍ لِلْهُدَى بِغِرَارِهِ وَأَهْلِيهِ، مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ مُقْتَصٍّ

أَسَامَ الرَّدَى رَوْضَ المَنَايَا ذُبَابَهُ وَقَالَ لِصُغْرَى النَّمْلِ: آثَارَهُ قُصِّي

فَكَمْ قَوْنَسٍ قَدْ خُدَّ فِي الخَدِّ بَعْدَهُ! وَكَمْ قَصٌّ، بَعْدَ الفَرْيِ لِلْهَامِ، مِنْ قَصِّ[13]

فَيَحْصِدْنَ مِنْ هَامِ العِدَى كُلَّ قَائِمٍ، وَيَهْدِمْنَ مِنْ بُنْيَانِهَا كُلَّ مُرْتَصّ

وَكَمْ عَامِلٍ أَضْحَى بِنَافِذِ خَرْصِهِ حَصِيدًا وَقَدْ أَعْيَتْ عَلَى الحَزْرِ وَالخَرْصِ!

بِحَيْثُ ظُبَى الأَجْفَانِ رُمْدٌ سَوَافِحٌ دَمًا، وَعُيُونُ السُّمْرِ كَالأَعْيُنِ الرُّمْصِ

وَيَوْمٍ كَيَوْمِ السَّبْتِ لَمْ تَرْجُ بَعْدَهُ عِدَاتُكَ أَوْ يُسْتَوْدَعُوا الرَّمْسَ مِنْ رَمْصِ[14]

فَإِنْ رَفَعُوا آنَافَهُمْ جُدِعَتْ، وَإِنْ أَمَالَ الهَوَى أَعْنَاقَهُمْ فَهْيَ لِلْوَقْصِ

فَرَوَّيْتَ مِنْهُمْ كُلَّ ظَامٍ كُعُوبُهُ إِلَى الدَّمِ، غَرْثَانِ الشَّبَا خَرِصَ الخُرْصِ

بِأَيْدِي أُسُودٍ، فِي مُتُونِ سَوَابِقٍ، سَوَابِحَ فِي آذِيِّ مَاذِيَّةٍ، دُلْصِ[15]

تَدُوسُ وُكُورَ العُفْرِ فِي ظُلَلِ القَنَا فَتُوشِكُ أَنْ تُعْزَى إِلَى العُصْمِ العُقْصِ[16]

جَرَتْ أَنْجُمُ العَاصِي بِنَحْسٍ، لَدُنْ جَرَتْ، عَلَى السَّهْلِ مِنْ أَرْجَائِهِ، وَعَلَى النُّحْصِ[17]

أَطَلَّتْ عَلَيْهِ الخَيْلُ أَهْدَى مِنَ القَطَا فَظَلَّ عَنِ المَنْجَاةِ أَحْيَرَ مِنْ دِرْصِ[18]

وَأَصْبَحَ مِنْ آمَالِ دُنْيَاهُ - إِذْ جَرَى إِلَى أَمَدٍ شَحْطٍ - عَلَى أَمَلٍ شَحْصِ[19]

---

(12) قعص: قعص الرجل: قتله مكانه وأجهز عليه .

(13) القونس: ج قوانس: أعلى الرأس: أعلى بيضة الحديد.

(14) الرمص: الولادة.

(15) الأذى: التيّار، الماذيّة: الدروع، الدلص: الملس .

(16) العصم: الوعول. العقص: التي التوت قرونها الى آذانها.

والعقر: الشجاع، الغليظ الشديد .

(17) النّحص: أصل الجبل أو سفحه .

(18) الدرص: ولد الفارة والهرة والأرنب ونحوها...

(19) شحص: بعيد أو متعب .

فَلَيْسَ بِهَا مَا نَابَهُ الدَّهْرُ نَاسِيًا، وَمَا نَالَهُ مِنْ شِدَّةِ الوَطْءِ وَالوَهْصِ[20]

مَتَى يَفْرِسُ اللَّيْثُ القَنِيصَ وَيَنْفَلِتْ يَرُعْهُ مَتَى مَا يَلْتَفِتْ أَثَرُ الفَرْصِ[21]

حَقِيقَةُ نَصْرٍ أَكْذَبَتْ كُلَّ مُمْتَرٍ وَجَاءَتْهُ بِالأَمْرِ اليَقِينِ مِنَ الفَصِّ

غَدَا صَفَرُ الأَصْفَارِ مُمْتَلِئًا بِهَا بَشَائِرَ قَدْ طَابَتْ لِمُصْغٍ وَمُقْتَصٍّ،

فَلَوْ طَرَقَتْ قُسًّا، وَقَدْ قَامَ خَاطِبًا، لأَصْغَى لَهَا سَمْعًا، وَقَالَ لَهَا: قُصِّي[22]

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْتَاشَ أَنْدَلُسًا بِهَا، وَيَأْخُذَ فِيهَا لِلْهُدَى أَخْذَ مُقْتَصٍّ

فَيُضْحِي بِهَا شَرْقُ الجَزِيرَةِ مَشْرِقًا وَتَطْلَعُ أَنْوَارُ البَشَائِرِ فِي حِمْصِ[23]

أَمِيرَ الهُدَى مَنْ يَدْنُ مِنْكَ فَإِنَّهُ بِقُرْبِكَ مِنْ صَرْفِ الحَوَادِثِ قَدْ أُقْصِي

إِلَيْكُمْ سَرَتْ بِي أَيْنُقٌ خُمُصُ السُّرَى وَجَوْبُ الفَلاَ أَنْضَاءَهَا أَيَّمَا خَمْصِ[24]

قِلاَصٌ كَخِيطَانٍ مِنَ النَّبْعِ لَمْ تَزَلْ لَهَا البِيدُ فِي هَصْرٍ عَنِيفٍ وَفِي رَهْصِ[25]

تَشَكَّى السُّرَى، وَالشُّهْبُ لِلصُّبْحِ تَشْتَكِي سُرَى الغُمْضِ عَنْهَا وَهْيَ كَالأَعْيُنِ الغُمْصِ

إِلَى بَحْرِكَ الطَّامِي عَلَى الوِرْدِ أَوْرَدَتْ مِيَاهًا لَهَا غَوْرٌ عَنِ الرَّشْفِ وَالمَصِّ

بِدَوٍّ تَمَلُّ الرِّيحُ فِيهِ مِنَ السُّرَى وَتَسْأَمُ فِيهِ الرَّاقِصَاتُ مِنَ الرَّقْصِ

مَهِيبٌ كَأَنَّ الطَّيْرَ مُوفِيَةٌ بِهِ عَلَى قَفَصٍ، وَالظَّبْيُ مُشْفٍ عَلَى القَفْصِ

تُجَلِّي دَيَاجِيهِ اللُّصُوصُ بِأَنْصُلٍ حِدَادٍ كَأَنْيَابِ المُجَلِّحَةِ اللُّصِّ[26]

---

(20) وهص الرأس: شدخه، ووهص الحيوان: جبّه وخطاه .

(21) فرص الفرصة: أصابها والفريصة: أوداج العنق .

(22) قس بن ساعدة: توفي نحو 23 هـ أحد فصحاء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية يضرب به المثل في البيان والخطابة.

(23) اشبيلية.

(24) خمص البطن: فرغ وخمر .

(25) ج قلوص: الطويلة القوائم من الإبل والرهص: العصر الشديد.

(26) المجلحة: الجريئة الشديدة في إقدامها، يعني الذئاب.

اللص: ج ألص: صفة من اللصص وهو تقاربهما بين الأضراس.

كَثِيرُ شُخُوصُ الطَّرفِ مِنْ أَيْنُقِي بِهَا   ومنّــي قَلِيل فَوقَ أَظْهُرِهِ شَخْصِي

إِذَا رَقِيَ الحِرْبَاءُ مِنْبَرَ عُودِهِ   لِيَخْطُبَ، وَالجِرْبَاءُ وَقَّادَةُ القُرْصِ[27]

كَأَنَّا إِذَا شِدْنَا بُنًى لِمَقِيلِنَا   قَنَا الخَطِّ قِلْنَا فِي بُيُوت مِنَ الخُصِّ

أَقُولُ وَقَدْ خَبَّتْ بِنَا أَرْحَبِيَّةٌ   عَدَتْ عَنْ وُرُودِ الخُمْسِ تَشْكُو مِنَ الخُمْصِ[28]

وَماءُ رَوَايَاهَا كَمَاءِ عُيُونِهَا،   تَرَافَصَهُ أَيْدِي السُّرَى أَيَّمَا رَفْصِ[29]

وَلَمْ تُـبْـقِ مِنْهُ البِيدُ غَـيْـرَ صُبَابَةٍ،   وَسُؤْرٍ بِأَنْفَاسِ الهَوَاجِرِ مُمْتَصِ[30]

لِمُقْوَرَّةٍ أَجْرِ القِرَى غَيْرِ كَزَّةٍ   وَلَاذَاتِ نَبْوٍ فِي الزِّمَامِ وَلَا قَمْصِ[31]

وَرَدْتِ خَصِيبًا، فَارْتَعِي وَارْتَعِي بِهِ   وَدُونَكِ مِنْ صَرْفِ الحَوَادِثِ فَاقْتَصِي

وَيَا فِكَرِي اعْتَامِي اللآلِيء وَانْتَقِي،   وَفِي لَبَّةِ العَلْيَاءِ أَبْكَارَهَا نُصِّي

فَمَا بِسِوَى كُفْءٍ تَقَرُّ عُيُونُهَا   فَأَكْرِم كُفْءٍ لِلمَعَالِي بِهَا خُصِّي

وَلَا تَبْخَسِي حَقًّا لَهُنَّ، فَإِنَّنِي   أَرَى أَنَّ بَخْسَ الحَقِّ فِيهِنَّ كَالبَخْصِ[32]

قَوَافٍ كَمَحْضِ الوِدِّ يَزْدَادُ رَوْنَقًا   وَحُسْنًا عَلَى اسْتِخْلَاصِهِ وَعَلَى المَحْصِ،

فَلَاحَتْ بِجِيدِ المَجْدِ أَسْنَى قِلَادَةٍ   وَفِي خَاتَمِ العَلْيَاءِ أَبْهَى مِنَ الفَصِّ

فَلَوْ كُنَّ مِمَّا يُحْسِنُ الغِيدُ نَظْمَهُ   لَأَلَتْ بِهَا غُرُّ اللآلِي إِلَى الرُّخْصِ

فَقَالَ لَهَا الإِحْسَانُ: حُولِي وَلِلَّتِي   غَدَتْ وَهْيَ فِي الأَمْدَاحِ ضَرَّتَهَا: غُصِّي

شِفَاء لِمَنْ وَالاكُمُ، وَهْيَ فِي العِدَى   سِقَامٌ مُمِضٌّ القَرْحِ، مُسْتَأْلِمُ القَرْصِ

---

(27) الجرباء: السماء الدنيا .

(28) الأرحبية: ابل منسوبة الى أرحب وهم بطن من همدان والخمس: ورود الابل كل خامس يوم من مرعاها. والخمص: الضمور من الجوع.

(29) الترافص: التناوب.

(30) السؤر: من سأر الشارب في الإناء: أبقى فيه بقية وهو مفرد أسآر: ما يبقى في الإناء من الماء.

(31) المقورة: الضامر من الخيل.

(32) البخص: لحم تحت الجفن الأسفل يظهر عند تحديق الناظر اذا أنكر شيئا أو تعجب منه.

يصَبُّ بِهَا أَهْلُ الفُرَاتِ وَدِجْلَة، وَيَصْبُو إِلَيْهِنَّ الدِّمَشْقِيّ وَالحِمْصِي
حلَى خَاطِرٍ يُضْفِي الثَّنَاءَ لِأَهْلِهِ، وَيُفْصِحُ عَنْ سرٍّ المَعَالِي فَلاَ يُفْصِي
مَتَى أُثِرَ المَعْنَى الشَّرُودُ بِهِ يَكَدْ يُبَادِرُنِي قَبْلَ الإِثَارَةِ بِالقَنصِ
بَقَاؤُكَ لِلإِسْلاَمِ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ، قَدْ جلَّتْ عَنِ الغَمْطِ وَالغَمْصِ
فَلاَ أَقْصَتِ الأَيَّامُ مَا شِئْت قُرْبَهُ، وَلاَ قَرَّبَتْ مَا أَنْتَ مُنْءٍ لَهُ مُقْصِ
فَمَا تَمْطُلُ الدُّنْيَا بِدَيْنٍ مِنَ المُنَى سَعُودُكَ تَسْتَقْضِيهِ مِنْهَا فَتَسْتَقْصِي

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 146 ـ 153 ، وقد علّق المحقّق على هذه القصيدة بقوله:

من بدائع حازم ـ رحمة اللّه عليه ـ يمدح أبا زكرياء يحيى بن أبي حفص، والقصيدة إفريقية عارض بها الشاعر قصيدة الصابوني في الممدوح نفسه وقد أرسلها هذا إليه من الأندلس قبل قدومه افريقية. وطالع قصيدة الصابوني:

شخصت لعزم البين فاخترمتْ شخصي

زيادةُ وجد تنهك الجسم بالنغص

وقد أورد مقدارا منها ابن الأبار في التحفة. وذكر أن لها معارضات كثيرة أثبتها مستوفاة في كتابه "إيماض البرق"..

والقصيدة أيضا في الديوان: ص 64 ـ 67 ولكن 53 بيتا فقط.

6 ـ لم تدر ما أسلاكها

(الكامل)

لَمْ تَدْرِ، إِذْ سَأَلَتْكَ، مَا أَسْلاَكَهَا أَبَكَتْ أَسًى، أَمْ قَطَّعَتْ أَسْلاَكَهَا؟

فَغَدَتْ سَوَالِفُهَا تُحَلَّى لُؤْلُؤًا، مِنْ أَدْمُعٍ، لَمْ تَسْتَطِعْ إِمْسَاكَهَا

فَأَرَتْكَ سَفْحَ الطَّلِّ فِي مَوْلِيَّةٍ، عُنِيَ الحَيَا بِبُرُودِهَا، إِذْ حَاكَهَا

رَيَّا الأَدِيمِ مِنَ النَّعِيمِ، إِذَا مَشَتْ فَوْقَ الحَرِيرِ تَخَالُهُ قَدْ شَاكَهَا

وَتُطِيلُ بَرْحَ صَدَايَ حِينَ تُحِيلُ مَا بَيْنَ البَوَارِقِ وَالحَيَا، مِسْوَاكَهَا

كَمْ بَاتَ يُذْكِرُكَ العُهُودَ خَيَالُهَا، وَيَظُنّ أَنَّ الدَّهْرَ قَدْ أَنْسَاكَهَا!

تَأْبَى اللَّيَالِي أَنْ تُرِيكَ أَوَانِسًا، كَمْ قَدْ أَزَارَكَهَا الكَرَى، وَأَرَاكَهَا!

أَفْلَتْنَ أَشْرَاكِي، غَدَاةَ رَمَيْتُهَا، وَعَلِقْتُ، حِينَ رَمَيْنَنِي، أَشْرَاكَهَا.

تَأْمِيلُهَا أَسْرُ النُّفُوسِ، وَإِنَّ فِي تَأْمِيلِ مَوْلاَنَا الأَمِيرِ، فِكَاكَهَا

مَلِكُ الهُدَى يَحْيَى الَّذِي فَاقَ الحَيَا، بِمَوَاهِبٍ وَالَتْ يَدَاهُ دِرَاكَهَا

صَادَ القُلُوبَ، وَقَادَهَا حُبًّا، وَقَدْ جَعَلَ الهِبَاتِ قُيُودَهَا وَشِبَاكَهَا

مَنْ لِلثُّرَيَّا أَنْ تَكُونَ نِعَالَهُ، مَنْ لِلْهِلاَلِ بِأَنْ يَكُونَ شِرَاكَهَا؟

عَزَمَاتُهُ كَنُجُومِ قَذْفٍ تَرْتَمِي، وَقَدِ اغْتَدَتْ آرَاؤُهُ أَفْلاَكَهَا

فَبِجُودِهِ تَرْجُو العُفَاةُ حَيَاتَهَا، وَبِبَأْسِهِ تَخْشَى العُدَاةُ هَلاَكَهَا

بَزَّ الكَوَاكِبَ، فِي الثَّرَى عَزْمٌ لَهُ أَبَدًا يُبَارِي نَسْرَهَا وَسِمَاكَهَا

وَمُثِيرَةٍ ظُلَمَ العَجَاجِ، مُنِيرَةٍ مِنْ فَوْقِهَا شُهُبُ الظُّبَا أَحْلاَكَهَا

مِنْ كُلِّ مُعْتَادٍ لِغَارَاتِ الضُّحَى، لاَكَتْ نَوَاجِذَهُ الشَّكِيمَ وَلاَكَهَا

وَكَلَتْ لِغَارَاتِ الضُّحَى أَعْرَابَهَا وَلِرَمْيِ أَحْدَاقِ العِدَى أَتْرَاكَهَا

إِنَّ البَرِيَّةَ قَدْ أَرَادَ صَلاَحَهَا رَبٌّ أَرَاهَا مِنْكُمُ أَمْلاَكَهَا

عُلَمَاءَهَا حُلَمَاءَهَا صُلَحَاءَهَا سُمَحَاءَهَا سُجَعَاءَهَا نُسَّاكَهَا

أَدْرَكْتُمُ فِي العِلْمِ كُلَّ حَقِيقَةٍ، شَأَتِ العُقُولَ، وَأَعْجَزَتْ إِدْرَاكَهَا
أَعْطَى الخِلاَفَةَ كُفْأَهَا الأَولَى بِهَا رَبٌّ بِحَقِّكَ فِي الوَرَى أَعْطَاكَهَا
عَلْيَا أَبِيك أَبِي مُحَمَّدٍ الرِّضَى، وَعُلاَ أَبِي حَفْصٍ أَبِيهِ، حَبَاكَهَا
فَلَقَدْ جَمَعْتَ أُمُورَ طَائِفَةِ الهُدَى عَنْ مِثْلِ هَدْيِهِمَا، فَكُنْتَ مِلاَكَهَا
كَمْ مَوْطِنٍ أَضْحَى حُسَامُكَ حَاقِنًا فِيهِ الدِّمَاءَ، بِأَنْ غَدَا سَفَّاكَهَا!
رَاعَتْ نُفُوسَ الشِّرْكِ مِنْكَ عَزَائِمٌ تَرَكَتْكَ أَعْزَلَهَا حِذَارًا شَاكَهَا
قَدْ أَوْطَنَتْ نَارُ الجَحِيمِ نُفُوسَهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَبَوَّأُوا أَدْرَاكَهَا
حَتَّى لَقَدْ كَادَتْ قُلُوبُ الرُّومِ أَنْ تَنْسَى بِذِكْرِكَ - خِيفَةً - إِشْرَاكَهَا
وَبِأَرْضِ أَنْدَلُسٍ عَرَتْهُمْ رَوْعَةٌ فُرِشَتْ جُنُوبُهُم بِهَا أَحْسَاكَهَا
وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ رَوْعَ عُدَاتِهَا، وَأَمَانَ رَوْعَتِهَا، إِذِ اسْتَرْعَاكَهَا
عُصِمَتْ بِأَوْثَقِ عُرْوَةٍ مِنْ أَمْرِكُمْ وَصَلَتْ أَكُفُّهُمْ بِهَا اسْتِمْسَاكَهَا
بِكَ أُحْيِيَتْ آمَالُهُمْ، وَنُفُوسُهُمْ، إِذْ حَاوَلَتْ أَيْدِي العِدَى إِهْلاَكَهَا
فَجَمِيعُهُمْ - مِنْ وَافِدٍ، أَوْ قَاعِدٍ - أَهْدَاكَ مُهْجَتَهُ، بَلِ اسْتَهْدَاكَهَا
سَكَنَتْ بِظِلِّكَ فِي الأَمَانِ نُفُوسُهُمْ، حَيْثُ الأَمَانِي قَدْ أَطَلْنَ حَرَاكَهَا
كَمْ وَافِدٍ مُسْتَبْدِلٍ بِمِهَادِهِ كُورَ المَطِيِّ إِلَيْكُمُ وَوِرَاكَهَا
فَرَعُوا بِشُكْرِكُم الرِّحَالَ كَمَا عَلَتْ وُرْقُ الحَمَامِ السَّاجِعَـاتُ أَرَاكَهَا
إِنْ جَبَّ قَصْدُ ذَرَاكَ ذِرْوَةَ عِرْمِسٍ، فَنَدَاكَ يَضْمَنُ عَاجِـلاً إِنْمَاكَهَا
قَدْ أَوْشَكَتْ تَفِدُ المَغَارِبُ كُلُّهَا وَكَذَا المَشَارِقُ أَوْشَـكَـتْ إِيشَاكَهَا
كَمْ مِدْحَةٍ أَرِجَتْ بِذِكْرِكَ مِسْكَةً، صَيَّرْتُ فِكْرِي فِـهْـرَهَـا وَمَدَاكَهَا
وَإِذَا عَقِيلَةُ مِدْحَةٍ زُفَّتْ إِلَى عَلْيَائِكُمْ وَلِيَ النَّدَى إِمْلاَكَهَا
لاَ زَالَ صُنْعُ اللَّهِ فِي مُسْتَقْبَلٍ يُنْسِيكَ كُلَّ صَنِيعَةٍ أَوْلاَكَهَا
مَا قُلْتَ لِلأَيَّامِ: هَاتِ تَقَاضِيًا عِدَةَ المُنَى إِلاَّ وَقَالَتْ: هَاكَهَا

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 176 - 178 ، والديوان: ص 87 - 88، وقد ولع الشعراء بمعارضتها.

7 ـ حديقة الأزهار وحقيقة الافتخار في مدح النبيّ المختار سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأبرار

قال مصدّرا معلّقة امرئ القيس بأشعار مصرّفا إياها الى معاني المدح النّبوي الشريف:

(الطويل)

لِعَيْنَيْكَ، قُلْ إِنْ زُرْتَ أَفْضَلَ مُرْسَلٍ: "قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ"

وَفِي طَيْبَةٍ فَانْزِلْ، وَلاَ تَغْشَ مَنْزِلاً "بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ"

وَزُرْ رَوْضَةً قَدْ طَالَمَا طَابَ نَشْرُهَا "لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ"

وَأَثْوَابَكَ اخْلَعْ، مُحْرِمًا، وَمُصَدِّقًا "لَدَى السِّتْرِ إِلاَّ لِبْسَةَ الْمُتَفَضِّلِ"

لَدَى كَعْبَةٍ قَدْ فَاضَ دَمْعِي لِبُعْدِهَا "عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِيَ مِحْمَلِي"

فَيَا حَادِيَ الآمَالِ سِرْ بِي، وَلاَ تَقُلْ: "عَقَرْتَ بَعِيرِي ـ يَا امْرُؤَ الْقَيْسِ ـ فَانْزِلِ"

فَقَدْ حَلَفَتْ نَفْسِي بِذَاكَ، وَأَقْسَمَتْ "عَلَيَّ وَآلَتْ حَلْفَةً لَمْ تَحَلَّلِ"

فَقُلْتَ لَهَا: لاَ شَكَّ أَنِّيَ طَائِعٌ، "وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ"

وَكَمْ حَمَلَتْ فِي أَظْهُرِ الْعَزْمِ رَحْلَهَا "فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمَّلِ!"

وَعَاتَبَتِ الْعَجْزَ الَّذِي عَاقَ عَزْمَهَا، "فَقَالَتْ: لَكَ الْوَيْلاَتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي"

نَبِيُّ هُدًى، قَدْ قَالَ لِلْكُفْرِ نُورُهُ: "أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ، أَلاَ انْجَلِ"

تَلاَ سُوَرًا: مَا قَوْلُهَا بِمُعَارِضٍ، "إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلاَ بِمُعَطَّلِ"

لَقَدْ نَزَلَتْ فِي الأَرْضِ مِلَّةُ هَدْيِهِ "نُزُولَ الْيَمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمُحَمَّلِ"

أَتَتْ مَغْرِبًا مِنْ مَشْرِقٍ، وَتَعَرَّضَتْ "تَعَرُّضَ أَثْنَاءَ الْوِشَاحِ الْمُفَصَّلِ"

فَفَازَتْ بِلاَدُ الشَّرْقِ مِنْ زِينَةٍ بِهَا "بِشِقٍّ، وَشِقٌّ عِنْدَنَا لَمْ يُحَوَّلِ"

فَصلَّى عليْهِ اللَّهُ مَا لاحَ بَارِقٌ "كَلَمْعِ اليَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ"

سَرَى بِجُنُودِ اللهِ بَيْنَ تَهَائِمٍ "وَبَيْنَ إِكَامٍ بُعْدَ مَا مُتَأَمَّلِ"

فَكَمْ مَلَكٍ وافَاهُ فِي زِيٍّ مُنْجِدٍ "بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ"

وَكَمْ مِنْ يَمَانٍ رَامِحٍ جَاءَهُ، اكْتَسَى "بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ"

وَمِنْ أَبْطَحِيٍّ، نِيطَ عَنْهُ نِجَادُهُ "بِجِيدِ مُعَمٍّ فِي العَشِيرَةِ مُخْوِلِ"

أَزَلُّوا بِبَدْرٍ عَنْ سُرُوجِهِمِ العِدَى "كَمَا زَلَّتِ الصَّفْرَاءُ بِالمُتَنَزِّلِ"

وَنَادَوا ظُبَاهُمْ: لاَ يَفُتْكِ فَتًى، وَلاَ "كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ"

وَفُضِّي جُمُوعاً، قَدْ غَدَا جَامِعاً لَهُمْ "بِنَا بَطْنُ حِقْفٍ ذِي رُكَامٍ عَقَنْقَلِ"

وَأَحْمَوْا وَطِيساً فِي حُنَيْنٍ، كَأَنَّهُ "إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمْيُهُ - غَلْيُ مِرْجَلِ"

وَنَادَوْا بَنَاتِ النَّبْعِ: بِالنَّصْرِ أَثْمِرِي، "وَلاَ تُبْعِدِينَا مِنْ جَنَاكِ المُعَلَّلِ"

وَمِمَّنْ لَهُ سُدِّدْتِ سَهْمَيْنِ، فَاضْرِبِي "بِسَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ"

فَمَا أَغْنَتِ الأَبْدَانَ دِرْعٌ بِهَا اكْتَسَتْ "تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ"

وَفَرَّ ابْنُ عَوْفٍ مِثْلَمَا فَرَّ خَاضِبٌ "لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ"

وَكَمْ قَالَ: يَا لَيْلَ الوَغَى طُلْتَ، فَانْبَلِجْ "بِصُبْحٍ، وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ"

فَلَيْتَ جَوَادِي لَمْ يَسِرْ بِي إِلَى الوَغَى، "وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِماً غَيْرَ مُرْسَلِ"

وَكَمْ مُرْتَقٍ أَوْطَاسَ مِنْهُمْ بِمُسْرَجٍ، "مَتَى مَا تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلِ"

وَقَرَّطَهُ خُرْصاً، كَمِصْبَاحِ مُسْرِجٍ، "أَهَانَ السَّلِيطَ فِي الذُّبَالِ المُفَتَّلِ"

فَيَرْنُو، لِهَادٍ فَوْقَ هَادِيهِ، طَرْفُهُ، "بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ"

وَيَسْمَعُ مِنْ كَافُورَتَيْنِ بِجَانِبَيْ "أَثِيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ"

تَرَفَّعَ أَنْ يُعْزَى لَهُ شَدُّ شَادِنٍ، "وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ، وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ"

وَلَكِنَّهُ يَمْضِي كَمَا مَرَّ مُزْبِدٌ "يَكُبُّ عَلَى الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ"

وَيَغْشَى العِدَى كَالسَّهْمِ، أَوْ كَالشِّهَابِ، أَوْ "كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ"

وَظَلَّ لِوَالِيهَا وَمَالِكِهَا العِدَى "يَقُولُونَ: لاَ تَهْلِكْ أَسًى، وَتَجَمَّلِ"

جِيَادٌ أَعَادَتْ رَسْمَ رُسْتُمَ دَارِساً، "وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ"

وَرِيعَتْ بِهِ خَيْلُ القَيَاصِرِ، فَاخْتَفَتْ "جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزَيَّلِ"

سَبَتْ عُرُباً مِنْ نِسْوَةِ العَرْبِ تَسْتَبِي "إِذَا مَا اسْبَكَرَّتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَمِجْوَلِ"

وَكَمْ مِنْ سَبَايَا الفُرْسِ وَالصُّفْرِ أَسْهَرَتْ "نَؤُومِ الضُّحَى، لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ"

وَحُزْنَ بُدُوراً مِنْ لَيَالِي شُعُورِهَا، "تَضِلُّ المَدَارِي فِي مُثَنًّى وَمُرْسَلِ"

وَأَبْقَتْ بِأَرْضِ الشَّامِ هَاماً، كَأَنَّهَا، "بِأَرْجَائِهَا القُصْوَى، أَنَابِيشُ عُنْصُلِ"

وَمَا جَفَّ مِنْ حَبِّ القُلُوبِ بِغَوْرِهَا "وَقِيعَانِهَا، كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ"

وَكَمْ جُبْنَ مِنْ غَبْرَاءَ لَمْ يُسْقَ مَتْنُهَا "دِرَاكاً، وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ"

لِخَضْرَاءَ، مَا دَبَّتْ وَلاَ نَبَتَتْ بِهَا "أَسَارِيعُ ظَبْيٍ، أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ"

شَدَا طَيْرُهَا فِي مُثْمِرٍ ذِي أَرُومَةٍ، "وَسَاقٍ كَأُنْبُوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ"

فَشُدَّتْ بِرَوْضٍ، لَيْسَ يَذْبُلُ بَعْدَهَا، "بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّ بِيَذْبُلِ"

وَكَمْ هَجَّرَتْ فِي القَيْظِ، تَحْكِي دَوَارِعاً "عَذَارَى دَوَارٍ فِي المُلاَءِ المُذَيَّلِ"

وَكَمْ أَدْلَجَتْ، وَالقُرُّ يَهْفُو هَزِيزُهُ، "وَيَلْوِي بِأَثْوَابِ العَنِيفِ المُثَقَّلِ"

وَخُضْنَ سُيُولاً، فَضْنَ فِي البِيدِ بَعْدَمَا "أَثَرْنَ غُبَاراً بِالكَدِيدِ المُرَكَّلِ"

وَكَمْ رَكَزُوا رُمْحاً بِدِعْصٍ، كَأَنَّهُ "مِنَ السَّيْلِ وَالأَغْثَاءِ ـ فَلْكَةُ مِغْزَلِ"

فَلَمْ تَبْنِ حِصْناً، خَوْفَ حِصْنِهِمِ العِدَى، "وَلاَ أُطُماً إِلاَّ مَشِيداً بِجَنْدَلِ"

فَهُدَّتْ بِقُضْبٍ شُلْنَ بَعْدَ إِمَالَةٍ "بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ"

وَجَيْشٍ، بِأَقْصَى الأَرْضِ، أَلْقَى جِرَانَهُ　　"وَأردف أعجازًا، وناء بكلكل"

يَدُكُّ الصَّـفَا دَكًّا، وَلَوْ مَرَّ بَعْضُهُ　　"وَأَيْسَرُهُ عَالِي السِّتَارِ فَيَذْبُلِ"

دَعَا النَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ رَايَاتِهِ: اسْحَبِي　　"عَلَى أَثَرَيْنَا ذَيْلَ مِرْط مُرَحَّلِ"

لِوَاءُ مُنِيرِ النَّصْلِ سَامٍ كَأَنَّهُ　　"مَنَارَةُ مُمْسِي رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ"

كَأَنَّ دِمَا الأَعْدَاءِ فِي عَذَبَاتِهِ　　"عُصَارَةُ حِنَّاءٍ بِشَيْبٍ مُـرَجَّـلِ"

صِحَابٌ فَـرَوْا هَامَ العُدَاةِ، وَكَمْ قَرَوْا　　"صَفِيفَ شِوَاء أَوْ قَدِيرٍ مُـعَـجَّـلِ"

وَكَمْ أَكْثَرُوا مَا طَابَ مِنْ لَحْمِ جَفْرَةٍ　　"وَشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْس المُفَتَّلِ"

حَكَى طِيبُ ذِكْرَاهُم، وَمُرُّ كِفَاحِهِم،　　"مَدَاكَ عَرُوسٍ، أَوْ صَلايَـةَ حَنْظَلِ"

لِأَمْدَاحِ خَيْرِ الخَلْقِ قَلْبِيَ قَدْ صَبَا　　"وَلَيْسَ فُؤَادِي عَـنْ هَوَاهَا بِمُنْسَلِ"

فَدَعْ مِنْ لأَيَّـامِ الصَّبَابَةِ قَدْ صَبَا　　"وَلاَ سِيَّمَا يَوْم بِدَارَةِ جُلْجُلِ"

وَأَصْبِح عَنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ مَا سَلاَ،　　"وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ"

وَكُـنْ فِي مَدِيحِ المُصْطَفَى كَمُدَبِّجٍ　　"يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُـوَصَّــلِ"

وَأَمِّلْ بِهِ الأُخْرَى، وَدُنْيَاكَ دَعْ، فَقَدْ　　"تَـمَـتَّـعْتَ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْر مُعَجَّلِ"

وَكُنْ كَمُنِيبٍ لِلْفُؤَادِ، مُؤَنِّبٍ　　"نَصِيح عَلَى تَعْذَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلِ"

يُنَادِي: إِلَهِي، إِنَّ ذَنْبِي قَدْ عَدَا　　"عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي"

فَكُنْ لِي مُجِيرًا مِنْ شَيَاطِينِ شَهْوَةٍ　　"عَلَيَّ حِرَاصٍ لَوْ يُسِـرُّونَ مَقْتَلِي"

وَيُنْشِدُ دُنْيَاهُ، إِذَا مَا تَدَلَّلَتْ:　　"أَفَاطِمُ، مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَدَلُّلِ"

فَإِنْ تَصِـلِي حَبْـلِي بِخَيْرٍ وَصَلْـتُـهُ　　"وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي، فَأَجْمِلِي"

وَأَحْسِنْ بِقَطْعِ الحَبْلِ مِنْكَ وَبَتِّهِ،　　"فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسَلِ"

أَيَا سَامِعِي مَدْح الرَّسُولِ تَنَشَّقُوا　　"نَسِيمَ الصَّـبَـا جَاءَتْ بِرِيَّا القَرَنْفُلِ"

وَرَوْضَةِ حَمْدٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، "غَذَاهَا نَمِيرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ"
وَيَا مَنْ أَبَى الإِصْغَاءَ، مَا أَنْتَ مُنْتَهٍ "وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ العِمَايَةَ تَنْجَلِي"
فَلَوْ مَطْفِلاً أَنْشَدْتُهَا لَفظَهَا ارْعَوَتْ، "فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ"
وَلَوْ سَمِعتهُ عُصْمُ طَوْدٍ أَمَالَهَا، "فَأَنْزَل مِنْهَا العُصْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلِ"

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 178 ـ 184 ، والديوان: ص 179 ـ 184.

8 ـ بشرى بالبيعة

قال من قصيدة يمدح أبا زكرياء الحفصي عندما صارت الخلافة إليه:

(البسيط)

بُشْرَى بِبَيْعَةِ مَوْلاَنَا ابْنِ مَوْلاَنَا، فَكَمْ أَيَادٍ بِهَا الرَّحْمَانُ أَوْلاَنَا!
جَلَّتْ بِهَا عِنْدَنَا نُعْمَى الإِلَهِ، فَمَا أَحَقَّنَا بِمَسَرَّاتٍ وَأَوْلاَنَا
خِلاَفَةُ اللَّهِ صَارَتْ مِنْ إِمَامِ هُدًى إِلَى إِمَامِ هُدًى، بِالعَدْلِ أَحْيَانَا
جَاءَتْ إِلَيْهِ لِمِيقَاتٍ، وَجَاءَ لَهَا، كَمَا لِمِيقَاتِهِ جَاءَ ابْنُ عِمْرَانَا
وَعِنْدَمَا قَدَّرَ الوَقْتُ السَّعِيدُ لَهَا، جَاءَتْ عَلَى قَدَرٍ تَلْقَاهُ لُقْيَانَا
كَمْ قَائِلٍ، قَالَ لَمَّا أَنْ تقلّـدها، قَدْ قَلَّدَ المُلْكَ دَاوُدٌ سُلَيْمَانَا
وَقَدْ أَقَامَ لِرَعْيِ الخَلْقِ خَالِقُهُمْ خَلِيفَةً، قَدْ أَقَامَ العَدْلَ مِيزَانَا
كَأَنَّمَا اللَّهُ قَدْ أَحْيَا خَلِيفَتَهُ لَنَا، بِخَيْرِ إِمَامٍ، قَدْ تَوَلاَّنَا
بِالوَاثِقِ المَلِكِ المُحْيِي خَلِيقَتَهُ يَحْيَى أَبِي زَكَرِيَاءَ ابْنِ مَوْلاَنَا
أَلْقَى لَكَ اللَّهُ مَوْلاَنَا مَقَالِدَهَا لِكَيْ تَقَلَّدَهَا دُرًا وَعِقْيَانَا

فَقُلِّدَتْ عِقْدَ فَخْرٍ، إِذْ غَدَتْ لَكُمُ   تَاجًا يَفُوقُ مِنَ الأَمْلاَكِ تِيجَانَا
وَأَنْجَزَ اللَّهُ وَعْدًا مِنْ خِلاَفَتـهُ   لَهُمْ، كَمَا قَدْ أَتَى فِي الذِّكْرِ إِتْيَانَا
حَبَاكَ رَبُّكَ أَوْصَافًا، حَبَاكَ بِهَا   خِلاَفَةٌ، رَدَّتْ الأَمْلاَكَ عُبْدَانَا
عِلْمًا، وَعَدْلاً، وَبَأْسًا فِي العِدَى، وَنَدَى   سَحًّا، وَصَفْحًا عَنِ الجَانِي، وَغُفْرَانَا
وَمَنْصِبًا عُمَرِيًّا(1) . قَدْ سَمَتْ شَرَفًا   بِهِ عَدِيٌّ إِلَى عَلْيَاءِ عَدْنَانَا
لَمَّا جَمَعْتَ الشُّرُوطَ المُوجِبَاتِ لَهَا،   جَاءَتْ تَحِنُّ إِلَى عَلْيَاك تحْنَانَا
وَأَصْبَحَتْ، وَهْيَ حَقٌّ لِلْأَحَقِّ بِهَا،   تَعْلُو بِهِ مِثْلَمَا يَعْلُو بِهَا شَانَا
سَمَتْ بِعَلْيَاهُ، وَازْدَانَتْ بِهِ شَرَفًا،   كَمَا تَسَامَى بِهَا فِي الدَّهْرِ وَازْدَانَا
أَحْرَزْتَـهَا عَنْ أَبٍ هَادٍ رِضًى فَأَبٍ   ذُخْرًا يَدُومُ عَلَى الدُّنْيَا وَقُنْيَانَا
فَقَدْ أَخَذْتَ صَحِيحَ المُلْكِ مِنْ سَنَدٍ   عَالٍ، وَأَحْـكَـمْـتَـهُ ضَبْطًا وَإِتْقَانَا
مُقَـدِّمَـاتٌ بِإِنْتَاجٍ لِمُلْكِكُمُ   قَضَتْ، وَأَعْطَتْ بِهِ عِلْمًا وَإِيقَانًا
وَمُنْتِجَاتُ قَضَايَا بِالخِلاَفَةِ قَدْ   قَضَتْ لَكُمْ، وَغَدَتْ فِي الصِّدْقِ بُرْهَانَا
وَحِينَ أَضْحَتْ لَكُمْ بِالحَقِّ وَاجِبَةً   لَمْ تُلْفِ فِيهَا مُلُوكُ الأَرْضِ إِمْكَانَا
هَذَا هُوَ الحَقُّ، وَالبُرْهَانُ يَعْضُدُهُ   وَإِنَّمَا يُنْكِرُ البُرْهَانَ مَـنْ مَانَا
شَادَتْ عُلاَكَ مِنْ الأَمْلاَكِ أَرْبَعَةٌ   أَئِمَّةٌ، أَصْبَحُوا لِلْهَدْيِ أَرْكَانَا
شَادَ الإِمَامُ أَبُو حَفْصٍ لِمُلْكِكُمْ   بَيْتًا، وَأَعْلَى لَهُ سَمْكًا وَحِيطَانًا
وَمَا حَكَى بَيْتُ مُلْكٍ بَيْتَ مُلْكِ أَبِي   مُحَمَّدٍ نَجْلِهِ الهَادِي، وَلاَ دَانى
وَشَادَ مِنْ بَعْدِهِ الهَادِي الأَمِيرُ لَكُمْ   رِوَاقَ مُلْكٍ عَلَى الدُّنْيَا وَإِيوَانَا

---

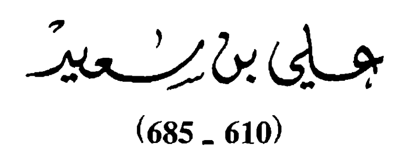
(1) نسبة الى عمر بن الخطاب لعدله ورجاحة رأيه أو الى أبي حفص جد آل الحفصيين الذي تنسب إليه الدولة الحفصية، وكان صاحب ابن تومرت مؤسس الحركة الموحدية.

وَبَعْدَهُ شَادَ مَوْلاَنَا الإِمَامُ لَكُمْ مُـلْـكًـا، يُسَامِي مِنَ الخَضْرَاءِ أَعْنَانا

وَشَادَ سَعْدُكَ، مَوْلاَنَا وَسَيِّدَنَا، مُـلْـكًـا يَفُوقُ دَرَارِيًّا وَشُهْبَانا

وَاللَّـهَ أَسْأَلُ أَنْ يَزْدَادَ مُلْكُكُمُ تَعَالِيًا، وَيَطُولُ الزُّهْرَ بُنْيَانا

المصدر: قصائد ومقطعات: ص 212 ـ 213 والديوان: ص 212 ـ 214.



(685 ـ 610)

نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد الغرناطي التونسي. ولد بغرناطة في شوال 610 في قلعة يحصب ونشأ بها ثم ارتحل عنها الى الشّام ثم جاء الى تونس وأقام فيها فترات طويلة من 652 الى 655 ومن675 الى سنة وفاته 685 . كان ولي منصب المظالم بتونس وكان مرتبطا ارتباطا وثيقا بعدد من شعراء تونس أمثال محمد بن أبي الحسن قريبه وأحمد الغسّاني وأحمد اللّياني.

من مؤلفاته المطبوعة:

ـ القدح المعلّى في التاريخ المحلّى .

ـ المغرب في حلى المغرب .

- رايات المبرّزين وغايات المميّزين.

- الغصون اليانعة في أدباء المائة السابعة .

- المقتطف من أزاهر الطرف .

1 ـ نثار الجُـــلنـــار

قال ابن سعيد في الوصف من مقدمة إحدى مدائحه لأبي زكرياء يحيى الحفصي:

(الكامل)

الأُفْقُ طلقٌ والنّسيم رُخاءُ والرّوض وشّـتْ بردَه الأنواءُ

والنّهر قد مالت عليه غصونُه فكأنّما هو مقلةٌ وطفاء[1]

ويـدا نـثارُ الجـلّـنار[2] بصفحه فكأنّما هو حيّةٌ رقطاء

والشمس قد رقمت طرازا فوقه فكانّما هي حُلّةٌ زرقاء

فأدِرْ كؤوسَك كي تتمَّ لك المنى واسمع إلى ما قالت الورقاء[3]

تدعوك حيّ على الصَّبوح فلا تنم فعلى المنام لدى الصّباح عفاء

المصدر: نفح الطّيب: ج 2 ، ص 263 وابن سعيد المغربي: ص 158.

2 ـ خيلاء الخيل

وقال من قصيدة يصف خيلاً ضوامر مختلفة الألوان:

(الكامل)

---

(1) المقلة الوطفاء: العين الكثيرة شعر الحواجب.

(2) الجلنار: زهر الرمان

(3) الورقاء: الحمامة. أو الحمامة الضارب لونها إلى الخضرة.

ولكم سرينا في متون ضوامر[1] تَثْنِي أعنّتها من الخيلاء
من أدهمٍ كالليل حُجِّل بالضّحى فتشقّ غرتهُ عن ابن ذكاء[2]
أو أشهبٍ يحكي غدائر أشيب خلعت عليه الشهبُ فضلَ رداء[3]
أو أشقرٍ قد نمّقته بشعلة كالمزج ثار بصفحة الصهباء[4]
أو أصفرٍ قد زيّنته غرةٌ حتى بَدَا كالشّمعة الصّفراء
طارت ولكن لا يُهاضُ جناحُهَا هبّت ولكن لم تكن بِـرُخَـاءِ[5]

المصدر: ابن سعيد المغربي: ص 158 ـ 159.

3 ـ رثاء الوزير أبي العلاء إدريس

قال يرثي أبا العلاء ادريس بن علي وزير أبي زكرياء الحفصي:

(الطويل)

بَكَتْ لَكَ حَتَّى الهَاطِلاَتُ السَّوَاكِبُ وَشَقَّتْ جُيُوبًا فِيكَ حَتَّى السَّحَائِبُ
فَكَيْفَ بِمَنْ دَافَعْـتَ عَنْهُ وَمَنْ بِهِ أَحَاطَتْ ـ وَقَدْ بُوعِدْتَ عَنْهُ ـ المَصَائِبُ
أَلاَ فَانْظُرُوا دَمْعِي فَأَكْثَرُهُ دَمٌ وَلاَ تَذْهَبُوا عَنِّي فَإِنِّي ذَاهِبُ
وَقُولُوا لِمَنْ قَدْ ظَلَّ يَنْدُبُ بَعْدَهُ وَفَاؤُكَ لَوْ قَامَتْ عَلَيْكَ النَّوَادِبُ

---

(1) الخيل الضوامر: جمع ضامر وهو الحصان النحيل الخفيف. والأعنّة جمع عنان وهو لجام الفرس، والخيلاء: العجب والتيه.

(2) الفرس المحجل: الذي في قوائمه بياض. والغرة، بياض في جبهة الفرس يقال: فرس أغر. وابن ذكاء: كناية عن القمر. لأن ذكاء هي الشمس، ابنها هو القمر.

(3) الأشهب: الذي يتخلل بياضه سواد. والغدائر: جمع غديرة، وهو المضفور من شعر النّساء.

(4) الأشقر: ذو اللون الجامع بين الحمرة والصفرة. والاسم منه الشقرة. الصهباء: الخمر.

(5) يهاض جناحها: أي يكسر جناحها. والريح الرخاء: الليّنة الهادئة.

لَعَمْرُكَ مَا فِي الأَرْضِ وَافٍ بِذِمَّةٍ أَيَصْمُتُ إِدْرِيسُ وَمِثْلِي يُخَاطِبُ
دَعَوْتُكَ يَا مَنْ لاَ أَقُومُ بِشُكْرِهِ فَهَلْ أَنْتَ لِي بَعْدَ الدُّعَاءِ مُجَاوِبُ
أَيَا سَيِّدًا قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ تُرَابٌ حَوَتْ ذِكْرَاكَ مِنْهُ التَّرَائِبُ(1)
لِمَنْ أَشْتَكِي إِنْ جَارَ بَعْدَكَ ظَالِمٌ عَلَيَّ وَإِنْ نَابَتْ جَنَابِي النَّوَائِبُ
لِمَنْ أَرْتَجِي عِنْدَ الأَمِيرِ بِمَنْطِقٍ تَحُفُّ بِهِ حَوْلِي الْمُنَى وَالْمَوَاهِبُ

وهي طويلة، ومنها قبيل الختم:

وَقَدْ كُنْتُ أَخْتَارُ التَّرَحُّلَ قَبْلَ أَنْ يُصِيبكَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَّةِ صَائِبُ
وَلَكِنْ قَضَاءُ اللَّهِ مَنْ ذَا يَرُدُّهُ فَصَبْرًا فَقَدْ يَرْضَى الزَّمَانُ الْمُغَاضِبُ

ومنها، وهو آخرها:

وَإِنِّي لَأَدْرِي أَنَّ فِي الصَّبْرِ رَاحَةً إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ عَلَيَّ مَثَالِبُ
وَإِنْ لَمْ يَؤُبْ مَنْ كُنْتُ أَرْجُو انْتِصَارَهُ عَلَيْكَ فَلُطْفُ اللَّهِ نَحْوِي آيبُ

المصدر: نفح الطيب: ج 2، ص 280 ـ 281.

(1) الترائب: ج تريبة وهي واحدة عظام الصدر والمعنى أنّ ذكراك قد احتوتها الصدور وان كنت مودعا في التّراب.

4 ـ حنين إلى الأندلس

قال ابن سعيد: لما قدمت مصر والقاهرة أدركتني فيهما وحشة وأثار لي تذكّر ما كنت أعهد بجزيرة الأندلس من المواضع المبهجة التي قطعت بها العيش غضًا خصيبًا، وصحبت بها الزّمان غلامًا ولبست الشّباب قشيبًا، فقلت:

(الرمل)

هَذِهِ مِصْرُ فَأَيْنَ المَغْرِبُ؟ مُذْ نَأَى عَنِّي دُمُوعِي تُسْكَبُ

فَارَقَتْهُ النَّفْسُ جَهْلاً إِنَّمَا يُعْرَفُ الشَّيْءُ إِذَا مَا يَذْهَبُ

أَيْنَ حِمْصُ؟ أَيْنَ أَيَّامِي بِهَا؟ بَعْدَهَا لَمْ أَلْقَ شَيْئًا يُعْجِبُ

كَمْ تَقَضَّى لِي بِهَا مِنْ لَذَّةٍ حَيْثُ لِلنَّهْرِ خَرِيرٌ مُطْرِبُ

وَحَمَامُ الأَيْكِ تَشْدُو حَولَنَا وَالمَثَانِي فِي ذُرَاهَا تَصْخَبُ

أَيُّ عَيْشٍ قَدْ قَطَعْنَاهُ بِهَا ذِكْرُهُ مِنْ كُلِّ نُعْمَى أَطْيَبُ

وَلَكَمْ بِالمَرْجِ لِي مِنْ لَذَّةٍ بَعْدَهَا مَا العَيْشُ عِنْدِي يَعْذُبُ

وَالنَّوَاعِيرُ الَّتِي تِذْكَارِهَا بِالنَّوَى عَنْ مُهْجَتِي لاَ تُسْلَبُ

وَلَكَمْ فِي شَنْتَبُوسٍ مِنْ مُنًى قَدْ قَضَيْنَاهُ وَلاَ مَنْ يَعْتِبُ

حَيْثُ هَاتِيكَ الشَّرَاجِيبُ الَّتِي كَمْ بِهَا مِنْ حُسْنِ بَدْرٍ مُغْضَبُ

وَغِنَاءٌ كُلُّ ذِي فَقْرٍ لَهُ سَامِعٌ غَصْبًا وَلاَ مَنْ يَغْصِبُ

بَلْدَةٌ طَابَتْ وَرَبٌّ غَافِرٌ لَيْتَنِي مَا زِلْتُ فِيهَا أُذْنِبُ

أَيْنَ حُسْنُ النِّيلِ مِنْ نَهْرٍ بِهَا كُلُّ نَغْمَاتٍ لَدَيْهِ تُطْرِبُ

كَمْ بِهِ مِنْ زَوْرَقٍ قَدْ حَلَّهُ قَمَرٌ سَاقٍ وَعُودٌ يُضْرَبُ

لَـذَّةُ النَّـاظِـرِ وَالسَّمْـعِ عَلَـى   شَـمٌ زَهْـرٍ وَكُـؤُوسٍ تُشْرَبُ

كَـمْ رَكِبْنَاهـا فَـلَمْ تَجْمَـحْ بِنَـا   وَلَكَـمْ مِـنْ جَامِـحٍ إِذْ يُرْكَـبُ

طَوْعَـنـا حَيْـثُ اتَّجَهْنَا لَـمْ نَجِدْ   تَعَبًـا مِنْهَـا إِذَا مَا نَتْعَـبُ

قَـدْ أَثَـارَتْ عِثْيَرًا يُشْبِهُـهُ   نَثْـرُ سِلْـكٍ فَـوْقَ بُسْطٍ يُنْهَبُ

كُلَّمَـا رِشْنَـا لَهَـا أَجْنِحَـةً   مِـنْ قِـلاَعٍ ظَلَّـتْ مِنْهَا تَعْجَبُ

كَطُيُـورٍ لَـمْ تَجِـدْ رَيًّـا لَهَـا   فَبَـدَا لِلْعَيْـنِ مِنْهَـا مَشْرَبُ

بَلْ عَلَـى الخَضْرَاءِ[1] لاَ أَنْفَـكُّ مِنْ   زَفْـرَةٍ فِـي كُـلِّ حِـينٍ تَلْهَـبُ

حَيْثُ لِلْبَحْـرِ زَئِيـرٌ حَوْلَهَـا   تُبْصِـرُ الأَغْصَـانَ مِنْهُ تَرْهَـبُ

كَـمْ قَطَعْنَـا اللَّيْـلَ فِيهَا مَشْرِقًا   بِحَبِيـبٍ وَمُـدَامٍ يُسْكَـبُ

وَكَـأَنَّ البَحْـرَ ثَـوبٌ أَزْرَقٌ   فِيـهِ لِلْبَـدْرِ طِـرَازٌ مُذْهَـبُ

وَإِلَـى الحَـوْرِ[2] حَنِينِـي دَائِمًـا   وَعَلَـى شَنِّيـلِ[3] دَمْعِـي صَيِّـبُ

حَيْـثُ سَـلَّ النَّهْرُ عَضْبًا وَانْثَنَتْ   فَوْقَـهُ القُضْـبُ وَغَنَّـى الرَّبْـرَبُ

وَتَشَفَّـتْ أَعْيُـنُ العُشَّـاقِ مِـنْ   حُـورِ عِيـنٍ بِالمَوَاضِي تُحْجَبُ

مَلْعَـبٌ لِلَّهْـوِ مُـذ فَارَقْتُـهُ   مَـا ثَنَانِـي نَحْـوَ لَهْـوٍ مَلْعَـبُ

وَإِلَـى مَالِـقَـةٍ يَهْفُـو هَـوًى   قَلْـبُ صَـبٍّ بِالنَّـوَى لاَ يُقْلَـبُ

أَيْـنَ أَبْـرَاجٌ بِهَـا قَـدْ طَالَمَا   حَـثَّ كَأْسِـي فِي ذَرَاهَا كَوْكَبُ

حَفَّـتِ الأَشْجَـارُ عِشْقًـا حَوْلَنَـا   تَـارَةً تَنْـأَى وَطَوْرًا تَقْـرُبُ

جَـاءَتِ الرِّيـحُ بِهَـا ثُـمَّ انْثَنَتْ   أَتُرَاهَـا حَـذِرَتْ مَـنْ تَرْقُـبُ

---

(1) يعني الجزيرة الخضراء، وقد قضى ابن سعيد فيها جانبًا من حياته إذ كان والده واليًا عليها، وكان هو ينوب عنه أحيانًا.

(2) الحور: حور مؤمل وهو من منتزهات غرناطة.

(3) شنيل هو نهر غرناطة.

وَعَلَى مُرْسِيَةٍ أَبْكِي دَمًا ... مَنْزِلٌ فِيهِ نَعِيمٌ مُعْشِبُ
مَعَ شَمْسٍ طَلَعَتْ فِي نَاظِرِي ... ثُمَّ صَارَتْ فِي فُؤَادِي تَغْرُبُ
هَذِهِ حَالِي، وَأَمَّا حَالَتِي ... فِي ذَرَا مِصْرَ فَفِكْرٌ مُتْعَبُ
سَمِعَتْ أُذْنِي مُحَالاً، لَيْتَهَا ... لَمْ تُصَدِّقْ وَيْحَهَا مَنْ يَكْذِبُ
وَكَذَا الشَّيْءُ إِذَا غَابَ انْتَهَوْا ... فِيهِ وَصْفًا كَيْ يَمِيلَ الغُيَّبُ
هَا أَنَا فِيهَا فَرِيدٌ مُهْمَلٌ ... وَكَلَامِي وَلِسَانِي مُعْرِبُ
وَأَرَى الأَلْحَاظَ تَنْبُو عِنْدَمَا ... أَكْتُبُ الطِّرْسَ أَفِيهِ عَقْرَبُ؟
وَإِذَا أَحْسِبُ فِي الدِّيوَانِ لَمْ ... يَدْرِ كُتَّابُهُمُ مَا أَحْسُبُ
وَأُنَادَى مَغْرِبِيًّا، لَيْتَنِي ... لَمْ أَكُنْ لِلْغَرْبِ يَوْمًا أُنْسَبُ
نَسَبٌ يَشْرُكُ فِيهِ خَامِلٌ ... وَنَبِيهٌ، أَيْنَ مِنْهُ الْمَهْرَبُ؟
أَتُرَانِي لَيْسَ لِي جَدٌّ لَهُ ... شُهْرَةٌ أَوْ لَيْسَ يُدْرَى لِي أَبُ
سَوْفَ أُثْنِي رَاجِعًا لاَ غَرَّنِي ... بَعْدَ مَا جَرَّبْتُ بَرْقٌ خُلَّبُ

المصدر: نفح الطيب: ج 2 ص 281 ـ 283.

5 ـ تهنئة ابن أبي الحسين بالقدوم

قال المقرّي في "نفح الطيب": قد كنت وقفت على بعض ديوان شعره المتعدّد الأسفار، ونقلت منه قوله من قصيدة يهنّئ ابن عمّه الرئيس أبا عبد اللّه بن أبي الحسين بقدومه من حركة هوّارة.

(الطويل)

أمَا وَاجِبٌ أنْ لاَ يَحُولَ وَجِيبُ ... وَقَدْ بَعُدَتْ دَارٌ وَخَانَ حَبِيبُ

وَلَيْسَ أَلِيفٌ غَيْرَ ذكرٍ وَحَسْرَةٍ ... وَدَمْعٍ عَلَى مَنْ لاَ يَرِقُّ صَبِيبُ

وَخفْقُ فُؤَادٍ إِنْ هفَا البَرْقُ خَافِقًا ... وَشَوْقٌ كَمَا شَاءَ الهَوَى وَنَحِيبُ

وَيَعْذِلنِي مَنْ لَيسَ يَعْرِفُ مَا الهَوَى ... وَعَذْلُ مَشُوقٍ فِي البُكَاءِ عَجِيبُ

أَلاَ تَعِسَ اللوَّامُ فِي الحُبِّ قَدْ عَمُوا ... وَصَمُّوا وَدَائِي لَيْسَ مِنْهُ طَبِيبُ

يَرُومُونَ أَنْ يَثْنِي المُلاَمُ صَبَابَتِي ... وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي المَلاَمِ أُجِيبُ

وَفَائِي إِذَا مَا غِبْتُ عَنْكُمْ مُجَدَّدٌ ... وَغَيْرِيَ ذُو غَدْرٍ أَوَانَ يَغِيبُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي الوَفَاء سَجِيَّةً ... لَكُنْتُ لِغَيْرِ ابْنِ الحُسَيْنِ أُنِيبُ

سَمَوْأَلُ هَذَا العَصْرِ حَاتِمُ جُودِه ... مُهَلَّبُهُ[1] إِنْ مَارَسَتْهُ حُرُوبُ

فَتًى سَيَّرَ الأَمْدَاحَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا ... أَبُو دُلَفٍ[2] مِنْ دُونِهِ وَخَصِيبُ

---

(1) المهلّب بن أبي صفرة أبو سعيد أمير جواد وبطاش، نشأ بالبصرة وولي امارتها لمصعب بن الزبير، كان يقاتل الأزارقة ولاه عبد الملك بن مروان خراسان سنة 79 ومات فيها سنة 83 هـ. كان شعاره في الحرب: "هم لا ينصرون".

(2) أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي من بني عجل: أمير الكرخ وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء، كان من قادة جيش المأمون. توفي ببغداد سنة 226 هـ وللشعراء فيه امداح كثيرة وله مؤلفات.

إِذَا رَقَمَ القِرْطَاسَ قُلْتَ ابْنُ مُقْلَةَ[3] وَإِنْ نَظَمَ الأَشْعَارَ قُلْتَ حَبِيبُ

وَإِنْ نَثَرَ الأَسْجَاعَ قُلْتَ سَمِيُّهُ وَإِنْ سَرَدَ التَّارِيخَ قُلْتَ عَرِيبُ[4]

وَمَا أَحْرَزَ الصُّولِيُّ[5] آدَابَهُ الَّتِي إِذَا مَا تَلاَهَا لَمْ يُجِبْهُ أَدِيبُ

ومنها:

وَأَمَّا إِذَا مَا الحَرْبُ أَخْمَدَ نَارَهَا فَفِيهِ تَلَظَّى مَارِجٌ وَلَهِيبُ

فَكَمْ قَارَعَ الأَبْطَالَ فِي كُلِّ وِجْهَةٍ نَحَاهَا وَكَمْ لُفَّتْ عَلَيْهِ حُرُوبُ

وَكَائِنْ لَهُ بِالغَرْبِ مِنْ مَوْقِفٍ لَهُ حديثٌ إذا يتلى تطيرُ قلوبُ

بِمَرَّاكُشٍ سَلْ عَنْهُ تَعْلَمْ غَنَاءَهُ وقد ساءهم يومٌ هناك عصيبُ

إِذَا مَا ثَنَى الرُّمْحَ الطَّوِيلَ كَأَنَّهُ مديرٌ لغصنِ الخيزران لعوبُ

وَإِنْ جَرَّهُ أَبْصَرْتَ نَجْمًا مُجَرَّرًا ذؤابته، منه الكماةُ تنوبُ

يَهِيمُ بِهِ مَا إِنْ يَزَالُ مُعَانِقًا له راكعاتٍ ما تحوزُ كعوبُ

مُحَمَّدُ، لاَ تُبْدِ الَّذِي أَنْتَ قَادِرٌ عليه، وخفْ عينًا عُلاكَ تصيبُ

نُفُوذُ سِهَامِ العَيْنِ أَوْدَى بِمُصْعَبٍ وطاح به بعد الشّبوب شبيبُ

أَلاَ فَهَنِيئًا أَنْ رَجَعْتَ لِتُونِسٍ فأطلعت شمسًا والسِّفارُ[6] غروبُ

---

(3) ابن مقلة: محمد بن علي بن الحسين بن مقلة أبو علي وزير للعباسيين يضرب بحسن خطه المثل. مات في السجن سنة 328 هـ ولقي نكبات عديدة في حياته.

(4) عريب بن سعد القرطبي، طبيب مؤرخ من أهل قرطبة اختصر تاريخ الطبري وأضاف إليه أخبار افريقيّة والأندلس فسمّي "صلة تاريخ الطبري". توفي سنة 369 هـ .

(5) الصولي: محمّد بن يحيى أبو بكر ويعرف بالشطرنجي، من أكبر علماء الأدب. نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس، وله تصانيف كثيرة. توفي سنة 335 هـ.

(6) السفار: أي السفر.

كواكبها تبدو إذا ما تركتَها وقد جَعَلَتْ مهما حضرت تغيبُ
إذا سُدْت في أرضٍ فغيرك تابعٌ عُلاَك، ومهما ساد فهو مريبُ

ومنها:

كفانيَ أنّي أستظلّ بظلّكم ومن هاب ذاك المجدَ فهو مَهيبُ
فأصلُكَ أصلي والفروعُ تباينتْ بعيدٌ على من رامهُ وقريبُ
وحسبيَ فخرًا أن أقول محمدٌ نسيبُ عليّ جلّ منه نصيبُ
تركتُ جميعَ الأقربين لقصده على حين حانت فتنةٌ وخطوبُ
رأيتُ به جنّاتِ عدنٍ فلم أُبَلْ إذا وصلتنا للخلود شَعُوبُ
فقبّلتُ كفًا لا أُعابُ بلثمها وأيدي الأيادي لثمُهنّ وجوبُ
وكيف وليس الرأس كالرِّجل، فرّقت شياتٌ لعمري بيننا وضُروبُ
ولو كان قدري مثل قدرك في العلا لحقّ بأن يعلو الشبابَ مشيبُ
ولولا الذي أُسْمِعْتُ من مكرِ حاسدٍ أتاك بقولٍ وهو فيه كذوبُ
لما كنتُ محتاجًا لقوليَ آنفًا تخلّيتُ من ذنبٍ وجئتُ أتوبُ
إذا كنتُ ذا طوعٍ وشكرٍ وغبطةٍ فمن أين لي يا ابن الكرام ذنوبُ
لقد كنتُ معتادًا ببشرٍ فما الذي تقلّدتهُ حتى يزالَ قطوبُ
أإن رفع السلطان سعيي بقدركم أُحَلَّأُ عن وِردٍ لكم وأخيبُ
فأحسب ذَنْبِي ذنب صُحْرٍ[7] بدارُها إلى البِرّ عند الخابرين مَعيبُ

(7) ذنب صحر: مثل، وذلك أن لقمان بعد أن قتل زوجته لقيته ابنته صحر فقتلها أيضا قائلا "وهل أنت إلا امرأة؟" دون ذنب جنته، فضرب بذلك المثل.

وحاشاك مِـنْ جورٍ عليّ، وإنّما أخاطبُ مَنْ أُصْفِي له فيشوبُ

صحابٌ هم الداء الدفين فليتني ولم أدنُ منهم، للذئاب صَحوبُ

كلامُـهُـمُ شهدٌ ولكنّ فعلهم كَسَمٍّ له بين الضلُّوع دبيبُ

سأرحلُ عنهم والتّجاربُ لم تدعْ بقلبي لهم شيئًا عليه أُثيبُ

إذا اغترب الإنسانُ عمّن يسوءه فما هو في الإبعاد عنه غريبُ

فداركْ برأيٍ منك ما قد خرقْتهُ ليحسن منّي مشهدٌ ومغيبُ

ولا تستمعْ قولَ الوشاةِ فإنّما عدُوُّهمُ بين الأنامِ نجيبُ

فيا ليتَ أنّي لم أكن متأدِّبًا ولم يك لي أصلٌ هناك رَسوبُ

وكنت كبعض الجاهلين محببًا فما أنا للهمّ الملمّ حبيبُ

وما إن ضربتُ الدّهر زيدًا بعمره ولم يكُ لي بين الكرام ضريبُ

أأشكوكَ أم أشكو إليك فما عَدَتْ عداتيَ حتّى حان منك وثوبُ

سأشكرُ ما أولي وأصبر للذي توالى، على أنّ العزاء سليبُ

فَدُمْ في سرورٍ ما بقيت فإنّني وحقِّك مذ دَبَّ الوشاةُ كئيبُ

المصدر: نفح الطيب: ج 2، ص 274ـ 277.

6 ـ لهو وطرب

(البسيط)

إذا الغصون غدت خفّاقةَ العَذَب[1] فاسجد هُدِيتَ الى الكاسات واقتربِ

وطارح الوُرْقَ في أوراقها طربا ومل إذا مالت الأغصانُ من طربِ

وانهض إلى أمّ دفر[2] بنتِ دسكرة تُجلي عليك بإكليل من الذّهب

وانظر إلى زينة الدّنيا وزخرفها في روضة قد وشتها أنملُ السُّحب

وللأزاهــر أحــداقٌ مـحـدِّقــةٌ قد كحّلتها يمينُ الشّمس بالذّهب

المصدر: فوات الوفيات: ج 2 ص 90.

7 ـ لولا ندى يحيى

وقال يمدح أبا زكرياء يحيى الحفصي:

(الرجز)

من ذا الذي يبخل في تونس والملح فيها صار عذبا قراحْ؟

وأصبحت أرجاؤها جنةً مبيّضةَ الأرجاء خضرَ البطاح

---

(1) العذبُ: ج عذبة: أغصان الشجرة.

(2) أم دفر هي الدنيا والداهية ويقال أم دفار أيضا والدفر: النتن. وهنا يعني الخمرة.

لولا ندى يحيى وتدبيرُه ما برحتْ تَغِير منها النّواح[1]
لكن يداه سُحبٌ كلّما حلَّت بأرض حلّ فيه النّجاح
هذا وقد آمنَ من حلَّها وحفَّها من غربة وانتزاح
يا سائرا يرجو بلوغَ المُنَى باكر ذَرَا يحيى وقل: لا رواح[2]
وحَيِّه بالمدح فهو الذي يهتز كالهنديِّ حين امتداح
بالشّرق والغرب غدا ذكرُه يحثُّ من حمدٍ وشكرٍ جَناح
ساعدَه السّعدُ وأضحت له آمالُنا تجري بغير اقتراح...

المصدر: ابن سعيد المغربي: ص 171 ـ 172.

8 ـ العزوبيّة

قال في حياة العزوبيّة:

(البسيط)

أنا شاعر أهوى التخلّيَ دون ما زوجٍ لكيما تخلُص الأفكارُ
لو كنتُ ذا زوج لكنتُ منغَّصًا في كلّ حين رزقَها أمتارُ
دعني أُرِحْ طول التغرّب خاطري حتّى أعودَ ويستقرّ قرارُ
كم قائلٍ لي ضاع شرخُ شبابه ما ضيّعتْهُ بطالةٌ وعُقارُ

(1) تغير أي تغار من الغيرة، والنواح: النواحي جمع ناحية .
(2) ذرا الشيء : كنفه وجانبه. وباكر ذراه أي انهض مبكرا إلى كنف الممدوح يحيى.

إذ لم أزل في العلم أَجْهدُ دائمًا حتّى تأتّت هذه الأبكار
مهما أَرُمْ من دون زوج لم أكن كلاًّ ورزقي دائمًا مدرارُ
وإذا خرجتُ لفرجةٍ هنّيتها لا صنعةٌ ضاعت ولا تذكارُ

المصدر: نفح الطّيب: ج 2، ص 268.

9 ـ طلب

كتب الى أبي عبد الله محمد بن أبي الحسين:

(المتقارب)

أخا الجود طال شوقي إلى شموسٍ بواطنُها مُقْمِرَه
تجيء مع الورد في فَصْله وأوجُهها للمنى مُسفره
وتصحيفها يقتضي حُبَّها وبالضدّ يَقْضي لمن غَيَّره
وأكثرُ وجدي بها عندما تُعَضُّ فتضحكُ مُستبشره

المصدر: القدح: ص 10.

10 ـ حنين إلى جلّق

(الكامل)

للّه من أقطار جِلِّقَ روضةٌ راقت لنا حيث السّحاب يراق
وتلوّنت أزهارُها فكأنّما نزلت به الأحبابُ والعشّاق

أنا من عَلِمْتُ بشوقه ذَكَـرَ الحِمَـى وتساق روحي والرّكاب تساق

أخلصتُ في حبّي وكم من عاشق فيما ادّعاه من الغرام نفّـاق

يدعو الحَمَامُ وترقص الأغصانُ من طرب بهم وتصفّق الأوراق

وحدي جمعت من الهوى مثل الذي جمعوا كذلك تُـقْـسَـم الأرزاق

المصدر: فوات الوفيات: ج 2 ، ص 90.

11 ـ السّـفـر إلى تونس

قال ابن سعيد:

حللت في بعض سفراتي بطرابلس فبكرت يوما إلى المدرسة التي أنشأتها بها الهمّة العلية الاماميّة المنتصريّة فدخلت إليها، وقعدت مسرّحا طرفي في روضة حبق حبّست حاستي البصر والشمّ عليها، ثمّ قلت:

(البسيط)

يا حبّذا نسمةً هبّت لناشقها غبّ الكرى سَحَرًا من روضة الحَبَقِ

حسبتُها عندما هبّت وقد نَـعَـشَـتْ ببلّة من نداها رُوحَ منتشقِ

قَرَنْفُلَ الهند قد وافى التجّارُ به محافظين على نشرٍ له عبِقِ

فعندما فضّه الداويُّ ذكّرني بطيبه طيبَ عيش مَرَّ لِي أنِقِ

بتونس أنَّسَ الرّحمان ساحتها وسُقِّيَتْ أبدا بالعارض الغدِقِ

ولا أموت إلى أن ألتقي قمرًا للحسن مطلعه من ذلك الأفقِ

المصدر: رحلة التجاني: ص 252.

12 ـ إيه أبا العبّاس

قال مجيبا أحمد الغسّاني من المشرق عن قصيدة:

(الكامل)

أَطْلَعْتَ فِي لَيْلِ التَشَوُّقِ أَنْجُمَا
لَـمَّـا بَعَثْت مُسَائِلاً وَمُسَلِّما
لَوْلاَ كِتَابُكَ ظَلْتُ فِيهِ حَائِرًا
حَيْثُ اتَّجَهْتُ رَأَيْتُ جُنْحًا مُظْلِما
وَافَى وَأُفْقِي حَالِكٌ فَأَنَارَهُ
وَأُوَامُ شَوْقِي مُؤْلِمٌ فَشَفَى الظَّمَا
أَوْدَعْتُهُ قَلْبِي فَفَاحَ نَسِيمُهُ
فَكَأَنَّمَا نَدٌّ[1] بِجَمْرٍ ضُرِّمَا
فَرَدَدْتُهُ فِي نَاظِرِي فَكَأَنَّمَا
زَهْرُ الرِّيَاضِ سَقَيْتَهُ مَاءَ السَّمَا
فَرَدَدْتُهُ فِي مَسْمَعِي فَكَأَنَّمَا
طَيْرٌ أَمَالَ الغُصْنَ حِينَ تَرَنَّمَا
عَهْدِي بِصَدْرِكَ مِثْلُ بَحْرٍ زَاخِرٍ
لاَ غَرْوَ أَنْ أَرْسلت دُرًّا نُظِّمَا
عَهْدِي بِكَفِّكَ مِثْلُ غَيْثٍ هَاطِلٍ
لاَ غَرْوَ أَنْ أَهْدَيْـتَ زَهْرًا نُمْنِمَا

(1) بالمقتطف، نور.

مَا طرْسُهُ إلاّ كَجَمْرٍ سَاطِعٍ
رَقَمَ العذَارُ بِصَفْحَتَيْهِ أرْقَمَا[2]

إيهٍ أبَا العَبَّاسِ بَعْدكَ لَمْ أزَلْ
مَهْمَا تَدُرْ مَشْمُولَةٌ مُتَجَهِّمَا

مُتَمَنِّعًا مِنْ شُرْبِهَا إذْ خِلْتُهَا
سمًا إذَا مَا خِلْتَ كَأْسَكَ عَلْقَمَا

وَلَقَدْ بَكَيْتُ فَلَمْ أجِدْ فِي الجَفْنِ مَا
أبْكِي بِهِ إذْ كُنْت أبكيت الدّمَا

وَلَقَدْ عَلِمْت بِأنَّ شَوْقَكَ جَاذِبٌ
مَهْمَا رَأَيْتَ مَكَانِيَ المُتَوَهَّـمَا

أَو مَا تَدُلُّ عَلَى الوَفَاءِ رِسَالَةٌ
قَطَعَتْ عَلَى حَالِ التَّقَاطُعِ خِضْرِمَا[3]

المصدر: القدح ص5، والمقتطف من أزاهر الطّرف: ص 163 ـ 164.

13 ـ سبب خروجه من تونس

قال لما خرج من حدود افريقية:

(الطويل)

رفيقيّ جاوزنا حدود مواطنٍ   صحبْنا بها الأيّامَ طلقًا محيّاها
وما إن تركناها لجهلٍ بقدرها   ولكن ثَنَتْ عنّا أعنّةَ سُقْياها
فسرنا نحثُّ السّير عنها لغيرها   إلى أن يمنّ اللّه يومًا بلقياها

المصدر: نفح الطيب: ج 2 ، ص 327.

(2) بيت مضاف عن القدح.
(3) الخضرم: البحر الواسع الكثير الماء.

أحمد بن السّكّان

(ت بعد 688)

أبو العبّاس أحمد بن محمد بن ميمون الأشعري المالقي المعروف بابن السكّان عالم وشاعر مطوّل. من تآليفه:

- خلاصة الصّفا من خصائص المصطفى: قصيدة تائيّة في 320 بيتا.

- كتاب اكمال تذييل ابن فتحون على كتاب الاستيعاب لابن عبد البرّ في تراجم الصحابة.

- كتاب الاطّلاع على ما يلزم في رفع الأيدي في الصّلاة من الاتباع.

- برنامج شيخه أبي بكر بن حبيش.

1 ـ أعجب العجائب

(مخلع البسيط)

وتَرْكِيَ الذَّنْب من غير شكّ آكَدُ من فعلي الرّغائب
فميل نفسي لعكس هذا النّـــ ـظام من أعجب العجائبِ

2 ـ مطلب

(المتقارب)

أيا خالقَ الخلْق لي مطلبٌ وما لي سبيلٌ لأسبابه
غذاءٌ حلال بلا مِنّة وثوبٌ وبيتٌ لأثوِي به
وجودك أمّلتُ يا خالقي فقد جئتك للبيتِ من بابه

3 ـ مدح النبيء

قال من قصيدة في 320 بيتا استوعب فيها معجزات النبيء صلّى اللّه عليه وسلم وعنوانها: "خلاصة الصّفا من خصائص المصطفى" أوّلها:

(الطويل)

لأحمد خيرِ الخلْق أهدِي تحيّتي محمّدٍ الآتي بحكم وحكمة
مدحتُ رسولَ اللّه والمدحُ دونه ولو ملأ المدّاحُ كلَّ صحيفة
ولو كان كالبحر المحيط مدادُه وكالشّجر الأقلامُ ما قَطُّ جفّت

يُمَدُّ مَدَى الدّنيا بسبعة أبحرٍ　　لما بَلَغَتْ من مدحه عُشْرَ حبّة

كفاه ثناءُ اللّه في الفتح والضُّحى[1]　　وتكريرُه إيّاه في غير سورة

فماذا يقول العالمون وربُّهم　　كساه من الأمداح أسبغَ حلّة

ولكنَّ في جهد المقِلِّ لنفسه　　رجاءً وحُسْنُ الظنّ بيتُ قصيدتي

المصدر: رحلة العبدري: ص 269 ـ 270.

4 ـ باب اللّه

(الكامل)

من كان يرجو الخَلْقَ في حاجاته　　خان الذي يُرْجَى وخاب المرتَجِي

فاقصد إله الخلْق إمّا حاجةٌ　　عرضتْ فباب اللّه غيرُ مرتج

5 ـ فكرة

(البسيط)

تقرّب النّاس لِلمولَى بجهدهم　　من مدح من ساد كلّ الخلق في الأزل

أَمُّوا الجناب بأمداح ومعذرة　　وحُمْتُ حول الحمى في غاية الخجلِ

ثمّ اطّلعت على تقصير مُطْنِبِهم　　فالعجزُ عن مبدإٍ الإدراك من عمل

---

(1) يريد سورتي الفتح والضّحى.

6 ـ أزكى الخليقة

(البسيط)

أزكى الخليقة خُلقا عند خالقهم ... ذو حرفةٍ عن سؤال النّاس تُغْنيهِ

وخير ما اتّصف المرء التّقيُّ به ... في دهره تركُه ما ليس يعنيهِ

7 ـ الشّهادة

(الطويل)

يقولون لي إنّ الشّهادة مكسبٌ ... ولم تشتغل يوما بصرفِ المنى لها

فقلت لهم: لي في الشّهادة مذهبٌ ... أنا في سبيلِ اللّهِ أرجو منالها

مصدر هذه المقطوعات: رحلة العبدري: ص 270 ـ 271.

يوسف بن السّماط

(613 ـ 690)

أبو يعقوب يوسف بن علي بن عبد الملك بن السّماط البكري المهدوي، ولد ونشأ بالمهديّة وأخذ عن علمائها أمثال أبي زكرياء البرقي وانتقل الى تونس واشتهر فيها بالمدح النبوي، وكان ديوانه منتشرا لما فيه من نفس ديني رقيق وروحانية سامية. توفي بتونس في شعبان سنة 690 .

1 ـ مدحية نبوية

(الطويل)

سريتم وطَرْفِي في كرى العزم ما هبّا ... وطِرف انتهاضي في مدى الحزم ماخبّا[1]

وثُرتم طِلاب العزّ من دون ناصر ... قصاراه ذيل الذلّ يسحبه سحْبَا

وَأَخْلَيْتُمُ هالاتكم مِنْ بُدُورها ... فما عُوِّضَتْ إلاّ الغياهبَ والسُّحْبَا

وعانِي هواكم لا معينَ له سوى ... صدى صوته في الرّبع ما ردّد النّدبا

وما كان ندب يستلذّ وإنّما ... يلذّ سماع النّدب من فارق النّدبا

ولي مهجة تفنى لتذكاركم أسى ... وجفن يراعي في مراكزها الشّهبا

لياليَ تسري لي صَبَاكم عليلةٌ ... فيا لَعليل منه أَلْتمس الطِّبَا

رحلتم وغادرتم غريبا غروبه ... تصبّ مَصُونَ الدّمع مذ بنتمُ صبّا

وخلّفتمُ داء التّواني محالفي ... وأنّى لبادي السّقم أن يصحب الرُّكْبا

وهيّجتمُ هيج الغرام فأنتجت ... لكم من فحول الصّدق في قصدكم نُجْبا

فسارت وحاديها احتدامُ زفيرها ... فما ميّزت وعرا ولا فدفدا رحبا

وسيقت وما قاست كلالا ولا وجًى ... وقد سقتمُ مع كلّ راحلة قلبا

وما أدلجت تثني إلى العشب لِيتَها ... ولكنّ في وادي العقيق لها عُشْبَا

فهم جيرةٌ أخلِقْ براجي جِـوارهم ... ولو باد في البيداء أن يحمد الغبّا

منيف على السّبع الطّباق علاؤهم ... وإن أسكنوا فيما يراه الورى التّربا

دعوكم ولم يرضوا سماعي دعاءهم ... ولو أسمعوني كنت أوّل من لبّى

---

(1) الطّرف: ج طروف وأطراف: الكريم الطرفين أي الأب والأم من غير النّاس كالخيل ونحوها.

ومن كان حفظ العهد سيماه أقبلوا عليه وإلاّ أسبلوا دونه الحجْبا

ومن كُلِّفت عينُ العناية رَعْيَه حَمَتْهُ المقام الدحض والمرتقى الصّعبا

ومن عاقه نيل المقادير لم تطق بأرض المنى أقدامُ إقدامه ضَرْبا

على أنّني لا أنزل اليأس ساحتي وقلبي على بُعدي يهيم بهم حُبّا

وقد جاء أنّ المرء مع من أحبّه عن الصّادق المصدوق فيما به أنبا

فَحَسْبِي رجائي أن يمنّوا بعطفهم وأن يُعْقبوا للبعد من وصلهم قُرْبا

وَلِمْ لا ونيران القرى في ذراهم تنادي إلى ناديهم العُجْمَ والعُرْبا

ولا غرو أن يلقى الطفيليٌّ ماجدٌ بوجهٍ به يلقى المعارف والصّحبا

وإن هم جَفَوْني سوف أُهدي إليهمُ سلامي لعلّي بالرِّضى منهمُ أُحْبَى

ومن صدّ عنه الحِبُّ فليُفْشِ مدحه فإنّ امتداح الحِبّ يستنزل الحُبّا

وما القصد والمعنيّ بالرّمز والكُنَى سوى مَنْ على كلّ النّبيّين قد أربى

ومن شاهدتْ عيناه من ملك ربّه وآياته ما يعجز الكَتْبَ والكُتْبا

فسبحان من أعطى النبيّ محمّدا من الفضل ما لم يعطه قبل من نبّا

فيا غوثَ من غال الحِمامُ حُمَاته ويا خير من آوى اليتامى ومن ربّى

أحاشيك يا كلّ المنى أن تنودني عن الحوض يوم العَرض أو أُمْنَع الشّربا

وَرُبَّ كريم غضّ عن ورِد واغل حياء إذا وافاه يتّبع السّربا

لئن قَصَّرَتْ خطوي إليكم خطيئتي وذبّتْني الأوزارُ عن بابكم ذبّا

فمن شيمة العبد الفرارُ لربّه ومن شِيم السّاداتِ أن يغفروا الذّنْبا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 381 ـ 384 ومنها مقاطع بعنوان الأريب: ج 1 ص 78.

2 ـ تشوق إلى زيارة النبي

(الكامل)

رَعْيُ الحقوق كما علمت حقيق ... والصّبر عن وادي العقيق عُقُوقُ

ولأهل ذيّاك الحمى بقلوبنا ... شغف يسوق نفوسنا ويشوقُ

ولذكرهم برْد على طيّ الحشى ... تشفى به مرضاهم وتفيقُ

وإذا ثنى عِطف النّزيف صَبوحه ... فلنا صبوح باسمه وغبوق

قوم لهم طاب النّسيمُ بِطَيْبَة ... حتى انثنى كالمسك وهو فتيق

وغدا ثراها للشّفاه مراشفا ... وبقاعها كلّ البقاع تفوقُ

ومزارع أشهى إلى عشّاقها ... من شاطئ يأوي إليه غريقُ

شَرُفا بأشرفِ مُرْسَل وأعَزِّ من ... شرُفت به فئة وعَـزَّ فريق

هو صفوة الله الشّفيعُ ومن له ... خُلُقٌ بكلّ المكرُمات خليقُ

سَنَدُ العصاة اذا الصحائف أفصحتْ ... ونبا أب وأخ وفرّ رفيق

هو أحمدُ ومحمّدٌ والمصطفى ... والمجتبى والصادق المصدوق

ومن أبيات هذه القصيدة :

كم ذا أؤمّل أن أزور ضريحه ... والحظّ يكبو والقضاء يعوق

ويد المشيب تناولت حُلَلَ الصِّبَا ... فاخلولقت وفشا بها التّمزيق

لكنّه ذخري لموقف فاقتي ... ومضاجعاه الصِّـهرُ والفاروق

صلّى عليه اللّه ثمّ عليهما ما زان جيدَ حمامةٍ تطويقُ
وأرت تباشيرُ الصّباح تبسّما وانقاد غصنٌ للنّسيم وريقُ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 384 ـ 385. والمجمل: ص 208 ـ 209 وأسقطت منها أبيات ومنها أبيات في عنوان الأريب: ج 1 ، ص 78 ـ 79.

3 ـ لعلّ نسيمات الضحى

(الطويل)

لعلّ نسيماتِ الضّحى والأصائلِ تؤدّي إلى مَغْنَى الحبيب رَسَائلي
وتُهْدي إذا مرّت سُحَيرًا بربْعه سلامي إلى بدرٍ بطَيْبَةَ آفل
عليّ لدى الأعلى لذلك أصبحت منازلُه تعلو مَجَرَّ المنازل
وكلّ الأماني في غدوّ رواسم إلى رسمه أو في رواح رواحلِ
إذا يمّم الحادي بها حضرةَ العلا أرتْك انسيابَ الفلْك تحت المحامل
وألقت إلى كفّ السّرى مِقْود الكرى كما بالطّوى طابت لِطَيِّ المراحلِ
وَإِنْ مال ذو وجد الى شعبه هوى تجدْها لذاك الشّعب أوّل مائلِ
وما سوْقها بل شوقها يستحثّها حثيثَ أخي الإملاق يُدْعى لنائلِ
ومن عَجَبٍ هُوجٌ تَهِيجُ لها الصّبا صبابةَ عُذْرِيّ لطيفِ الشّمائلِ
وتهوى بروقا بالعقيق تألّقت كما جُرِّدَت بيضٌ بأيدي الصّياقلِ
حنينا لمن في كفّه سَبَّحَ الحصى وأنسى خطابُ النُّصْبِ سَحْبان وائل
وكم آية دلّت على صدقه فما ألَـبَّ لها الإنكار في لبّ عاقل
وكم قاصد أقصى مدى معجزاته تلقاه بحرٌ لا يُحَدُّ بساحل
رسول أتى والغيّ وارتْ غيومُه نجومَ الهدى والرُّشْدِ عن كلّ غافل

ووافى ودين الكفر قامت دعاتُه بإبطال تحقيق وتحقيق باطل
فلمّا بدت آياتُه وهِباته بدا النّقض فيما أبرموا في المحافل
وضاق الفضا ضيق اللحود عليهمُ فلا بال إلاّ وهو رهن البلابل
تلقّى كتابًا شرعُ ذي العرش شرعُه وحدُّ المناص فيه حدّ المخاصِلِ
تولّى أمينُ الوحي جبريلُ حملَه فأكرم بمحمول إليه وحامل
حوى وعد وهّاب وإنفاذَ قاهر وتنزيهَ قدّوس واحكامَ عادل
ووعظا بأهوال المعاد مُخَوّفا وعلما بأنباء القرون الأوائل
ودينا الى دار المقامة مُدْنِيا وبشرى بشكر السّعي من كلّ عاقلِ
وزجرًا بما يلقاه مَنْ زاغ مِنْ لَظَى إذا قيد قومٌ نحوها بالسّلاسل
وفي كلّ ما يتلو الرّسولُ دَلالةٌ على صدقه من واضحات الدلائل
هو المصطفى من قبل تكوين آدم على الخلق من آبائهم والحلائل
حبيبٌ وحَباتُ القلوب كِنَاسُه إذا بُوِّئَ المحبوبُ خيرَ المنازل
له غابة من صحبه هو ليثها لديهم مَرِيرُ الموت عذبُ المناهل
صدورٌ اذا حلوا بنادٍ وفي الوغى صدورُهم تلقى صدورَ العوامل
أشدّاءُ والهيجاء حامٍ وطيسُها ذوو رحمةٍ بالبائسات الأرامل
فكم من عديم صار فيهم كمُترف وكم من غريب صار فيهم كآهلِ
كذا فليكن حُسْنُ الثناء لسادة متى أُمّلوا لم يُخْلِفُوا ظنّ آمل
على من به سادوا الورى وعليهمُ سلامٌ كنَوْر الرّوض بين الخمائل
فحتّى متى أشتاقهم وتغرُّني أماني وإمهالٌ بتسويف باطلِ
وما المرءُ إلا ظاعنٌ مترحّلٌ معارٌ لأوقات تمرّ قلائل
وإسفار صبح الشّيب عن ليل لمّتي دليل على ظلٍّ من العمر زائل

ولمّا تقضّت في التّواني شبيبتي وأصبحتُ من جرّائها في حبائل

ولم يبقَ لي إلاّ التّفاني بأدمع على طول تفريطي هوامٍ هواملِ

وكلٌّ يرى أنّ المديحَ وسيلةٌ لكلّ كريم من أجلٍّ الوسائل

مدحتُ الشّفيع المصطفى غيرَ قائم بمعشار ما يُحْصى له من فضائل

وما المدح فيمن يَحْسُنُ المدح باسمه وأوصافهِ إلاّ كتحصيلِ حاصل

ولكنّه جُهدُ المقِلِّ لقاصر عن الفرض في تعظيمه والنّوافل

ألم يك قولُ اللّه في رفع ذكره وهل بعد قولِ اللّه قولٌ لقائل

المصدر: رحلة التّجاني: ص 385 ـ 388.

4 ـ أعِـــدِ الحديث

(الكامل)

أعِدِ الحديثَ فليس بالمملول عن خير مبعوثٍ وخيرِ رسول

واملأ مسامعنا بطيب حديثه فهو الشّفاء لِحَرٍّ كلّ غليل

وادأبْ عليه مصلّيا ومسلّما فكذا أتى في محكَم التّنزيل

واخْصُصْ بترداد السّلام ضريحَه في كلّ شارقة وكلّ أصيل

واذا رأيت العَيْسَ تُحْدى نحوه فاختر مواطئهنّ للتّقبيل

واشفع بمن حملَتْ على أكوارها من حامل لغرامه محمولِ

واصحبهمُ بالقصد إن ونت الخطى ورأيت باعَ الطّول غير طويل

فعسى ينالك من زكاة زكائهم ما قرّر القرآنُ لابن سبيل

ومن اقتدى بالصّدق في انحائه قادتْه عزمتُه بغير دليل

ومن اشرأبّ الى لقاء حبيبه جَـذَبَ المقادةَ من يد التعليل

وأماط سَوْفَ وَمَجَّ ريقةَ رِقّـهِ بِلهَا العزيمة من فم التأميل

حتى يرى البيداءَ وثبةَ خائف والميلُ من قِصَـرٍ دُوَين الميل
كلُّ الجَمَال متى أرى لك زائرًا متبوِّئا بذَراك خيرَ مَقيل
فرحًا بمغناك المقدّس تُرْبه فَرَحَ المحِبِّ مبشّرا بقَبول
مترنّحا طَرِبا ترنّح منتش هزّت معاطفه شمالُ شمول
فهناك أَظفَرُ بالأماني والمنى وعلى الوجود أصولُ حين وصولي
وتهزّني من طيب طَيْبَةَ نفحةٌ فيطيب لي مَرَحِي وجرٌّ ذيولي
وإذا أسأتُ تأدّبًا بحِماكُمُ عفوا فإنّي غبتُ عن معقولي
من ذا يرى حَرَمَ الحبيب فيهتدي لتميّز المعلوم والمجهول
قمر له هضبات مكّة مطلعٌ والرّوضةُ الفيحاء أُفْقُ أفولِ
جاءت نعوتُ كماله منصوصةً في الذِّكْر والتَّوراةِ والإنجيلِ
وبه تشفّع آدمٌ لإلاهه لمّا أحسّ بحالة التّحويل
وأتى بمبعثه المسيحُ مبشّرًا يوصي به للجيل بعد الجيل
وبليلة الإسراء أُكْمِلَ فضلُه ناهيك من فضلٍ ومن تكميل
وإليه نلجأ في المعاد لأنّنا نأوي لظلٍّ للنّجاة ظليلِ
ما زال في الأصلاب يُنْقَلُ نُوره حتّى تبلّج في أعزّ قَبِيل
من نبعة للجود روّض نبتها وفروع مجد فَارِعٍ وأصول
صيد تحلّ من الأكابر هامُها وتحلّ منها مفرقَ الإكليل
فانجاب غيمُ الغيّ عند ظهوره كالشّمس في جوّ تلوح صقيلِ
وأذلّ من بالكفر حاول عزّةً وأعزّ بالإيمان كلّ ذليل
ألفَ الجميلَ فما يقابل سائلا إلاّ بوجه كالسّراج جميل
لا يُعْدَمُ السّارون إن نزلوا به ريًا لصاد أو قِرى لنزيل
سَمْحٌ يشاكل حسنُه إحسانَه لا تعتريه ملالةُ المسؤول
يلقى الأرامل واليتامى إن نأت عنهم عشيرتهم بكفّ كفيل
ويبيحهم من حبّه وحِبائه ما يحمل المثرِي على التّطفيل

هذا الفخارُ ومن يكن ذا وصفُه ... فالمدح فيه كقُطْرة في النِّيل
وعلى أولي الألباب طُرًّا أن يروا ... بذل النّفوس له أقلّ قليلِ
فعليه من ذي العرش كلُّ تحيّة ... وعلى صحابته نوي التَّفضيل
ما أمرع الروضَ الحيا وتضوّعت ... ريّا نسيمٍ في الغدوّ عليل

المصدر: رحلة التّجاني: ص 388 ـ 390، ومنها جزء بالمجمل: ص 209 ـ 210.

5 ـ مولدية

(الكامل)

أعلمتَ أنّك يا ربيع الأوّلُ ... تاج على هام الزّمان مكلّلُ
مستعذَبُ الإلمامِ مرتقَبُ اللّقا ... كلُّ الفضائل حين تُقْبِلُ تقبلُ
ما عُدْتَ الاّ كنت عيدًا ثالثا ... بل أنت أحلى في القلوب وأجملُ
شرفًا بمولد مصطفى لمّا بدا ... أخفى الأهلّةَ نورُه المتهلّلُ
وحويتَ مذ أصبحتَ ظرفَ زمَانه ... ظرفًا به في برد حسنك ترفلُ
وملكتَ أنفسنا بلطف شمائل ... بنسيمها نفسُ العليلِ تُعلَّل
وإذا حدا الحادي بمنزلة الحمى ... فالقصد سكّان الحمى لا المنزِلُ
فطُلِ الشّهورَ علاً وفاخرْها فإن ... شمختْ بأطولها فأنتَ الأطولُ
واستثْن منها ليلةَ القدر التي ... بثنائها نزل الكتابُ المنزَلُ
وأصخْ لقول اللّه فيها إنّها ... من ألف شهر في الإنابة أفضلُ
واستكملِ البشرى فإنّك لم تزل ... لك في القلوب مكانةٌ لا تُجْهلُ
لِمْ لا وعُشْرك واثنتاه أريْنَنَا ... قمرا به شمسُ الضُّحى لا تُعدلُ
ومن العجائب بدرُ تمّ يستوي ... لتمام عشر واثنتين ويَكملُ
ويفوت أقمارَ السّماء لأنّها ... للنّقص من بعد الزّيادة تُنْقَلُ
وكمال هذا البدر لا يعزى الى ... نقص ولا عن حاله يتحوّلُ

بل نورُهُ يزداد ضِعْفا كلّما ... طفق المِحَاقُ سَنَى البدور يُبدّلُ

ويقي عثارَ الغيّ واضحُ رُشده ... ويُبين من سبل الهدى ما يُشْكِلُ

وتُراع أفئدةُ العداةِ له كما ... يَرتاع من شاكي السِّلاح الأعزلُ

فمتى تحيط بوصف بدر نبوّة ... وافى وليل الكفر داج ألْيَلُ

فجلا عن الآفاق غَيْهَبَهَا كما ... يجلو صدا العضْبِ الحُسامُ الصيقل

وهدى إلى كفّ النّجاة سراجُه ... فعشا المُحِقُّ به وضلّ المبطلُ

وتظافرت أيدي الرّفاق فصيُّرت ... شيع النفاق وضعفهنَّ مذلَّل

وشَدَتْ بألسُنٍ حالها الأكوانُ من ... طرب له هذا النبيّ المرسلُ

هذا الذي هو للمُنَاصِب عَلْقَمٌ ... ولِمَاحِض الوُدّ الرّحيقُ السلْسلُ

وعلى الأرامل واليتامى إن خشوا ... أن تبدوَ الصّفحاتُ سِتْرٌ مرسل

وإذا انثنى الأقران عن وقع القنا ... فهو الملاذ لمن كبا والمعقِلُ

وهو الشّفيع المستجار بجاهه ... والأمُّ عمّن أرضعتْه تذهَلُ

قَسَمًا بمرسله إلينا رحمةً ... إنّي عليه معوِّلٌ ومعوِّلُ

لا أدّعي عِلْمًا ولا عَمَلاً ... ولكنّي بجاه محمّد أتوسّل

فلربما صَدَّ الكريمَ حياؤُه ... إن كان في ندمائه متطفِّل

صلّى عليه اللّه ما هبّت صَبا ... ليلا وما نفحت سُحَيرًا شمألُ

وعلى صحَابته وصفوةِ آله ... ما لاح برقٌ أو ترنّم بلبلُ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 390ـ 392.

أحمد بن الغمّاز

(693 _ 609)

أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن الحسن الأنصاري الخزرجي الأندلسي المعروف بابن الغمّاز، شاعر وأديب وفقيه. ولد ببلنسيّة وأخذ على أيدي علمائها ثمّ هاجر الى تونس وبقي فيها حوالي ربع قرن. كان له في الوسط العلمي والأدبي التّونسي تأثير كبير إذ كان يدرّس القراءات والتّاريخ والأدب والحديث النّبوي. وكانت دروسه في شكل مفاوضات ومطارحات علميّة وكان يحضر مجالس السّلطان. كان إماما وخطيبا بجامع الزّيتونة وتولّى قضاء الجماعة بتونس مرّات عديدة بعد أن تولّى القضاء في مدن عديدة بإفريقيّة، كما عيّن صاحبا للعلامة الكبرى سنة 669 وتروى أشعاره خاصة في الوعظ والارشاد الأخلاقي.

وحين توفّي في عاشوراء سنة 293 رثي بشعر كثير جمع في دواوين.

1 ـ مقطوعة

(الكامل)

من كان يعلم لا محالة أنّه لا بدّ أن يُودى وإن طال المدى
هلاّ استعدّ لمشهدٍ يجزي به من قد أعدّ من اهتدى ومن اعتدى

المصدر: نفح الطّيب: ج 4، ص 321 ـ 322.

2 ـ نصائح

(البسيط)

يا منفقَ العمْر في حرصٍ وفي طمعٍ إلى متى؟ قد تولّى وانقضى العُمر؟
إلى متى في التّمادي في الضّلال أما تنبيك موعظةٌ لو تنفع الذّكرُ؟
بادرْ متابًا عَسَى ما كان من زللٍ وما اقترفتَ من الآثام يُغتفرُ
وجنِّب الحرصَ واتركْه فما أحدٌ ينالُ بالحرص ما لم يعطه القدرُ
ولا تؤمِّل لما ترجو وتَحْذَرُهُ من ليس في كفّه نفعٌ ولا ضررُ
وفوِّض الأمر للرّحمان معتمداً عليه في كلّ ما تأتي وما تذرُ
واحذرْ هجومَ المنايا واستعدَّ لها ما دام يُمكنِكَ الإعدادُ والحذرُ

المصدر: درّة الحجال: ج1 ص 80 وعنوان الأريب: ج 1، ص 58.

3 ـ حساب النفس

(المتقارب)

أما آن للنَّفس أن تخشعا أما آن للقلب أن يُقْلِعَا
أليس الثَّمانون قد أقبلتْ فلم تُبْقِ في لذَّة مطمعا
تقضَّى الزمانُ ولا مطمعٌ لما قد مضى منه أن يرجعا
تقضَّى الزَّمانُ فواحسرتي لما فات منه وما ضُيِّعَا
ويا ويلتاه لذي شيبة يُطيع هوى النَّفس فيما دعا
وبعدًا وسحقًا له إذ غدًا يسمع وعظًا ولن يسمعا

المصدر: نفح الطيب: ج 4، ص 316 ـ 317 ، وعنوان الدراية: ص 121.

4 ـ هو الموت

(الطويل)

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتةً
وأنت على سوء من الفعلِ عاكفُ
وإيَّاك أن تُمضي من الدّهر ساعةً
ولا لحظة إلاّ وقلبك واجفُ
وبادر بأعمالٍ تسرُّك أن تُرى
إذا نُشِرَتْ يوم الحساب الصحائفُ
ولا تيأسنْ من رحمةِ اللّه إنّه
لِرَبٍّ العباد بالعبادِ لطائفُ

المصدر: عنوان الدراية: ص 121 ونفح الطيب: ج 4، ص 316 ـ 317.

5 ـ صن النفس

(الطويل)

صن النّفس واحملها على ما يزينها تعش سالما والقول منك جميل
وَإِنْ قلّ رزقُ اليوم فاصبر إلى غدٍ عسى نائبات الدّهر عنك تزول
يعزّ غنيّ النّفس إن قلّ ماله ويغْنى فقيرُ النّفس وهو ذليل
وما أكثر الأحباب حين تعدُّهم ولكنّهم في النّائبات قليل

المصدر: نفح الطيب: ج 4، ص 316 ـ 317. والأبيات تنسب أيضا لعلي بن أبي طالب مع 3 أبيات أخرى انظرها في ديوانه ص 104، طبعة بيروت، د. ت.

6 ـ رجاء

(الطويل)

وقالوا أما تخشى ذنوبا أتيتَها
ولم تك ذا جهل فتعذَر بالجهل
فقلت لهم: هَبني كما قد ذكرتمُ
تجاوزتُ في قولٍ وأسرفتُ في فعل
أما في رضى مَـوْلَى الموالي وصفْحه
رجاءٌ ومسلاة لمقترفٍ مثلي

المصدر: عنوان الأريب: ج 1، ص 68.

7 ـ يا صاحب الهمّ

(البسيط)

يا صاحب الهمّ إنّ الهمّ منفرجٌ كم من أمور شداد فرّج اللّهُ

اليأس يقطع أحيانا بصاحبه لا تيأسنْ فإنّ الفاتحَ اللّهُ

اللّهُ حسبُك فيما عذت منه به وأين يأمنهم من حسبه اللّهُ؟

إذا قضى اللّه فاستسلم لقدرته ما لامرئٍ حيلة فيما قضى اللّهُ

سلّم إلى اللّه فيما شاء وارض به فالخير أجمع فيما يصنع اللّهُ

المصدر: نفح الطّيب: ج 4 ، ص 316 ـ 317.

8 ـ هلال الشّهر

قال في ابن صغير له رأى هلال الشّهر بصومعة جامع الزيتونة فأراه لعدول الرؤية فلما أخبروه بذلك أُنشد ارتجالا:

(الطويل)

توارى هلال الأفق عن أعين الورى

وأُرْخِي حجابُ الغَيْم دون محيّاهُ

فلما تصدّى لارتقاب شقيقه

تبدّى له دون الأنام فحيّاهُ

المصدر: عنوان الأريب: ج 1، ص 68.

عبد الرّحمان بن الدّبّاغ

(699 ـ 605)

أبو زيد عبد الرّحمان بن عبد الله الأنصاري الأسيدي القيرواني المعروف بابن الدّبّاغ مؤرخ وشاعر. ولد بالقيروان ونشأ بها وأخذ من علمائها ثم سافر الى تونس وأفاد من أساتذتها وأدبائها ثم رجع إلى مسقط رأسه حيث انتصب لتدريس العلوم خاصة الأدب والتّاريخ.

من تآليفه:

- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: طبع بتونس مرّتين.
- مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب: نشر ببيروت سنة 1959.
- واسطة النّظام في تواريخ ملوك الإسلام.
- جلاء الأفكار في مناقب الأنصار.
- سراج المتّقين المنتخب من كلام سيّد المرسلين.

1 ـ فخر

(الكامل)

إنّي امرؤٌ نو همّة ملكيّة ما إن لها تحت الكواكب موضع
مالي إلى غير الفضائل مسلك يوما ولا دون المعالي منزع
أشبهتُ آبـائي الكرام فإنّـهـــم أبدا بغير الفضل لَمْ يتضلّعوا
ما فيهمُ إلا بعيرٌ شاردٌ رقّ الندى، سمحُ اليدين، سمندع
وأبِي أُسيدُ بنُ الحُضَير كفى به فخرا ومجدا فضلُه لا يُدْفع
ذاك الذي نزلت ملائكة السّماء لقراءة القرآن منه تسمع
وأضاءت المنساة[1] في غسق الدّجى من كفّه لَمًّا ادلهمّ المَهْيَعُ
نسبٌ كأنّ الصّبح منه تنفّست أنواره والشّمس منه تشعشع
من مُبلغ الأنصارَ عنّي أنّني أحمي الحمى وأذبّ عنه وأدفع

المصدر: معالم الإيمان: ج 4، ص 89 ـ 90.

2 ـ مقطوعـة

(الطويل)

كتبت «جلا الأفكار» في فضل معشرٍ بهم عزّ دينُ اللّه في الشّرق والغرب
إلهي فحقّق للأُسَيْدِيٍّ ما رجا بتأليفه واغفر لنا سائر الذّنب
وبونّه والقاري ومن هو سامع وكاتبه أعلى المقامات في القُرْب

المصدر: معالم الإيمان: ج 4 ، ص 89.

---

(1) المنساة كمكنسة ـ ومنسأة كمرتبة ويترك الهمز فيهما: العصا، وفي التاج: العصا العظيمة التي تكون مع الراعي.

نص نثري

في أقسام المحبة الجنسية والنفسية

اعلم أنّ المحبّة تنقسم إلى قسمين: أحدهما بحسب جنسها والثّاني بحسب ما في نفسها. أما قسمتها الجنسيّة فإنّها تنقسم أولا إلى ذاتيّة وعرضيّة، فالذاتيّة هي التي يُحَبُّ المحبوب فيها لذاته، والعرضيّة هي التي يُحَبُّ المحبوب فيها لغيره. أما العرضيّة فمنها محبة الإحسان وذلك كمن يُحِبُّ من أحسن إليه وهذا معْلُومٌ لا ينْكر، وكذلك ما فِي معنى الإحسان من جلب المنافع ودفع المضارّ والإعانة على الأغراض وتيسير المطالب. فالانسان مجبول على هذه المحبّة لأنّها مركوزة في طباعه، وإذ حاصلها يرجع إلى محبّته لنفسه التي جُبل عليها ولا يُشَكّ أنّ محبّة الانسان لنفسه وكمال وجوده ودوامه أمرٌ متحقّق، فجميع ما يُعِينه على ذلك من صحّة جسمٍ أو صلاح حال أمرٌ محبوب عنده مندرجٌ في ضمن محبّته لنفسه. ومن هنالك كانت محبّة الانسان لولده لأنّ فيه نوع خلفٍ منه عند فناء جسده إذ في بقاء النّوع ضربٌ من بقاء الشّخص، وولد الانسان أقربُ نوعه شَبَهًا به، ولهذا قالوا: "الولد سرٌّ أبيه"، فمن أجل هذا كان المحسن محبوبا لأنّه مُعِين على دوام البقاء الذي هو محبوب. قال عليه السّلام: "جُبِلَتْ القلوب على حبّ من أحسن إليها". وكذا محبّة الصّديق من أجل أنّه مُعين على جلب المنافع ودفع المضارّ، وكذلك أيضا محبّة المعلّم لأنّه سبب الافادة المكمّلة للوجود الانساني، ومحبّة الطّبيب لأنّه معين على حفظ صحّة الجسم ودفع المرض عنه، وجميع ما في هذا المعنى..

فهذه المحبّة كلّها عرضيّة، وكلّما كانت هذه الصّفة المحبوبة في شخص أتمّ وأدوم كانت محبّته لأجلها أدوم وأكمل، وبقدر نقصانها فيه تنقص المحبّة له. وقد

تتضاعف هذه المحبّة باستجماع هذه الخصال كلّها في شخص واحد وتُعْدَم بعدمها فيه، ولا يُشَكّ أنّ هذه المحبّة مجازية، لأنّ من أحبّ شخصا لصفة تعود منه عليه فما أحبّ على الحقيقة إلاّ نفسه. ومثل هذا يقال فيه أنّه محبٌّ لنفسه حقيقةً ولغيره مجازًا، وليس غرضنا يتعلّق بهذه المحبّة إذ حاصلها يرجع إلى محبّة الأجسام وبقائها، وقصدُنا صَرْفُ النّفس عن ذلك إلى ما هو أشرف، فهي ضدّ مقصودنا.

وأمّا المحبّة الذاتيّة ونعني بها التي تراد لذاتها فهي تنقسم إلي قسمين: أحدهما ما يُعقَل سببه والآخر ما لا يعقل له سبب. فالتي لا يعقل لها سببٌ هي محبّة المناسبة الخفيّة عن الأذهان، والتي يُعْقَل سببها هي محبّة الجمال والكمال الذاتيين للمحبوب. وقد انحصر مقصودنا من المحبّة إلى ثلاثة أقسام: محبّة الجمال، ومحبّة الكمال، ومحبّة المناسبة الرّوحانيّة. أمّا محبّة الكمال فهي مزادة للجمال إذ الكمال مظهر للجمال، وأمّا محبّة المناسبة فهي أيضا خارجةٌ عن مقصودنا من السّلوك إذ لا يُتوصل إليها بسبب مكتسب وإنّما هي شيء وُضع في الجملة بحسب القسمة الأزليّة فلا يُفْتقر فيها إلى طلبٍ ولا رياضةٍ، لكنّنا ننبّه على طرف منها من حيث الجملة لأنّها إذا وُجدت كانت أشرفَ أنواع المحبّة وأدومَها.

فصل: وأما أقسام المحبّة بحسب ذاتها فإنّها تنقسم بحسب المبادئ والغايات إلى عشرة أقسام: خمسة منها مقامات المحبّين السّالكين. فأوّلها الألفة ثمّ الهوى ثمّ الخلّة ثم الشّغف ثم الوجد. وأما مقامات العشّاق فأولها الغرام ثمّ الافتتان ثمّ الولَه ثمّ الدَّهش ثم الفناء. واسم المحبّة يشتمل على الكلّ إلاّ أن المحبّ لا يخلو إمّا أن يستعمل المحبّة أو تستعمله، فإن استعملها وكان له

فيها كسبٌ واختيار سمّي محبًا اصطلاحا، وان استعملته المحبّة بحيث لا يكون له فيها كسبٌ ولا اختيار ولا نظرٌ لنفسه بما تصلحه فهو عاشق، فالمحبّ مريد والعاشق مراد.

فصل: وأمّا الألفة فهي أوّل مقام من مقامات المحبّين، ومعناها ايثار جانب المحبوب على كلّ مطلوب ومصحوب ويستدعيها الانسان باستقراء محاسن المحبوب وإدامة الفكرة في لطافة شمائله وما هو عليه من بديع الصّنعة وغريب الحكمة الالهيّة، ويتأكّد ذلك بملازمة الصُّحبة وطول العشرة واستماع الأشعار المرقّقة للطبع التي تُدْرك فيها شمائل المحبوب وتدقيق الفكر في معانيها اللّطيفة.

واعلم أنّ أصل التّآلف التّعارف الأزلي في عالم الغيب، فمن تحقّقت نسبته هنالك ظهرت هنا، إذ العالم الأسفل ظلٌّ للعالم الأعلى، وهذه الأشباح أمثلةٌ لتلك الأرواح، فما من صورة في عالم الشّهادة إلا وهي مثالٌ لذات روحانيّة من عالَم الغيب، فإذا تحرّكت تلك الحقيقة هنالك لزم أن يتحرّك مثالها هنا، كما أنّ الظلّ تابع للشخص في حركته وسكونه، فالتّعارف هنا ثمرة ما هنالك.

(من الكامل)

بيْني وبينك ذمّةٌ مرعيّةٌ بدأتْ هناك وكان آخرها هنا

وهذه الألفة تكون عموما وخصوصا: أما العموم فهي نسبة تؤلّف جميع الموجودات لاشتراكها كلّها في نور الوجود المشرق عليها من مُوجِدِها.

(من الطويل)

خلقتُ ألوفا لو رجعتُ إلى الصّبى لفارقتُ شيبي مُوجعَ القلب باكيا[1]

---

(1) البيت لأبي الطيب: ديوان أبي الطيّب شرح العكبري، مصر 1963 ، ج 4 ص، 284

وأمّا الخصوص فهي التي يوجبها الاشتراك في أخصّ وصف الانسان وهي المعرفة المعبّر عنها بالايمان المنتج للمحبّة الحاصلة عن النّور التامّ، ولهذا كان المؤمنون بهذا الاشتراك الخاصّ كالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو اشتكى سائره، إذ السرّ القائم بهم واحد فهم شيء واحد بذلك الاعتبار.

فصل: فأمّا مقام الخِلّة فمعناها تخلّل شمائل المحبوب روحانيّةَ المحبّ حتّى تتكيّف بها النّفس والرّوح وسائر الجملة الانسانيّة فتتحرّك أعضاء المحبّ عن إرادة المحبوب المتحرّك بها القلب فتستحيل المخالفة، كما قيل (من الخفيف):

وتخلّلت مسلك الرُّوحِ منّي ولذا سمّيَ الخليلُ خليلا

فإذا ما نطقتُ كنتَ حديثـي وإذا ما سكتُّ كنتَ الغليلاَ

ولهذا قال عليه السلام: "المرء على دين خليله". يعنى أنّ الذي أشرق في هذا من النّور الإلهي هو الذي أشرق في الآخر لاتّحاد محلّهما فكان دينهما واحداً أي مطلوبهما وفهمهما الذي يدركان به الحقائق واحداً، ولا يكون هذا التخلّل إلاّ تابعا للصّفاء والخلوص الذي معناه زوال العوارض الزّائدة عن الذوات حتى تبقى مجرّدة واحدة فتنطبع فيها صورة الوجود الكلّي.

فصل: وأمّا مقام الهوى فمعناه ميل القلب بالكليّة إلى وِجهة المحبوب والإعراض عمّا سواه وتجريد القصد له في كلّ حين وصرف الهمّة إليه، وفيه تستحكم المحبّة وتشتدّ صورتها وينبسط سلطانها ويستولي لاعج الشّوق. ثمّ إنّ الهوى وإن كان وضعا لازما للمحبّ فهو بتجدّد النّظرات إلى الصُّور الجميلة، والمحاسن الرائقة النّبيلة، والشّمائل اللّطيفة المعاني، وفتور الألحاظ الذي يلّحق الطّليق بالعاني، فيجلب له الهوى من كلّ صوب، ويجدّد له الأشواق من كلّ ناحية وأوب، فهو رهين غرام، وأسير سقام. (من الطويل):

عيون المها بين الرُّصافـةِ والجـسـْرِ   جلبْن الهوى من حيث أدري ولا أدري

أعَدْنَ لي الشَّوقَ القديمَ ولم أكن   سلوتُ ولكن زدن جمراً الى جمرِ

فالهوى سلطانه يستعبد الأرْوَاحَ والأجساد، وتنقاد لعزّته القلوب غاية الانقياد، فلا يبقى له معها اختيار ولا مراد، ولا يصحّ الاتّصاف بالهوى إلاّ لمن خرج عن هواه، وآثر طاعة حبيبه على ما سواه، فلا يسمع إلاّ منه، ولا يتحدّث إلاّ عنه.

المصدر: مشارق أنوار القلوب: ص 30 ـ 35.

عبد الله بن هارون

(702 - 603)

أبو محمّد عبد الله بن محمد بن هارون الطّائي الأندلسي التّونسي، شاعر ومؤلف ومدرّس، ولد في رمضان 603 بقرطبة ونشأ فيها وتعلّم وتكوّن خاصّة في الأدب ثمّ وفد إلى تونس واستقرّ بها طويلا يدرّس ويؤلّف وينظّم الأشعار. اشتهر بتآليفه : "اللآلئ المجموعة من باهر النّظام وبارع الكلام في وصف مثال نعلي رسول الله عليه الصّلاة والسّلام "ويحتوي على مجموعة من الأشعار تصف نعلي النّبي.

1 ـ تقريظ كتاب "الشفاء" للقاضي عياض

قال في كتاب "الشّفاء" للقاضي عياض :

(البسيط)

جَازَى الإِلَهُ العِيَاضِيَّ الإِمَامَ بِمَا
يُجْزَى بِهِ كُلُّ مَنْ يُحْيِى به الأثَرُ

أنْوَارُ ذِكْرِ الرَّسُولِ المُصْطَفَى ائْتَلَقَتْ
تَجْلُو الدَّيَاجِيَ مِنْهَا الأَنْجُمُ الزُّهُـرُ

شَمْسُ الضّحى أشْرَقَتْ مِنْ نُورِهِ وَذَكَا
مِنْ عَرْفِ رَوْضِ الرُّبَى للنَّاشِقِ الزَّهَرُ

سِـلْـكٌ بِهِ ازدانَ جِيدُ العلمِ وانتظَمَتْ
فِيهِ لِجَامِعِهِ اليَاقُوتُ والدّرَرُ

أرْوَتْ ظِمَاءَ الوَرَى غُرُّ الغَمَامِ بِهِ
بِوَاكِفٍ لِلْحَيَا سَحَّتْ بِهِ الدُّرَرُ

جَدِيدهُ ليس يَبْلَى الذكْرُ منه على
مَرِّ الجَدِيدَيْنِ تُسْتَجْلَى بِهِ صُوَرُ

غَضٌ يَلَذُّ على الأسْمَاعِ يَمْلَؤُهَا
مِنْهُ السُّـرُورُ إِذَا تُتْلَى لَهُ سُوَرُ

لِلَّهِ دَرُّ ذَوِي الأَلْبَابِ قَدْ عَمَرُوا الـ
أَعْمَارَ مِنْهُ بِمَا قَدْ بُورِكَ العُمُرُ

يُرَدِّدُونَ على الأسْمَاعِ ما قَرَأُوا
منْهُ فَيَا نِعْمَ مَا الدُّنْيَا بِهِ عَمَرُوا

الشّعْرُ شاخ وكَلَّ الفكْرُ حين مَضَى
عَصْرُ الشَّبَابِ وَشَابَ الرَّأْسُ وَالشَّعَرُ

تَمْضِي الحياةُ وأبناءُ الزَّمَانِ بِهِ
فِي غَفْلَةٍ بِانْصِرَامِ العُمْرِ مَا شَعَرُوا

إنَّا لَمِنْ بَشَرٍ جَلَّتْ ذُنُوبُهُمُ
وَاللَّهُ يَصْفَحُ عَمَّا قَدْ جَنَى البَشَرُ

الفَضْلُ وَالكَرَم الجَمُّ العَمِيمُ لَهُ
جَاءَتْ بِهِ لِعَبِيد أَذْنَبُوا البَشَرُ

المصدر: برنامج الوادي آشي: ص 217 ـ 218.

2 ـ شكوى

(مجزوء الوافر)

رَمَانِــي بِالنَّــوَى زَمَنِــي ... فَشَـمْـلُ الأنْــسِ مُفْتَــرِقُ
وَلَيْلِــي كُـلُّــهُ فِكَــرُ ... فَقَلْبِــى مِنْــهُ مُحْتَــرِقُ
وِللآدَابِ أَبْــنَــــاءُ ... بِبَحْــرِ الفَقْــرِ قَدْ غَرِقُــوا
وَكُـلٌّ مِنْهُــمُ وَجِــلُ ... بِمَـا يَلْقَــاهُ أَوْ فَــرِقُ
يَغَــصُّ بِرِيقِــهِ مِنْــهُ ... كَمَــا فِي النُّطْقِ أَوْ شَــرِقُ

وَقَـــدْ صفــرَتْ أكُفُّهُـــمُ فَـــــــــلاَ وَرقٌ وَلاَ وَرِقُ
وَلُطْـــفُ اللَّـــهِ مُرْتَقَـــبٌ بِــــهِ العَـــادَاتُ تَنْخَـــرِقُ

المصدر: نفح الطّيب: ج 5ـ ص 201ـ 202.

3 ـ مقطوعة

(الكامل)

لاَ تَطْمَعَنْ فِي نَفْعِ آلِكَ إِنَّهُ
ضَرَر وَقَلَّ النَّفْعُ عِنْدَ الآلِ
أَقْصِرْ رُوَيْدَكَ إِنَّ مَا أَعْلَقْتَهُ
بِالآلِ مِنْ أَهْلٍ كَمِثْلِ الآلِ

المصدر: نفح الطّيب: ج 5 ، ص 200ـ 202.

إسحاق بن حسينة

(ت بعد 707)

أبو ابراهيم اسحاق بن حسينة، من أبرز شعراء العهد الحفصي كان شاعر السلطان أبي يحيى بن اللّحياني وسافر معه في رحلته إلى الجنوب سنة 707 . واشتهر بوصفه لسبخة التاكمرت. نشأ بتونس واشتغل كاتبا بديوان الرّسائل وكانت تربطه بعبد اللّه التجاني صاحب الرحلة علاقة أدبيّة متينة. يتّصف نثره بالبلاغة والتّرف الفكري، وشعره بالرقّة واللّطف وحسن الدّيباجة.

1 ـ إخوانية

مما راسل به عبد الله التّجاني:

(الوافر)

أعبدَ اللّه فقتَ ذوي المعالي   حباكَ اللّهُ أيّاما سعيده

ونلت منال آباء كرام   لهم في المجد آثارٌ حميده

أردتُ إليك إرسالا بشعر   لأسْمعَ من جوابك لي مديده

فإنّك مستمِدٌّ من بحور   سواحلُها غدت منّي بعيده

فإن جاوبتَ عن نظم بنظم   بعثتُ بقطعة أيضا جديده

فلا أبقى لأطلب منك نظما   ولا أبقيتَ تطلب لي قصيده

المصدر: رحلة التّجاني: ص 171 ـ 172.

2 ـ سخا بنفسي

قصيدة خاطب بها السّلطان ابن اللّحياني عندما غادره راجعا الى تونس وودّع صحبه بالرّكب:

(البسيط)

سخا بنفسي على إيثار صحبتكم   يومُ الوداع ومالي منكمُ خَلَفُ

إلاّ فؤادا كطير حلّ في شَرَك   ودمعةً مثلَ منهلّ الحيا تَكِفُ

أكُفُّها عن مجاريها فيبعثُها   حاد من الوجد يُجْرِيهَا فلا تقفُ

خلالها زفرةٌ تشتدّ طالعةً   تكاد من حرّها الأضلاعُ تنقصفُ

علمُ اليقين بأنّي إن صحبتكُمُ   أردى وشيكا ولم يُمهلْنيَ التّلفُ

فقلت: ما صحبةٌ دَانٍ تصرمُّها — بعدي بفرقة وقتٍ ماله طَرَفُ

وفي رجوعي رجاءً للبقاءِ به — أرجو حصول التّلاقي حين تنصرفُ

فاختار عبدُك بعدًا بعده صلةٌ — على اتّصال ببعد الدّهر يكتنفُ

فانظر بعين اعتبار ما أتيتُ به — يُقِمْ لي العذرَ في عليائك النَّصفُ

واترك مقالة أقوام ذوي غرض — يردّهم قصدُهم عن بعض ما عَرَفُوا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 204 ـ 205 ومنها 5 أبيات بعنوان الأريب: ج 1 ـ ص 93.

3 ـ شكوى

مدح عبد اللّه التّجاني وشكاه حاله فقال:

(الوافر)

أعبد اللّه قد حزتَ المعالي — وفُقْتَ كبارَ أعلامِ الرّجال

مُلِـئْـتَ نباهةً ومُلِئْتَ علما — وأكثرُ من ترى من ذاك خالِي

فأنت إمام أهل العلم طُرًّا — لك التّقديم في هذا المجال

ولَمّا أن أتاني منك كَتْبٌ — سُرِرْتُ بأنَّ حالَـكَ خيرُ حال

وأن عمادنا في حال نُعْمى — وقاه اللّهُ من عين الكمال

وأبقاه لإسداء الأيادي — وتشييد المكارم والمعالي

وقلتم كيف حالكم وحالي — وقد فارقتُكمْ بعدَ اتّصال

فحالي كلّها غمّ وكرب — فوا أسفي لِما قضت اللّيالي

فدمع العين لا يرقا وقلبي — له وجدٌ حكى وخزَ النّبال

وكنت أظنّ أمرَ الصّبر هيْنًا　　وأنَّ الوجد عنّا ذو انفصال
وأنَّ فراقَكم يـبْـلَى فيُنْسَى　　سوى ذكرى إذا خطرت ببالِ
فكان بعكس ما قدّرتُ فيه　　فلا تبخَلْ بتكرير السّؤالِ
فقلبي لا يفارقُه التياعٌ　　كما يَصْـلَى بِحَرِّ النّار صالِي
فلولا أنَّ سِنّي لم يُـعـنّي　　وأن بناءَ جسمي ذو اختلالِ
لكان الجسمُ عندكمُ كقلبي　　ولم أحفِلْ بأهلٍ أو بمالِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 232 ـ 233.

4 ـ سبخة التاكمرت

(الوافر)

قطعنا التّاكمرتَ سُرًى وسرنا　　صبيحة يومنا حتّى الزّوال
فلا تسأل لما قاسيتُ فيه　　من الأهوال والكُرَب الثّقالِ
عناء ليس يشبهه عناءٌ　　يَضيق لديه متّسعُ المقالِ
وليل لا تسير به نجومٌ　　كأنْ نيطت إلى بعض الجبالِ
وأرياح تصمّ الأذن منها　　تهبّ عن اليمين مَـعَ الشّمال
تصدّ عن طريق القصد قصدي　　وتضرب حُرَّ وجهي بالرّمال
ولا أسْطيع فتحَ العين فيها　　لبعض الأمر إلاّ باحتيالِ
وأجهدُ في دفاع النَّوم عنّي　　لخوفي من سقوط أو ضلالِ
وما زلنا نكابد في سُرانا　　مهالكَ لا تُقابَل بالمِحالِ

إلى أن لاحت الغابات ظُهْرا بظاهر تَـوْزر مثلَ الخيالِ
فهنَّـأَ بعضُنا بعضًا سرورا ونلنا راحةً بعد الكلالِ

المصدر: رحلة التّجاني: 156 ـ 157 وعنوان الأريب: ج 1 ص 93.

5 ـ بيت شعر

أوّل بيت من قصيدة خاطب بها السلّطان ابن اللّحياني يثنيه عن السّفر إلى المشرق ويطلب منه العودة إلى تونس:

(المتدارك)

عرّج يا صاحِ على الطّللِ واسكب أجفانك في الحِـللِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 192.

5 ـ يا نسمة الرّوض

قال مخاطبا عبد اللّه التجاني:

وأمّا قصيدتك القافية فلإشراق معانيها، واتقان أصولها ومبانيها، وعجزي عما يضاهيها، أغرت على كلّ ما فيها، ولم أغيّر منها غير قوافيها، ثم رددتها إليكم القهقرى، بعد أن جرى في أمرها ما جرى، وهي هذه:

(الكامل)

يا نسمة الرّوض الذي نظمت له زهرا تحلاّهُ يدُ الأمواهِ
سيري مبلّغة على شحط النّوى طِـيب السّلام لمجد عبد اللّهِ

الفاضل الأسمى الرّضا الأسنى الذي حاز العلى والفضل دون مضاهي

وتحمّلي عنّي إليه تحيّة كالمسك أو ذكراه في الأفواه

وصفي الذي قاسيت بعد فراقه فلقد دهتني من نَـوَاهُ دواهي

اللّهُ - عبدَ اللّه - يعلمُ أنّني بوداد مثلك في الأنام أُباهي

وبعثتُ هذا الطِّرس نحوك قاصداً تقريرَ وُدٍّ فيك ليس بواهي

لا زلتَ في نِـعَـمٍ تُجَلُّ وعزّةٍ وعلوِّ مقدار ورفعة جاهِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 233 ـ 234، وعنوان الأريب: ج 1، ص 93 ـ 94.

أحمد التجاني

(حي سنة 707)

أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن أحمد التّجاني شقيق عبد اللّه صاحب الرّحلة، كان ماهرا في التصرّف في المعاني الشّعريّة خاصّة في مدح السّلطان أبي يحيى بن اللّحياني الحفصي وقد اشتهر بيت التّجاني بالعلم وخدمة الأدب والكتابة الفنيّة وقرض الشعر.

1 ـ لأهل الحمى أصبو

قصيدة خاطب بها أخاه عبد اللّه التّجاني ومدح في آخرها السّلطان أبا يحيى زكرياء بن اللّحياني:

(الطويل)

لأهل الحِمى أصبو وإن جدّ لائمُ ... وإنّي على وِرد به الدهرَ حائمُ

وما القلب خال من هوى ساكنِ اللِّوى ... وإن أقفرت منهم وأقوتْ معالمُ

عليّ لهم جفنٌ من الدّمع مترَع ... وقلبٌ على حكم الصّبابة هائمُ

حمى اللّه قلبي كم يحنّ إلى الحِمى ... ويُطْرِبُه عهدُ اللّقا المتقادِمُ

يحنّ اشتياقًا أو يحنّ صبابة ... إذا لاح ضحّاكٌ من البرق باسمُ

وإن غرّدتْ ورقاءُ في غَسَقِ الدّجى ... يميل بها غصنٌ من الأيك ناعمُ

تذكّرَ عهداً قد تقضّى نعيمُه ... كأنّ لياليه المواضي مواسمُ

ألا في ضمان اللهّ قلبي فقد غدا ... يشبّ عليه من لظى الشّوق جاحمُ

وبالنّفس أفدي جيرةً قد تحمّلوا ... فلا القلبُ مرتاح ولا الجفن نائمُ

نأَوْا فنأى صبرُ المتيَّم إثرَهُم ... وأيُّ اصطبار بعد حِبّ يلازمُ

سَرَوْا يقطعون البيد واللّيلُ عاكفٌ ... كأنّهم فيه نجومٌ عوائمُ

على كلّ فَتْلاء الذّراعين جسرة ... سواءٌ لديها سهلُها والمخارمُ

تباري عليها القفر جدّاً كأنّما ... قوائمُها عند النّجاء قوادم

جديليّـة الآباء موثوقة القوى ... سليمة ما نيطت إليه القوائمُ

ويا قَاتَلَ اللهُ المطيَّ وإنّما نأت بأحبّائي المطيُّ الرّواسمُ

لقد خَلَّفوا من بعدهم ذا صبابة يروح ويغدو وهو بانٍ وهادمُ

إذا ما جرى ذكر العقيق جرت له دموعٌ حكت لونَ العقيق سواجمُ

فيا جيرةَ الوادي نداءَ متيّم تعدّى عليه الدّهرُ والدّهر حاكمُ

أعندكم أنّي على العهد ثابت إذا ضيّع العهدَ القديمَ مصارمُ

وأنّي على رَعْي الذّمام محافظٌ وأنّي على حفظ الوداد مداومُ

ويا مُزْمِعَ التّرحال تحمل كوره على بعدِ ما ينوي قِلاصٌ سواهمُ

لك اللّه عون والنّجاح موافق وبلِّغْتَ في دنياك ما أنت رائمُ

تحمَّلْ رعاك اللّه عنّي تحيّةً كما انشقّ عن زهرِ الرِّياض كمائم

تضوّعُ في وسط النّدي كأنّما تنشقّ مسكا من شذاها العراتم[1]

وإن صرتَ مجتازًا بأربُعِ دمّر ولاحت به للعين منك المعالمُ

فخُصّ به عنّي شقيقي وإنّني بحكم النّوى والبعدِ فيه لراغمُ

وصفْ ما ألاقي بعده من تشوّقٍ ووجد غدت تنقدُّ منه الحيازمُ

تمثّله الأشواق لي فكأنّما وإن كان ناء بين عينيّ قائمُ

وما ظبيات ضرّم القيظُ لُوحها فهنّ على وِرد الشّراب حوائمُ

إذا لاح برق في عنان سحابة فهنّ لما يلتاح منه شوائمُ

رأت نطفةً زرقاءَ في قلب صخرة ممنّعةٍ قد غادرتها الحمائمُ

(1) كذا في الأصل ولعلّها البراعم.

يفيء عليها الظلُّ كلّ عشيّة وتسترها أغصان دوح نواعمُ

بِأعظمَ منِ شوقي لرؤيته التي بها أملي يدنو وسعدي يلائمُ

أأحبابَنا بالسّخط مِـنِّـيَ لا الرّضا عدتْني نجودٌ عنكمُ وتهائمُ

لقد طال هذا البعد واشتطّت النّوى وجار علينا الدّهر والدّهر ظالمُ

إذا ما تذكّرت اللّيالي التي مضت تخيّلتُ أنّي في ادّكاري حالمُ

أحِنُّ لمسرى البرق من نحو أرضكم إذا ما سرى واللّيل أسودُ ساحمُ

وكم هيّجتْ شوقي سواجعُ أيكَةٍ يجاوبها إلفٌ لها ويناغمُ

أطارِحُها رجعَ الحنين صبابةً وأُعْرِبُ عن وجدي وهنّ أعاجمُ

فيا ليت شعري هل يعودُ بقربكم زمانٌ نَعِمْنَا فيه والشّمل ناظمُ

ويا حبّذا دهر قضى باجتماعنا كريمٌ وأيّام تولّت كرائمُ

بحيث قطعنا العيشَ وهو مهنّأٌ ونلنا الأماني والزّمانُ مسالمُ

وكم قد أدرنا أكؤس المَنِّ والمنى علينا وما غيرُ السّرورِ منادمُ

فهل مبلغٌ ذاك السّرور الذي مضى سلامًا تؤديه الرّياح النّواسمُ

اذا حملته عطّر الجوّ عَرْفُــهُ كما خطرت يوما عليك لطائمُ

سقى اللّهُ صوب المزن أعلام دمّر وَرَوّى رُباه العارضُ المتراكمُ

ولا زال ممطورَ الثّرى مُخْصبَ الذُّرى تردِّد فيه اللّحنَ وُرقٌ حمائمُ

اذا السّحب أذرى فوقه الدّمعَ أصبحت تضاحك للأزهار فيه مباسمُ

وما طلبي سقياه إلاّ رعايةً لمن حلّه والدّهر معطٍ وحارم

ومن أجل من حلّ الحمى يُذْكَر الحمى وإلاّ فما تجدي الرّبوع الطواسمُ

فيا نائيا عني ومثواه في الحشا ... ومِنْ أعجب الأشياء ناء ملازمُ
إلام نوًى لا يُستطاع احتمالُها ... وحتّى م بُــعْــدُ حَـوْلُـه متفاحمُ
ألا زورة تهدي الشّفاء على النّوى ... ويُــهْــدِي لنا منها المسرّةَ قادمُ
ومن ليّ باللّقيا ودون منالها ... فيافي تحامَى جوبَهنّ المناسمُ
أروح وأغدو والصَّـبَا متنسِّمٌ ... عسى خبرٌ ياتي به منك ناسمُ
وكم لي على بعدِ النّوى من تحيّة ... تحمّلها عنّي البروق البواسمُ
فيا ليتني طارت بِكوري على النّوى ... خواف شديداتُ القوى وقوادمُ
لأحظَى بحظّ لي برؤياك مقنع ... وانّي إذا ما نلت ذاك لغانمُ
أحنّ إذا ما مرّ ذكرك خاطرًا ... بقلبي كما حنّت نياقٌ روائمُ
عسى اللّه أن يدنِي إيابك عاجلا ... فيحسم هذا البعد والبين حاسمُ
وممّا يسلّي النّفس أنّك مُودَعٌ ... بحيث تحاماك الخطوب الهواجمُ
ومن يك بالمولى العماد اعتقاله ... فقد نَكَبَتْ عنه الدّواهي الرّواسمُ
همام توقّاه الأسودُ مهابة ... وتحسد كفّيه البحور الخضارمُ
عماد بني الدّنيا ومولاهم الذي ... يصادمُ عنهم من عدا ويصارمُ
من آل أبي حفص الذي قد غدا به ... حمى الدّين في أمن وذَلَّ المراغمُ
حمى حوزة الإسلام قدمًا بعزمه ... فعزّت له باللّه تلك العزائمُ
لقد شمخت تلك الرّبوع بماجد ... نمته الى العليا جدودٌ أكارمُ
يقاسمه في ماله كلّ مجتد ... وليس له في مجده من يقاسمُ

ومنها في مدح ابن اللّحياني:

كريم إذا ما السّحب ضنّت بقطرها حليم إذا ما حفّ بالحلم راقم

يرى البخل عصيانًا إذا سال سائل كأنّ عطاياه فروض لوازمُ

يذكّر يوم الجود والرّوع حاتما وعمروا وَمَنْ عمرو لديه وحاتمُ؟

حوى قَصَبَ العلياء والغايةَ التي يُرَى كلُّ خلق دونها وهو فاحمُ

فمن كأبي يحيى ندى وشجاعة إذا أمّه عاف ودارت ملاحمُ

هوالجود حتى لو تخلّف مجتد لسارت إليه من نداه المكارمُ

لقد غاب عن ترشيش[1] إذ غاب أنسُها ولاقت من الأشواق ما لا تنادمُ

تغيّر منها كلّ حسن وأصبحت يلوح لها وجه من الشّوق قاتمُ

حياة أبي يحيى حياة بني الدّنى وآراؤه من كلّ خطب عواصمُ

فلا زال في عزّ وسعد مجدّد تقابله الأيام وهي خوادمُ

ودام على مرّ اللّيالي وكرّها ينادي مجيبا للمنى ويناد م

المصدر: رحلة التّجاني: ص 198 ـ 203، وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 84 ـ 87 (بعض مقطوعات منها فقط).

---

(1) تونس.

أمّ عليّ التجانيّة

(القرن السابع)

أمّ عليّ وعمر ومحمّد وكلّهم شعراء، وزوج ابراهيم وهو أديب شاعر، وكانت تدرّس أولادها النّحو والشّعر والأدب. شاعرة مطبوعة على قول الشّعر عفو الخاطر تبثّ قصائدها الرّقيقة لواعج نفسها وبواطن حالها.

مقطوعتان

ـ 1 ـ

قالت ملغزة في اسم تميم:

(الطويل)

يقولون لي: هذا حبيبك ما اسمُـه؟

فما اسْطَعْت إفشاءً وما اسـطعت أكتُم

فقلت: اسمه ميم وحرف مقدّم

فهذا اسم من أهوى فديتكم افهموا

المصدر: رحلة العبدري: ص 262.

ـ 2 ـ

قالت في صفة شعر:

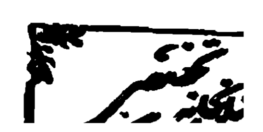
(الطويل)

إذا انسدلت منه عليها نؤابةٌ كغصن أراكٍ، عانقَ الغصنَ أرقمُ

أثيثٌ طويلٌ فهو يستر جسمَها إذا نَزعت عنه الملابسَ أسحمُ

كأنّ الصّباحَ ارتاع من خوفِ طالبٍ بثأرٍ فأضحى بالدُّجى يتكتّمُ

المصدر: رحلة العبدري: ص 262.



محمّد بن أحمد التجّاني

(ت في حدود سنة 710)

هو والد الرحّالة عبد اللّه. أخذ عن ابن الأبار وحازم القرطاجنّي وغيرهما من الأندلسيّين والعلماء والأدباء المقيمين بتونس. تولّى الكتابة في ديوان الانشاء ودرّس الأدب وكان يمدح السلّطان زكرياء بن اللّحياني.



1 ـ يا نسمة الفجر

كتب إلى السلطان ابن اللّحياني من تونس جوابا على رسالة منه:

(البسيط)

يا نسمة الفجر والأزهارُ قد رويت ... ممّا أدار عليها الوابلُ السّاقي

والرّوضُ قد أمسك الإمساكُ منه ثرى ... نمّت عليه به أنفاسُ أحباق

ولا قرارة إلاّ قرّرت خبرًا ... بأن دارين منّا رأيَ أحداق

لو أنّه نَشْرُ طيبٍ للتّجارة قد ... سيقت لطائمُه منه بأوساق

والنَّوْر تسري إلينا من محامده ... أنفاسُ ندٍّ ولكن دون إحراق

باللّه هُبِّي على ناد تبوّأه ... مَنْ للنّدى في يديه سحْب أرزاق

فإن ظفرْتِ بقربٍ منه فلتصفي ... بألسُنِ الوُرْق في الأوراق أشواقي

ولتسألي ليَ وعدا باللّقاء عسى ... وعد التّلاقي يَجْلي ما أنا لاقي

وقبّلي يا نجومَ الأفق راحته ... عنّي فبين الدراري قدرها الرّاقي

يا راحلين وقلبي راحلٌ معهم ... عنّي وإن كان لي جسم هنا باقي

لولا رجاءُ التّداني لم أعشْ زمنًا ... فردا ولا وُصِفَتْ بالصّبر أخلاقي

عسى اللّيالي التي بالبعد قد حكمت ... يُجْلَى دجاها من اللّقيا بإشراق

للّه رقعة مولى قد علقْت بما ... أولت من النّعمة العظمى بأعلاق

تضمّنتْ ذكر مملوك ووالده ... من مالك لهما بالفضل سبّاق

فالأمن واليمن والإقبال ما بقيت ... دنياهما لهما من أجلها باقي

المصدر: رحلة التّجاني، ص 194 ـ 195 وعنوان الأريب: ج 1، ص 80 ـ 81.

2 ـ مقطوعة

كتب يخاطب ابنه عبد اللّه وهو في رحلته:

(البسيط)

حمّلتمُ القلب إذ جدّ الرّحيلُ بكم ... من الصّبابة ما لا تحمل الإبلُ

فلو سلكتم سبيل الحزم ما عجزت ... إذّاك منّي على دفع النّوى الحِيَلُ

لكن عراني ذهولٌ يوم بينكمُ ... كما يكابد مَنْ أحبابهُ رحلوا

فاللّه يجمع منّا الشّملَ عن عجل ... فالخير أجملُ ما في نيله العَجَلُ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 117.

3 ـ على ذلك المجد الصّميم سلام

قال يمدح ابن اللحياني في صدر رسالة إليه:

(الطويل)

على ذلك المجد الصّميم سلامُ ... كما فُضّ عن أذكى المُسُوك ختامُ

ومازجه نشر من الرّوض قد جرى ... عليه نسيمٌ واستهلّ غمام

وإلاّ كما قصّ الرّواة حديثكم ... ورُدِّد منه في النَّـديّ كلامُ

فكلٌّ يوافي عنكمُ بمحاسن ... إذا كَلَّ عنها النثر ناب نظامُ

فكم قائلٍ قد شكّ إذ شمّ طيبه ... أدارينُ أم دارٌ لكم ومُقامُ

فليت الصّبَا تُهْديه عنّي إليكمُ ... وتشدو به فوق الغصون حمامُ

ولمّا توجّهتم وجدّت ركابكم ... وَسُرِّحَ للجُـرْدِ العِـتَـاقِ لجامُ

أقمنا وللسّلوان عنّا ترحّلٌ ... وللشّوق ما بين الضّلوع مُقامُ

فلو كانت الآمال أجنحةً لنا لطرنَا ولكن لا جَنَاح يرامُ
أمولاي كلّ النّاس يشكو بشوقكم ولكنّني للمشتكين إمامُ
يذكّرنيكم كلُّ شيء رأيتُـه جميل به يُعْنى وفيه يُهامُ
ولكنّني ألقاه في النّاس ناقصًا وفيكم زيادات له وتمامُ
وبي للتّلاقي شوقُ سِـرْب ظوامئ رأين قَراح الماء وهو جمامُ؟
وقد صدّها عن وِرده خوفُ صائد فهنّ حيامُ حوله وهيامُ
فيا ليتني أدري متى الدّهرُ مسعفي بذاك فَتُشْفَى لوعة وغرامُ
أجاهدُ أشواقي جهادَك للعدى فَكُلٌّ يلاقي الجيشَ وهو عرامُ
ولكنْ لك السّيف المصمِّم في الوغى وسيفي في تلك الحروبِ كهامُ

المصدر: رحلة التّجاني: ص: 129 ـ 130 وعنوان الأريب: ج 1، ص 80.

4 ـ ألا أيّها المولى

أبيات خاطب بها ابن اللّحياني السّلطان الحفصي:

(الطويل)

ألا أيّها المولى المبارَك سعيُه تنبّه لما خُـوِّلْـتَـهُ من محاسن
كفيتَ قديما أهلَ قابس فتنة غوتهم بسعي منك للنّجح ضامنِ
ولمّا أقمت الآن في يغمراسن إقامة مجتاز به غير قاطن
وحسبي تلمسانُ التي أبصرتْ بها عجائِبَ صنع اللّهِ عينُ المعاينِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 198.

5 ـ يا نفحة الزّهر

قصيدة خاطب بها الفقيه أبا محمّد عبد اللّه الأزدي العسيلي حين وروده على تونس:

(الكامل)

يا نفحة الزّهر الجنيّ إذا سرت ... غِبَّ انسكاب السُّحْب بالأمواهِ

زيدي بحمل شذا المسوك تعطّرا ... ثمّ اقصدي الأزديَّ عبدَ اللّه

بتحيّة تصف التشوّق عن أخ ... عَـقْـدُ الوداد لديه ليس بواهي

وصِفِي له وصْفي له بمحاسنٍ ... هي حِلْـيَـةُ الأسماع والأفواهِ

القادم المتقدّم الحِبر الذي ... جلّت مناقبُه عن الأشباهِ

أدبٌ يهزّ السّامعين ومنطقٌ ... عذب وظرف حاز كلّ تناهي

وافى فكلَّلَ لفظُه أسماعنا ... بجواهر هي في البلاغة ما هي

اعلم ـ فُدِيتَ أبا محمّد ـ أنّني ... مَنْ نهاه عن السُّلوِّ نواهي

إنّ التنائي والتّواصل ممكن ... داءٌ يعزّ دواؤه ودواهي

هبْ أنّ قربك عاق عنه عوائق ... إنّ الترسُّل للدُّنوّ مضاهي

ولقد بعثتُ لك النّظام لأنّني ... أدريه عندكمُ وجيهَ الجاهِ

فلعلّ فكرك أنْ يعلّلني بما ... يُـهْـديه من ذاك الطّراز الباهي

المصدر: رحلة التّجاني: ص 234 ـ 235.

6 ـ سلام من الربّ

(الطويل)

سلام من الربّ الرّحيم ورحمةٌ | مجدَّدة تَتْرَى على عابد اللّه
وإنّي لمعمورُ الفؤاد بذكره | إذا مَالَـهَا عن ذكر أحبابه اللاّهي
فيا ربَّنا اجمع شمل أحبابه به | فلا منية تُدْنِي الأماني إلاّ هي

المصدر : رحلة التّجاني: ص 294.

علي التجاني

(635 ـ 713)

أبو الحسن علي بن ابراهيم بن محمّد التّجاني من أشهر شعراء تونس في عصره. كان يدرّس الأدب واللّغة والبلاغة والشّعر والنّحو وعرف بأنّه "شيخ الأدباء وواحد البلغاء وزين النّاظمين الشعراء "تكون على أيدي أبويه ابراهيم وأمّه الشّاعرة والعالمة في النّحو. كان الثّاني عشر مدرّسا من آبائه وأحد شعراء عائلة التّجاني. وكان يقول الشّعر عفو الخاطر، قال عنه أحد النّقاد: "كان سريع البديهة في نظم الشعر، ربّما سبق الكاتب فيما يقترحه عليه النّاظم في أي عروض وروي .

1 ـ إلى ابني

قال مخاطبا ابنه الشّاعر الأديب أبا الفضل من طرابلس:

(الخفيف)

يا لساني عجزتَ عن وصف ما بي	من جليل الأوجال والأوصاب
وإذا لم يُـوَفِّ لفظي بحالي	ما عليَّ أن أخطّه في كتاب؟
لم تعادل مصيبتي بفراقي	أهــلَ وُدّي مـصـيـبـتــي بالشّـبـاب
قد تجرّعتُ بالنّوى كلَّ صاب	حسبيَ اللّـهُ ما أجلّ مُصَابِي
آه لم يدر ما العذاب فؤادٌ	لم يذق طعم فرقة الأحباب
وعسى من قضى بتقطيع قلبي	بالنّوى أنْ يلمّه باقتراب
أهلَ وُدّي إنّي على البعد مقيـ	ـمُ موجَعُ القلب من أليم العتاب
وحياةِ الهوى، وطيبِ التذاذ،	وصفاءِ الرّضا، وحلـوِ التّصابي
إنّكم عن سمعي ولحظي	ونفسي وضميري، لستم من الغيّاب
فإلى ذلك الجمال اشتياقي،	وإلى ذلك الجناب انتسابي
اعلموا أنّني بخير ورفق	ونعيم ألقاه من كلّ باب
قد أتاني، والحمد للّه، لطفٌ	لم يدعني عند الأمور الصّعاب
كيف يخشى من الإضاعة عبدٌ	حلّ ضيفا بالمالك الوهّاب

المصدر: رحلة ابن رشيد، النشرة العلميّة: ص 273 ـ 274.

2 ـ جهل الرواة

(السريع)

إنّ الذي يروي ولكنّه يجهل ما يروي وما يكتُبُ
كصخرةٍ تنبع أمواهُها تسقي الأراضيَ وهي لا تشرَب

المصدر: بغية الوعاة: ج 2، ص 141.

3 ـ صديق كالدّينار

(الوافر)

صديقُ المرء كالدّينار طبعا وكيف يخالف المرءُ الطّباعا؟
تراه ما أقام يقيم جاهًا وإن فارقته أجدى انتفاعا

المصدر: رحلة العبدري: ص 261.

4 ـ ذياع السرّ

(السّريع)

يا من إذا أُودع سرّاً فلا دينَ له عن نشره يردعُه
كالبوق إن أُوْدَعَ فيه فمٌ ألطفَ ريحٍ ذاع مستودَعُه

المصدر: رحلة العبدري: ص 261.

5 ـ مثال نعل النبيّ

قال في مثال نعل النبيّ :

(الكامل)

لمثال نعل الهاشميّ محمّدٍ جادت جفوني بالدّموع الرّغّف[1]

وبكاي من فرط الأسى وَلَوَ انّني أقضى وحقٍّ جلالِه لم أُنصف

أوطأتُه خدِّي، وقلتُ: تعزّزي ما شئتِ، يا نفسي، بهذا واشرفي

وتمسّكي أبدا بحبّ محمّدٍ فعساك أن تنجو به في الموقف

صلّى الإله عليه ما جنّ الدّجى وبدا النّهار ولاح نجمٌ أو خفي

المصدر : ملء العيبة: ج 2 ، ص 199.

6 ـ هجو

قال يتفكّه في بخيل:

(الوافر)

رغيفُ أبي عليّ حلّ خوفًا من الأضياف منزلَـــة السِّماك

إذا كسّروا رغيف أبي علي بكى يبكي بكاءً فهو باك

المصدر : رحلة العبدري: ص 262.

---

(1) أرغف: أسرع في السير.

7 ـ الفخر للدّراهم

قال مخاطبا الدّهر:

(الطويل)

بماذا رشاك الجهلُ حتى خدمتَه
وأعززتَه فالعلمُ للجهلِ خادمْ
وقد كان فيكَ الفخر بالمجد والنَّدى
فزال فليس الفخرُ الا لِلدَّراهِمْ؟

المصدر: سبك المقال. مخطوط

8 ـ أهل طرابلس

(المتقارب)

لأهل طرابُلْس عادةٌ من البرّ تُنْسي الغريبَ الحميما
حلَلْت بها مكرَهًا ثُمَّ إذ أقمتُ بها أبدلوا الهاء ميمًا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 258 ، وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 87.

9 ـ حبّ الدينار

(الوافر)

يهيم النّاسُ بالدّينار حبّا وما فيهم سوى من يصطفيه
فذو الوجهين عندهمُ وجيهٌ[1] وذاك نقيضُ ما قد صحّ فيه

---

(1) يعني قوله صلى الله عليه وسلّم: ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها.

المصدر: رحلة العبدري ص 261.

10 ـ أنكد ما في الدّهر

(السّريع)

أنكدُ ما في الدّهر إذلالهُ حرّاً لنذل يبتغي ما لديه

والنّذلُ معذورٌ على بخله من هو لولا عَـرَضٌ في يديه؟

المصدر: سبك المقال مخطوط.

محمّد بن إبراهيم التجّاني

(توفي بعد سنة 717)

أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمّد بن أبي القاسم التّجاني أخو عليّ وعمر الأديبين الشّاعرين، ولد بتونس ونشأ بين أيدي والديه الأديبين الشاعرين فأخذ عنهما الأدب واللّغة والنّحو.

كان كاتب العلامة لأبي زكرياء الحفصي، وكان نديما للمستنصر باللّه الحفصي وصديقا لأشهر أدباء تونس في عصره أمثال محمّد بن الأبّار وحازم القرطاجنّي وعلي بن سعيد وأحمد الغسّاني وأحمد اللّياني، كان يعقد معهم مجالس الأنس والشّراب. ويتبيّن مما بقي له من النّماذج الشعريّة أنّه في مستوى أبلغ شعراء الأدب العربي وأرقّهم. يختلط اسمه باسم سميّه ابن عمّه محمّد بن أحمد والد عبد اللّه صاحب الرّحلة إذ جاء ذكره في المصادر منسوبا إلى أبيه إبراهيم ولعلّه أكبر في السنّ من أخويه علي وعمر.

1 ـ قطف باللحظ

(البسيط)

قطفتُ باللّحظ من بستان وجنته
تفّاحةً ضرّجتْها حمرةُ الخفَرِ
وقلت: هذا أمانٌ من قطيعته
فالشّرع قد نصّ أن لا قطعَ في ثمرِ

المصدر: الوافي: ج 2، ص 15 ـ 16.

2 ـ جذوة قابس

كتب بالاشتراك مع أبي عبد اللّه محمّد بن يحيى بن أبي بكر بن هَمُشْك التِّنْملي إلى ابن مكّي أمير قابس يطلبان منه هديّة:

(الطويل)

وأورقَ[1] منسوبٍ لغابة قابس ... بقلبيَ من ذكراه جذوةُ قابسِ
يردّد فوق الباسقات هديلَه ... فيُرقصُ أعطافَ الغُصون الموائس
فكم صَفَّقَتْ أجناحُه وهو طائر ... كتَصْفيقِ دارٍ للتَّلاَحين دارس
يُريك من المَرجان حُمرَ أناملٍ ... ومن رائق الفيروز زرقَ ملابس
ويَنظُر عن ياقوتتين تودّ لو ... حوتْهنّ أجيادُ الحِسَانِ الأوانس
إلى مثله تصبو النّفوسُ محبّةً ... ففيه غِنًى عن مطرب ومُجَالِسِ
عسى ابن هَمُشْكٍ أن يرى ما نَرى به ... فليس وإن شطّ المزارُ بآيس

(1) أورق: مذكر ورقاء حمامة يضرب لونها الى الخضرة وتشبّه بها النّفس.

ولِمْ لا ولي عند ابن مكّي الرّضا ذخيرةُ دارٍ رسمُها غيرُ دارس
سَيُهْدِي مع الملاّح زوجين منه أو سيبعث لي زوجين صحبة فارس
فكم من كريمٍ أقبلتْ منه تحفةٌ على نأي دار واتّصالِ بسابس
فوجِّه أبا مروان لي متفضّلا به فلقد عُوِّدْت بذلَ النّفائس
يسلّي همومي حسنُه وغناؤُه فيُصبح من بعد الحبيب مؤانسي
عليكم سلامٌ من محبِّكمُ الذي يُحلّي بعلياكم صدورَ المجالس

المصدر: القدح: ص 105 ـ 106.

3 ـ تورية

(مجزوء الرجز)

كم قلتُ إذ عذّر مَنْ كان الفؤادُ منزله
وعُطِّلَتْ من فَتْكها تلك العيون الغزله
يا أشعريَّ خدِّهِ إنّي من المعتزله

المصدر: الوافي: ج 2، ص 15 ـ 16.

4 ـ سلام

قال كاتبا إلى صديقه ابن هَمُشْكَ التّنملي:

(السّريع)

بلّغ سلامي يا أبا القاسم لابن هَمُشْكٍ أوحدِ العالَم
التّنمليِّ أكرمْ به من ذي اعـ تقادٍ سالفٍ سالم
وفي الزّجاجات وإهدائها ما شئتَ من سعدٍ له قائم

من بلد الحُبْشان قد أُهديَتْ للعربيّ الفاضل العالم

فأقدم الرسلَ عليه بها حثًّا فجاءت تحفةَ القادِم

والكتبُ تأتيه جواباتُها خطوطُها تُذْرى على الرّاقم

المصدر: القدح: ص 105.

5 ـ استجازة

قال مخاطبا ابن الأبار طالبا منه الاجازة:

(الخفيف)

إن رأى سيّدي الذي حاز في العلـ ـمِ مع الحلم والعلا كلّ غايهْ

وحوى المجدَ عن جدود كرامٍ كلُّهم في السّماح والفضل آيهْ

أن أُرَى عنه بالإجازة أرْوِي كلَّ ما فيه لي تصحُّ الروايهْ

من حديثٍ وكلّ نظمٍ ونثرٍ وفنون له بهنّ درايهْ

فله في ذاك الثُّوابُ من اللّـ ـهِ ومنّا الثّناءُ دون نهايهْ

دام في رفعةٍ وعزٍّ وسعدٍ وأمانٍ ومُكْنةٍ وحمايهْ

ما تولّى جيشُ الظّلام هزيمًا وعلَتْ للصبّاح في الأفْقِ رايهْ

المصدر: نفح الطيب: ج 4، ص 120 ـ 121.

أبو الفضل التجاني

(718 ـ 657)

أبو الفضل محمد بن أبي الحسن علي بن ابراهيم بن محمد التّجاني شاعر وكاتب بديوان الانشاء ثم رئيس له سنة 707. من تآليفه:

ـ ديوان شعر لنا منه عدد من القصائد حفظها لنا ابن رشيد وعبد اللّه التّجاني في رحلتيهما.

ـ حشر الأمم الخالية ونشر الرّمم البالية في التّاريخ.

ـ الناسم في تاريخ السّلطان الحفصي أبي يحيى زكرياء بن اللحياني.

ـ الحلى التّجانيّة والحلل التّجانيّة: في التّرجمة لآل التّجانيين.

1 - إلى أبي

قال مجيبا والده أبا الحسن علي في رسالة:

(الخفيف)

يا فـراقَ الأصحـاب والأحبـاب قُدْتَ نحوي الأوصابَ من كل باب
أنت شكواي إن أطلتُ اشتكائي، أنت بلـواي إن ذكرتُ مصـابي
ما أقاسيه منك قلبي يدريـ ـهِ وتدريـه لوعتـي واكتئابـي
زفـرةٌ إثـر زفـرة، وولـوعٌ في فـؤادي، وحرقةٌ في التهـاب
أنـا للّـه أشتكـي مـا ألاقـي وأقاسـي، فقـد تعاظـم ما بـي
وأتـانـي مـن التفـرّق أمـر، عـذّب القلـبَ، فهـو سـوط عـذاب
مـا أتيـت الزّمـان منّـي بذنب فيقيم النّـوى مقـامَ العِقـاب
ويشـبّ القلـب المعـذّب نـارا تتـرك الصّبـر مـن وراء حجاب
غيـرَ أنّـي شرّفتُـه بمقـال ومعـانٍ زانتْـه مـن آداب
فلمـاذا يا ليـت شعـري، جفاني، وسقاني مـن كأسـه كلّ صـاب
إنّهـا الحيـرة، الذيـن تنـاؤوا عن جفونـي وذكرهـم في اقتـراب
بنتـمُ بالشّبـاب عنّـي، فعـودوا أو أعيدوا علـيّ منكم شبابي
شاب رأسي، واسودّ صبحي فما أحْـ ـوج رأسـي مـن صبغة لخضاب
أقْبسونـا مـن نوركـم، إنّنـا مـن ذلك النُّورِ لم نـزل فـي ارتقـاب
والحظـوها، لكـم رسالـة عـانٍ ليـس يُجْديـه غيـرُ ردِّ الجـواب

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 274.

2 ـ شوق

كتب الى ابن عمّه عبد اللّه التّجاني معبرا عن حنينه إليه:

(مجزوء الرمل)

لمع البرقُ فشمتُه   وبدا سرٌّ كتمتُهْ

وَسَرَى نحوي بسرٍّ   وبمعنى ما فهمتُهْ

مُعْلِمًا خلعةَ وُدّ   من وداد قد علمتُهْ

كاشفا عنّي قِناعًا   بدموعي قد رَقَمْتُهْ

همل الدمع لبرق   بلظى ناري وَسَمْتُهْ

وأطار القلبَ منّي   وبوُدّي لَوْ زَمَمْتُهْ

فهو للوجد مضيف   وعلى الشّوق ضممتُهْ

أفرد التّركيب بالتحْـ   ـليل لمّا أن قسمتُه

فلديّ الجسمُ والقلـ   ـبُ لدى خلٍّ عدمتُه

سار شرقا فمدحت الشـ   ـرقَ من غرب ذممتُه

ثمّ حيّاني بروْحٍ   وبريحان شممتُه

بكتاب صحّ في الوُ   د دليلا فأقمته

كم سرحت الطرف مرْ   تاحا إليه ولثمْتُه

رُسِمت أحرفُه فيـ   ـهِ خلوصا قد رسمتُهْ

يعلم اللّه اعتقادا   واتّحادا ما حرمتُه

وانتسابا وانتصابا   لهوى منّي أدَمْتُه

وبعـــين القـــرب فـــي ســـنّ الهـــوى بـــالنّفــس سـمـتُــه

فإذا صــــــحّ بــشـــــــيء فهــــو مـــا بـــيّنــت رمتُــه

المصدر: التجاني: ص 221 ـ 222 وأبيات منها في عنوان الأريب: ج 1 ص 89 ـ 90.

3 ـ روض كما شاء الرّبـيع

قال مادحا أحد الوجهاء وكنيته أبو الحسن:

(الكامل)

روض كمــا شــاء الرّبيــع مدبّــج وأزاهـــر مســـكيّهـــا يتـــأرّج

وخمائـــلٌ خضـــرٌ حكـين كتائبا راياتُــهـــا ظــلّ عليهـــا سجسـج

والأرض تَكْشِـفُ للعيـون جمالَـها مثــلَ العــروس لبعلهـا تتبـرّج

وقـد اكتسـت من سندسي نباتها حلــلا تريــك الحسـنَ ممّا يُنْسج

والزّرع والنّعمــان فــي أثنائــه بُسُـطٌ يزيّــن حشوُهـا ويبهــرج

تحكـي شقائقُــه خــدود معاشـق هــي مــن دمــاء العاشقين تضرّج

والزهـرُ فــي أعلــى الثّمــار كأنّه زُهر، وتلــك على الحقيقـة أبرج

أو كالعرائـس، والغصونُ قدودُها والزهـــر درّ مسْطــح ومدحــرج

تجلي من الأوراق في حلل لها مــرأى يــروق الناظريــن ويُبْهِج

مهما ثنت من قضبها أعطافَها وشـــدت عليهـا ساجعــاتٌ تَهْزج

أنستك أعطافَ الغواني وازدرت بنسيــب من يُغْـري بهن ويلهج

ما كلّلت من نَوْرِها أغصانها إلاّ ليفســخ عقدُهـــا والدّملـج

كلاّ ولا أهدت لنا أرواحَها إلاّ لـيُنْسَــخَ عطرُهــا المتــأرِّجُ

ساد الفصولَ ربيعُها فكأنّه ... مَلْك بأزهار الرُّبَى متتوِّج

أو كالغلام وقد تكامل حسنُه ... والخدُّ وردٌ والعِذَارُ بنفسج

لُقِحَتْ جميعُ ثماره فكمامها ... شبْه الكُرات، وكلُّ غصنٍ صولج

فأجِلْ بملعبه خيولَك لاهيا ... واركبْ خيولَ الأنس ساعة تُسْرِج

وادلج عشاياه، ففي إشراقها ... نُورُ الحياة وسرُّها المستَخْرَجُ

لا تُثْنِ عزمَكَ عن نديمك، واقتبس ... من كفّهِ نارا بها تتأجّج

حيث الأباطحُ والرُّبَى في حلّتي ... نَوْرٍ وَنُورٍ، صبحُه متبلّج

والنّهر كالسّيف الصقيل يلوح أو ... كالصِّلّ ساعة يلتوي ويعرّج

وتخال ذاك النّهرَ شبْهَ الدّهرِ في ... حاليه فهو مقوَّم ومعوَّج

وإذا اعترت ظُلَمُ الهمومِ فجلِّها، ... وذبالُ كأسِك في يمينك مُسْرَج

ومتى خَشِيت من الزّمان فلذ بمن ... يحييك من عدوانه ويفرِّج

ومنه في وصف الممدوح:

ذات معظَّمَةٌ، ومجد طائل، ... وحلا مكرّمة، وحسن مُبهِج

ومكارمٌ أحيا بها آباءه ... كرما، فمن هو حاتم والحشرج؟!

يا من تعجَّب من مكارمه التي ... يتموّل الغادي لها والمدْلِجُ

صحّت مقدمتا الأصالةِ والجدا ... عند القياس له، فلمْ لا ينتج؟

لمَ لا تعمّ الخلقَ جدواه؟ وفي ... كلتا يديه زواخرٌ تتموّج

فمتى رأينا قبل رؤية كفّه ... كفّا بها لجج النّدى تتدحرج؟!

إن ضَلَّ عن سبل الفضائل سالك ... فله إلى سُبْلِ الفضائل منهجُ

قلم على الإقليم طاعة أمره ... فإلى أوامره السّديدة يزعج

وإصابةٌ في الرأي والنّطق الذي ... في موقف الإقناع لا يتلجلج

وإذا أقام الرأي من هو كامل، فالرأي منه كامل لا يخدج

إيه بنفسي من خمولي لوعةً، ولها من الزَّمن البخيل مهيّج

سأبوح بالشَّكْوى وأُنْهيها لمن في البَوْح بالشَّكْوَى إليه تفرّج

وأريح نفسي بالكلام لعلّها يُقْضى لها فرجٌ بذاك ومخرج

ما للزّمان يسومني صبرا؟ وفي الـ أحشاء منه توقدٌ وتوهَّج

ويروم منّي أن أريم مُنَكِّبًا عن ذمّه، وهو الذّميم المُحْرِجُ

يا سائلا عنّي وعن أحداثه. هل يدفع النّيران عنه العَرفج

ألقيت في دهري سلاحي ذلّة، فمتى أردّ الدّهر وهو مدجَّج؟

وعلمت حقّا أنّه لي مدرك ولوّ انّ مركبي الضبيب وأعوج

كيف السّبيل إلى ورود مطالب أضحت بأقذاء القواطع تمزج؟

ما زلت أعجب من تحوّل حالتي، إذ لم أزل في كلّ طور أخرج

أخفى وأظهر تارة، فكأنّني بصحيفة العلياء سطر مُدمَجُ

لولا ابن يحيى، وهو لي أسنى المنى، ما كان لي نحو الحياة معرّج

صدّقت ظنّي حين لذت بجاهه أنّي إلى أفق المعالي أعرج

وأنال قصدي من علاه، ومن يلذ بجنابه فلغيره لا يُحوَج

هو من تفتّح بابه للمرتَجي، فلذاك باب ثنائه لا يُرْتَجُ

وأنارت الأمداح لمّا صغتُها حلْيا له، فالحقّ فيها أبلج

أهديتها مثلَ العروس، وحليها تلك الحلى، وجميل قصدي هودج

وعليّ أن أُهْدِيكها، وعليك أن تهدي قبول هديّة لا تَسمُج

هذا ثناؤك قد بعثت به وفي أثنائه من صدق ودّي مدرج

لا زلت في حلّ وفي سفر تَرى، ما تبتغيه، ولا أخافك مرهج

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 265 ـ 267.

4 ـ بحقك أعلمني

قال مادحا الرحالة ابن رُشَيد مجيبا إيّاه على قصيدة نظمها فيه:

(الطويل)

بحقّك أعلِمْنِي حقيقة ما تُبْدِي ... أهذا الضُّحى الوضّاحُ، أم قمرُ السَّعدِ

فما روضةٌ بالحَزْنِ للمزن عندها ... يد قصّرت عن ألسن الشُّكرِ والحمد

تُفَتُّ عليها من ثراها لطائمُ ... من المسك، لا كالندّ والعنبر الورد

وتَسْرِقُ من ذاك الشَّذى نسمةُ الصَّبا ... فتُنْشق من قرب، وتنشق من بعد

دعاها هواءٌ للهوى فكأنّما ... تعانقت الأغصانُ من شدّة الوجد

وقد نثرت أزهارها عندما التقت ... كما تَنثُر الحسناءُ منتظمَ العقد

وسامتَ وجهَ الشّمس غيْـمٌ مفرّقٌ ... كما تبصرُ الخيلانُ في صفحة الخدّ

وألقى على بُسْط الرّياض ضياؤها ... دنانيرَ نَوْرٍ ليس تحصر بالعدّ

وأضحى حَمامُ الأيك يشدو مغنّيا ... مغاني شكري، ما لمجدك من وردي

مآثر من قرطاسك المونق الذي ... غدا روضةَ الأفهام بل جَنّةَ الخُلْدِ

تضمّن من أبياتك الغرّ قطعةً ... لها موقع في النّفس أحلى من الشّهد

وأورد من سلسالها العذب كوثرا ... على ظمإٍ منّي إلى ذلك الوِرد

وحيّاك من حيّا بورْد، وما على ... ربيع المعاني أن يُحَيِّيَ بالورد

خطبتَ ـ فدتك النّفس ـ منّي عقيلة ... بشكرك تستغني عن المهر والنّقد

وأمهرتُها محض الوداد، ولم يكن ... ليُطْلب أنهى منه في مثل ذا العقد

وها هي تبغي منك عينَ الرّضا فجد ... عليها بما تبغي، وعَدٍّ عن النّقد

وزد يا محبَّ الدّين منّا محبّة ... ويا ابن رُشَيد لا برحت أخا رشد

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 277 ـ 278.

5 ـ تقديم الأصفار على الأعداد

قال مخاطبا لبعض من أخّر عن خطّته وقدّم غيره في مرتبته:

(الرجز)

إن أخّروك وقدّموا من آثروا ... هذا وهم في نسبة الأضداد

لا تقلقنّ فإنّما تقديمُهم ... تقديمُ أصفار على أعداد

المصدر : رحلة ابن رشيد، النشرة العلميّة: ص 273.

6 ـ شكوى

قال أبو الفضل: صرفني صارف من الدّهر عن رؤية بعض الكبراء مع ترادف العلل فخاطبته بهذه الأبيات ليفهم منها غير معنى الغزل:

(البسيط)

قولا لعلوة: إنّي بعد فرقتها ... أمسي وأُصبح لا ألوي إلى أحد

وعرّفاها بقلبي أنّها سكنت ... فيه، كسكنى الهوى والشّوق في خَلَدِ

وإن يكن عاقني عن وصلها قَدَرٌ، ... فحبّها ذاك، لم ينقُصْ ولم يَزِدِ

المصدر : رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 271.

7 ـ برق أنار

(الرجز)

برقٌ أنار فهاج عندي النّارا ... وأثارها مذ ذكّر الآثارا

وأسال أمطارَ الدُّمُوعِ فلم يَبِنْ ... هل ذاب قلبي عندها أم طارا؟

فغدا لخفق البرق قلبي خافقا ... متقلّبا ما أن يقِرُّ قرارا

أُمْسِي تذكّرني رسوما باللّوى ... أقْوتْ، وَجَاراً لي بسِلْعَ جارا

ومغانيــا، ومعانيــا قضّيتهــا ... هــي كانت الأوطانَ والأوطــارا

يا بــينُ قد بيّنتَ ماأخفيتُ من ... وجــدِ أجـدَّ فأوضــح الأسرارا

أظهـرتَ منــه فوق ما أضمرتُــه، ... وتركــت سرّي في الورى سيّارا

وازداد بــي شــوق، فلو لم تُـبْدِه ... أبداه دَمْــعٌ قد جـرى مِـدرارا

أخفيتُــه مــا اسْطَعْت قبلَ فراقنا، ... وسدَلْــتُ دون حديثــه أستــارا

وظننتُ أنّ الحُــبّ طــورٌ واحـد ... فأبــان لــي بعد النّــوى أطوارا

للّه وقــتٌ بالعُذَيْــبِ قطعتُــــه ... أنسانِـيَ الأوقــات والأعصــارا

واصلــتُ فيـه الوصل دون قطيعة ... وجنيــتُ من روض المنــى أزهارا

ونعمــتُ فيه بمن أُحِبُّ، ولم أَخَلْ ... ذاك النّعيــمَ يُـديلُني إسعارا

وهُــمُ الأحبّــة أنعمـوا بنعيمهم ... أو أضـرمـوا بين الجوانح نارا

غابــت ديارُهُــم فَلَمْ أَقْـدِر لهم ... إلاّ بأن صيّــرت قلبِـيَ دارا

وجعلتهمْ نَصَــبًــا لإنسانــي وإنْ ... حُجِبَتْ دمــوع قد جريــن غزارا

يا حاديــا بل حانـدا عن لعلــع ... ورُبَى العقيــق، أما نويـت مزارا؟

يمّمــتَ غربا، والغــرامُ مشــرّقٌ، ... فتركتَ بحــر مدامعــي زخّـارا

أوَ ما رفقــتَ بهــا ضعائنَ لم تـزل ... ترمـي بهــا الأنجادَ والأغوارا

حمَلَــتْ قلوبــا طائــراتٍ فوقها، ... قد صيّرت أكوارهــا أوكــارا

لولا الــذي صحبتْه في فلواتـهــا ... رامــت إلى مغنى الحبيــب مطارا

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 264.

8 ـ وصف الدّهر

قال في وصف الدّهر وبنيه، والتزم ما لا يلزم:

(البسيط)

ما أجْوَرَ الدّهر إلاّ أنّني رجلٌ قَطَـعْـتُ باليأس منه عندما جارا
جاريتُــه طلقا خَـبِــراً، فأطلعني على تنقّصــه من بعد ما جــارا
وقد نظــرت بَـنِـيهِ، واختبرتهـمُ فعندمـــا زرتهم ألفيــت أحجارا
فلا أصـــادق من أبنائــه أحــدا لو كان طوع يدي، أو كان لي جارا

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 271.

9 ـ يومٌ بقابس جنّـــة الدّنـيــا

قال يصف احدى عشياته بساحة عنبر وهي مكان بين مدينة قابس والبحر:

(الكامل)

اذكُــر عشيّتَنــا بساحــة عنبــرِ والجـــوُّ يُتْحِفُنــا بنكْهـــة عنبـــر
حيث النّخيـلُ عرائسٌ بَسَط الحيا بُسُطًـــا لها من أخضرٍ أو أصفرِ
والشّمس تستحيي فتستر وجهها عنّا بستـــرٍ للعـــروس محبَّـــرِ
والنُّـــور بين مفضّضٍ ومذهّـــب والنُّـــوْر بين مدرهـــم ومـــدنّـــرِ
والنّهـــر والغُـــدُرُ ادّرعن تَحَصُّناً إذ صُفَّـــتِ الغابـــاتُ صفّ معسكرِ
والبـحرُ يَرمقنـــا بمقلـــة أزرق والبَـــرُّ يرمقـنـا بمقلة أغْـفَـــرِ
في جنّة لو نلــتُ من خُلـــد بها قصدي بلغتُ إلى النّعيم الأكبرِ
ومحـــلّ أنـــس قلْتُ بين رياضه برياضـــة قـــادت لأبهــى منـظرِ
ملْنَا بمنعـــرج المصـــلّى نحـــوه حَـــذَرَ الرّقيـــب ولَيْتَه لم يَحضر

وجـرى لنـــا فيــه حديـــثُ كلُّه ... لطــفٌ حضرنا منه أطيَب مَحْضرِ

تجــري أحاديثُ الصَّبابة والصِّبَى ... بأرقّ مــن مَسْرَى الصبّا المتعطّرِ

ونُدِير كاســاتِ المحبّـــة بيننـــا ... فنَميــل منهــا بالحَلاَلِ المسكِــرِ

حتّـى إذا ولّى العشــيّ وآن أن ... نمتـــاز عـن نظــر المراد الأنضرِ

قمنــا نجــرّ من العفاف سوابغـا ... لمَّا نُغَيِّرْهـــا بصبغـــة منكَـــرِ

يــومٌ بقابِــسَ جنّةِ الدّنيــا وفـــي ... قلبي لوشك البيْن حرقةُ مِـسْـعَـرِ

المصدر: رحلة التجاني، ص 88 ـ 89، وعنوان الأريب: ج 1، ص 91.

10 ـ نعــم الله

قال في وصف نعم اللّه تعالى عليه ولطائفه الجميلة:

(البسيط)

للّه في حالتي ســرّ أسُــرُّ به ... ولستُ أُحْصي وإن عَدَدْت أيسره

ما عنّ لي وَجَلٌ إلاّ وأمّنني، ... ولا اعترى عُسْرٌ إلاّ ويسّره

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 271.

11 ـ استدعاء للإجازة

(الخفيف)

أيهـــا السّـــادةُ الأباعـــدُ عنّـــا ... أقْبِسُــونَا من نُوركـم بالإجــازه

صلتـــي عائد السـؤال مجانـــا ... فأجيــزوا لكــي تجـوزوا مجازه

لم يحصّــل إلاّ حقيقة علــم ... قربكــم، فابعثــوا إلينـــا مجــازه

وَعَدَتْنَـــا آمالُنــــا بلقــــاكــــم ... ولعــلّ الأيــامَ تُدْنِــي نجــازه

وعلى الفكر أن يقوم بمـــدح ... فيــه أرضــى تقصيده وارتجــازه

مع أنّي حُرِمْتُ مدح بني الدَّهْـــــــ ـــــر فشعري مذ جازه مــا أجــازه

وعُلاَكُم تقضي امتداد امتداحي واعتلالُ الأفكار تقضي الوجازه

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلمية: ص 284.

12 ـ سلوك

وقال واصفا حالته مع الصديق، وقيامه في موافقته بواجب الحقوق:

(الطويل)

إذا ما جفا خِلٌّ جفوتُ، وإن رأى مصادقتي أولى قضيتُ بما قضى

وما ذاك زهدا في الصّديق، وإنّما أوافقُه في حالــة السّخط والرّضا

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 271.

13 ـ حرف الواو

قال متمثّلا بالنّحو :

(الطويل)

وكنت أظنُّ الواوَ واوَ عِذَاره تجيء لمعنَى العَطْف، فامتنعَ العَطْفُ

وما صحّ إلاّ أنّها حرفُ عِلّة لوجدي، ولكن في فؤادي هو الحَذْف

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 272.

14 ـ أهدي سلام الودّ

كتب إلى عبد اللّه التّجاني مجيبا على تهنئة له بالتّرقية في ديوان الإنشاء:

(الكامل)

أَهْـدِي سَـلاَمَ الـوُدِّ خيرَ رفيـق ... مـن عُدَّ أوحدَ أسرتي وفَرِيقِي

ومقـام عبـدِ اللّـه نجـلِ محمّدٍ ... فـي قومه سـامٍ على العيـّوقِ

نَـدْب تحلّـى مـن جلالة سنـدس ... وأقام للعليـاء أنفـقَ سُـوقِ

وازدان بالفضل الذي هو مُرْضَع ... لبنـي الأفاضل ليس بالمذُوقِ

زانـت فتـاة السّـن منـه فتـوّةٌ ... قد ضمَّخَـتْ أَخْلاَقَـه بخَلُـوقِ

ومعـارفٌ تُـدْرَى لهـنّ عوارف ... فيها حقيـقٌ مجـدُه بحقـوقِ

أمّـا مواثيـقُ العهـود فإنّهـا ... أبدًا لديـه مَمـيـزَةٌ بوثـوقِ

ومشـارعُ الـودّ التـي أرْوَى بها ... ما أمطرتْهـا خُلَّبَـاتُ بُـروقِ

هي مـا علمـتُ موالـدٌ ومراضـعٌ ... وزكـاءُ فَـرْعٍ من زَكَـاءِ عروقِ

ودليـلُ تأكيـدِ الودادِ رسائـلٌ ... تقضـي بعهـد فـي الوداد وثيقِ

تدنـو علـى شحط الرُّبوع كأنّها ... شمـسٌ تَعُـمُّ ببهجـةٍ وشروقِ

أو كالحيا الهتّـان يَـرْوي مُمْحِلا ... فيعـود بعـد المَحْلِ جـدّ أنيق

ولَـربّ قافيـةٍ أتـت قافيـةً ... تَـقْـفُـو لها الشّعَـراء نَهْجَ طريق

فلئـن تمكّـن مـن طريقتـه امرؤٌ ... فلهـا مكـانٌ ليـس بالمطـروق

أنت الذي تجلـو المعانـي حلـوةً ... يصبـو الحجى لِجَمَالِهَـا المرموق

ولكلّ معنـى زانـه اللّفـظُ الـذي ... يكسو كغصن في الرّياض وريق

وافت تُهَنّي لـي بأسعـد رتبـة ... رُفِعَتْ بحُـرٍّ سوابـغ التّوفيـق

ومقــدّم باللّـــه شـــرط قضيّــة   قُرِنَــتْ بها الآمـــال بالتّصديـق
وأجلّ مــا آثرْتُــه حظٌّ أتَـــى   عفــوا بــدون الظّــنّ والتّعليــق
هــي نظرة من نحو خيــر خليفةٍ   غاظــت أبــا زيــد بخيـــر عتيــق
ما كنـــت لولا أنَّ عـــينَ رضاهُـــمُ   نَظَـــرَتْ بأيســـرِ مَا جَرَى بحقيــق
سوّدت أُن طُوِقّــتُ نُعْماه التي   قد قـــام فيهـــا شاهداً تطويقي
وكفايـــةُ الآثـــار قــد قابلتهـــا   بفصيح قولٍ فـــي الثّنــاء طليــق
هو مشرب أنا منه صاحبُ نشوة   ومواصـــلٌ لِصَبُوحَــــهُ بغبــوقِ
لا اشتكــي الاّ نــواك فَإِنّني   مــن أجل حَادِثِهَــا أَغَــصٌّ بريق
سحقًــا لدهــر لــو قضى بتألّف   لغدا مكــان الإلف غيــرَ سحيقِ
أُقْصَـــى فلـــولا ما دعوه أبا الورى   لعققتـــه ويــقــلّ فيـــه عقوقـــي
أعليــه نــذْرٌ لا يــزال يفــي بــه   أن يُعْقِــب التجميــعَ بالتّفريــق
لم أنــس سيل الدَّمْعِ يوم فراقنا   وغـــريقُـنـــا مستمســـكٌ بغريـــق
ما إن ذكرت البــين إلا بان مـــن   نفســي ومن نَفَسِــي دخانُ حريقِ
فاللّـــهَ أسألُ أن ينظـم شملَنا   عقداً ويجمــع نازحًـــا بمشــــوقِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 281 ـ 283، وعنوان الأريب: ج 1، ص 87 ـ 88.

15 ـ رثاء ابن أبي رقيقة

قال يرثي أبا العبّاس أحمد بن محمّد الخزرجي بن أبي رقيقة يوم 7 رجب سنة 681 هـ.

(مجزوء الرجز)

قالــوا: ارتــدى ثــوبَ الــردى أستاذنـــا ابـــن أبـــي رقيقـــه
فأجبتهـــم هــــذا نعيـــــــــــــــ ـــي العلــم والنّكــت الرّقيقــه
إن كـــان مـــات فَلَـــمْ تمــت إلاّ المعـــارف فـــي الحقيقـــه

المصدر: ملء العيبة: ج 2 ، ص 412.

16 ـ رثاء ابن أبي الدّنيا

قال يرثي الأديب الفقيه أبا محمّد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي:

(الرجز)

أطْلِقْ دموعــك ولْتَــدَعْ إمساكَهــا قــد حــلّ خَطْــبٌ ناثرٌ أسلاكَها
وأتــى الزّمان بنيــه بالرُّزْءِ الــذي أسَــرَ النّفــوس، فما تُطِيق فكاكها
من بعــد مــوت أبي محمّدٍ الرّضا حييــت لواعجهــا، وكنّ هلاكهــا
عَمَّ البريّــةَ بالرزيّــة، واغتــدى عــدم التآســي غالبــا نسّاكهــا
يا دهــرُ قــد فاجأتنــا بعظيمــةٍ بــوّأت مــن نيرانهــا أدراكهــا
ما خلــت أنّــك، واقتــدارك بيّــن، تأتــي بهــا أو تدّعــي إدراكها

أوَ لست تدري أنّ من أعْدمْتَه		قد كان كلٌّ فضيلة أعطاكها:
حَلاَّك من أسلاكه بجواهر،		خَطْبُ النوى من بعده أسلاكها
وحباك من أحكامه وعلومه		حفظا، فقل: من ذا سواه حباكها؟
وأقام للعليا منارةَ راهب		فهداك نحو سبيلها وأراكها
ما كان إلاّ حين أن كَمُلَت به		الدّنيا نسيتَ صنائعا أولاكها
وقَبَضْتَ بعد البسط نَفْسَ ممجَّدٍ		فقدت على إثر السّكون حراكها
سترى سماء المجد بعد فراقه		تسودّ لمّا أن سترت سِماكها
وتُقَلِّب الدّنيا لياليها على		أيّامها وتعيرُهَا أحلاكها
من لِلمَعَارِفِ بعده، وهو الذي		ما زال مالكَ رقّها وملاكها
من للأصول وللفروع جميعِها		يرمي عليها من نُهاه شِباكها؟
من للشُكُوكِ يَحِلُّهَا ويحيلها		ويصدّ عنها ناصبا أشراكها؟
من للعوارف، وهو إن أهداكها		فكأنّه طَرَبًا بها استهداكها؟
لم يُسْدِ يوما من منائحها يدا		إلاّ، بأخرى عاجلا، أنساكها
أسفا على قاضي القضاة، ومن به		وبعلمه، كنّا نرى استمساكها
عبدِ الحميد نتيجة الأعلى أبي الـ		ـبركات مَنْ عَجَمَ الأمورَ ولاَكها
كم نال من خِطَطٍ فَصَيَّرَ قطبَها		تدبيرَه، وسعودَه أفلاكها
وأباحها خطابها ككواعب		جعل النّدى متولّيا إملاكها
حتّى إذا قُضِي الحِمَام أعاده		خبرا، وأعدم ذاته أملاكها
للّه ما أعداه من رزء على		مُهَجٍ، أحلّ حلولُه إهلاكها
قد أوشكتْ نفسي تذوب كآبة		ورأى وفائي يقتضي إيشاكها
وبكيتُ من جزع عليه، كما بكت		وُرْقُ الحَمام الرّاقياتُ أراكها

وسألت فكري أن يُجيد رثاءه، فأجابني، من قبلِ هات، بهاكها
فأتت كمقصدها الجميل قصيدة حاكى البرودَ بنسجها إذ حاكها
لِمَ لا أعيرُ الدّهر منها مسكة، وأنا الذي اتّخذَ القريضَ مداكها

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 269 ـ 270.

17 ـ سقى الله هاتيك المعاهد والرّبى

(الطويل)

لـه عنـد سكّـان الغُوَيرِ وسائلُ يَدلّ بها في الحبّ راجٍ وسائلُ
أحاط به وجد، وفي رمل عَالِجٍ[1] علاجٌ لداء الوجد، والبعد عاجلُ
وعن سائل ما زال دهرا مسائلا وفيها له لو أن تقضّى مسائل
سرت نحوه بالسرّ من حَاجِرٍ[2] صَبا، صبا نحوها والرّيح في الدَّوْحِ فاعلُ
وراحـت إليـه شمائـل برسائل فلاحت على تلك الشّمال شمائل
ومـذ صبّحتْه نَسمَةُ الصُّبح أقبلت تخبّـره أن الرّضا عنـه حاصـل
تنسّم من ذاك النّسيم شذا الرّضا، فيا طيـبَ ما أسـدت قبول تُقَابِلُ
وذكّره سَـلْـعا[3] فسل عن خياله، وخبّرَ عن سلمى فسل ما يحاول
سقى اللّه هاتيك المعاهد والرُّبى عهادا يحيّيهـا فتحيـا الجنـادل
ولست لها مستسقيا واكف الحيا، كفتهـا دمـوعٌ هاميـاتٌ هوامـل
ليسْقِ الحيا وادي العقيق،[4] وأدمعي مـذابُ عقيقٍ فـوق خدّي سائـلُ

(1) رمل عالج: جبال متواصلة يتصل اعلاها بالدهناء ويتسع اتساعا كبيرا حتى قيل رمل عالج يحيط بأكثر أرض العرب.

(2) حاجر: موضع في ديار بني تميم.

(3) سلَع: جبل متّصل بالمدينة.

(4) وادي العقيق: وادي بالمدينة المنورة.

وتسحب في نجد وغور[5] ذيولها ... سحابٌ، وفي الأجفان سُحْبٌ هواطل
إذن لا تقلّدتُ الحسام الذي به ... أصولُ، ولا هُزّت بكفي عوامل
فكم أنّستني من دُماها أوانس ... بهنّ الذي بي من هوًى هو شامل
نواعمُ أجسام، موانع سلوة ... بواذل وصل، بالصّدود بواخل
هززن قدودا لا يشكّ بأنّها ... عوامل للصّابي المُصَابِ قواتلُ
يحرّكن من أعلى القدود ذوائبا، ... حكت عَذَبَاتٍ حرّكتها النّوابل
ويبسمن عن درّ، إذا لم يكن لمن ... تقلّد درًا مثله، فهو عاطل
ليالـيَ وِردُ الحبّ صاف، وعهده ... قديم، ولم يَنْقُلْه بالبعد ناقل
ولا قلبَ إلاّ وهو خال من الأسى، ... ولا وقتَ إلاّ وهو بالوصل آهل
وليّنة الأعطاف بيني وبينها ... عقود هوًى فيها تَحَار العواذل
سَرَيْتُ إليها في ليال عواقم ... وبي شغل من شدّة الوجد شاغل
يدلّ لـيّ الطرق اعتلاقٌ ولوعة ... ويَخْفُرني فيها حسام وذابل
وراحلتي قد أضعف السيرُ والسُّرى ... قُوَاها، وعن جهدٍ تكلّ الرّواحل
تحمّل جسمي، وهي في ضعف ضُعفه ... كما حُمّلت جسمَ الحسام الحمائل
إلى أن طرقت الحيّ من آل عامر، ... ولاعامرٌ إلاّ الجياد الصّواهل
فأبصرت من أبطالهنّ طوائفا ... طوائفَ تحميها القنا والقنابل
وكانوا أخافوني الرّدى فعَصَيْتُهُم، ... وبتُّ ومَنْ أهواه دان مواصل
وكيف يخاف الحيْن أو يُحْرم المنى ... فتًى، وله في خدمة المجد طائل

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 262 ـ 263.

(5) الغور: غور تهامة.

18 ـ يا طالب الأموال

(السريع)

يا طالبَ الأموال أقصر، ففي حرصِك إهمالٌ لأعمال
اطلب غنى النّفس تَفُزْ بالمنى، ليس الغنى عن كثرة المال

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة، ص 272.

19 ـ شمعة

قال أبو الفضل:

ارتجلت وقد أرقت ذات ليلة، وبين يدي شمعة، لا تغيض لها دمعة:

(الرجز)

يا شمعةً قامت على ساق، وقد جنّ الدُّجَى، واشتاق قلبي الهائم
بيْني وبيْنك نسبة، وتشابه فكأنّ شخصي في الحقيقة قائم
لوني، وسقمي، وانسكاب مدامعي وسهاد جفني، واللّهيب الدّائم

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 271.

20 ـ تذييل

قال أبو الفضل:

سألني صاحبنا المحدّث الزّاهد أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن ميمون الأشعري، حفظه الله، أن أذيل له على هذا العجز:

ربّ سهم أصاب من غير رام

فقلت:

(الخفيف)

ورشا غرّني بلين القوام، وفتورٍ بلحظه، وسقامِ

جئته أحسب المرام قريبا فرمتني ألحاظه بسِهَامِ

لم أخلْ أنّها من الضّعف تسطو فإذا قلبيّ المعذّبُ دامِ

فاحذروا أسهمَ اللّواحظ تنجوا، "ربّ سهم أصاب من غير رامِ"

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 272.

21 ـ رثاء الأديبين ابن أبي تميم وحازم القرطاجنّي

قال راثيا الأديبين محمّد بن أبي تميم الحميري وحازم القرطاجني وقد توفّيا بتونس سنة 684 هـ:

(الوافر)

ثوى ابنُ أبي تميم، ثمّ حازمْ فحزني بعد دفنهما ملازمْ

هما الشّيخان، إن ذُكِرَتْ شيوخ تُشَدُّ إلى لقائهم الحيازمْ

هما العَلَمان، إن ذُكِرَت عُلُومٌ تَعرُّفها يُعَدُّ من اللوازم

حذفتُ الصّبرَ بعدَهما، ولِمْ لا وخطبُهما لفعل الصّبر جازمْ

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 270.

22 ـ مدحية

قال مادحا أحد الرؤساء الوجهاء بتونس:

(البسيط)

عوّل على واحد الدُّنيا أبي الحسن ... نحو المنى بالغنى والجاه في قرن

ولذ بخدمته، واركن لحرمته ... تركن لحصن يقي من سطوة الزَّمن

وِرد وِرْدْ موردا أو روضة بهرا ... من جوده العدّ أو من خلقه الحسن

فهو المؤمَّل من قرب ومن بُعد ... وهو الممدّح في سرّ، وفي علن

يحبو البعيد بما يحبو القريب كما ... يسلي الغريب ـ بما يسدي ـ عن الوطن

فتنثني نحوه الأرواحُ رائحةً ... كأنّها قطّ لم تسكن إلى سكن

وتجتني كلَّ حين من معارفه ... أزاهرَ الفنّ تُنسي مُزْهر الفَنَنِ

من كان أمّله يوما وأمّ له ... أناله المنّ والسلوى من المنن

ومن شكا سوء حظّ في غنى وعُلا ... نال الرَّغائب واستعلى على القنن

طبع له ليس يخشى من تطبّعه، ... وسنّة قد جرى فيها على سنن

وشيمة شام منها برق مُنْيته ... من سامها فَحَوَاها دون ما ثمن

كلتا يديه إذا فاضت أناملها ... لم يكفها أن تُرَى كالواكف الهتن

هي البحار بلا شكّ تفيض على ... سطح الدّنا، وجميع النّاس كالسّفن

يا سابقين إلى عليائهم ولهم ... جدّ بنيل الأماني جدّ مرتهن

أنتم هم النّاس، والدّنيا لكم تبع ... ملكتموها برأي منكمُ حسن

لاذت بكم، ففعلتم في حميّتها ... فعل الكرام، فلم توهن ولم تهن

علت على الدّهر من أمداحكم خِلَعٌ ... أبهى وأبهر ممّا خصّ باليَمَن

عَدَنِيّة الحسن وشّت في جوانبها ... يدُ البديع بديعا ليس في عَدَن

تجلى وتجلب إن قيلت وإن قبلت على المسامع فوق الألسن اللّسن

فيا مؤمّليَ الأسنى الأجلّ، ومن صددتُ في مدحه جفني عن الوسن

إنّي فزعت إليكم شاكيا زمنا جرعت كاساته الملأى من الشّجن

دهـر متـى ما أراني وُدَّه كشفت أيّامهُ لِيَ عن ما فيه من دخن

والنّاس فيه كما قد قال شاعره يخلو من الهمّ أخلاهم من الفطن

وليس لي أبدا في غيركم أمل إن لم أؤمّلكم في مقصد فمن؟

هاك القوافيَ خذها، إنّها امتزجت بها حُـلاَك امتزاج المـاء باللّـبن

ثنى الثّنــاء له أبياتهــا جمعــا وقد جرى مثل جري الرُّوح في البدن

ومدح مجدك فرض عند ذي أدب وشكرُ ودّك عنــدي آكـدُ السُّنَـنِ

وأنــت أفضــل من ترجى عنايته بكلّ ممتهـن بالدّهــر ممتحــن

فاستقبل العيد في عزّ يدوم، وفي سعــد يقابــل بالإقبــال والهـــدن

ودم لنـــا جَنَّةً تُجْنَى أزاهرُهــا وجُنَّــةً هي أوقــى سائــر الجـنن

ما أشرقت غررُ الدُّنيا محاسنكم وأصبحـت وهي ملءُ العين والأذن

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 267 ـ 268.

23 ـ إخوانية

كتب يتشوّق لصديقه عبد الله التّجاني ملتزما تشديد حروف الرّوي ويلي الأبيات نثر:

(مجزوء الرمل)

مــن لمشـــغــوف مــعــنّــى ذكـــر الـعَهْـد فـــحنّــا

راعـــه الــدهـــرُ ببــيْنٍ بعـدمــا كـــان اطـــمـــأنّا

أبصر الرَّبْع قواءً فبكى شوقا وأنّا
وتمشّى مشي ولهان به يَقْرع سنّا
وشجاها هاتف فوق الربَى غنّى فعنّى
إلفه دان فلو فارق إلفا ما تغنّى
أطرب الرُّوح وأبردت شجوني حين ثنّى
فهي من فرط ارتياح دون راح تتثنّى
وتذكّرْتُ زمانا بالتداني مرّ عنّا
وحديثا ما أُحيلاهُ وسرًا منه صنّا
وبصدري مَيْتُ سرّ مُدرَجًا فيه أجِنّا
لستُ فيه بضنين عندما يعمل ظنّا
أيّها الأحباب ما بِنْتُمْ ولكن نحن بِنّا
أطلعوا من قربكم صبْحًا فَلَيْلُ البُعْدِ جنّا
وانظرونا نقتبس من نُورِكُمْ ما نتمنّى
ما عليكم لو نظرتم نظرة الإشفاقِ منّا
وسمحتم لقريح القَلْب بِالسّلوان ضنّا
لم يزل في كلّ معنى يجلب الودّ معنّى
راكبا في كلّ فنّ منه ذيّالا وفنّا
لا يحاشي من فنون الوُدِّ والإخلاص فنّا
هل أمانٌ من زمان فرض البعدَ وسنّا
سنّ أغيارًا وغارات النّوى والبين شنّا
ورمانا بسهام بعدما كان مِجَنّا

خـانـــنا العهـد ومـــا للـــــــــ ـعَـهْـدِ والمـــيثــاق خُـــنّــا
وجـــرى جـــري سـبـــوق للنّــــوى لا يـــتــأنّـــى
نـــال مـــنّـــا بافـتـــراق بعـــدما كــــان أمِـــنّـا
وعـــنـــاء تـــرك الأبْــــــــ دَانِ وَهْـــيًّـا حـــين عـــنّـــا
عـــقـــل العقـــل بتـــسريـــ ـــح منـــاصات فَجُنّـــا
عنـــدما شـــدّت رحـــالٌ ضـــعـــف الصَّـــبْرُ فـــلِنّـا
كيـف بالصّـــبـــر وأنّـــى بجمـــيل الصّـــبـــر أنّـــى
ولعـلّ الـــدّهـــر يـــنـــ سخ مـــا قـــد كـــان سَنّا
ويعـــيد الشّمـــلَ منـظـــو مًـــا كمـــا كنتـــم وكنّـا
وإذا مـــا اللّـــه ســـنّـــى عقـــدَ أمْـــر يتـــســـنّى

المصدر: رحلة التّجاني: ص 288 ـ 290.

24 ـ شكوى

قال معرّفا بنفسه مشتكيا من الزّمان:

(الخفيف)

أنـا مـن قد علمتَـه مِـتُّ حيّـا وطوتنـي الآدابُ بالنّشـر طيّـا
فـي زمـان بنـوه أجْـوَرُ منه، ومكـانٍ لم أُمْـسِ فيـه هنيّـا
هَبْـكَ أنّ المكـان أنقلَ رَحْلـي لمكـان سـواه شيئـا فشيّـا
ما احتيالي، وكيف يُجْدِي احتيالٌ أنّنـي أُصْلِـحُ الزّمـانَ الدّنِيّـا؟

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 262.

25 ـ رثاء ابن أبي الدّنيا

قال مرتجلا حين دفن العالم الأديب أبو محمّد عبد الحميد بن أبي الدّنيا:

(الوافر)

عَدِمْتُ صبري، ووجدت الأسى   لمّا فقدت ابن أبي الدّنيا

وكيف لي صبرٌ ومِنْ بعده   قد أظلمتْ في عيني الدّنيا

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 270.

26 ـ نصيحة

(السّريع)

عليك بالأعمال تجني بها   ما تشتهي من كلّ أمنيّةِ

وأخلِصِ النيّةَ في فعلها،   فإنّما الأعمال بالنِّيّةِ

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 272.

ـ نصوص نثريّة:

1 ـ رسالة إلى والده أبي الحسن علي

أخصّ والدي السيّد المكرّم، الموقّر المبجّل المعظّم، قدوة الآباء، وفخر الأبناء، أحسن الله بغياه، ويسّر عن قريب لقياه، بتحيّة عَرْفها من ذِكْره. وخلوصها من خلوص نَجْره، وسلام سلامته مستعارة من صدره، وفخامته مستفادة من قدره، وأعرفه عرّفه الله ما يسرّه، وصرف عنه من صروف الزّمان ما يضرّه.

إنّا بعد بعده، ووجود فقده، كرسوم فقدت ناسها، وجسوم عدمت أرواحها وإيناسها، وما ظنّك بالرّسوم بعد الجسوم، والأشباح بعد الأرواح، ولولا ـ يعلم الله ـ ذِكَرٌ تُبْقِي الرَّمق، وَفِكَرٌ تسكّن القلق، ومنًى تطفي حريق الحرق، وتفرّق مجتمع الفرق، وكلّها في ذهاب الغيبة، واقتراب الأوبة، ودفع الشتات، وجمع الشمل بتلك الذات، لذابت أجزاء النّفس، وأصبحت كأن لم تغن بالأمس، إلاّ أن في الأماني، بعض التّداني، وفي الأمل، تشكّيا للوجل.

وأما ما لدينا من التّوق، وشدّة الحنين والشّوق، فاسألوا النّسيم إذا سرى عنه، واستخبروا النّجوم فعندها خبر منه، واحترزوا من هبّات تلك النّسمات فإنّا بعد أن نشرت صباها نسيما، أعادها زفيري سموما، وإن وجدتم نارها بردا وسلاما، فلأنّها تحمّلت إليكم سلاما، واستلمت تمنّياتي عنّا استسلاما، فاستخبروها فخبرها صدق، وسائلوها فحديثها حق. وأما أخباركم فإن الأوهام تمثّلها، والأفكار تُصَوّرها وتخيّلها، إذ لم يصلنا من قِبَلِكُمْ إلاّ كتابان اثنان، تلقّيناهما باليمين تَلَقِّي عرابة، وأعجزنا ما ضمّناه من غريب في معانيهما وغرابة، أحدهما الذي استفتحته بأبيات. بل بآيات من الفصاحة بيّنات، عبّرت فيها عمّا يجنّه جنانك من الشّوق والوجد، ويضمره ضميرك من ألم النأي والبعد، بعبارة أرشق من جمع الشتيتين، ولفظ أحلى من القرب بعد البين، وقد جعلته لنفسي لزيما، واتّخذته سميرا ونديما. ولكثرة استعماله، وعدم إبعاده وإهماله، لم يبق إلاّ رسمه، ولا صحّ بيدي منه إلاّ اسمه. وذلك الرّسم قد أحرقته

حرارة الضّلوع، ومحت أسطره غزارة الدّموع، فهو بيدي خلق رث، وهباء منبث، ولو لم يعبّر عن حالك، ويخبر عمّا ترومه في ارتحالك، لدريناه دراية ما نكابده، وعرفناه عرفان ما نزاوله ونشاهده.

وأنتم وإن بنتم عن الأبصار، فما بنتم عن الأفكار. وإن غبتم عن العيان، فما غبتم عن الجنان. ولله أنت حيث قلت:

لئــن تنــاءت بنــا ديـار، لقــد تـدانت بــنا قـلـوب
وهــل يُعَــدُّ الفتــى بعيـدا مَــنْ وُدُّه حــاضــرٌ قــريب

وحاشا للّه أن تُحْسَب نائيا، وقد غدوتَ بالذِّكْر دانيا، أو يَصْفر من معناك مغناك، وفي القلب مثواك وسكناك. وما غاب في الحقيقة مَنْ ذكراه حاضرة، ولا أوحش معناه من صدور أهْله به عامرة. وكيف يؤلمها ذلك الألم رحيلك، وأثناءها نزولك، ومنها وفيها ظعنك وقفولك، غير أنّها ألفت حضورك جسما، فلم تقنع به وهما، واعتادته للعين عيانا لا خيالا، فلم تعتدّ به بعد ذلك تصوّرا ومثالا. وما كنت أحقّق أن سهام النّوى تشقّ سدف الأجساد، إلى هدف الأكباد، وتصيب بعرض البعاد، غرض الفؤاد، حتى رماني الدّهر منها بسهم فراقك، وأظلمت ربعي في تشريقك بعد إشراقك. فلمّا أصاب من قلبي بسهمه سويداءه، وأطال زمن البعد بهذا الحادث داءه، تيقّنت أنّه فوق ما يظنّ، وأشفقت على جناني ممّا يجنّ، فقد كاد لما به يجنّ.

(البسيط)

يُجَـنُّ شـوقـا فلـولا أنّ رائحـةً تـزوره في ريـاح الشّـوق مـا عقـلا

وصرت مهما خلوت دعيت نيّتي ودعوت سائلا ربّ المشرقين والمغربين، ألاّ تصيب القريبين أسهمُ البيْن، وأن يدفع عن الأكباد، مكابداتِ البعاد، ويمنع عن الفراق، أربابَ الرّفاق، حتّى لا تخدّ مطيّة إلاّ لقرب، ولا يخطر خاطرُ بُعْدٍ بقلب. وأنا أسأل من أغناك إلاّ عنه، وأبعدك منّا لتقرب منه، أن ييسّر مرامك، ويقضي حجّك واستلامك، ويعود بك إلينا صالح الأعمال، ناجح الآمال معافى في النّفس والمال، لينجبر صدعُ الشّمل، ويستبشر جميع الأهل، والسّلام.

المصدر:

رحلة ابن رشيد، النّشرة العلميّة: ص 274 ـ 276.

2 ـ من رسالة إلى ابن عمّه

من رسالة الى ابن عمّه عبد الله التّجاني، أوّلها قصيدة من مجزوء الرمل:

وهل أعزّكم الله للقلب ارتياح، الا اذا كان لشمس القرب التياح، فحينئذ تتجلّى ظلمه، ويشهر بناره علمه، فنور القريب لا يبقى ظلاما، وينادي نار القلب يا نار كوني بردا وسلاما، وسيأتي عند جسم نداه جوهره، ولم يغب عن القلب مظهره، وروح ائتلف مع البعد متعارفها، واتّخذ بالذّمم في أهل النّهى معارفها، والأسباب التي تدني الشّاسع، وتنفي القاطع، شوق من خافق الجناح أو كتب تتّصل به أشعّة شمسه، أو سرّ لا ينشر دفينه من رمسه، وأقواها سببا، وأقربها نسبا، تعارف الرّوحين في مبدإ أول، وتوحّد الأثنينية بقلب غير قلب وحال غير حول، وهذا هو النّسب، الذي تحمد فيه النّسب، على كل حال، ولعلّ حال مودّتنا بحسب هذا الاتّصال يتّصل، فهذا هو الفصل المميّز الذي لا يمتاز عن جنسه ولا ينفصل، وأطلب منكم أن تبلغوا أملي المعظّم سلمه الله سلامي، وتؤدّوا له ما يجب من توقيري وإعظامي، ولو كنت عنده أعزّه الله سليم العقد، سالما من النّقد، لأقدمت على مخاطبة جلاله، وجريت على عادتي في ترسيل الكلام وارساله، وفي التّأليف الذي رفعت الى مجده المرفّع محفوظه ومخفوضه، وأدّيت الى مقامه المحمود معروضه ومفروضه، وهو المصَنَّفُ الذي خصصته بسيادة العلماء، وسمّيته "الناسم"[1] وأستحي أن أذكر الاحياء، دليلي على العادة، في تلك العبادة، زمن اسعاد السّعادة، ولا جرم أن الحزم (لا يرفع) الحظّ المنغمس،

(1) مبحث في لفظة الاحياء كان بينه وبين عبد الله التّجاني.

وأن الفراسة لا تردّ بطش الدّهر المفترس، والأمر للّه وحده، وحتى الآن ليس لي عيش الا في بركته، ولا دعاء الا بكلاءة اللّه في سكونه وحركته، فهو مبدأ الحياة لي وتمامها، وكفّه بِوَكْفِهَا طالما رواني غمامها، وقد اتّصلتْ من نحو برقة بروق، لا تنبض معها عروق، غير أنّكم وان أجريتم في مرعى خصيب، ومسعى للخير مصيب، قد أحضركم السّفر في مكان مكين، واستندتم الى ربوة ذات قرار ومعين، فمن اليقين أنّك لا تظمأ فيها ولا تضْحى، وأنّك تقطع كل يوم بسيما فطر وأضحى، كلّ ذلك بمقاربة ذلك الجناب، وأعمال السير والسرى في مصاحبة ذلك الرّكاب، واللّه تعالى يصحبكم الخير والخيرة، ويصون لحفظ محاسن الجود تلكم الذّخيرة، ويديم اليمن المصاحب لأمركم مدبّرا ومديرا، ويقيم لكم في كلّ أرض تحلّونها روضة وغديرا.

المصدر: رحلة التّجاني: ص 222 ـ 224

3 ـ رسالة إلى أحد الأدباء

قال مراسلا أحد الأدباء وهو أبو عبد اللّه بن أبي القاسم بن الحكيم:

(الطويل)

هنيئـــا لآدابٍ ملكــت زمــامهــا	بأن عزّ مرقاها، وأنت زعيمها
وصحّت معانيها اللّطـافُ وكيف لا	تصحّ المعاني، والمعاني حكيمها

للّه رسائلك الغرّ، وكلماتك التي يخجل منها الدّرّ، لقد حلّت من الفصاحة سحرا، وأفاضت من البلاغة بحرا، وأشرقت ملامحها، ونطقت بالسّحر الحلال خواتمها وفواتحها، فإياتها باهرة. وآياتها ظاهرة.

أشهد أنّك أعلى الكتبة مرتبة، وأفرس الطّلبة إذا اعتقلت يمناك قَصَبَة، وأنّك أطولهم باعا. وأكملهم انطباعا، وأسلمهم طبعا، وأسلسهم قافية وسجعا، كريم الأب، جمّ الطّلب، قد جمعتَ بين الحسب الشّريف، والأدب التّليد والطّريف، فلنا أن ندعوك ذا الحسبين، وربّ الأدبين، والفائز بكلتا الحسنيين، فيا ذا الثلاثة

أعرنا قليلا من آدابك، وامنن على هذه البقيّة من الكتّاب أن تتعلّق بأهدابك، فما نثروا إلاّ وأنت منشيهم ومنسيهم، ولا فخروا إلاّ وكنت مجيرهم ومجيدهم، حزت الرّاية بسبقيك دون لحاق سابقهم، وجزت الغاية مغيرا ومغيرا في وجه وجيههم ولاَحقِهِم. فمن ذا يحيط من الأدب بما به أحطت، أم من يجاريك فيه وعلى الخبير سقطت.

لقد أقرّت لي في هذا الفن زعماؤه وأنابه زعيم، لَكِنِّي وصلني خطابك وخطابتك فنظرت نظرة في النّجوم، فعلمت أنّي سقيم، وقلت لآدابي لقد جئت شيئا فريًا، وأيقنت أنّ في صدور الصُّدور خبايا تظهر شيئا فشيئا.

(الخفيف)

واللّيالــي كمــا علمــت حُبَالَى   مغــــربــــات يَلِــــدْنَ كــــلَّ غريــب

ولا أغرب من رسالتك البديعة المساق، المخجلة كلّ قلادة بما رزقته من حسن الانتظام والاتّساق، فقد أغربت وأشرقت، وَغَرَّبْتَ وشرّقت، وتهادتها النواسم العطريّة، وافتقرت إليها المواسم السريّة والمباسم الخمريّة، هذي لتبتهج بتلاوتها، وهذي لتمتزج بحلاوتها.

وافت تخلع عليّ فرائدها، وتجلب إليّ فوائدها، وتذكّرني في أمر التّصنيف، وتُعَرِّفُنِي وإيّاه بغير لام التّعريف، وتشرّف هذا المجموع غاية التّشريف.

فتارة تخاطبه بالعقيلة الحسناء، وتارة تخاطبه بالخميلة الغنّاء، تنظر بعين الرِّضا، وعين الرِّضَا كليلة عن كلّ عيب لا يرتضى، وأنا أعلم أنّ هذا المجموع لولا من تحلّى باسمه، وصُنِعَ برسمه، لكانت عقيلته عاقلة للألْبَاب، وخميلتُه خاملة في الآداب، وبرسالتِكَ هذه كمُل له التّصنيف، وحرم فيه المطل والتّسويف، ومسكِ الختام، دليل الكمال والتّمام.

أبقاك اللّه متلاعبا بالأقلام، مبرّزا في حَلَبَة الأدباء الأعلام، بقاء الأيّام والأعوام، وأخصّك مع هذا بأفضل السّلام، وأكمل وجوه التحيّة والإكرام.

المصدر: رحلة ابن رشيد: النشرة العلميّة: ص 280 ـ 281.

عبد الله التجاني

(ولد في حدود سنة 670 ـ ت 721)

أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن أحمد التّجاني صاحب الرّحلة في ركب السّلطان أبي يحيى زكرياء بن اللّحياني غادر تونس سنة 706 ورجع إليها سنة 708 . من كتبه بالاضافة إلى الرّحلة المطبوعة بتونس طبعتين الأولى سنة 1958، والثانية سنة 1981 :

ـ تحفة العروس ومتعة النّفوس: طبع طبعتين غير منسوبتين إلى مؤلّفها الأصلي الأولى بمصر سنة 1301 والثانية بمصر أيضا عن مكتبة التراث الاسلامي، د. ت وهي طبعة محرّفة جدّاً.

كما طبعت طبعة ثالثة عن دار الرّيّس بلندن غير منسوبة الى مؤلفها أيضا.

ـ أداء اللازم في شرح مقصورة حازم القرطاجنّي.

ـ علامة الكرامة في كرامة العلامة.

ـ الوفاء ببيان فوائد الشّفاء.

ـ الدرّ النظيم .

ـ تقييد على صحيحي البخاري ومسلم .

ـ ديوان شعر

1 ـ أحملت عرف المسك

كتب مجيبا صديقه الشّاعر عبد الرّحمان بن نزار السهمي على رسالة فيها نظم على نفس القافية والوزن:

(الكامل)

أحَملتِ عرف المسْك يا ريحَ الصَّبا | أمْ ساقَ نشرُكَ لِي حديثا طيِّبا

فلقد أعاد الرُّوحَ رَوْحُك إذْ سَرَى | من بعد ما قد قَارَبَتْ أنْ تذهبا

هِيَ تُحفة وَفَّتْ بنو سَهْمٍ بِهَا | سَهْمِي وأوْلَوْنِي الحِبَاءَ المُحْسِبَا

دعت الحياةَ فاقبلت منقادة | واستَدْنَتِ الأمَلَ القَصِيَّ فاكْثَبَا

وأتت إليّ وقد حوى إيضَاحُهَا | جُمَلاً أعادت لِي السُّرُورَ مقرَّبا

يا ماجدا أعددتُه لي سيّدا | وأعُدُّه كِبَراً وإجلالا أبَا

هاك السَّلاَمَ على النَّوى من ذاكر | لك بالجميلِ مشرِّقًا ومغرِّبا

واصحَبْ أبا زيد جديدَ سعادةٍ | تُثْني الأبِيَّ من المطالب مُصْحِبا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 140.

2 ـ الزّمن الذي ولّى

قال مجيبا صديقه ابن يعيش عن أبيات له في اقرار الود:

(الوافر)

عسى الزّمنُ الذي ولّى يؤوبُ فقد سئِمَت من الشّوْقِ القُلُوبُ
إذا ما قلتُ قد قَرُبَ اجتماع قضى بِتفرّقٍ خَطْبٌ يَنُوبُ
وأعظمُ من ترى أسفًا وحزنًا حبيبٌ قد نأى عنه حبيبُ
أبا عبد الإله نِداءَ خِلٍّ هَواكَ له من الدّنيا نصيبُ
رعاك اللّهُ من راعٍ لِعَهْدِي وإن طال التّباعدُ والمغيبُ
أتتني منك أبيات حسانٌ بها للفضل قد جُمِعَتْ ضُرُوبُ
أفادتني مِنِ اسمك حين وافت وطيب حديثها عيشًا يطيبُ
وأهْدت لي الودادَ على التّنائي ففرّت بعد كَرَّتِهَا الكُرُوبُ
فَثِقْ منّي بإخلاص وودٍّ جديد ليس تُبْلِيه الخطُوبُ
وإن تك مدّةُ البُعْدِ استطالت فَيُرْجَى بعدها الفرجُ القَرِيبُ

المصدر: رحلة التّجاني ص 295.

ـ 3 ـ شوق

كتب مجيبا صديقه محمّد الهوّاري:

(الكامل)

إنْ أقضِ من أسف فغيرُ عَجِيب فرطُ اشتِيَاقٍ وابتعادُ حبيبِ
ما قلتُ قد بَلِي التّفَرُّقُ فانقضى إلاّ وجدّده جديدُ خطوبِ
ولقد شجا نفسي وأضرم لَوْعتي وأثار أشجاني وهاج كروبي

بــرقٌ بدا والليــلُ أرخى سجْفه | والبــدرُ شَمَّــر ذيلَــه لِغُــروبِ
أجرى حديثَ القُرْب صادقُ فألِه | فَفَهِمْتُــه مــن لفظـــه المقلوبِ[1]
يا بــارقًا أعدى الفؤادَ بخَفْقةٍ | وطــوى الضلُّوع على لَظًى ولَهِيبِ
اللّه والعهــد القديم ونسبــة | يَرْعــى نسيــبٌ مثْلَهَــا لنسيبِ
فلقد تشابهنــا انسكــابَ مدامعٍ | ولزومَ سُهْــد واجتنــابَ سُهُوبِ
إنْ أنــت جُزْت على ربوع أحِبَّتِي | فاشــرح لهم شَوْقي وفَرْط وَجِيبِي
واخْصــص أبا عبدِ الإلَه محمّدًا | بتحيّة كَثَنَائِــهِ فــي الطِّيــب
أبْلِغْــه أنّ القلــب بعــد بِعــاده | لم يخــلُ مـــن حزنٍ ولا تعذيبِ
ذا السّيرةِ المثلى الذي قد جلّ عن | مِثْلٍ يُــرَى فيهــا له وَضَرِيــب
كم مــن يد أسدى إليّ على النّوى | لَمْ يُسلِــه عــن ذاك طولُ مَغيبِ
متضمّنــا نَظْمــا ونثــرا أزْرَيَا | حسنــا بكــلّ مُخَيِّل وخطيــب
قد أودعتْ جُمَل المحاسن منه في | لفــظٍ وفــي مَعْــنًى وفي أسلــوبِ
وأراد منّــي أن أجيـــبَ وإنّه | لمدًى يقصّــر عَنْــهُ كــلُّ أديبِ
فأجبتُــهُ ولو استطعــت توقّفــا | فيمــا أرَادَ لكنــت غيــر مجيــبِ
لكــن لوازمُ حقّــه وفروضُـــه | حكمــت عليّ بذاك حُكْمَ وُجُوبِ
فبعثتُــه والخوف يُقْصِــر خطــوَه | يرنـو بلحـــظ للحَيَــاءِ مريـــبِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 297 ـ 298.

---

(1) أي القرب مقلوب البرق

4 - رأى بارقا

كتب الى ابن عمه أبي الفضل التّجاني الكاتب متشوّقا إليه:

(الطويل)

رأى بارقًا تحت الظّلاَم يلوحُ ... فناحَ اشتياقًا والكئيبُ ينُوح

تألّق من أرضِ الأحبَّة موْهِنًا ... فحنَّ فؤادٌ بالبِعادِ قريحُ

وطالبه أهل المَلاَمِ بسلْوةٍ ... فلم يكُ منه للسلُوِّ جُنوحُ

رعى اللّه إخوانا إذا ما ذكرتُهم ... تسابَقَ دمعُ العَيْن وهو سَفُوحُ

لئن نزحوا عن ناظري فمَا لَهُمْ ... مدى الدّهر عن قلبي المَشُوقِ نُزوحُ

وبلّغْ عبدَ اللّه عنّي تحيّةً ... مردَّدَةً تغدو له وتروحُ

سَمِيّي الذي أصفيتُه بمودّةٍ ... له خالصٌ من وِرْدها وصريحُ

شربنا معا كأسَ الصّفاء فما لنا ... سِوَاهَا غَبوقٌ دائمٌ وصَبوحُ

أعلّلُ آمالي بقرب مَزَاره ... ومن دون ما أرْجو مَهَامِهُ فيحُ

لقد أتعب البينُ المشتُّ قلوبَنا ... فهل بعده منْ أوبة فتريحُ؟

المصدر: رحلة التّجاني: ص 293.

5 ـ يا نسمة الرّوْضِ

قال مرتجلا مجيبا الشّاعر أبا بكر الغماري النّفزاوي عن قصيدة له:

(السّريع)

يا نسمةَ الرّوضِ سقَتْه العِهَادْ — صوب حيا روّى الرُّبَى والوِهادْ

وَحَدَّقَتْ أزهارُه أعينًا — مُرَادُها رؤيةُ ذاكَ المرادْ

أنهي إلى علّى ابن فتْح اذا — بلغتِه عنّي السّلام المُعَادْ

قُولِي لمن أفردتِ علياءه — منّي بِودٍّ صادقٍ واعتقادْ

إن لم نكن قبلُ اجتمعنا فقد — رأته قبلَ العين عينُ الفؤادْ

وَجَّهَ نَحْوِي رقعةً برَّةً — قد نُظِّمَتْ نظما يَهُزُّ الجمادْ

نظمٌ بديعُ اللّفظ مستحكَم الـ — معنَى شديدُ الأسِّ سهلُ القيادْ

قَرَّرَ فيه بيننا ذِمَّة — باقيةَ الرَّسْم ليوم التّنادْ

فثِقْ بودٍّ من أخٍ مخلصٍ — يراك أسْنَى صاحبٍ مستفادْ

وهاكها من شاعرٍ لم يزل — يَهِيم من حبِّك في كلِّ وادْ

مشتغل الخاطِر قد قَسَّمت — أفكارَه أيدي النَّوَى والبِعادْ

ما بين تحنَانٍ إلى موطن — قد طَوَّحَتْنِي عن ذَرَاه البلادْ

وفرط وجدٍ بأُنَاس به — محضتُهم منّي صريحَ الوِداد

وابقَ مدى الأيّام في عِزّة — وأنعُمٍ ليس لها من نفاد

ما غَرَّدَتْ ورقاء في أيكةٍ — وهزّت الريحُ قضيبًا فماد

المصدر: رحلة التّجاني : ص 148 ـ 149.

6 ـ فخارهم فخاري

ممّا كتب إلى ابن عمّه أبي زكرياء بن أبي الحسن علي التّجاني:

(الطويل)

إذا اللّــهُ حيَّــى معشرًا بتحيَّةٍ ... يُقَصِّرُ عنها المسكُ في الطِّيبِ والنَّدُّ

فَحَيَّ بني عمّي الذين فخارُهم ... فخاري ومجدي حين أسمُو لهم مجدُ

وخصّص مِنهُم من تَخَصَّصَ فِيهم ... بأوصافِ فَضْلٍ ليس يحصرُها العَدُّ

أبا زكرياء الرِّضَى الأرفع الذي ... له مِنِّي الشَّوْقُ المجدَّدُ والوُدُّ

أحبَّتَنا هلْ يجمع الدَّهرُ بيننا ... فقد طال هذا النأْيُ واتَّصَلَ البُعْدُ

يذكِّرُنيكُمْ أنــسُ يــوم مَضَى لنا ... وعهدُ ائْتِلاَفٍ حبّذا ذلك العهدُ

فيبدو قليلا من غــرام أحبّتي ... وفي القَلْبِ للأشواقِ أضعافُ ما يبدو

فقد بَلَغَت منّي النّوى كُــلَّ مبلَغ ... ففي أدمُعي وَدْقٌ وفي أضلعي وَقْدُ

فهل تقرُبُ اللُّقْيَا وينصرمُ النَّوى ... ويُنْجَــز للآمــالِ من قربكم وعدُ

لئن جَمَعَتْ أيدي التّفرّق بيننا ... فقد تمّت النُّعمى وقد كمُل السّعدُ

المصدر: رحلة التّجاني : ص 191.

7 ـ إخوانية

قال مجيبا صديقه محمّد بن رأس الحجلة:

(الطويل)

سلامٌ يحاكي المسكَ في الطِّيبِ والنَّدًا ... على ماجدٍ قد فاق أهلَ العُلا مجدًا

حباني بِطِرْسٍ منه مشتملٍ على ... معانٍ معَالٍ لست أحصُرُها عَدًّا

فقرَّرَ وُدًا لم يزل متقرِّرا ... وَأَهْدَى من الإخلاص والبرِّ ما أهدى

إذا النّاس عُدُّوا كان أحلاهمُ حلًى ... وأفضلَهم ذاتا وأكرمَهم عهدا

أدام لهُ اللّه السّيادةَ والعُلَى ... وأصحبه التّوفيقَ واليمنَ والسّعْدَا

المصدر: رحلة التّجاني، ص 302.

ـ 8 ـ دم في عزة

ممّا أجاب به صديقه أبا ابراهيم بن حسينة:

(الوافر)

أمُحْرِزَ كُلّ منقبة حميدة ... وَمَنْ لَمْ نُلْفِ فِي الدّنيا نَدِيدَه

أعنْت على النِّظام بحسْن طبع ... وأفكارٍ مؤيّدَةٍ سَدِيده

وتسألُنِي الجوابَ وإنَّ فكري ... ليقْصُر عن مَجَارِيك المديده

فمهِّد لي على التّقْصيرِ عُذْرا ... وهوِّن مِنْ مَطَالِبك الشّديده

ودُمْ في عِزَّة وبلوغِ قصد ... وسعْدٍ دائمٍ وَحُلًى جديده

المصدر: رحلة التّجاني: ص 172.

9 ـ يانسمة

مما كتبه إلى أبي محمّد عبد الواحد بن يغمور الهنتاتي:

(البسيط)

يا نَسْمَــةً صدرت عن رَوْضَةٍ ظهرت في بُرْدِ رَقْمٍ وشتْه السُّحْبُ منثُور

فكلّمــا يمّمــتْ فــي سَيْرِهَا جهة مــرّت بذيل على الأزهار مجرورِ

أنهي اشتياقي وتسليمي لمجد أبي محمّــدٍ بــن أبــي زيــد بن يغمورِ

وأعْلِميه بمــا يطوي الضَّميرُ لــه مــن اعتقــاد وتعظيم وتوقيرِ

وأنّنــي بــين قلــبٍ للــوداد لــه مفــرغ وفــمٍ للشكر مقصــورِ

وقــرِّري ذاك تقريــرا أثبتُــه ولســتُ فيــه بمحتــاج لتقريرِ

لا زال في نِعَــمٍ موصولةٍ وعُلاً باقٍ وحــظٍّ من الإسعاد موفــورِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 171.

10 ـ إخوانية ثالثة

قال مجيبا صديقه أحمد الرّصافي على رسالة شعريّة:

(الطويل)

رَعَى اللّه من أجلو الأسى بادّكاره ومــن قَرَّب آمالي بقــرب مــزاره

خليلٌ رعى عهدي وإن أقْصَت النّوى ديــاري بماضي حكْمها عن دياره

أتــى نظمُه صبّــا به شيّقا لــه يعانــي الأســى في ليلـه ونهـاره

فأَذْهَــبَ عنــه حزنَــهُ وأنَالَــهُ مـن البرِّ والتّأْنيس فوقَ اِختيارهِ

ومـن كأبي العبَّاسِ فضلا ووصفُه ؛ يزيــدُ على الأخْبــار عند اختبارهِ
فأســألُ ربّي أن يمُنَّ بقربــه وينظمِ منّــا الشّملَ بعد اِنتشارهِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 300.

- 11 - تـوديـع

قال مودّعا شيخه أبا فارس عبد العزيز بن عبيد في طرابلس:

(البسيط)

سقى ربوعَك يا مغْنى طَرَابُلس حيًا يُحَـيِّيكَ منه كلُّ منبجِس
فكم يدٌ لك في تأنيس مغتَرِب شطَّت به الدَّارُ عن أُنْس وعن أَنَس
أقمتُ فيك على حكمِ النّوى زمنا كأنّنـــي فيــه للسرّاء في عُرُسِ
أثوب من أهلِك الغرِّ الكرَامِ إلى قوم أوافي لديهم كُلَّ مُلْتَمَسِ
ما بيــين جدّ وتأنيس بمثلهما نَأى عن الخاطر استيحاشه ونُسِي
لو لم يكن لك عندي في الزّمان يدٌ أُثْنِي عليك بها ما امتدّ في نَفَسِي
إلاّ ملاقاةَ منْ حُزْتُ الفخارَ به عبدِ العزِيز الإمَام العالِمِ النّدِسِ
مُحْيِي العُلُومَ وَمُحظيَهَا ومُبْرزِهَا منْ حلْيِ أَلْفَاظِهِ فِي أَحْسَنِ اللُّبسِ
ومُحْرِزِ الشّيم الغُرِّ الّتِي كَرُمَتْ فَفَاهَ بِالمَدْحِ فِيهَا كُلُّ ذِي خَرَسِ
يَجْلُو إِذَا أَشْكَلَتْ فِي العِلْمِ مَسْأَلَةٌ ذِهْنًا يُجَلّي سَنَاهُ كُلَّ مُلْتَبِسِ
نَعِمْت مِنْ قُرْبِهِ لَمَّا اتَّصَلْتُ بِهِ بِوَقْتِ أُنْسٍ مِنَ الأيَّامِ مُخْتَلَسِ
واللّــه يحفظُــه غوثًـــا لمستَبِقٍ لكشــف نازلـــةٍ نُــوراً لمقتبِــسِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 306 - 307، وعنوان الأريب: ج 1، ص 82 - 83.

12 ـ رعى الله من راعى ذمامي على النوى

كتب مجيبا صديقه محمد البلوي بن أبي سلام على سلامه وشوقه إليه:

(الطويل)

أتـــى فأتـــى القلبَ المشوقَ بأُنْسِهِ ... نظامٌ رأيتُ الدُّرَّ في طَيِّ طِرْسِهِ

كما زَارَ حِـبٌّ عاشقا بعد بُعْدِهِ ... وعـــاد رجـاءٌ آملاً بعـد يأسـهِ

كتـــابٌ أتى مَنْ لم يزلْ متشوِّقًا ... لإتْيانـه والدّهرُ يَقْضِي بِحَبْسه

فقَبَّلْـه تقبــيلَ ذِي كَلَـفٍ به ... ونقّلــه مــن رَاحَتَيْـهِ لرأسـهِ

رعى اللّه من راعى ذمامي على النّوى ... ومنْ يومُه في الوُدِّ لي مثلُ أمسهِ

أبا عابدِ اللّهِ الأجلّ الرِّضَا الذي ... سما قدرُهُ عن قدْرِ أبناءِ جنسه

لقــد حازَ أشْتَاتَ الفَضَائِلِ واكتسى ... ملابـسَ حَمْــدٍ زانهــنّ بلُبْسـهِ

إذا ضيّــع العهدَ القديمَ مضيِّعٌ ... وَبَــاعَ وِدَادًا من أخيه ببخسه

فلابـــن أبـــي زاك عهـــودٌ زكيّةٌ ... ترفّعــن عــن شكٍّ السلوّ وَلَبْسِه

أدام له اللّـــهُ السّيـــادةَ والعُلاَ ... وبلّغَه أقصـــى أمـــانيّ نفسهِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 299.

- 13 - قل لبرق

قال مجيبا الأديب عبد الله الأزدي العسيلي على رسالة:

(الخفيف)

قـلْ لبرق جَلاَ الظّـلامَ بومْضِ ... ذاهبٍ في السُّـرى لِأرضٍ فأرضِ

غيـر مستشعـر لقَلْبِـي سكونا ... لا ولا لائـذ لجفنـي بغمـضِ

أيّها البـرقُ أنْهِ نحو العُسيلـ ... ـيّ سلامًـا تُـؤدٍّ آكَـد فـرضِ

ولتبلّغـه أنّنـي ذو اشتيـاق ... قـد قضى لي أليمه أن سأقضِي

لسـتُ أرْضَـى على البِعاد لعهد ... مبرَم العَـقـد أن يُشـابَ بنَقْضِ

وصنيـعُ الإلاه عنـدي سمـا عن ... أن تَقـوم الشِّفـاهُ منـه ببعضِ

مـع مَوْلـى فـاق البَرِيَّة طَوْلاَ ... نتعاطـى المنـى فَيُعْطـي فيُرْضِـي

أحـرز المجـدَ بين جـود بعَرْض ... مستبـاح الحِمَـى وبُخْـل بعِرْضِ

مـن أتـاه يشكو بجدب وبؤس ... آب فـي عيشـهِ بخِصْب وخَفْضِ

رائـدًا بـارِضَ الجَمِيـم لديـه ... واردًا من جمامـه غيـر بَـرْضِ

وهـو يُهْدي إليـك منـه سلامًـا ... يُنْسِـكَ المسكَ عَرْفُه إثْرَ فـضٍّ

لـم يـزل عنـك سائِلاً كلَّ حين ... وعُـلاه بمثـل ذلـك تَقْضي

زاده اللّـه مكْنـة وسعودا ... يأمر الـدّهرَ كيف شاء فيُمضي

يَا صَفِـيِّي الذي مَحَضْتُ علاه ... كلَّ صفـو من الـوِداد ومَحْضِ

هاكهـا أقبلـت إليـك حيـاء ... تَرْتَجِـي أن تُعِيرَهَا لَحْظَ مُغْضِي

المصدر: رحلة التّجاني: ص 130 - 131.

ـ 14 ـ هل يرجع الدّهر ما مضى؟

كتب مجيبا الفقيه الأندلسي أبا بكر محمد بن شبرين الجذامي الغرناطي من كتاب "نفحات النّسرين في مخاطبة ابن شبرين" مشيرا الى ما حدث بالأندلس:

(الكامل)

حــدِّث عــن الحــادث الذي وقعا ... تلْـف مصيخًـا إليـك مستمعـا

وهــاك ما قد سمعت منـــه وإنْ ... تركــتَ قلبــي بذاك مُنْصدعًا

هل معهــدُ الأنس كيف كان فقد ... عهدتُــه للكمـــال مجتمعَـــا

وهل حِمَــى العِزِّ فيـــه محتــرَم ... أم سلُـــب العزُّ منـــه وانتُزِعَا

وأين نـــاسٌ هنـــاك أعهدُهم ... على المعالِــي جميعُهم طُبِعَا

من كلّ طلـقِ اليدين مبتسمٌ ... أُرضع دَرّ السّمــاح فارتَضَعَا

تلفيه كالنّجم رِفْعــــة وسنًـــا ... لا بل كبـدر الدُّجَى إذَا طلَعَا

باكرَهُـــم حــادِثٌ ففرّقَهـــــم ... وأذهــب النَّــاسَ والبِلاَدَ معا

وجــرّ عدوانَـــه فَجَرَّعَهُـــــمْ ... بهِ مــن الهَــمِّ والأسـى جُرَعَا

يا ليت شعري وفي المُنَى سعة ... إن أبقــت الحادثـــاتُ مُسْتَمعا

هل يُرْجع الدّهـرُ ما مضى فَلَكَمْ ... قد عــاد من ذاهـب وكم رجعا

أم لا يرى عائـدا فوا أسفِي ... علــى زمــان مضــى وَوَاجَزَعَــا

هيهات تمَّ القَضَــاءُ وارتفعتْ ... مطامعُ النَّفْـــس عندمـــا ارتفعَـــا

فلســت ممّـــا طلبت عودتـــه ... أوّلَ مــن فــي المُحَال قد طَمَعَا

عهــدي بهم والشّجون تُقْلِقهم ... لا جنْب منهم يزورُ مضطجِعَا

منثُّــرا فـــي البــلاد نظمُهــمُ ... يا مـن رأى السِّلك بعدما انقطعا

أمــرٌ مـــن اللّـــه لا مــردّ لـهُ ... لم يبـقِ كهـلا منهمُ ولاَ يَفَعا

وخدعــة تمّ أمْرهــا فمضـتْ ... وكم سديـــد الآراء قد خُدِعــا

هــاك سلامـي على البِعاد أبا ... بكــر فقلبـــي إليـــك قد نزعَـا

وثـق بــودّ أديـن فيــك بـه ... ملتــزمًا منــه كـلّ مـــا شُــرِعا

إن حــال خِــلّ عــن المـودّة أو ... أجــاب داعـــي السُّلُوّ حين دعــا

فاعلـم بأنّي والصـدقُ من شِيَمِي ... ممّـــن رأى حفــظ عهــده ورعا

وإنّنـــي مــا قطعـت ذكـرك بل ... مازلـت للشّكــر فيــك منقطِــعا

أقسمـــتُ بالــرُكن والمَقَــامِ ومن ... قد طـــاف بالبيت نحوها وسعى

ما طــاب لي بعدك البقـــاءُ ولا ... وجــدت لـــي فـــي الحياة منتفعًا

المصدر : رحلة التّجاني : ص 169 ـ 171.

ـ 15 ـ يا نسمة الرّوض

قال مخاطبا أبا ابراهيم بن حسينة :

(الكامل)

يا نسمةَ الرَّوض الـذي حاكت له ... أيــدي الغمــام ملابــسَ الإيراقِ

سيري مُبلِّغة عَلَــى شحْــطِ النَّوى ... طيبَ السّلام إلى عُلاَ إسحاقِ

الفاضلِ الأسمى الرِّضا الأسنَى الذي ... حاز العُـــلا والفضلَ باستحقاق

وتحمّلــي منّـــي إليــه تحيّـــةً ... كالمِسْـــك نــمّ شذاه في الآفاقِ

يــزداد منهــا مــن تنشّق عَرفَهَا طيبـا متى ما زاد في اِستنشاق

وصِفِــي لـــه بعد التفرّقِ قدر ما لاقيــتُ مــن وجدٍ ومن أشواقِ

اللّهُ يــا إسحـــاقُ يعلم أنّنــي للشّكــر فــي عَلياك نُو استغراق

وبعثــتُ هذا الطّرسَ نحوك قاصدا تقريــرَ وُدٍّ مُبْـــرَمِ الميثــاقِ

فأتــى يُبــين إليـك صدقَ مودّتي إنَّ الخِطــاب علــى البعـاد تَلاَقي

لا زلــتَ فــي نِعَــم تُجَـلُّ ورفعةٍ ولــك الإلــهُ مــن المكـــاره وَاقي

المصدر: رحلة التّجاني : ص 231 ـ 232.

ـ 16 ـ أهدي السلام

قال مهنّئا أبا الفضل التّجاني حين ضوعف له مرتّبه وأعليت رتبته على الكتاب:

(الكامل)

أهدي أبا الفضل السّلامَ مردّدا لِعُــلاَك عــن قلبٍ إليك مَشُوقِ

وأقــرِّر الــوُدَّ الــذي أنــا سالـك فيه مـــن الإخلاص خيرَ طريق

وسمعــتُ أخبـــارا أدار بِذكــرها مِنْهــي الحديثَ الي كَأْسَ رحيق

أُنبِئْــت أنّــك قــد خُصِصتَ برتبة أسمــت مقامَـك فوق كلّ رفيقِ

فسُرِرْت أن نال السِّيادة والعلا مَنْ فخــرُه فخري لدى التّحقيق

ما العزّ عنــدي أنْ أعــزّ وانّما عزّي المكمّــل أن يعــزّ فريقــي

إن أكرمـوك فـقد أتـى إكرامُهم | فـي موضـعٍ بالمكرُمَـات حقيقِ
طُوِّقْتَ للإنْعـام ما تشـدُو به | والشّـدْوُ شيمـةُ كـلّ ذي تطويقِ
واللّهُ يَرْزُقُـكَ الزّيـادة حاكمـا | لك بالعُـلاَ والسَّعـد والتّوفيـق

المصدر: رحلة التّجاني: ص 280 ـ 281.

17 ـ كم أنت في اللذات ذو استغراق

قال في مدح النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم:

(الكامل)

كم أنت في اللّذّات ذو استغراق | ونذيـرُ شيبِـكَ مُؤْذِنٌ بفـراق
ولقلّمـا يُجْـدي المتـابُ إذا أتى | داعي الحِمَامِ وقيل هل من راقى
يا صـاحِ دعوة ناصحٍ لك مشفِقٍ | والنُّصْح يُقْبَل مِنْ ذَوِي الإشفاق
بـادر إلى التّقوى بِـدَارَ مُسَـارع | وانهض إلى الطّاعات نهضَ سباقِ
واغنـم مـن الأيّام مُهلة ساعـةٍ | قبـل التفافِ السّاق منك بساقِ
حَدَّثْـتَ نفسـك بالبقاء ولم يكن | فـي هـذه الدّنيـا ليبقَى بـاقِ
كلٌّ بهـا فـانٍ ومنقـرضٌ ولا | بقيـا لغيـر الواحـد الخـلاّقِ
واتـرك أناسًـا آثروا لذّاتهـم | واستمتعـوا مـن دهرهم بخلاقِ
علقـت نفوسهـمُ بنـزر عاجـل | فاستبْدلـوه بأنْفَـسِ الأعـلاق
عِـوَضٌ كَلاَ عِوَض وبيـع كلّـه | غُبْـن، وسعْـيٌ ظاهرُ الإخفاق

يا أيّهـا الإنسـانُ إنك كـادحٌ		كدحًـا وأنـت لِمَـا كَدَحْتَ ملاقي
والمـرءُ مجـزيّ بمـا هو فاعـل		وجـزاؤه جَارٍ علـى استحقاق
فنعيـم ذي الطاعات غيـر مكيَّف		وعـذابُ ذي العصيان غيرُ مطاق
للّه أقـوام أطاعـوا ربّهـم		ووفـوا بما أعطَـوْه من ميثاق
عظُمـتْ لهم هِمَمٌ وعـزّت أنْفُسٌ		فَسَمَـتْ بهـم نحو المحلّ الرّاقي
قـوم لو اطّلَـع الملوك عليهمُ		لسعـوا لخدمتهـم على الأحـداق
مـن كـلّ بـدر أفقُه محرابـه		لا يَخْتَشِـي أبدا لحَـاقَ مِحاقِ
يسمـو اذا نام الأنـام لِوردهِ		فيعـود منـه الليلُ ذا إشـراق
خطبُـوا النّعيـم ببذلهم لنفوسهم		والخِطـب لا تُعْطَى بغير صـداق
لم تحصـل الأخرى لهم إلاّ وقد		خرجـوا عن الدنيـا خروج طلاقِ
إن لـم أكـن بالفعل ملتحقا بهم		فالحبّ فيهـم مُقْتَضٍ لِلَحَـاقِي
يا ربّ بالهـادي الـذي أُرسلتَه		نـورًا أفَضْـتَ سناه في الآفاق
هـادٍ أتَى والجهـل قـد عـمّ الورى		والكفـر قـد غطّاهـم بـرِواقِ
فجـلا لهم سُبُـلَ الهدى وأقالهم		مـن غرّة كانت بهـم وشقاقِ
ولقد حبـاه اللّـه كلّ فضيلـة		وأنالـه العليا على الإطـلاقِ
بنزول طسـت فيه طُهْـر فؤاده		وعُـرُوجِ جسم وامتطاء بُـراقِ
وكفى له شـرفًا بأن اللّـه قد		أثنى على مـا حـاز من أخـلاقِ
يَسِّـرْ لنـا فيمـا به كَلَّفتنـا		عـونًا لنَمتَثِـلَ امتثال وفاقِ

وامنُـــنْ علينا بالوصول لقبـره فهـــو الشـــفاءُ لقلبـــيَ المشتاقِ

يًا ليت شعري هل أراني ساعيا فـــي شـــدّ أكـــوار وَحَـــدْو نياقِ

فلكـم تؤخّر عزمتي الأقدار عَنْ فِـــرَقٍ تسيـــر لقبـــره ورفاقِ

قسمـًا بعزّتـــه ورفعـــة قـدره إنّـــي لزورتـــه لبالأشـــواقِ

لكـــنّ سيّء ما جنيـــتُ أقرّني عنـــه وقيّـــد عزمتـــي بوثـــاقِ

لاَهُـــمَّ إنّا لائـــذون بجاهــه فهـــو الشّفيع لنـــا وأنت الواقـي

صلّـــى عليه اللّه ما هبّـــت صبا وترنّمـــت وُرْقٌ علـــــى أوراقِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 393 وعنوان الأريب: ج 1 ، ص 83 ـ 84.

18 ـ أيّها الخلّ

قال مخاطبا في رسالة أبا عبد اللّه محمد الجزري:

(الخفيف)

أيهـــا الخلُّ إنَّ نظمـــكَ وَافَى مبـــديًا مـــا من الوداد لديـكا

فتأمَّـــل جـــواب خِـلٍّ مُحِبّ فيـــك شـــاكٍ نـــواك مُثْنٍ عليكا

وعلـــى مجدك الصميـــمِ سلامٌ طيّـــبُ العَرْف قدرَ شوقـي إليكا

المصدر: رحلة التّجاني: ص 303.

19 ـ لله درك

كتب بهذه الأبيات الى الفقيه أبي محمّد عبد اللّه الأزدي العسيلي:

(الكامل)

أأبــا محمّــدٍ الذي أخبــاره ... في الفضل ترويها الثقاتُ مسلسله

للّــه درُّكَ مــن وحيــدِ بلاغــةٍ ... ساق الكــلاَمَ منظّما أو رسّلــه

لا زال فــي الأفــواه ذكرُك طيّبــا ... وإذا أحــبّ اللّه عبــدا عَسَّلَــهْ

وإليكَــهَا أبيــاتَ خلٍّ مخلِــص ... قــد ضمّنَ الطرسَ الودادَ وأرسلهْ

وأتــى بها عن خاطــرٍ متوحّــشٍ ... ومتــى أجبتَ فقد أتحْتَ الأنسَ لهْ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 236.

20 ـ أرى الأيام تمنعني مرادي

مما أجاب به أبا بكر بن فتح:

(الوافر)

أمحــرزَ غاية الشّــرفِ الأثيلِ ... ومــن قد جلّ عــن سعيٍ مهيــلِ

أتتنــي منــك أبيــاتٌ حســان ... شمائلهــا أرقُّ مــن الشّمــولِ

يعــزّ علــيّ مــا قد بيّنــتَ من وقوفــك وقفَــةَ الرّجل الذّليــلِ

فأُقســم بالهدايــا مُشْعَـرات تجــوبُ الأرض مِيلا بعــــد مِيلِ

إذا اشتكت السّرى بلسان حال تقـــرّر بالوخيـــــد أو الذميــلِ

تؤمّ بسيــرها أسنـــى محـلٍّ به نـــزل الكتاب على الرّســولِ

لو أنّـك بالذي استحققتَ تُجْزى لما جـــوزيتَ إلاّ بالجزيــــلِ

وهــا أنا أشتكي لعلاك شكـوى تبثّك بعــض ما بي من غليــلِ

أرى الأيّــام تمنعنـــي مـرادي وتُلْقِـــي بــي لقصدٍ مستحيلِ

وأطلــب للعــلا فيهــا وُصُـولا فيصعـــب للعلا فيــها وصولـي

ويُمْضـي الأمرَ غيري وهو دوني وأمـــري لابسٌ ثوبَ الخمـــول

وإن تــكُ قــد أنالتني قليــلا فمثلـــي ليــس يقنـــع بالقليلِ

وما طلبـــي لهـــا إلاّ لَعَلّـــي أســـوء عـــدايَ أو أرعى خليلي

وليـــس يُنَال حظٌّ باجتهـــاد ولا تجـــري على قدر العقــولِ

فحســب المرء تسليــمٌ وصبــر يُيمّـــم منهما أهــدى سبيـــلِ

ولكـــنْ لي على الأقــــدار دَين لَوَت بقضائـــه ليّ المطــولِ

وإن هي بلّغتنيـــه فكـــم لــي مـــن الأيّام من خبـــر طويــلِ

خرجــت عن المراد إلى حديـث نفثـــت بشرحه نفــث العليــلِ

أودّع وُدّك الأصــفى فإنّـــي دعانـــي للنّوى داعــي الرّحيلِ

وأطلــبُ منــك زادًا من دعــاء تواصلــــه ومـــن ذكر جمــيلِ

وقد أصفيــت نحــوك باعتقاد صحيــــح من فـــؤاد لي عليلِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 175 ـ 177.

- 21 - طلعت كالبدر

قصيدة خاطب بها عبد الله التّجاني ابن اللّحياني الحفصي يثنيه عن مواصلة السّفر الى المشرق ويرجو منه العودة الى تونس. وهذه القصيدة معارضة لقصيدة أبي ابراهيم بن حسينة التي ذكر منها التّجاني أول بيت:

(المتدارك)

طلعْت كالبدر المكتملِ ... فتوارى البدرُ من الخجلِ

وأمال اللّحظَ تمايلُها ... عن غصنِ البان المعتدل

حوراءُ يحار الصبُّ بها ... ويخلّى السّلوة كلّ خلي

حكمَتْ بهواها فيّ فلم ... يعدِلْ فِي الإمرة حينَ ولِي

فأبحتُ النّفْس لِمَا احتكمت ... وحميتُ السّمع عن العذَلِ

جمعتْ أشتات الحسن فقد ... زادت في الحسن على المثَلِ

كأبي يحيى تلقى منه ... أشتات الفضل لدى رجل

مولًى زهتِ الأيّام به ... وتحلّت من بعدِ العَطَلِ

ينميه أبو العبّاس إلى ... حَسَبٍ في مرْقَى المجد عَلِي

شرفٌ بالإرث تملّكه ... فتنقّل أحسن منتقَلِ

بأسٌ كالنّار إذا اضطرمت ... وندًى كالغيث المنهمِلِ

قد ألقى الله بحكمته ... بيديه مقاليدَ الدُّولِ

يُمْضِي الآراء مسدَّدةً ... في قول أنْفِذَ أو عملِ

مولاي قصيدة ممتدح ... وافاك بشعرٍ مرتجَلِ

طلبْت إيضاح فضائلكم ... فحكت منها بعضَ الجُمَلِ
فإذا أحسنتُ فذاك لكم ... وإذا قَصَّرتُ فذلك لي
وافت علياك معارضةً ... "عرِّج يا صاح على الطَّلَلْ"
مع أنَّ قصيدة أوّلنا ... فاتت سبقا شأوَ الأوَلِ
وارجعْ لمحلٍّ حال بما ... يشكو لفراقك من علَلِ
فأقم للدِّين تَجَدُّدَه ... في عزٍّ باقٍ متّصلِ
واخلعْ أثواب السُّقْم بما ... تكسى للصحّة من حلَلِ
فشروط الحجّ قد أرتمعت ... لزوالِ القُدْرة والسُّبُلِ
عهدي بِعَبيدك فيه وقد ... مدُّوا يد داعٍ مبتهلِ
يرجون ثواءك عن كثب ... ودُنُوَّ لقائك عن عجلِ
كانوا من عهدك في ظُلَل ... فغدوا من بعدك في خللِ
فأنلهم منك مرادَهم ... وانقع بالقرب صدى الغلَلِ
واجمع شملا بالأهل فقد ... ماتوا شوقا قبل الأجَلِ
واسعد واصعَدْ وتسامَ وزِدْ ... وترقَّ ونَلْ أقصى الأملِ
واللّه يوفّق رأيك في ... حلٍّ أزمعت ومرتحلِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 192 ـ 194.

22 ـ ألم الفراق على النّفوس عظيم

كتب مراجعا صديقه محمد بن يعيش:

(الكامل)

ألم الفراق على النّفوس عظيمُ ... من ذا بعبء الصّبر فيه يقومُ
سلني بما أحببتَ من أنبائه ... فلديّ قلب بالشّجون عليم
للّه إخوان نعمتُ بقربهم ... زمنا وأيّامُ الوصال نعيم
غاظ الزّمان دُنُوَّنَا فأعاده ... بعدا فشُتِّت شملُنا المنظوم
لكنّها الأقدار تجري بالذي ... شاء الإله وحسبنا التّسليم
قسمًا بما أضمرته من وُدّهم ... إنّي لقلبي بعدهم لرحيم
ولقد وجدت وقد فقدتُهم أسًى ... صبري بحكم وجوده معدومُ
ومنعتُ جفني بعدهم سِنَةَ الكرى ... أنّى يكون لِهَائِمٍ تهويم
ويظنّ من لم يدر ما بي من أسى ... قلبي سَلِيمًا منه وهو سليم
وأشدّ من آسى بفرقته أبو ... عبد الإله فقربه مغنومُ
فهو الذي نازعتُه كأسَ الهوى ... صرفا فلا لغوٌ ولا تأثيمُ
ذو الفضل والعلياءِ والشِّيَمِ التي ... وجهُ الزّمان بحسنها موسومُ
ذاتٌ قد انتسبت بزاكي طبعها ... للفضل فهو أخ لها وحميمُ
أخَذَ الوفاءَ سجيّةً فضميرهُ ... أبدًا عَلَى حفظ الوداد مقيمُ
ودليل صدقِ ودادِه كُتُبٌ له ... يصل الودادَ وصولُها ويديمُ
ولرُبَّ نَظْمٍ جاءني من نحوه ... جَمَعَ الفضائل طِرسُه المختومُ
وافى فقرّر ذمّة مرعيّةً ... ورسومَ وُدٍّ عهدهنّ قديمُ
فاللّه يحفظ مجدَه وكمالَه ... وينيلُه ما يبتغي ويرومُ
وعلى علاهُ تحيّةٌ لا ينقضي ... منها ورودٌ نحوه وقدومُ
تسري معطّرةً إليه كما سرى ... سَحَرًا على زهرِ الرِّياض نسيمُ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 304 ـ 305.

23 ـ حبكم مقيم

وكتب لأبي الفضل محمّد التّجاني مقرّرا للود ويلي القصيدة نثر:

(مخلّع البسيط)

حبُّكم في الحشا مقيمُ ... فما يرومُ الذي يلوم؟
أما درى العاذلون جهلا ... أنّ عذابَ الهوى نعيم
هل عند من عنده فؤادي ... إنّ غرامي به عميمُ
يبيت من لوعتي خليّا ... ومنه بي المُقْعِدُ المقيمُ
أحبابنا هل ينالُ حظّا ... مِنْ وصلكم من بكم يَهِيم
هَبُوا لأجفاننا مناما ... فعهدُها بالكرى قديم
لازمها بعدكم سهادٌ ... تعرِفُ مقدارَه النُّجوم
وعلّلوا بالرّضى فؤادا ... به لهجرانكم كلوم
يظنّه عُذَّلِي سليمًا ... وهو لفرط الأسى سليم
إن حكّم الدّهر بافتراقٍ ... موقعُه في الحشا أليم
فكلُّ شيء إلى كتاب ... قدّره القادر الحكيم
هاك أبا الفضل من سلامِي ... مسكا رسولي به النّسيم
واعلم بما بي من اشتياق ... إليك مقداره عظيم
وإن طلبت بعلم حالي ... وأنت عندي بها عليم
فإنّني في اتّصال نُعْمَى ... بشكرها الدّهرَ لا أقوم
مُنعَم في جناب مَوْلى ... بقربه تبعُدُ الهُمُوم
للّه منه غمامُ جود ... عمّ الورى صوبُه العميمُ

كم كفٍّ بؤسَ الورى بكفٍّ تعجز عن جُودِهِ الغيوم
ينثر أمواله ولكن شملُ المعالي بها نظيمُ
إيه نداءٌ حواه قلبٌ مازجه وُدُّك الصَّميمُ
هل ترتجي للزّمان عدلا فإنّه في النّوى ظلوم
قد علم اللّه من ودادي ما أنا راع له مديمُ
وانّ عندي لحفظ عهدي طريقةٌ نهجها قويم
وان تحلْ بيننا فياف يقصر عن جَوْبها الرّسيم
فَإنَّ ذكراك كلّ حين في الفَمِ والقلب لا تريم
لقد تدانت لنا قلوبٌ وإن تناءت لنا جسوم
فنسأل اللّه جمع شمل فهو لطيف بنا رحيم

المصدر: رحلة التّجاني: ص 285 ـ 288.

24 ـ من مبلغ عنّي

كتب مخاطبا أبا عبد اللّه محمّد البلوي وأبا عبد اللّه محمّد الهواري:

(الكامل)

إن لم تَفِضْ بدمائها أجفاني لفراق من أهوى فما أجفاني
أوْ لم أواصلْ ذكر إخواني فقد أصبحتُ معدودا من الخوّان
مَنْ مُبْلِغ عنّي السلوَّ بأنَّ لي في الحبّ قلبًا غيرَ ذي سلوانِ
عندي لأحكام الوداد شريعةٌ أضحى القصيُّ بحكمها كالدّاني

لا أرتضــي إلاّ الوفــاءَ طريقــةً ما الغدر من خُلُقِي ولا من شاني

ولئـن نسيت فلست أنسى صاحبا يصــل التذكّر لي ولا ينســاني

خِلّـي الذي عــزّت بــه هــوّارةٌ عــزّي بصحبتـــه على أخدانــي

مــن قد صرفتُ إليه وجه مودّتي وصرفــت لحظي عن فُلٍ وفــلان

ذا المنـزع الأحلى الذي أجْرَى به في النّـــاس حالتــه على ميزان

ذات قــد اختصّــت بكلّ فضيلـة فاختصّهــا بالشّكــر كلّ لســانِ

يســدي تفضّلَه إلـــى إخوانـه ويعدّ فــيه الفضـــل للإخوانِ

كم خصّنـــي من نصحه بفوائد أهْـــدَى إليّ حليّهـــا فهدانــي

ولكم أبـــان لي الحقائــق فكرُه فأقـــام صورتهـــا مقـــام عيـانِ

ولقد أتانـــي من لدنه على النّوى كَتْب أتانـــي الأنــس حين أتانــي

قد وُفِّيــتْ فيه البلاغــة حقّها ما بين أُلفـــاظ وبين معانـــي

جمع الصنيعـة والصّناعة مازجا تبيين إحســـان بحســـن بيانِ

ورأيت في أقصى الصحيفة أسطرا أُلِّفْنَ بيــن الحســن والإحســـان

من ماجـــد أســدى اليّ أياديًا مالـــي بواجــب شكرهــنّ يدانِ

جاءت تقـــرّر من كـــريم وداده ما حــلّ من قلــبي أجلّ مكـانِ

لمّا قرأت خطابهـــا ففهمتــه ناديــت والســرّاء ملء جَنَانِــي

قد أتحفتْنــي بالوداد بنو أبــي زاك ففــخرًا يـــا بنــي تيجـانِ

المصدر: رحلة التّجاني: ص 228 ـ 230.

25 ـ نمّ عمّا قد كتمته

مما خاطب به ابن عمّه أبا الفضل:

(مجزوء الرّمل)

نَمَّ عمّا قد كتمتُه ... ما من الدّمع سجمتُه

وشجا الشّوقُ فؤادا ... لم يُطِعْني حين أُمْتُه

سُمْتُهُ الصّبر فحال الـ ... ـوَجْدُ عمّا منه سُمْتُه

أيّها الإخوان والسلّـ ... ـوانُ ذنب ما اجترمتُه

قَسَمٌ فيكم بشوق ... مذ تفرّقنا لَزِمته

ما تذكّرت فؤادي ... بعدكم إلا رحِمْتُه

لا ولا مَرّ بِفِكْري ... ذكركم ليلاً فَنِمْتُه

ولقد جدّد وجدي ... بارقٌ للغرب شِمْتُه

هاج لي ذكرى نعيم ... مع من أهوى نعِمته

وأفاد القلبَ قربًا ... قَلْبُه[1] لمّا فهمته

من كتاب أوجب الأنـ ... ـس وقد كنت عدمتُه

أحرزَتْ كفّيَ منه ... غنمَها حين غَنِمْتُه

جاء فألا باقتراب ... بعدٍ بُعْدٍ قد سئمتُه

مُعْلِما لي بوداد ... كنتُ من قبلُ علمتُه

فمددتُ القول في الشـ ... ـكر عليه وأدَمْتُه

وتمثّلت يمينا ... رَسَمَته فلثمتُه

---

(1) مقلوب البرق هو القرب .

يــا إمــامــي وفــقــيــدي عِلْـــمُ مـــا فيـــه ائتممتـــه

فُـــزْ وحُـــزْ كـــلّ عـــلاء واحْـــــدُ مـــا رمـــتَ ورمتُـــه

وابــق مخصوصـــا بفضـــل أنـــت منحـــاه وسَمْتـــه

المصدر: رحلة التّجاني: ص 224 ـ 226.

26 ـ حيّى الفؤاد

قال مجيبا صديقه الشّاعر أبا القاسم محمّد بن ملجوم:

(البسيط)

حيّـى الفـؤادَ علـى بعد فأحيـاهُ خِـلٌّ أبت غيرَ حفظِ العهد علّياهُ

أهـدى إليّ سلامًا من لديـه فقـد أهـدى إليّ الأماني حين أهداهُ

وقد كسـاني ثيابَ الأنس ضافية طـرسٌ كستـه ثياب الوشي يمناه

دنا فأدنـى سـرورا كان قَبْلُ نـأى وصادف الحـزنَ ذا قرب فأقصاه

قد استوى النّاسُ في استحسان جملته لمّا استـوى لفظه حسنا ومعناهُ

يا غائبا حاضرا في حال غيبتـه فكلّمـا شئـتُ أن ألقـاه ألقـاه

أمّا الـودادُ الذي قـررتَ صحّتـه فإنّنـي مثـلَ ما ترعـاه أرعـاه

ما حُلْـتُ عن حبٍّ من أحببت منقلبا ولا نسيـتُ هـوى مـن كـنت أهواه

فثق بودٍّ صحيـح مـن أخ ثقةٍ بـاق على حفـظ عهد ليس ينساه

ودُمْ أبا القَاسِـمِ الأسنى حليفَ علا واسعد وفُزْ واحو أقصى ما تمنّاه

المصدر: رحلة التجاني: 301.

نصوص نثرية

1 ـ رسالة إلى ابن عمه أبي الفضل

لمّا وصلني كتاب سيّدي الذي اعترف بإحسانه، وأغترف من بحر بيانه، وصل اللّه سعوده، وأنجز من الآمال موعوده، قابلته بما يجب له من إجلال وتعظيم، وظفرت يداي منه بكتاب كريم، وعندما حللت طبعه، وحللت ربعه، علمت أن من البيان سحرا، وأن من الدرّ ما يكون له بعض الصدور بحرا، فلثمته عوضا عن اليمين التي رسمته، ووسمته من المحاسن بما وسمته، واتّخذته سميرا مناجى، أرفعه طورا على رأسي تاجا، وأتّخذه تارة إماما فيما أحاول من صياغة هذه الصّناعة ومنهاجا، ثمّ لمّا فهمت خطابه، وأردت أن أكتب جوابه، استشعرت بقصور، فارتبكت بين جواب لا أرتضيه جوابا، واغفال ليس في حكم التأدب صوابا، فقلت الأول تعرض للافتضاح، وابانة لقصور ذي اتّضاح، والثّاني وباللّه العصمة، اخلال بحقوق، ووقوع في عقوق، فرأيت أن خطب الأوّل أقرب، وأنّ المعترف بقصوره لا يثرب، مع أنّ إغضاء المخاطب عن المعترف معروف، وطرف رضاه عن المساوي مصروف، فأحببته بما أحببت وكتبت، وما أدري أأخطأت أم أصبت، غير أني لم أفعل الا وأنا على ما ذكرت معول، ولم أقدم الا وأنا على ما قدمت وحُقّ لمن شغلت النّوى فكره، واستلب فراق الأخلاّء الاجلاء مثلك صبره، أن يتجاوز عن هفواته، ويقبل ما صدر منه على علاته، ومعاذ اللّه أن تكون هذه شكوى من تبرّم بحاله، أو سئم من حله وترحاله، فقد أصبحت بحمد اللّه بملازمة من رفهتني أياديه، ورفعتني خدمة ناديه، بين مراد مكثب، ومراد مخصب، غير أنّ الانسان يقوم بعذره، ويقوم بزعمه سببا لقصور فكره، وضعف نظمه ونثره، وأعرف سيدي أني بلغت مخدومنا أعزه اللّه سلامه، وأوضحت له اشارته في ذلك الفصل أمامه، فذكر أن العقد كما كان سليم، وأنّ النقد نبذ بالعراء وهو سقيم، وهو مثن عليكم، ومهد سلامه اليكم، واللّه يحفظ على سيدي كماله، ويبلّغه آماله، ويحرس احتواءه على الفضل واشتماله.

المصدر: رحلة التّجاني : ص 226 ـ 227 .

2 ـ باب ذكر أوصافهنّ على التفصيل

الشّعر:

أبو الفرج في كتاب النّساء، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: "إذا تزوّج أحدكم المرأة فليسأل عن شعرها، فإن الشّعر أحد الجمالين".

حمزة بن الحسن الأصبهاني في كتاب الأوصاف له قال: كان يقال استجيدوا من المرأة شعرها، فإنّ الشّعر أحد الوجهين.

وقال خالد بن صفوان: الشّعر الأسود برنس الجمال.

أبو منصور الثعالبي في كتاب فقه اللّغة له قال: كمال الحسن في الشّعر.

وقال في فصل من الكتاب المذكور عقده لتفصيل أوصاف الشعر: يقال: شعرجفال إذا كان كثيراً ووجف إذا كان متّصلاً، وكثّ إذا كان كثيفًا مجتمعًا، ومعلنكس ومعلنكك إذا زادت كثافته، ومنسدر إذا كان منبسطا وسبطًا، وسبْط إذا كان مسترسلاً، ورجْل إذا كان بين السّبط والجعد، وسحام إذا كان حسنًا ليّنًا، ومغدودن إذا كان طويلاً ناعمًا. انتهى ما ذكره أبو منصور.

وقال غيره: وجثل إذا كان ضخمًا غليظًا، وأثيث إذا كان كثيراً ملتفًا، ووارد إذا كان طويلاً مسترسلاً. واشترط فيه بعضهم أن يصل إلى الكفل.

ومن أوصاف الذمّ فيه: شعر جعد بسكون العين إذا كان منكسراً غير مسترسل، وقططٌ بفتح الطاء وكسرها إذا اشتدّت جعودته، ومقلعط بسكون القاف وفتح وكسر العين المهملة إذا زاد على القطط، ومفلفل إذا كان في نهاية الجعودة كشعر الزنج.

ومن الشعر في هذا الباب قول امرئ القيس:

وشعْر يغشّي المتن أسودَ فاحمٍ أثيثٍ كقِنْو النَّخْلة المُتَعَثْكِلِ
غدائرُه مستشزرات إلى العلا تَضِلُّ العذَارى في مثنى ومُرْسَلِ[1]

يغطي المتن أي يكسو الظهر لطوله وجثولته.

والمتعثكل المتداخل، ومستشزِرات كناية عن ضفرهن.

وأنشد أبو علي في الأمالي لبكر بن النَّطاح وهو من أشعار الحماسة قوله:

بيضاءُ تَسْحب من قيامٍ شعرها وتَغِيبُ فيه وهو وَحْفٌ أَسْحَمُ
فكأنّها فيه نهار مشرق وكأنّه ليل عليها مظلمُ

قوله: تسحب من قيام: يريد من بعد قيامها، وذلك هو الغاية في الطول والسّبوغ.

قال أبو علي: ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي أنشده النّاجم عنه :

وفاحم وارد يقبل ممشا ه إذا اختال مرسلا غُدَرَه
أقبل كاللّيل من مفارقه منحدراً لا تَذُمُّ منحدره
حتّى تناهى إلى مواطئه يلثِم من كلّ موطئ عفره
كأنّه عاشق دنا شغفاً حتى قضى من حبيبه وَطَرَه[2]

العذر: بضم العين المهملة وفتح الذال المعجمة جمع عذرة وهي الخصلة من الشعر.

المصدر: تحفة العروس الطبعة 1: ص 111 ـ 112.

---

(1) ص 150 من ديوان امرئ القيس تحقيق حسن السندوبي، القاهرة 1953. في الديوان: وفرع يزين المتن.

الأثيث: الكثير المتراكب والقنو: العذق. المتعثكل: الذي دخل بعضه في بعض لكثرته أو المتدلّي.

(2) انظر ص 41 ـ 42. ج 2. من ديوان ابن الرومي. تحقيق عبد الأمير علي مهنا. بيروت 1991.

محمّد بن القويع

(664 ـ 738)

وليّ الدّين أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد بن القويع الجعفري القرشي التّونسي. ولد بتونس في رمضان سنة 664 وهاجر الى المشرق سنة 690 وعمره 26 سنة. رحل الى دمشق وحماة ثم رجع الى القاهرة واستقرّ فيها. كان يدرّس في مدارسها الأدب والتّفسير ويعلّم الطبّ في البيمارستان المنصوري. وتولّى في القاهرة نيابة القضاء مدّة من الزّمان وحظي فيها بجاه علمي وأدبي عريض. من مؤلّفاته:

- ديوان شعر
- شرح ديوان المتنبّي في عدّة أجزاء : ضائع.
- تفسير سورة ق وعدد من الآيات : ضائع.

1 - جوى يتلظى

(الطويل)

جوًى يتلظّى في الفؤادِ استعارُه ... ودمعٌ هتونٌ لا يكفُّ انهمارُه

يحاول هذا برد ذاك بصوبه ... وليس بماء العين تطفأ نارُه

ولوعًا بمن حاز الجمال بأسره ... فحاز الفؤادَ المستهامَ إسارُه(1)

كلفتُ به بدريٌ ما فوق طوقه ... ودعصيٌ ما يثني عليه إزارُه(2)

غزال له صدري كناسٌ ومرتعٌ ... ومن حَبِّ قلبي شيحه وعراره(3)

من السّمر يبدي عَنْدَميَ الصبر خدّه ... إذا ما بدا ياقوته ونُضارُه(4)

جرى سائجًا ماء الشّباب بروضه ... فأزهر فيه ورده وبهاره(5)

يشبُّ ضرامًا في حشاي نعيمُه ... فيبدو بأنفاسي الصّعاد شرارِه

وينثر دمعيَ منه نظمٌ موشّرٌ ... كنَوْر الأقاحي حفّه جلّناره(6)

يُعلُّ بعذبٍ من برودِ رُضابه ... تفاوح فيه مسكه وعُقاره

ويُسْهِرُ أجفاني بوسنان أدعج ... يحيّر فكري غنجُه واحورارُه

حكانِيَ ضعفًا أو حكى منه موثّقًا ... وخصرًا نحيلاً غال صبري اختصارُه

---

(1) الإسار: القبض والأخذ.

(2) الدعص: قطعة من الرمل مستديرة أو الكثيب منه المجتمع أو الصغير. شبّه الكفل بالدّعص لكثرة ما عليه من اللّحم.

الطوق: حلي للعنق يحيط به وكلّ ما استدار بشيء. ج أطواق.

إزار: كل ما يستر ويقال له أيضا المئزر. ج مآزر.

(3) الشيح: نبات ينبت في بلاد العرب ترعاه المواشي.

العرار: بهار ناعم طيب الريح ج عرارة. قال الشّاعر:

تمتّع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشيّة من عرار

(4) النضار: الذهب أو الفضّة أو الجوهر الخالص من التبر.

(5) البهار: نبت طيب الريح جعد ينبت أيام الرّبيع ورده أصفر الورق أحمر الوسط.

(6) الجلّنار: زهر الرّمان، ج جلنارة.

معنًى بـردفٍ لا ينـوءُ بثقلـهِ فيا شدّ ما يلقَى من الجار جارُه
علـى أنّ ذا مثرٍ وذلـك معسِرٌ ومـن محنتـي إعسارُه وإيساره
تألّـف من هذا وذا غُصْـنُ بانةٍ فوافـت بـه أزهـاره وثمـاره
تجمّع فيـه كلُّ حسـنٍ مفرّقٍ فصـار لـه قطبًـا عليه مداره
زلال ولكـن أين منّـي وروده ولـدْنٌ ولكن أين منّي اهتصاره؟
وسلسـال راحٍ صُدّ عنّي كأسُه وغودر عنـدي سُكْـره وخمـاره
وبدر تمـامٍ مشرقُ الضوء باهرٌ لأفقـي منـه محقُـه وسراره
دنا ونـأى فالدّار غير بعيـدة ولكـنّ بعـدا صـدُّه ونفـاره
وحيـن درى أن شدّ أسري حبُّه أحـلّ بـي البلوى وساء اقتداره

ومنها:

حكت ليلتي من فقدي النّوم يومها كمـا قد حكى ليلي ظلاما نهارُه
كتمـت الهوى لكن بدمعي وزفرتي وسقمـي تساوى سـرّه وجهاره
توالـت سجـلاّتٌ عليّ بأنّنـي إمام غرامٍ قل فكيف استِتَارُه؟
أورّي بنظمـي في العـذار وتارة لمن إنْ تغنّى القُرْطُ أصغى سِوَاره
وجلّ الذي أهوى عن الحلْيِ زينةً ولمّا يقـاربْ أن يـدبّ عِذاره
أراحةَ نفسـي كيف صرت عذابَهَا وجنّـةَ قلبـي كيف منك استعارُه؟

المصدر: الوافي ج 1 ، ص 238 ـ 247 وفي درّة الحجال: ج 2 ، ص 847 وفيها تحريف كثير.

2 ـ ولو غيّر الزّمان

قال من قصيدة يمدح بها الشيخ تقي الدّين ابن دقيق العيد وبدأها بالفخر :

(الوافر)

ولـو غيـر الزّمــان يكون قرني لَلاَقـى الحتف من ليـثٍ جريّ

تحامــاه الكمــاةُ إذا ادلهمّت دجـى الهبواتِ في ضنكٍ حميّ[1]

وطبّقــتِ الفضــاء فلا ضـياءٌ سوى لمعــان أبيـض مَشْرَفيّ[2]

وأرمــدت العيــونُ وكلّ طَـرفٍ عـمٍ إلاّ لأسمــر سمهــريّ[3]

بحيـثُ عبابُ بحر الموتِ يرمي بمــوجٍ من بنــات الأعوجــيّ[4]

عليهــا كــلّ أروع هِبـــرِزيّ يغالــبُ كــلّ أغلــب شَمَّــريّ[5]

تــراه يرى الظُّبـــى ثغرًا شنيبًا مـن الإفْرنْـد فــي ظَلْمٍ شهـيٍّ

ويعتقد الرّمــاح قدود هِيـــفٍ فيمتحهــا معانـقــةَ الهــديّ[6]

هنــاك ترى الفتى القرشيّ يَحْمِي حمــاة المجد والحسَـــبِ السّنيّ

وتعلــم أنّ أصــلاً هاشميّـا تفرّع بالنُّضــار الجعفـــري

ولو أنّ الجعافـــرة استبـدّت به يُمْنَـــى الهمـــام القوبعـي؟

وقال في المدح:

إلى صـــدر الأيمــة باتّفـاق وقــدوةِ كــلّ حبْـــرٍ ألمعـــيّ

ومـــن بالاجتهاد غـدا فريــــدا وحـــاز الفضــل بالقِـدْح العليّ

(1) الهبوة: ج هبوات وأهباء: الغبرة .

(2) مشرفي: نسبة الى قرى من أرض العرب تدنو من الريف اسمها مشارف الشام، وقيل إلى موضع في اليمن منه السّيوف المشرفيّة.

(3) سمهري: الرمح الصلّب، من اسمهر: اشتد وصلب

(4) الأعوج: القوس، ومؤنثه: عوجاء

(5) الهبرزي: الأسد أو الأسوار من أساورة الفرس، والشمرّي: الماضي في الأمور. المجرّب.

(6) الهدي: العروس

ومــا هــو والقداح وتلك بخـت ... وهــذا نــال بالسّعي الرّضــي

صبــا للعلــم صبّا فــي صبــاه ... فأغْــلِ بهمّـــة الصّبّ الصّبيّ

فأتقــن والشّبــابُ له لبــاسٌ ... أدلّـــة مــالــكٍ وَالشّافعــــي

ومنها:

ونــورُ جلالــه يرتــدُّ عـــنه ... رسـولُ الطّرف بالحسن الحييّ

"ومــن كثــرت صــلاة اللّيل مــنه ... سيحســن وجهــه" قول النبــيّ

ومنها:

بعــدلٍ عــمّ أصــنافَ البرايــا ... تســاوى فيــه دانٍ بالقصــيّ

ضمــمتَ[7] ندًى وجــودًا حاتميًا ... إلـــى رأي وحلــمٍ أحنــفيّ

لَدَيْكَ دعــائــم المجــد استقــرّت ... فحــطّ بنو الرّضا ملْقَى العصيِّ

بحيــث طوامــحُ الآمـــال مهمــا ... رمتْ لم تُخْــطِ شاكلةَ الرمــيّ

أيـــا قمر الفهـــوم إذا ادلهمّــتْ ... دجى الإشكال فــي غوص خفــيّ

وسَحـــبانَ المقالـــة حــين يُلْـفَــى ... بليــغ القــوم كَألفَــةِ العيــي

لكمْ أبديــت من معنًــى بديعٍ ... يــروق بحُــلّــة اللّفظ البهــيّ

---

(7) في الدرر: جمعت

فأقســـم ما الرّيـــاض حنا عليها ... ملـــث الـــودق[8]، هطّــال الحبيّ

فألبسهـــا المزخـــرفَ والموشّــى ... حَيَـــا الوسميّ منه أو الولــيّ

وأضحــك نبتهــا ثغــر الأقاحــي ... فمـــا نظـــمُ الجمانِ اللؤلــؤي

وعطّــر جوّهــا بشذا أريــجٍ ... من المســك الفتيــق التُّبّتِــيّ

فلاحـــت كالخرايـــد يزدهيهـــا ... حُلــيُّ الحســن أو حُســن الحليّ

بأبهـــج من كلامـــك حين تُفْتَــى ... ســـؤالا بالبديّـــة أو الـــرويّ

المصدر: الدّرر الكامنة: ج 4، ص 299 ـ 302 وبغية الوعاة: ج 1، ص 226 ـ 228.

3 ـ مقطوعة

(الطويل)

تأمّــل صَحيفات الوجــود فإنّها ... من الجانــب السّامــي إليك رسائل

وقد خُــطّ فيها إن تأمّلــت خطّهــا ... ألا كلّ شيء ما خلا اللّهَ باطل

المصدر: الدرر الكامنة: ج 4، ص 299 ـ 302 وبغية الوعاة: ج 1، ص 226 ـ 228.

---

(8) في رواية: القطر.

أبو البركات أيمن

(ت 743)

أبو البركات أيمن بن محمّد التّونسي ولد بتونس وأخذ عن علمائها وأدبائها ثمّ هاجر الى المشرق واختار المدينة المكرّمة ليقيم بها. كان هجّاء ثم تاب وأخذ ينظم الشّعر في المديح النّبوي حتى سمي بعاشق النبي، ألحّ عليه بعض أمراء بني حفص للرّجوع الى تونس فأبى.

1 ـ مقطوعات

ـ 1 ـ

(الطويل)

بلغتُ بشعري في الصِّبا وعفّته   جميعَ الأماني من جميع المطالب
فلما رأتْ عيناي سبعين حجّة   قريبا هجرت الشعر هجرَ الأجانب

المصدر: الدّرر الكامنة: ج 1 ، ص 460 ـ 462.

ـ 2 ـ

(الطويل)

فررتُ من الدّنيا إلى ساكن الحمى   فــرارَ محـــبٍّ عائد لحبيبــه
لجأت إلى هذا الجناب وإنّما   لجأت إلى سامي العباد رحيبه

المصدر: الدرر الكامنة: ج 1 ، ص 460 ـ 462

ـ 3 ـ

قال في مقصّ:

(مخلع البسيط)

نحـــن محبـــان ما رأينـــــا   في الحبّ أَشْقَى مـن العناق
فمـــن يحـــل بيننـــا نبـــادر   بقطعـــــه خِشيـــة الفـــــراق

المصدر: الدرر الكامنة: ج 1 ، ص 460ـ 462

ـ 4 ـ

(المجتث)

لقـد صـــدق الباقـر المرتضَـى   سليـلُ الإمـامِ عليـه السّلام
بمـــا قـال فـي بعـض ألفاظـه   "سـلاحُ اللّئـام قبيـحُ الكلام"

المصدر: الدّرر الكامنة: ج 1 ، ص 460ـ 462.

ـ 5 ـ

قال لصديق له:

(المتقارب)

أنـــا المحـــبّ إذا مـــــا   أراك بِـــرًا تــقـــيّـــا
وعنـــك أسلـــــو إذا مـــــا   أراك تَسْلُـــك غَـيّـــا
فاختـــــر لنفســـك عنـــدي   زيّـــا بـــــه تتزيّـــــا

إمـــا عفافـــــا وصـونْـــــا أو فاطـــو ما كان طيّـــا

وابعـــــد إلـــى أن ترانــي مـــــن الثّـــرى كالثّريّـــا

لاَ حســـنَ إلاّ بتقـــــوى دع عنــك حســـنَ المحيّـــا

المصدر: الدّرر الكامنة: ج 1 ، ص 460 ـ 462.

أبو يحيى أبو بكر الحفصي
(747 ـ 692)

المتوكّل على اللّه أبو يحيى أبو بكر بن أبي زكرياء يحيى بن إبراهيم بن أبي محمّد عبد الواحد بن أبي حفص، من مشاهير خلفاء بني حفص وشعرائهم ازدهرت الحياة الأدبيّة والفكريّة في عصره وصفها الرحّالون المغاربة بتونس منهم خالد البلوي الذي حظي عنده بالمكانة الرّفيعة وولاّه خطّة رئيس الكتبة فألّف عنه كتابا ونظم فيه قصائد مدحية عديدة.

ـ 1 ـ مقطوعة

(الطويل)

مَواطننـــا في دهرهــن عجائــب وأزماننا لــم تَعْـدُ عنهـا الغرائب

مواطنٌ لم تَحْكِ التّواريخُ مثلَها ولا حدَّثَتْ عنها اللّيالي الذّواهبُ

..ومن قتل الصّفّيْن وامتاز مانعا وقد نهلت مـنه الظّبَى فهو غَالِب

المصدر: وصف افريقيّة: ص 16 ، وجاءت منسوبة في صبح الأعشى غلطا إلى أبي العباس أحمد (ج 5، ص 115 ـ 116).

ـ 2 ـ فــراق

(الطويل)

طمت من دموعي للفراق بحورُ وَأُجِّجَ مـــا بين الضلوع سعيرُ

وفارقت قلبيَ يومَ فارقت صبيتي فلله أحنـــاء خلــت وقصور

وقلت له: يا قلب صبرا فقال لي: إنّـــي نحوهـــنّ أسيـــــر

عسى اللّهُ يدني للمحبين أوبة فتُشْفَى قلـــوبٌ منهمُ وصدورُ

وكمْ من قَصِيٍّ الدّار أمسى بحُزْنه فأعقبه عِنــد الصّبــاحِ سرورُ

المصدر: وصف إفريقيّة: ص 16 وجاء بيتان منها منسوبان غلطا إلى أبي العباس أحمد في صبح الأعشى: ج 5 ، ص 115 ـ 116.

ـ 3 ـ انظر الينا

(البسيط)

انظر إلينا ترانا ما بنا دهشُ — وكيف يطرُق أُسدَ الغابةِ الدّهشُ

لا تعرف الحادثَ المرهوبَ أنفسُنا — فإنّنا بارتكاب الموت ننتعِشُ

نسقي أحبّتنا من صرِف خمرتِنا — في طول ليلتنا حتى بدا الغَبَشُ

من كفِّ ظَبْيٍ سقاني من مُدَامَتِه — للريّ من عطش فازداد بي العطشُ

كأنّ وَجنتَها من حُمْرةٍ شفقٌ — وشعرَها غَسَقٌ بالجسم مفترش

المصدر: وصف افريقيّة والمغرب: ص 16 ، صبح الأعشى: ج 5 ، ص 115 ـ 116 (وهم المؤلّف في نسبتها إلى أبي العباس أحمد. وضمّن من القصيدة بيتين فقط وهما الأوّلان انظر التّعليق عدد 2 في الترجمة رقم 120).

ـ 4 ـ بذيّالـك الـوادي

(الطويل)

بِذَيَّـالِكَ الـوَادِي وَذَيَّالِـكَ الحِمَـى
سلِـبـتُ فُــؤَادِي واغتديْـتُ مُتَيَّمَا

سَكَرْتُ ولـم أعلمْ أمِنْ خَمْرَةِ الهوَى
عَرَانـيَ هَذَا السُكر أم خَمْرَةِ اللَّمَى

عَلقــتُ كَحيــلَ المُقْلَتيــْنِ مُهَفْهَفــا

رَخِيمًا يَلِينُ الصَّخْرُ مهما تكلَّما

تعلَّــمَ سحــرَ الجفن مِــنْ أرض بابــلٍ

وليــس لِغَيْرِي في الأنامِ تَعلّما!

رمانــي بسهــمٍ من مذانبِ لحظِــهِ

شديدٍ فَلَمْ يُخطــئْ فؤاديَ إذ رَمَى

وصــاد بأشراكِ الفواتــرِ مُهْجَتِــي

فَوَاعَجَبًا من شــادنٍ صَادَ ضَيْغَمَا

له وجْنَتَــا شمــس وبدْرٍ إذا بَدا

وَأَقْبَلَ من خلــفِ السُّتورِ مسلّــما

تراه ضُحًى في القَصْرِ شمسًا منيرةً

وعنــد الدُّجَــى تلقاهُ بــدرًا متمّمــا

ألائمتــي لُومــي إذا شئــتِ أو دَعِي

فَمَنْ يَهْوَ هَذَا الحُسْنَ لَمْ يَخْشَ لُوَّمَا

وحاســدةٍ قالت لأخــرى تعيبــه:

لَقَدْ تَاهَ حَتَّى قَالَ مَــنْ قَالَ أَجْرَمَــا

وظنَّـتْ بأنّا نحسبُ التِّيـهَ زَلَّـةً

وَلَمْ تَـدْرِ أنَّـا نَجْتَنِيـهِ تَنَعُّمَـا

فلـولا التجنّي والتدلّل في الهَـوى

لَمَـا كَانَ بُردُ العشق بالعشق مُعلما

ولاَ هَـاجَ مُشْتَاقًا إلى جِيرةِ اللوَى

وَمَنْـزِلِ مَنْ يَهْـوَى حَمَـامُ تَرَنّمَـا

وألْطَفُ شَيءٍ فِي الهوى أُنـسُ خمسة

"مَتَى؟ أوْ عَسَى! أوْ هَلْ؟ وَكَيْفَ؟ وَرُبَّمَا؟"

إذا لم يكـن منها شعورٌ لعاشق

فَلَيْـسَ لَهُ نَحْوَ المُحبِّـينَ مُنْتَمَى

إليك حديثـي بالتـي لـم أُسمّها

وَعَنْك حَدِيثِـي حَيْثُمَا قُلْتُ حَيْثُـمَا

ومنك هيامي والضّنى لـي شاهدٌ

وفيـك هُيَـامي بعد كتمي له نَمَـا

ولـم يعلم الواشونَ إلا تسَهُّدِي

وَلَمْ يُدْرِكُـوا الأسْبَابَ إلاَّ تَوَهُّمَـا

مَلَكْتُ الدُّنَى شَرْقًا وَغَرْبًا بِأَسْرِهَا

وَلَكِنَّنِي أَمْسَيْتُ فِيهَا مُتَيَّمَا

يُغَالِبُنِي ظَبْيٌ، وَأَغْلِبُ كُلَّ مَنْ

تَمَلَّكَ فِيهَا، وَارْتَدَى وَتَعَمَّمَا

كَتَمْتُ هَوَاهَا عَنْ فُؤَادِي وَمُهْجَتِي

وَعَنْ سُهْدِ جَفْنِي مَا اسْتَطَعْتُ تَكَتُّمَا

وَلَكِنَّ لِي نَفْسًا تَذُوبُ صَبَابَةً

وَتَصْبِرُ عِنْدَ الحَادِثَاتِ تَكَرُّمَا

وَتَأْلَمُ مِنَ طُولِ الصُّدُودِ وَلاَ تَرَى

لَدَى الحَرْبِ مِنْ مَسِّ الحَدِيدِ تَأَلُّمَا

وتهجرُ في نَيْلِ المَعَالي مَنَامَهَا

وَتَتَّخِذِ المَكْرُوهَ لِلْفَخْرِ سُلَّمَا

فَتُدْرِك ما تبغي من الحظّ سالمًا

وَلَوْ كَانَ خَلْفَ البَحْرِ وَالبَحْرُ قَدْ طَمَا

وما هي إلاّ رفعةٌ عمريّةٌ

إِلَى ذَرْوَةِ العَلْيَا بِهَا المَجْدُ قَدْ سَمَا

فَإِنْ صَعِدَ الأَمْلاَكُ بِالإِرْثِ مِنْبَرًا

فَمِنْبَرُنَا أَعْلَى وَأَكْرَمُ مُنْتَمَى

وَآبَاؤُنَا فِي المُلْكِ وَالبَأْس وَالنَّدَى

تَدَاوَلَهَا الوُرَّاخُ عُرْبًا وَأَعْجُمَا

وَلاَ فَخْرَ وَالأَعْدَاءُ تَشْهَدُ أَنَّنِي

أَجِيءُ وَغَاهَا مُسْفِرًا مُتَجَهِّمَا

وَأُقْدِمُ وَالأَبْطَالُ يُبْصَرُ وَجْهُهَا

هُنَاكَ عَبُوسًا مُنْكَرًا مُتَغَيِّمَا

فَكَمْ قَائِلٍ لِي فِي الرِّيَاسِ وَغَيْرِهِ

وَصَدْرُ القَنَا فِي القَوْمِ أَوْرَدتُهُ دَمَا

وَلِلنَّصْرِ سَيْفٌ مِنْ يَمِينِي مُؤَيدٌ

فَيَقْطِفُ أَرْوَاحًا وَيَحطِمُ أَعْظُمَا

وَكَمْ وَادِيًا بَدَّدْتُ فِيهِ سَرَاتِهِمْ

وَخَلَّفْتُ ذَاكَ المَاءَ مَاءً مُحَرَّمَا

فَإِنْ تَجْهَلِ الحَرْبُ الزَّبُونُ سَكِينَتِي

فَتَعْرِفُنِي مَهْمَا حَطَطْتُ التَّلَثُّمَا

جَوَادُ الوَغَـى وَالفَخْرِ وَالذِّكْرِ حقّه

لمِثْلِــــي مِنْ دُونِ الـوَرَى أَنْ يُفَخَّمَا

وَإِنِّــي أَمِيــرُ المُؤْمِنِــينَ مُتَوَّجًـا

مِنَ المُلْــكِ تَاجًــا بِالأَمَانَــةِ كُرِّمَـا

جَعَلْتُ بِمَجْدِي ثُمَّ لَفْظِي وَصَارِمِي

فَخَـارِي بِجِيدِ الدَّهْرِ دُرًا مُنَظَّما

يَــرَاهُ وَلاَ يَــرْقَى إِلَيْهِ مُعَانِــدٌ

وَيُبْصِرُهُ كَالنَّجْمِ فِي كَبِدِ السَّمَا

بَنَيْنَــا بِنَاءَ المُلْكِ وَالعِـزِّ وَالعُلاَ

سَمَــاءً عَلَى بُنْيَانِ قَوْمٍ تَهَدَّمَا!

المصدر: نثير الجمان: ص 98ـ 102.

أبو القاسم الرّحوي

(حي سنة 779)

شاعر تونس على الإطلاق حسب عبارة ابن خلدون، كان خليلا لوالده. كانت له طموحات عبّر عنها في قصائده. اتّصل بأبي الحسن المريني مدّة حكمه بتونس ومدحه لكنّ الظروف السّياسيّة لم تسمح له بتحقيق آماله.

1 ـ قد ذهب العيش والهناء

(مخلّع البسيط)

أَسْتَغْفِرُ اللّهَ كُلَّ حِينٍ   قَدْ ذَهَبَ العَيْشُ وَالهَنَاءُ

أُصْبِحُ فِي تُونِسٍ وَأُمْسِي   وَالصُّبْحُ لِلّهِ وَالمَسَاءُ

أَلْخَوْفُ وَالجُوعُ وَالمَنَايَا   يُحْدِثُهَا الهَرْجُ وَالوَبَاءُ

وَالنَّاسُ فِي مِرْيَةٍ وَحَرْبٍ   وَمَا عَسَى يَنْفَعُ المِرَاءُ

فَأَحْمَدِيٌّ يَرَى عَلِيّا   حَلَّ بِهِ الهُلْكُ وَالتَّوَاءُ

وَآخَرٌ قَالَ سَوْفَ يَأْتِي   بِهِ إِلَيْكُمْ صَبًّا رَخَاءُ

وَاللّهُ مِنْ فَوْقِ ذَا وَهَذَا   يَقْضِي لِعَبْدَيْهِ مَا يَشَاءُ

يَا رَاصِدَ الخُنَّسِ الجَوَارِي   مَا فَعَلَتْ هَذِهِ السَّمَاءُ

مَطَلْتُمُونَا وَقَدْ زَعَمْتُمْ   أَنَّكُمُ اليَوْمَ أَمْلِيَاءُ

مَرَّ خَمِيسٌ عَلَى خَمِيسٍ   وَجَاءَ سَبْتٌ وَأَرْبِعَاءُ

وَنِصْفُ شَهْرٍ وَعُشْرُ ثَانٍ   وَثَالِثٌ ضَمَّهُ القَضَاءُ

وَلَا نَرَى غَيْرَ زُورِ قَوْلٍ   أَذَاكَ جَهْلٌ أَمِ ازْدِرَاءُ

إِنَّا إِلَى اللّهِ قَدْ عَلِمْنَا   أَنْ لَيْسَ يُسْتَدْفَعُ القَضَاءُ

رَضِيتُ بِاللّهِ لِي إِلَهًا   حَسْبُكُمُ البَدْرُ أَوْ ذُكَاءُ

مَا هَذِهِ الأَنْجُمُ السَّوَارِي   إِلَّا عَبَادِيدُ أَوْ إِمَاءُ

يُقْضَى عَلَيْهَا وَلَيْسَ تَقْضِي   وَمَا لَهَا فِي الوَرَى اقْتِضَاءُ

ضَلَّتْ عُقُولٌ تَرَى قَدِيمًا   مَا شَأْنُهُ الجِرْمُ وَالفَنَاءُ

وَحَكَّمَتْ فِي الوُجُودِ طَبْعًا   يُحْدِثُهُ المَاءُ وَالهَوَاءُ

لَمْ تَرَ حُلْوًا إِزَاءَ مُرٍّ   تَغْذُوهُمُ تُرْبَةٌ وَمَاءُ

أَللَّـــهُ رَبِّــــي وَلَسْـــتُ أَدْرِي مَــا الْجَوْهَــرُ الْفَــرْدُ وَالْخَــلاَءُ

وَلاَ الهَيُــولَـــى الَّتِــي تُنَــادِي مَالِــيَ عَــنْ صُــورَةٍ عَرَاءُ

وَلاَ وُجُـــــودٌ وَلاَ انْعِــــدَامٌ وَلاَ ثُــبُـوتٌ وَلاَ انْتِفَـــاءُ

وَالكَسْـــبُ لَـــمْ أَدْرِ فِيـــهِ إلاَّ مَــا جَلَــبَ البَيْــعُ وَالشِّــرَاءُ

وَإِنَّمَـــا مَــذْهَبِــي وَدِيـنِــي مَــا كَــانَ لِلنَّــاسِ أَوْلِيَــاءُ

إِذْ لاَ فُصُـــولٌ وَلاَ أُصُـــولٌ وَلاَ جِــدَالٌ وَلاَ رِيَـــــاءُ

مَــا تَبِــعَ الصَّـــدْرَ وَاقْتَفَيْنَــا يَــا حَبَّـــذَا كَــانَ الاقْتِفَــاءُ

كَانُــوا كَمَــا يَعْلَمُــونَ مِنْهُــمْ وَلَــمْ يَكُـــنْ ذَلِــكَ الهَــذَاءُ

يَــا أَشْعَــرِيَّ الزَّمَــانِ إِنِّــي أَشْعَـــرَنِي الصَّيْــفُ وَالشِّتَاءُ

لَــمْ أُجْـزَ بِالشَّــرِّ غَيْــرَ شَــرٍّ وَالخَيْــرُ عَـــنْ مِثْلِــهِ جَــزَاءُ

وَإِنَّنِـــي إِنْ أَكُـــنْ مُطِيعًــا فَلَسْـــتُ أُعْصَـــى وَلِـي رَجَاءُ

وَإِنَّنِـــي تَحْـــتَ حُكْـــمِ بَــارٍ أَطَاعَـــهُ الْعَـــرْشُ وَالثَّـــرَاءُ

لَيْـــسَ انْتِصَـــارٌ بِكُـــمْ وَلَكِنْ أَتَاحَـــهُ الحُكْـــمُ وَالقَضَــاءُ

لَوْ حُـــدِّثَ الأَشْعَـــرِيُّ عَمَّــنْ لَـــهُ إِلَـــى رَأْيِـــهِ انْتِمَــاءُ

لَقَـــالَ أَخْبِرْهُـــمُ بِـــأَنِّــي مِمَّـــا يَقُـــولُونَـــهُ بَــرَاءُ

المصدر: مقدّمة ابن خلدون: ص 578ـ 579، وعنوان الأريب: ج 1، ص 101.

2 ـ أجابك شرق ومغرب

قال يمدح أبا الحسن المريني وهو من كبار بني مرين، دخل تونس سنة 748هـ واستعمل فيها العمال على الجهات، ثارت عليه قبائل العرب قرب القيروان وهزموه. توفي سنة 752 هـ

(الطويل)

أَجَابَكَ شَـرْقٌ إِذْ دَعَوْتَ وَمَغْرِبُ ... فَمَكَّـةُ هَشَّـتْ لِلّـقـاء ويثـربُ

وَنَـادَاكَ مِصْـرٌ وَالعِرَاقُ وَشَامُهُ ... بداراً فَصَدْعُ الدّين عندك يُشْعَب

وَحَيَّتْـكَ أَوْ كَـادَتْ تُحَيِّي مَنَابِر ... عليهـا دعـاةُ الحقّ باسمك تخطُب

فَسَارَعَ مِنَّـا كُـلُّ دَانٍ وَشَاسِـعٍ ... إلى طاعةٍ من طاعة اللّه تُحْسَبُ

وَتَاقَـتْ لَـكَ الأَرْوَاحُ حُبّـا وَرَغْبَةً ... وأنـت علـى الآمال تنأى وتقرُب

فَفِي البَلْدَةِ البَيْضَـاءِ لَبَّاكَ مَعْشَرٌ ... وأنـت بأفْـقِ النّاصريّـة ترقُـب

وَوَافَتْكَ مِنْ ذَاتِ النَّخِيلِ وُفُـودُهَا ... فلقّاهـم أهــلٌ لديـك ومَرْحَـبُ

وَلَمْ تَتَلَكَّـأْ عَنْ إِبَاء بِجَايَـةٌ ... ولكن يراضُ الصَّعبُ ثُمَّت يُرْكَبُ

تَأَبَّـتْ فَلَمَّـا أَنْ أَطَلَّـتْ عَسَاكِـر ... تَرَى الشُّهْبَ مِنْهَا تُسْتَبَاحُ وَتُنْهَبُ

فَبَـادَرَ مِنْهُـمْ مُذْعِـنٌ وَمُسَلِّـم ... وَأَذْعَـنَ مِنْهُـمْ شَاغِـبٌ وَمُؤَلِّـبُ

وَمَـا تُونِـس إِلاَّ كَمِصْـرَ مُرَوَّعٌ ... وَفِـي حُـرَمٍ أمست لديك تسرب

وَمَـا أَهْلُهَـا إِلاَّ بغَـاثٌ لِصَائِدٍ ... وبالعـزّ منهـا استنسروا وتعقّبوا

وَقَـدْ كُنْتَ قَبْلَ اليَوْمِ كَهْفَ زَعِيمِهِمْ ... فها أنـت كهـفٌ للجميع وَمَهْرَب

فَكَـانَ يُـرَى أَنَّ الزَّمَـانَ أَدَالَهُ ... بكمْ فأجاب العيشُ والعيشُ مخصبُ

كَذَلِـكَ ابـنٌ طائـعٌ وإن اعتلـت ... به السنُّ أحـوالا وأنـت لـه أب

ومـا ذاك إلاّ أنّ عدلَـك ينتمـي ... إِلَـى الخُلَفَـاء الرَّاشدِيـن ويُنْسَبُ

تَسَامَيْتَ فِي مُلْكٍ وَنُسْكٍ بِخطَّةٍ   حذاءك محراب لديها ومركبُ

إِذَا لَذَّ لِلأَمْلاَكِ خَمْرٌ مُدَامَةٍ   فلذّ لك القرآنُ يُتْلَى ويُكْتَبُ

وَإِنْ ادأَبَ القَوْمُ الصَّبُوحَ فَإِنَّمَا   على رَكَعَاتٍ بالضّحى أنتَ تَدْأَبُ

وَإِنْ حَمِدُوا الشُّرْبَ الغَبُوقَ فَإِنَّمَا   شرابُك بالإمساء ذِكْرٌ مُرَتَّبُ

وَإِنْ خَشُنَتْ أَخْلاَقُهُمْ وَتَحَجَّبُوا   فما أنت فظٌّ بل ولا متحجِّبُ

لَقَدْ كَرُمَتْ مِنْكَ السَّجَايَا فَأَصْبَحَتْ   إذا ما أمَرَّ الدّهرُ تحلُو وتعذب

كَمَا شَيَّدت بَيْتًا ذُؤَابَـةُ مَعْشَـرٍ   يزيدهم قحطان فخرا ويعرب

هُمْ التَّارِكُو غُلْبَ القَسَاوِرِ خُضَّعًا   وعن شأوهم كَفَّتْ عبيدٌ وأغلُبُ

هُمْ النَّاسُ وَالأَمْلاَكُ تَحْتَ جِوَارِهِمْ   هُمُ العظم والأرض العظيمة مغرِبِ

هُمْ المَالِكُو المُلكَ العظِيمَ فبيتُهم   على كاهل السّبع الشدّادِ مُطَنَّبُ

لقد أصبحت بغدادُ تحسدُ بأسَهم   ودِجلَةُ ودّتْ أن تكونَ مُنَاسب

تجلّت ببيـت المجد منهم كواكبٌ   لقد جلّ منها مُشرّقٌ ومُغرِّبُ

فللّـه منهـم ثلّـة مغربيّـة   يروم بناها الأعجميُّ فيعرب

لقد قام عبدُ الحق للحقّ طالبا   فما فَاتَه منه الذي قام يطلب

وأعقـب يعقوبـا يـؤم سبيلـه   فَلَمْ يُخْطِه وهو السّبيلُ المُنْجب

وخلّـفَ عثمانًا فلِلّـه صارمٌ   به بَانَ للإسلام شَرْعٌ وَمَذْهَب

فكم في سبيل الله شنّ إغارةً   لِمَا شَادَ أهْلُ الكفر أمْسَتْ تخرّب

ولمّا أراد الله إتمام مَنّـه   تقلّدَها منّا مُطيعٌ ومذنب

إيمانُـك للديـن الحنيفـي آيـةٌ   تعرّى بها عن لامع الحق غيهَبُ

فجئتَ بما يرضى به اللّهُ سالكا   سبيلا إلى رضوانه بك يذهب

وقمتَ بأمر اللّه حقّ قيامه   يناضل عنه منك نصلٌ مدرّب

وأصبح أهل الله أهلا وشيعة   لكم ولهم منكم مكان ومنصب

وحلّ بأهل الفتك ما حلّ عزمهم   وقـام لديهـم واعـظٌ مترقّـب

وجاهدتَ في الرّحمان حقّ جهاده   فراهبُ أهلِ الكفر بأسَك يَرْهب

وأنقـذت من أيـد الإغـارة أمـة   وأولى جهـاد كان بـل هـو أوجب

فأصْبَحـت الدّنيـا عروسـا يزفّهـا   لأمرك من جاري المقادير مغرِب

فـلا مصـر الاّ قد تمنّاك أهلُه   ولا أرض الا بادّكارك تُخْصِب

وما الأرض الاّ منـزل أنت ربّـه   وما حلّهـا الا ألودود المرجِـب

تملّكت شطر الأرض كسبا وشطرَها   وراثا فطاب الكلّ إرث ومكسب

بجيش على الألواح والماءَ يمتطي   وجيش على الضُمُر السّوابِق يَرْكب

وجيش من الإحسان والعدل والتّقى   وذاك لعمر الله أغلى وأغلَبُ

فلا مركـبٌ الاّ يزيّـن راكـا   ولا راكب إلاّ به ازدان مركب

ولا رمح الاّ وهـو أهيـف خاطـر   ولا سيف الاّ وهو أبيض قاضب

فكـم كاتـب خطّيـه[1] وبواتـه   ولم يقر خطا يغتدي وهو يكتب

يمرّ علـى الأبطـال وهـو كأنه   هزبـر وأبطال الفوارس ربرب[2]

وكـم كاتب لا ينكر الطّعن رمحه   خبيـر بأيّـام الأعـارب معـرب

له مـن عجيب السحر بالقول أضرب   وفي هامة القوم المضارب مضرب

فها هـو فـي الأقوال واش محبِّر   وها هـو فـي الأمثال ثاو مجرّب

ومن ساحب بردا من العلم والتّقى   عليه ذيـول الداوديـة تسحـب

له صبغة في العلم جاءت بأصبغ[3]   وشهبان فهم لم يشِمهنّ أشهب[4]

---

(1) رمحه .

(2) قطيع من الظباء.

(3) أصبغ: هو أصبغ بن الفرج من كبار المالكية بمصر، توفي سنة 225 هـ.

(4) هو أشهب تلميذ مالك بن أنس، توفي سنة 204 هـ.

فيا عسكرا قد ضمّ أعلام عالَم ... به طاب في الدّنيا لنا متقلّب

هم الفئة العلياء والمعشر الذي ... إذا حلّ شعب فهو لِلحَقٍّ مشعب[5]

لك الفضل في الدنيا على كلّ قاطن ... ومرتحل أنّى يجيء ويذهب

ويا مالكا عدلا رضى متورّعا ... مناقبه العلياء تُتْلَى وتُكْتب

شرعت من الإحسان فينا شريعة ... تساوى بها ناء ومن يتقرّب

وأسميت أهل النسك إذ كنت منهم ... فمنك أخو التّقوى قريب مقرّب

وأعليت قدر العلم إذ كنت عالما ... ففيه وفي طلاّبه لك مأْرب

فمدحك محتوم على كلّ قائل ... ومن ذا الذي يحصي الرّمال ويحسب

فللّه كم تعطي وتمطي وتجتبي ... فللبحر من كفيك قد صحّ منسب

فلا برحت كفاك في الأرض مزنة ... يطيب بها للخلق مرعًى ومشرب

ولا زلت في علياء مجدك راقيا ... وشانئك المدحوضُ يُنْكَى ويُنْكب

توافي على أقصى أمانيك آمنا ... فلا برّ يستعصى ولا يتعصب

المصدر: عنوان الأريب: ج 1 ، ص 98- 101.

(5) جامع.

3 - مدح ابن رضوان

قال يمدح أبا القاسم بن رضوان وبعض من قدم مع أبي الحسن المريني إلى تونس من العلماء كي يبلغوا خبره إليه:

(الطويل)

عرفتُ زَمَانِي حِينَ أنْكَرْت عِرْفَانِي ... وأيقنتُ أن لا حظَّ في كَفِّ كِيوَانِ[1]

وأن لا اختيـارٌ في اختيار مُقَوِّم ... وأن لا قِـرَاعٌ بالقِرانِ لأقْرَانِي[2]

وأنَّ نِظَـامَ الشَّكْلِ[3] أكْمَلَ نَظْمِهِ ... لَأَضْعَفُ قَاضٍ في الدَّليل برُجْحَانِ

وأن افتقـار المـرء فـي فَقَرَاتِـهِ ... ومن ثقلـه يُغْـنـي اللّبيب بأوزانِ

فمن بعد ما شِمتُ الخِلاب ولم أُرَعْ ... لِهَشَّـةِ راضٍ أو لِشِرَّةِ غَضْبَانِ

ولم يُغْشِنِي النار لَمعُ شُعاعِها ... فما كل نارٍ نارَ موسى بن عِمْرَانِ

ولم يبقَ لي في الغَيْب من أملٍ سِوَى ... لقاءِ ابـن رضـوانٍ وجنَّة رِضْوان

هُنَالِـكَ أَلْفَيْتُ العُلاَ تَنْتَمِي إلى ... أُنَاسٍ ضَئِيلٌ عندهم فَخْرُ غَسَّانِ

وأُرْعِيـتُ مـن روض التـأدب يانعًا ... وَحُيِّيتُ مـن كنـز العلـوم بعِقيانِ

وَرَدتُ فلـم تُجْـدِب لديـه رِيَادَتِـي ... وَصَـدَّقَ طَرفـي مـا تلقَّتـه آذانِي

فحسبُـك مـن آدابـه كلُّ زاخِـرٍ ... يُحيِّيـك معسـولا بـدُرٍّ ومَرْجَـانِ

---

(1) كيوان: اسم لزحل، وهو أحد الكواكب السيارة.

(2) مقوم الكوكب: موضعه (طوله) من فلك البروج .

والقران: اجتماع كوكبين سيارين في نقطة واحدة من فلك البروج، ويشير الرحوى إلى ما يزعمه المنجمون من أن الكوكب إذا كان في موضع معين في فلك البروج، أو اقترن بكوكب آخر في نقطة معيّنة، كان له أثر حسن، أو سيء، في أعمال الإنسان .

(3) نظام الشكل: شكل الفلك، يريد وضعه في وقت معيّن، وهو ما يعرف عندهم بالنصبة الفلكيّة. ونظام الشكل. كناية عن حسن دلالته، يقول: مهما انتظم الشكل فإنه أضعف قاض في دلالة القران على رجحان عمل على آخر.

يحيِّيك بالسِّلك الذي لم تُحط به طرُوسُ ابن سَهل أو سوالفُ بُوران[4]

فقل بَابِلِـيٌّ إن يُنافثـك لفظـةً وفِي وَشْيِهِ الأطْرَاسَ قل هو صَنْعَانِي

خلائق لم تُخلَق سُدًى بل تَكَمَّلَتْ بإِسْـدَاءِ إِنْعَـامٍ وَإِيـلاَءِ إِحْسَـانِ

ثمَّ يقول في ذكر العلماء القادمين:

هم القومُ كلُّ القَـوم أما. حلُومُهم فأرسـخُ مـنْ طَودَيْ ثَبِير وَثَهْلاَنِ[5]

فـلا طيشَ يَعْرُوهـم وأمـا علُومهم فأعلامهـا تَهديـك مـن غير نِيـرَانِ

بفقهٍ يشيم الأصبحيُّ[5] صباحه وأشهب[6] منه يستدلُّ بشُهبانِ

وحسنِ جدالٍ للخصومِ ومنطق يجيئان في الأخفى بأوضح برهانِ

سقت روضة الآداب منهم سحائبٌ سَحَبْن على سحبانَ[7] أذيالَ نسيانِ

فلم يبق نأيُ ابن الإمام[8] شماخةً علـى مـدنِ الدّنيـا لأنـف تِلمسَـانِ

وبعد نوى السّطّي[9] لم تسطُ فاسةُ بفخرٍ على بغدان في عصر بغدانِ

(4) السالفة: جانب العنق، وجعلوا كل جزء من العنق سالفة، فقالوا: إنّها لوضّاحة السوالف.

وبوران: هي بنت الحسن بن سهل. تزوّجها الخليفة المأمون، وأنفق في زفافها من الأموال ما أصبح مضرب المثل. وابن سهل هو الحسن بن سهل السّرخي والد بوران، ووزير المأمون.

ثبير: جبل بظاهر مكة.

ثهلان: جبل في بلاد بني نمير.

(5) يريد بالأصبحي مالك بن أنس الإمام المعروف، لانتهاء نسبه إلى ذي أصبح.

(6) هو أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز الفقيه المالكي المصري (150 ـ 204).

(7) هو سحبان بن زُفَر بن إياس الوائلي، يضرب به المثل في البيان، أدرك الإسلام، ومات سنة 54 هـ.

(8) ابن الإمام: عبد الرّحمان بن محمد أو أخوه عيسى عالمي المغرب في عصرهما تعلما في تونس ورحلا الى الجزائر وعادا الى تلمسان توفي عبد الوهاب سنة 743.

(9) السطّي : من العلماء المغاربة الذين صحبوا أبا الحسن المريني الى تونس.

وبالآبليّ[10] استسقتِ الأرضُ وبلها ومستوبلٌ ما مال عنه لأظْعَانِ

وهامت على عبد المهيمن[11] تونسٌ وقد ظفرت منه بوصلٍ وقربانِ

وما علقت منّي الضمائر غيرهُ وإن هويت كلاًّ بحبِّ ابن رضوان[12]

المصدر: التّعريف: ص 24 ـ 25 ، منها أبيات في "درة الحجال" محشوّة بالأغلاط: ج 3 . ص 271 ـ 273.

4 ـ لهي النّفس

كتب يذكّر أبا عبد اللّه المهيمن[11] في إيصال مدحه للسّلطان أبي الحسن المريني:

(الخفيف)

لَهِيَ النّفس في اكتساب وسعيِ وهــو العمــر في انتهابٍ وَفَيٍّ

وأرى النّاس بين ساعٍ لرشدٍ يتوخّـى الهـدى وسـاعٍ لغيِّ

وأرى العلـم للبريّـة زينًـا فتزيّـا منـه بأحسـنِ زِيِّ

وأرى الفضـل قـد تجمّـع كلاًّ في ابـن عبد المهيمن الحضرميّ

حـلّ بالرتبـة العليـة فـي حضـرةِ مَلْكٍ سامـي العمـادِ عليٍّ

(10) الآبلي: من العلماء المغاربة الذين صحبوا المريني الى تونس وكان أستاذا لابن خلدون في العلوم العقليّة

(11) عبد المهيمن الحضرمي ت 739 رئيس الكتاب في تونس لدى أبي الحسن المريني. انظر ترجمته رقم 126. في كتابنا : الحياة الأدبيّة بتونس في العهد الحفصي.

(12) ابن رضوان: من علماء المغرب الذين صحبوا السّلطان المريني أبا الحسن إلى تونس.

قلمٌ أوسـعَ الأقاليـم أمــرًا ‏ ‏ فلــه قــد أطـــاع كلُّ عصيِّ

قَــدَرٌ مــا يفيــد منــه احتــذارٌ ‏ ‏ فَبِـأيٍّ تــراه يقضــي بــأيِّ

يمنــح العــزَّ والعــلا ويــوالي ‏ ‏ بالعطايــا الجســامِ كــلَّ وليِّ

يلجــأ الدّارعــون خوفًــا إليــه ‏ ‏ فهــو يُزري بالصّارم المشرفيِّ

هــو أعلــى الأقلام في كلّ عصرٍ ‏ ‏ حيث يُنْمَــى إلى الإمــام عليِّ

حَلِيَــتْ تلكــم الرّياســة منــه ‏ ‏ بفريدٍ فــي كــلِّ معنــى سنيِّ

سالــك فــي النّظــام دُرًا وطورًا ‏ ‏ ناثــر درّه بنشــرٍ وطَــيِّ

بِــدَعٌ للبديع[1] ترمــي بحصــرٍ ‏ ‏ ولصابــي[2] بنــي بويــه بِعِــيٍّ

ويُــرى أخــرس العــراق لديــه ‏ ‏ أنّــه بالشــاَم كالأعــجمــيِّ

وعلــومٌ هــي البحــورُ ولكــن ‏ ‏ ينثنــي الــواردون منهــا بــرِيٍّ

تَصْــدُر الأمّــة العظيمــة عنــه ‏ ‏ بحديــث مــجــوَّد مَــرْوِيِّ

وبفقــهٍ فيــه وحســن مقــالٍ ‏ ‏ يضــع النّــورَ في لحاظ العمــيِّ

وبِنَحْــوٍ ينحــي على سيبويــهِ[3] ‏ ‏ ببيــانٍ فــي المبهمــات جلــيِّ

عمــي الأخْفَشَانِ[4] عنه وســدّت ‏ ‏ عــن خفايــاه فطنةُ الفارسيِّ[5]

يا أخــا الحكم في الأنام وإنّي ‏ ‏ لأنــادي ربَّ النّــدى والنّــدِيِّ

بنــتُ فكــري تعرّضــت لِحِماكُمْ ‏ ‏ فالقهــا راضيًــا بوجــه رضــيِّ

---

(1) يريد أبا الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني، بديع الزمان، المتوفي سنة 398 .

(2) أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب البليغ (314 ـ 384).

(3) سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر صاحب الكتاب في النحو توفي سنة 177 هـ.

(4) الأخفشان : أبو الحسن الأخفش من تلامذه سيبويه المشهورين ويعرف بالأخفش الأوسط وهو سعيد بن مسعدة توفي سنة 215 هـ. وعلى بن سليمان الأخفش الأصغر توفي سنة 315 وكان من علماء النحو.

(5) أبو علي الفارسي من أكابر أئمّة النحويين، صاحب كتاب الإيضاح في النحو والحجة في علل القراءات السّبع وكتاب المقصور والممدود، توفي سنة 377.

تبتغـــي القـرب من مراقي الأماني والترقّـــي للجانـــبِ العَلَـــويّ[6]

فأنلهـــا مرامهـــا نلـــت سهـــلاً كلَّ دانٍ تبغـــي وكـــلَّ قصـــيّ

المصدر: التّعريف: ص 25ـ 26.

(6) أبو الحسن علي المريني الأمير.

محمّد الظّريف

(ت 787)

أبو عبد اللّه محمّد بن أبي بكر الظّريف الوليّ والشّاعر الفحل والفنّان الرّقيق والعالم في المقامات الموسيقيّة. استوحى منها قصائده. نذكر منها "ناعورة الطبوع" وقصيدة لامية في 59 بيتا. كانت له رحلة الى المشرق زار فيها بلاد الشّام حيث أخذ عن عدد من المشائخ. مازال مقامه محلّ زيارة، يجتمع فيه الظرفاء والفنّانون وأصحاب الذّوق الصّوفيّ.

1 ـ مقطوعة

(الكامل)

لَيْسَ الظَّرِيفُ بِكَامِلٍ فِي ظُرْفِهِ حتّى يكون عن الحرام عَفِيفَا
فإذا تعفّف عن مَحَارِمِ ربِّه فهناك يَدْعُوهُ الأنَامُ ظَرِيفَا

المصدر: عنوان الأريب: ج 1، ص 105.هذان البيتان نسبا إليه غلطا وقد وردا في كتاب ابن الجوزي عن الظراف والمتماجنين، وابن الجوزي متوفى سنة 597 هـ.

2 ـ قم من منامك

(البسيط)

قم من منامك واسل العجز والكَسَلاَ وانظر لِنِعْمَةِ خَلاَّق وَمَا فَعَلاَ
النّومُ موتٌ فلا تعبأْ بلذّته واحفظ حياتَك لا تبغي بها بَدَلاَ
إنّ المنام لَتُقْسي القلبَ سكرتُه ويُكْسِب الجسمَ من إفراطه عِلَلاَ
ويُذْهب العمرَ مجانًا لكثرته ويورث الفقرَ للإنسان والكسَلاَ
دعِ الكَرى واغنم اللّذاتِ مجتهدا واخلع عذارَكَ واترُكْ عذْلَ من عذلا
أمَا ترى اللّيل إذ كرّ الصّباحُ على جيوشه تبعًا في جَنْبه أفَلاَ
والرّوضُ أصبح يجْلى في غلائله وأنشد الطّيرُ فوق الغصْنِ وارتجلا
وألقتِ القُضبُ من أوراقها بُسُطًا وأُلبس الرّوضُ من أنواره حُلَلاَ
وقبّل الطلُّ خدَّ الأرض فابتسمت أزهارُها فغدت تزهُو بحسنٍ حَلاَ
والوردُ لمّا اعتلى من فوق وجنته ماءُ الحياء بدا في خدّه خَجِلا

والسّوسن الغضُّ ما أحلى شمائلَه … لمّا تفتّح في البستان واكتملا
وفي البَهَارِ إشاراتٌ لمعتبِرٍ … كأنّه كفٌّ مخضوبٍ بكأسٍ طَلاَ
والنّرجِسُ اصفرّ من فرط لوعته … كعاشقٍ بالهوى والصدِّ قد نحِلا
والياسمينُ تبدّى في عساكره … مضمومَة الشّمل لم يتْرك بها خللا
كذا البنفسجُ أرخى الرأس مكتئبا … كمدنفٍ في شبَاك الحُبّ قد حَصُلا
وإنْ تأملتَ في الخَيْري تر عجبا … كأنه مَلِكٌ في جيشه فَعَلاَ
وثمّ ألوانٌ لا يحصى لها عددٌ … في وصفها عجز الصبّاغ والعُقَلا
تدبيرُ من خلق الأشيا وأبرزها … وصيّر الخَلْقَ في سلطانه دُوَلاَ
وغنّت الوُرْق في أغصان دَوْحَتِهَا … فأيقظتْ طربا من نام أو غَفَلاَ
جَسَّتْ حسينَ النَّوَى في شدّها وبكت … على العراق فأضحى العقلُ معتقَلاَ
وجرّت الذّيلَ في رملِ الحِجاز وقد … تبخترت في مَمَاشي دَوْحِهَا خُيَلا
فذكّرتْني زمانا مرّ بي بعدا … زمانَ أنس بلذّات الوِصال حَلاَ
أيّام إذ كان فيها السّعد يسعدنا … والدّهرُ في حكمه إذّاك قد عَدَلاَ
فكم أطعت هوى نفسي وشهوتَها … وكم عصيتُ عَذُولاً في الهوى عَذَلا
عجبتُ من شأنها لم تُبْق من أثر … كزائر زار في الأحلام وارتحلا
لو كنتُ أعلم هذا ما وثِقْت بها … ولا سلَكْت الى لذّاتها سبُلا
ولا ركنْت إلى الدّنيا وزينتِها … ولا تملّكت من إقبالها ذُلَلا
ولا تمسّكتُ بالشيء الحقير ولا … جررت ثوب التّصابي في الصّبى خبِلا
ولا برحتُ على اللذّات معتكفا … حتى رأيت صباحي في الدُّجى نَزَلا
وعاد جسمي سقيما بعد صحّته … وقلّ جهدي وبان السِّنُّ وانتقلا
وقد رأيت شبابي عَزَّ مطلبُه … إذ مفرقُ الشّيب في رأسي قد اشتعلا
ناديت من شدّة الأشواق وأسفي … على الذُّنوب التي أسلفتها أزَلاَ
وما يكون جوابي في الحساب إذن … إنّ السؤالَ وميزانَ الخُطا ثقلا

يوم ترى فيه كلُّ الناس ما عملت ... وكلُّ شخص سيُجْزى بالَّذي فعلا
يا خالقَ الخلْق يا من لا نظيرَ له ... عبدٌ ضعيف بباب الجُود قد نزلا
يشكـوك من سـوء أوزارٍ تحمّلها ... ظهرٌ فيا ويحَ هذا الظّهرِ ما حَمَلا
وقد سمعـت بأذنـي ما سُرِرْت به ... حديـثَ صدق عن المختار قد نُقِلا
يـروي عن اللّه جلّ اللّه خالقنا ... في قوله عزّ في تقديسه وعلا
إنّي لأُكْـرِم عبـدي أنْ أعذّبـه ... بالنّار إن شابَ في الإسلام واكتهلا
على مجـرّد فضـل لا علـى عمـل ... يظنُّـه أنّـه ينجيـه إن قُبِـلا
وها أنا شبت والتوحيدُ يشهَدُ لي ... كأنّـه العُـروةُ الوثقى وقد حَصُلا
ولي رجائي وحسنُ الظَّنِّ يُطْمِعُني ... والفضـلُ يشمل من أخطا ومن جهلا
فما عسى تكتبُ الأقلام إن كتبت ... ومـا عسى يَنْقُل الانسانُ إن نقلا

***

يا سيّد الخلقيا أعلى الورى نسبا ... قلبي لمدحك يا خير الورى امتثلا
وقد مدحتـك كي أحْظَى بجائزة ... فأنْـتَ أكرمُ من أعطى ومن سُئِلا
فَبَـرُّ جـودِك للعاصـين مبلغـه ... وبحـرُ كفّـك يروي السهل والجبلا
مـن لِلظَّرِيـفِ إذا وافاك مفتقرًا ... صفرَ اليـدين مقـرًا بالـذي فعلا
سـوى جنابـك يا خيرَ الأنام إذا ... أتيـتُ مـن سـوء فعلـي خائفا وجِلا
عليك منّي سلامُ اللّه ما طلعت ... شمسٌ وما لاح وجهُ البدر أو أفلا
كـذا على الآل والأصحاب كلّهم ... الأتْقِيَـاءِ الكرام السـادة الفضـلا

المصدر: من كنش خاص، ومن القصيدة 14 بيتا في المجمل: ص 216-217.

3 ـ ناعـــورة الطبـــوع

(البسيط)

من سفك دمعي ومن تحبيرِ أجفاني … صُغْتُ الهوى حِلْيَةً من حَرّ نيران

ومِنْ نُحولي ومــن سقمي وشدّة ما … ألقاه من فرط أشواقِي وأشجاني

رثى العذولُ لحالـــي حينَ أبْصرني … من بعدِ ما كان بالتّعنيف يَنْهاني

وصلُ الحبيب فلا أبـغي به بَدَلا … ليس التبدّلُ والسُّلوانُ من شاني

من لامني في الهوى والحبّ قلت له: … إليك عنّي فإنّ الحسنَ أدماني

فَرُبَّ روضــةِ أنــسٍ قد مــررت بها … مخضرّةٍ ذاتِ أفنانٍ وأغصان[1]

قطوفهــا تُنعــش الأرواح دانيــةً … كجنّــة ذاتِ رَوْحٍ، ذاتِ ريحـــان

تخلّل الماءُ فــي أنهـــارها فغدت … تزهــو بــورد ونســرين ونعمان

في رَوْضَةٍ قــد شَدَتْ من كلّ ناحية … بلابــلُ لم تــدع صبــرا لانسان

فقام فيها خطيــبٌ فــوق منبره … يشكــو الغــرام[2] بتغريــدٍ وألحان

مزوّقَ الصــدر مخضــوبَ البنان له … من الزُّبُرْجَــدِ والياقــوت لونــان

سود مناكبــه، بيــضٌ جوانحُــه … له مــن المســك والكافــور ثوبان

مطــوّقَ الجيــد، فــي أطراف مقلته … أشعّــةٌ من بهــاءِ خدّه القانــي

فَأطربَ الطــيرَ في أوكـارها فغدت … شوقًــا تجاوبُه من كــلّ بستــان

جسّ (الرّهاوي) وجرّ (الذّيْل) من طربٍ … وتــاه في (الرّمل) أحيانًا فأحياني

(واصبهــانُ) غــدا يحكي (بصيكته) … (محيّرَ) الحال (مزمومًا) بهجرانِ

---

(1) أشجار: عوضا عن أفنان في المجمل

(2) المجمل: البعاد.

فهاجنـي ما بكى أهلُ (العراق) على ... فقدِ (الحسين) ففاضَتْ منه أجفاني

يشكـو (النّوى) ودموعُ العين تَسْبِقه ... حتى رثيـتُ له شوقـا فأبكانـي

(والرَّصْد) أشعل في قلب العليل جوًى ... (ومايَة) أحرقت قلبي وَأَكْنَانِي

(والإصبعينُ) غـدا يحكـي بصولته ... حتَّى أذاب فؤادَ المُدْنَفِ العاني

فقلـت: ما بك صف لي ما ابتُليتَ به ... ما بال جسمكِ مكلوم الحشى فان؟

هيّجْـتَ لي لوعةً في القلب ساكنةً ... خفِّض قليلا فقد هيّجت أحزاني!

فقـال: أبكـي لإلـفٍ كـان يألَفني ... وكنتُ أهواه في الدّنيا ويهواني

قضـى الزّمان بضُعْفي حين فارقني ... كما تراني فريدًا فوق أغصان

فلا تلمنـي على طـول البكاء فقد ... يحِقُّ لي النَّوْحُ في سِرّي وإعلانِي

وهكذا لـم أزل أبكـي الدّمـوعَ دمًا ... حتّى ألاقي الثّرى في طيّ أكفاني

فقلـت: أحسنـتَ لا خانتـك أجنحةٌ ... ولا مـررت ببـازٍ أوبعقبـان

ولا نعـاك غـرابٌ يـا حَمَـامُ ولا ... حَصلْت في فخِّ صيّادٍ وسجّانٍ

كن واثقًا بجميل الصّبر وارضَ بما ... يقضي الإلهُ فحالُ الدّهر ضدّان

لا الحزنُ يبقى ولا الأفراح دائمةٌ ... فمشرَبُ الدّهرِ لا يصفو لإنسان

ناشدتُك اللّهَ يا طيـرَ الأراك إذا ... جاد الزّمانُ بوصل بعد هِجران

وناسمتْكَ نُسيماتُ الرّياض ضحًى ... ورنَّحتك غصونُ الأثْل[3] والبان

ورَشَّ ريشَـك مـاءُ الـورد وانبعثت ... روائـحُ النَّـدِّ مـن نجدٍ لِنعمان

وساعدتـك اللّيـالي فـي تصرّفهـا ... وبـات شملُـك مجموعًـا بخلّانِ

وجئـت طيبة والوادي وجُزْتَ علـى ... وادي العقيـقِ فبلّغ حاجةَ العاني

سلّم على المصطفى المختارِ من مُضَرٍ ... خيـرِ النبيِّين مـن ساداتِ عدنان

(3) الأثل: شجر عظيم من الطرفاء ويعرف حبّه بالعذبة، واحدته أثلة.

الهاشمِـيّ الـذي فاضـت فضائله خيرِ البريّة مـن قاصٍ ومن دان

وقـل لــه: يارسولَ اللّه يا أملـي يا عُمْدتي يـا رجائـي عند ميزان

متى أمـرِّغُ خـدِّي عند تربتـكم؟ متـى يساعدنـي دهـري وأزماني؟

جسمـي بتونـس موثوقٌ بزَلَّته والقلبُ في الشَّرْق بين الرّند والبان

وكلُّ عـام أرَجِّـى أن أزورَكـمُ والذّنبُ عن قرب تلك الدار أقصاني

والوقـتُ ضاع وعمري مـا شَعُرْتُ به حتّى مضى بين تفريط ونسيان

وليس لي قوّة أرجو الوصال بها والكفُّ صفر وحالُ الدّهر أعياني

ولا معي عملٌ أرجو النّجاةَ به إلاّ غرامي وأشواقي وأشجاني

يا أشرفَ الخلق يا كهفي ومعتمدي يا أُنسَ قلبي ويا رَوْحي وريحاني

مضى الزّمانُ ولا قدَّمْتُ صالحةً وقد تماديتُ في غَيٍّ وطغيان

إن زرتُ قبرك هذا العامَ يصلُح أن أُدْعَى أديبًـا ظريفًـا بين إخوان

وإن طُـرِدْتُ بذنـبٍ عن زيارتكـم وصدّني عنـه إجرامـي وعصياني

أمـوتُ والقلـب مشتاقٌ لزَوْرتكم ما لـي شفيعٌ سوى حبّي وإيماني

وكن شفيعيَ في يوم الجزاء إذا عزّ الصّديقُ وقلّت حيلـةُ الجاني

يا ربّ بالمصطفى المختارِ من مُضَر أقِل عثـاري وعاملْنـي بغـفران

واغفـر لوالدتـي وارحـم مقـام أبي مـن حيث أحْسَنَ آدابي وربّاني

واغفـر لمشيختـي ما أسلفوه كمـا بثُّـوا علومـا بتحقيـقٍ وتبيان

بجـاه أحمـدَ خيـرِ الخلْـقِ كلِّهِمِ محمّـدٍ المصطفى من آل عدنان

عليه أزكى سلامِ اللّه ما طلعت   شمسٌ وما حنّ مشتاق لأوطان

كذلك الآلُ والأصحـابُ كُلُّهـمُ   والتّابعـون لهم يومـا بإحسان

المصدر: عنوان الأريب: ج 1 ، ص 103 ـ 105 ومنها 8 أبيات في المجمل: ص 217 ، وبعضها ورد باختلاف.

نصوص نثرية

وصيـــــة

الحمد لله رب العالمين وبه أستعين، والعافية للمتّقين، أصحبك الله بلطفه الجميل، وكان معك في المقام والرّحيل.

أوصيك يا أخي بتقوى الله في السرّ والعلانية، وحفظك الحواس، ومراعاة الأنفاس، وقلّة مخالطة النّاس، والرّضى بالموجود، والصّبر على المفقود، والوفاء بالعهود، وكثرة الرّكوع والسّجود، وترك التّدبير والاختيار، مع المدبّر المختار، والعمل بالسنّة، والاقتداء بالأئمّة، والحركات والسّكنات بالنيّة، ولزوم الخلوات والجوامع، ومواصلة الفقير الجائع، ومرافقة المتبتّل الطائع، ومجالسة المنيب الخاشع، ومعاشرة الولي الخاضع، وزيارة السّاجد الرّاكع.

وكن جوّال الفكر، جوهريّ الذكر، كثير العلم، عظيم الحلم، جميل المنازعة، سريع المراجعة، واسع الصّدر، ضحكك تبسّما، واستفهامك تعلّما، مذكّر الغافل، معلّم الجاهل، لا تؤذ من يؤذيك، ولا تخض في ما لا يعنيك.

لا تشمت بمصيبة أحد، ولا تعتب (على أحد). كن صادق القول (بريئا من) الجهل، واقفا عند الشبهات، كثير العطايات، عوّانا للغريب، أبا لليتيم، بشراك في وجهك، حزنك في قلبك، مشغولا بفكرك، لا تكشف سرّا، ولا تهتك سترا، كن كثير العبادة، ليّن الجانب، طويل الصّمت، تحمّل إذا جهل عليك، صبورا على من أساء إليك، تبجّل الكبير، وترحم الصّغير، أمينا على الأمانات، بعيدا على الخيانات، صبورا على الشّدائد، قليل المؤونة، كثير المعونة، طويل القيام، كثير الصيام.

بل تصوم رغبة، وتصلّي رهبة، غاضّ الطرف، لا تردّ السائل، متواصل الإخوان، كثير الحياء، كثير الجد في العمل، قليل الزّلل، كثير الأدب مع الأولياء،

كلامك حكمة، تقيل العثرات، ولا تتّبع العورات، وقورا شكورا عفيفا، قليل الفضول، زاهدا فيما في أيدي النّاس، لا لعّانا ولا سبّابا، لا حقودا ولا حسودا، اطلب من الأمور أعلاها، لا تَجُرْ على من يغضبك، عمّر قلبك، بل الأرض بجسمك، واسكن القبر بقلبك.

البس قميص التّواضع، وجزّئ أثواب المطامع، وتوكّل على المدبّر الصّانع، ونزّهه عن المشابهة للمصانع، واقتد بمختارك الشّافع، واصلا بالصّلاة عليه أشرف المواضع. واحذر من طرقات هواك، ولا تعوّل على غير مولاك، وحطّ عند بابه شكواك. وإيّاك والركون إلى غيره وإيّاك، وعلّق به في كلّ الأحيان رجاك، وتأنّس بمحاضرته فإنّه يسمعك ويراك، وخلّ عنك ما ضمن لك في دنياك، وعمّر باطنك على الدّوام بأخراك، وواصل بدعواتك الإخوان، واحزم عليه بالضراعة في السرّ والإعلان، واطلب لهم الخلاص من الملك الرّحمان، وارغب في إصلاح الحال فمولاك محسن منّان، فإن عملت يا أخي بمقتضى هذه الوصيّة، نلت من اللّه الدرجة العليّة، وورد عليك الإكرام في كلّ قضيّة، واللّه يحملك على منهاج رشاده، ويحرسك في أقطار بلاده، وسخّر لك قلوب عباده، فهو الذي لا يهمل العابدين، ولا يخيّب القاصدين، ولا يضيّع أجر الواردين، وصلواته الكاملة على خاتم النبيّين، ودرّة المرسلين، سيّد الأوّلين والآخرين، الشفيع في يوم الدين، وعلى آله الأكرمين، وأصحابه المنتخبين، وعليه وعليهم السّلام إلى يوم الدين، والحمد للّه ربّ العالمين.

المصدر: كنش رقم 18801 بالمكتبة الوطنيّة من مكتبة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب.

السّلطان أبو العبّاس الحفصي

(796 _ 729)

أبو العبّاس أحمد بن محمد بن أبي يحيى أبي بكر الحفصي، من مجيدي الشعراء، تولّى الحكم بتونس من سنة 772 الى سنة 796 وكان واليا من قبل على قسنطينة أكثر من عشرة أعوام. مدحه ابن خلدون بغرّ القصائد وألّف له تاريخه وأهداه المقدّمة كما مدحه بدر الدين الدّماميني بقصيدة شرحها الزركشي في كتاب "بلوغ الأماني في شرح قصيدة الدماميني" نشرناه بتحقيقنا.

1 ـ بالمشرفيات يحمى المجد والشرف

قال في فتحه توزر:

(البسيط)

بِالمَشْرَفيَّات يُحْمَى المَجْدُ وَالشَّرَفُ ... ومن صدورِ المَعالي تُقْتَنَى الطُّرَفُ

وللفتُــوحِ ريــاضــاتٌ مُزخرفــةٌ ... لكنّها برقاقِ البِيضِ تُقْتَطَفُ

وفــي حَيَــاةِ أميــرِ المُؤْمِنِــينَ أبي ... يَحْيَى أبِـينَا سُعودٌ ما لها طَرَفُ

حُزْنــا الخِلافــةَ إرْثــا عنْ أوائِلنا ... فالمُلْكُ متْلَدٌ فينا ومُطَّرَف

لا يبلــغُ الوصفَ في عليائنا أحَد ... إلاّ وسؤددنا فوق الذي يَصِفُ

ناهيكَ مـن حَسَـبٍ ما مثْلُه حَسَبٌ ... وكيف لا وأبو حَفْصٍ لنا سلفُ؟

تخالفَ النّــاسُ إلا في مَفَاخِرِنَا ... وفي المعالي ما شكُّوا وما اختلفُوا

حمى الشـريعةَ منا سعيُ مُجْتَهِدٍ ... فليسَ بالدّين لا حَيْفٌ ولا جَنَفُ

فينا التّواضــعُ والإغضــاءُ شيمتُنا ... والعفوُ والصَّفْحُ مِن أبنائنا عرفُوا

ورأفــةٌ فــي جنابِ اللّــهِ صالِحَةٌ ... فلا تَرانا لغير الحقّ ننتصِف

تواضُعًا عَظُمَــتْ في النّاسِ هَيْبَتُه ... إنّ التواضُعَ في أنْف العُلى أنَف

نهوَى الحُـروفَ التي مَجْموعها نعَمٌ ... وليسَ في لفظنا لامٌ ولا ألفُ

ما إن بنــا سـرفٌ إلاّ مواهبنا ... إنّ المواهبَ فيها يُحْمَدُ السَّرَفُ

لِبَأْسِنا يرعــد الصّمصــام من رهبٍ ... يوم الوغى ووشيج الرمح يَنْعَطِفُ

سيوفنا مِــن تَمــادي سلِّها نحلتْ ... حتّى كأنَّ بها من عِشْقِها دَنَفُ

وما ارْتَضَيْنَا عديد الجيش يكنُفنا ... بل الجيوشُ بِنا في الحَرْبِ تَكْتَنِفُ

جَيْشٌ تَضِيقُ بِهِ الغَبْرَاءُ مُتَّسَعٌ فالأرضُ تَرْجُـفُ وَالأَطْوَادُ تنْتَسِفُ
مِنَ الفَوَارِسِ طَعَّانِينَ إنْ وَقَفُوا يَوْمَ الكَرِيهَةِ ضَـرَّابُونَ إنْ وَقَفُوا
بِكُـلِّ هِنْدِيَّـةِ رَقَّ الغِـرَارُ بِهَا وَكُلُّ خَطِّـيَّةٍ قَـدْ زَانَهَـا هَـيَـفُ
يَقُودُهَـا النَّصْـرُ خَفَّاقٌ ذَوَائِبُهُ إذْ لَيْسَ إلاّ بِرِيـحِ العَدْلِ يَنْعَطِفُ
حتَّى أَطَلَّ عَلَى سُكَّـانِ تَـوْزَرَ لا يَحْمِيهِمُ منهُ سُـورٌ لا ولا كَنَـفُ
ظَنُّـوا الحَفِيـرَ حَفِيرًا مَانِعًا لَهُمُ حَتَّى رَأَوْا سَمْعَهَـا عَزْمًا وَهُمْ هَدَفُ
تَوَاقَعُـوا فيهِ أَمْثَالَ الفرَاشِ .رَدى كَأَنَّهم بأكُـفّ الجِـنِّ قَدْ خُطِفُوا
لَكِـنَّ عَفْوَنَـا أَدْنَـاهُ اعتِرَافُهُـمُ والعفو أطيبُ مـا يجنيـهِ مُعْتَرِفُ
نَعْفُـو وَنَصْفَـحُ عَنْ عِزّ وَمَقْدُرَةٍ فإنّ خيـر السَّجايـا الحِلْمُ واللُّطف
أطَاعَـتْ العربُ لَمَّا أَوْردت حُلَلاً وإنّ أرواحهـا بالذُّعـر تُخْتَطَـفُ
لاَذُوا بِخِدْمَتِنَـا فِي ظِـلِّ حُرْمَتِنَا قَسـرًا وعنـد التلافي يؤمَنُ التَّلَفُ
يَا سَعْـدَ مُتَّبَـعٍ آثَـارَ دَوْلَتِنَا وَسُوءَ عُقْبَى شَقِـيٍّ عَنْـهُ يَنْحَرِفُ
وَيَاطَلاَقَـةَ فَتْـحٍ فِـي أَسِرَّتِهِ رَذَاذُ نُـورٍ بِـهِ الآفَـاقُ تَخْتَلِفُ
فَتَـوزَرُ اليَوْمَ مَا للسَّعْـدِ مُنْفَرَجٌ عَنْهَـا وَلاَ لعديـد النَّصْـرِ مُنْصَرَفُ
وَنِعْمَةٍ عَمَّـتِ الأَقْطَـارَ سَابِغَةٍ وجَدَّدَتْ لِـذَوِي الآمَـالِ مَـا أَلِفُـوا
دَامَتْ إِيَالَتُنَـا العَلْيَاءُ فِي سَعَةٍ فَالسَّعْـدُ والشَّمْلُ بِالأَحْبَابِ مُؤْتَلِفُ
وَلاَ بَرِحْنَا طَوِيـلَ العُمْرِ فِي دَعَةٍ وللخلافـة مـن أبنائنـا الخلـف

المصدر: نثير الجمان: ص 103 ـ 105.

2 ـ قرّ عينا

طلب أبو العباس أحمد الحفصي مرّة كاتب إنشائه يحيى بن أجاد. وكان يحيى ثملا، فخافه على نفسه إن هو طلع إليه على تلك الحالة فكتب إليه:

(المتدارك)

أصبح العبدُ يَحْيَى ... كصباحِ ابنِ أكثم

شَغَلَتْهُ الحُميّا ... وهو بالأمر مهتمْ

فخشي من رقيبٍ ... فرأى الدار أكتمْ

فلمّا قرأها وقّع بخطّه تحت خطّه:

قرًّ عينًا بعيشٍ ... صفوُه بك قد تمْ

أنت أزكى عبيدي ... ها هنا كنت أوثَمْ

فكان ذلك سبب توبته

المصدر: صبح الأعشى: ج 5 ، ص 132 ـ 133.

محمّد بن عرفة

(716 ـ 803)

أبو عبد اللّه محمد بن محمّد بن عرفة الورغميّ التّونسي مدرّس بجامع الزيتونة أكثر من نصف قرن وإمامه وخطيبه والمفتي به طيلة 30 سنة. تخرّج على يديه فطاحل من العلماء في بلاد المغرب العربي. ولد في عرش ورغمّة في 27 رجب 716 وتوفّي في تونس في 19 جمادى الثانية سنة 803. من تآليفه:

- الحدود الفقهية

- تفسير للقرآن الكريم نشر منه بتونس 1986 جزآن براوية الأبي تحقيق حسن المناعي

- المختصر الفقهي في المذهب المالكي.

- المبسوط في المذهب.

- المختصر الشّامل في التّوحيد.

1 ـ مقطوعة

(الوافر)

خشيتُ على حبيب القلب لما

أتى حمّامه وقضى الجَنَابَا

نهارٌ وجهه والجسمُ زبد

إذا طلع النّهار عليه ذابا

المصدر: مخطوط بدار الكتب الوطنيّة رقم 18768.

2 ـ هجو المسلم فسق

(الطويل)

وما حالُ من يهجو أخاه بلفظةٍ — إذا ذكر المرويُّ عند الأيمّة

وعلمُ أصولِ الفقه والبحثُ والنّظرُ — سوى حالِ من قد ساءه قلبُ نكتة

فَبَاءَ بفسق، قاله سيّدٌ أتى — بصدْقٍ وتِبيان ووعظٍ وحِكْمة

رَوَى مسلمٌ عن شيخه قَوْلَهُ سبّا — لدى الإسلام فُسْقٌ بحجّة

بصغْرى وكبرى يُنْتِجان فسوقَه — فباللّه أعْرِض عنه وادفعه بالتي

المصدر: شرح حدود ابن عرفة: ص 538.

3 ـ مجلس العلم

(الطويل)

إذا لم يكن في مجلس العلم نكتةٌ — وتقريرُ إيضاح لمشكِلِ صورة

وعزوُ غريبِ النّقل أو فتحُ مقفَلٍ — أو ابداءُ إشكالٍ نتيجةَ فكرة

فدعْ سعيه واطلب لنفسك واجتهدْ — وإيّاك تركًا فهو أقبح خِلّة

المصدر: عنوان الأريب: ج 1 ـ ص 106.

4 ـ بلغت الثمانين

(المتقارب)

بلغتُ الثّمانين بل جُزْتُها	فهان على النّفس صعبُ الحِمام
وآحادُ عصري مضَوْا جملة	وعادوا خيالا كطَيْفِ المَنَام
وأرجو به نيلَ صدرِ الحديث	بحُبِّ اللّقاء وكُرْهِ المُقَام[1]
وكانت حياتي بلُطْفٍ جميلٍ	لسَبْقِ دعاءِ أبِي في المَقَام

المصدر: عنوان الأريب: ج 1 ص 107 وهي موجودة في نيل الابتهاج.

نصّ نثري

حدود ابن عرفة

الطهارة: صفة حكميّة توجب لموصوفها جواز استباحة الصّلاة به أو فيه أوّلهُ فالأوّليّان من خبث والأخيرة من حدث.

والنّجاسة: صفة توجب له منعها به أو فيه ،

والطهوريّة: توجب له كونه بحيثُ يصير المزال به نجاسته طاهرا.

والتّطهير: إزالة النّجس أو رفع مانع الصّلاة .

والماء الطهور: ما بقي بصفة أصل خلقته[2] غير مُخرجٍ من نبات ولا حيوان ولا مخالطٍ بغيره.

والقضاء: فعل ما فاته بصفته.

والبناء فعل ما فاته بصفة تالي ما فعل هنا فقط وفي باب وعلى أنّه أولها له.

---

(1) إشارة إلى الحديث النّبوي الشّريف: من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه.

(2) في الشرح: خلقه.

وموجب الغسل: خروج المنيّ بلذّة ومغيب حشفة غير خنثى أو مثلها من مقطوعها في دبر أو قبلٍ غير خنثى ولو من بهيمة ماتت على من هو[3] منه أو غابت فيه ولو مكرها أو ذاهبا عقله. (وانقطاع دم الحيض والنّفاس وإسلام الكافر).

والحيض: دم يلقيه رحمٌ معتاد حملها دون ولادة خمسة عشر يومًا وفي غير حمل وفي حمل ثلاثة أشهر خمسة عشر يوما ونحوها وبعد ستّة عشرين ونحوها فأقلّ في الجميع.

والنّفاس: دم ألقاه[4] حمل الوقت كون الشّمس أو نظيرها بدايرة أفق معيّن أو بدرجة على قدر بدرها منه.

والصّلاة: قربة فعليّة ذات إحرام وسلامٍ أو سجود فقط. وزوال الشّمس هي كونها بأول ثاني أعلى درجات دائرتها يعرف بزيادة أقل ظلّها[5].

والإمامة: اتباع مصلّ آخر[6] في جزء من صلاته غير تابع غيره.

والاستخلاف: تقديم إمام بدل آخر لإتمام صلاةٍ.

والقصر: سببه سفر معزوم على طوله جزمًا.

والجمعة: ركعتان تمنعان وجوب ظهرٍ على رأيٍ أو تسقطها على رأي.

والرّوح: ذو جسد ويدين وعينين ورجلين يسلّ من الجسد سلاًّ.

والزّكاة: إعطاء[8] جزء من المال شرط وجوبه لمستحقّه بلوغ المال نصابا (ومصدرا إخراج جزء).

---

(3) في الشرح: هي.

(4) في الشرح دم إلقاء حمل: فقط والبقيّة ناقصة.

(5) ساقط من الشّرح.

(6) ساقط من الشّرح.

(8) الشرح: اسماء.

والرّبح: ثمن مبيع بأكثر من ثمن الأول ذهبا أو فضة[9].

والفائدة: ما ملك لا عن عوض، مُلِكَ لتجرٍ.

والغلّة: ما نمي عن أصل قارن مِلكُه نموّه حيوانا أو نباتا أو أرضا[10].

وزكاة الفطر: إعطاء مسلم فقيرٍ لقوتِ يومِ الفطرِ صاعًا من غالبِ القوت أو جزءه المسمّى بالجزء[11] المقصور وجوبه عليه.

والصّيام: كفّ بنيةٍ عن إنزال يقظةً ووطءٍ وانعاظ ومذي ووصول غذاء غير غالب غبار أو ذباب أو فلقه بين الأسنان بحلق أو جوفٍ غير منسبة في تطوّع من الفجر حتّى الغروب دون إغماء أكثر نهاره.

والاعتكاف: لزوم مسجد مباح لقربه قاصرة بصوم معزوم على دوامه يوما وليلة سوى خروجه لجمعة أو لمعيشة الممنوع فيه.

والحجّ: عبادة يلزمها وقوف بعرفةً ليلة عاشر ذي الحجة وطواف ذي طهر أخص بالبيت عن يساره سبعا[12]. بعد فجر يوم النحر والسّعي من الصفا للمروة ومنها إليه سبعا بعد طواف كذلك لا يقيّد وقته باحرام في الجميع.

والإحرام: صفة حكميّة توجب لموصوفها حرمة مقدّمات الوطء مطلقا وإلغاء لنتف والطيب، ولبس الذكور المخيط والصيد لغير ضرورة.

والصيد: ما أبيح أخذه غير مقدور عليه من وحشٍ طير أو برّ أو حيوان

والذّبائح: لقب لما يحرم بعض أفراده من الحيوان لعدم ذكاته أو سلبها عنه وما أبيح بها مقدور عليه[13]

---

(9) الشرح: الربح: زائد ثمن مبيع تجر على ثمنه الأوّل

(10) ما نما عن أصل: حيوان أو نبات أو أرض.

(11) الشرح: للجزء.

(12) التعريف ناقص في الشرَح

(13) باختلاف في الشرح

والذّكاة: نحر وذبحٌ وفعل ما يعجّل الموت بنيّة في الجميع.

والمأكول: ذو نفس سايلة إن ذكي أو كان مجريا غير كلب أو خنزير[14].

والأضحية: ما تقرّب بذكاته من جَذَعٍ ضانٍ أو ثنيّ سائر النّعم سالمين من بيّن عيبٍ مشروطًا بكونه في نهارِ عاشر ذي الحجّة أو تاليه بعد صلاة عيد إمام أو قدر زمن ذبحه لغيره ولو تَحَرِّيا لغير حاضره.[15]

والعقيقة: ما تقرّب بذكاته من جذع أو ثنيّ سائر النّعم سالمين من بين عيبٍ مشروطًا بكونه في نهار سابع ولادة آدمي عند حي[16].

واليمين: قَسم أو التزام مندوب غير مقصود به القربةُ أو ممّا يجب بانشاء لا يفتقر الى قبولٍ معلّقٌ بأمر مقصود عدمهُ.

والنذر: الأعم ايجاب المرء على نفسه للّه أمرًا والأخصّ التزام طاعة بنيّة القربة لامتناع أمر.

المصدر: مخطوط بمكتبتنا: قارنا النّص بمتن شرح الحدود للرّصّاع .

---

(14) ساقط من الشرح

(15) باختلاف في الشرح.

(16) في الشرح: حيّ عنه

عبد الرّحمان بن خلدون

(808 ـ 732)

أبو زيد عبد الرّحمان بن محمّد بن خلدون الحضرمي التّونسي المؤرّخ والمستنبط لعلم العمران والشّاعر الأديب، ولد بتونس في غرة رمضان 732 ونشأ بها وحفظ القرآن في أحد الكتاتيب بالحيّ المعروف اليوم بتربة الباي، ثمّ أخذ علم التّوحيد والفقه والحديث والنّحو والأدب عن خيرة أدباء تونس. تولّى العلامة لابراهيم الحفصي ثمّ غادر تونس سنة 753 الى المغرب الأوسط فالأقصى حيث تقلّب في الخطط السياسيّة وامتحن بالسّجن. ورجع الى تونس سنة 780 واتّصل بالسّلطان الحفصي أبي العبّاس أحمد ومدحه بغرّ القصائد ثمّ غادر تونس للمرّة الثّانية والتحق بالقاهرة حيث تفرّغ للتّدريس والقضاء المالكي.

من تآليفه:

ـ المقدّمة .

ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر: 7 أجزاء.

- التّعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا .

- شفاء السّائل لتهذيب المسائل: في التصوّف .

- شرح على البردة.

- شرح لرجز ابن الخطيب في الفقه .

- تقييد في المنطق.

- كتاب في الحساب .

- تلخيص لعدد من كتب ابن رشد والرّازي.

1 ـ على أي حال للّيالي أعاتب

قال مخاطبا أبا عنان المرينى يستعطفه ليطلقه من سجنه:

(الطويل)

عَلَى أيِّ حَالٍ لِلّيَالِي أُعَاتِبُ
وَأَيُّ صُرُوفٍ لِلزَّمَانِ أُغَالِبُ

كَفَى حَزَنًا أَنِّي عَلَى القُرْبِ نَازِحٌ
وَأَنِّي عَلَى دَعْوَى شُهُودِيَ غَائِبُ

وَأَنِّي عَلَى حُكْمِ الحَوَادِثِ نَازِلٌ
تُسَالِمُنِي طَوْرًا وَطَوْرًا تُحَارِبُ

أَحِنُّ إِلَى إِلْفِي وَقَدْ حَالَ دُونَهُمْ
مَهَامِهُ فِيحٌ دُونَهُنَّ سَبَاسِبُ

وَبَيْدَاءُ قَفْرٍ غَيَّرَتْهَا يَدُ البِلَـــى
وأَزْرَتْ بِمَغْنَاهَا الصَّبَا وَالجَنَائِبُ

بِهَا لِعَزِيفِ الجِنِّ[1] أَيُّ تَرَاجُعٍ
وَبَيْنَ الرِّيَاحِ الهُوج فيها تَلاَعُبُ

يضل بها الخرّيتُ[2] في كل موقف
فيصرفُــه بحــرٌ منَ الآلِ رَاسِــبُ

---

(1) العزيف صوت الجن، وصوت الرمال إذا ذهبت بها الرياح.

(2) الخريت : الدليل الحاذق بالدلالة.

سَلَوْتُهُـــم إلا ادّكــار مَـــعَــاهِــدٍ

لَهَا فِي اللَّيَالِي الغَابِرَات غَرَائِبُ

وَإنَّ نَسيمَ الرِّيحِ مِنْهُمْ يَشُوقُنِي

إلَيْهِمْ وَتُصبِينِي البُرُوقُ اللَّوَاعِبُ

ولَمْ أنْس، لاَ أنْسَى الوَدَاعَ وَقَدْ جرَتْ

دُمُوعٌ وَزُمَّتْ لِلْوِدَاعِ رِكَائِبُ

عَشيَّةَ بَانُوا وَالقُلُوبُ جَوَامِدٌ

وَكَانَ عَقِيقٌ فِي النَّوَاظِرِ ذَائِبُ

وَقَفْنَا وَلاَ نَجْوَى سِوَى بَيْنَ أعْيُنٍ

وَشَتْ بِالهَوَى مِنْهَا دُمُوعٌ سَوَاكِبُ

تُخَاطِبُ رَسْمَ الدَّارِ شَوْقًا وَمَا لَنَا

عَلَى القُرْبِ إلاَّ مِنْ صَدَاهَا مُجَاوِبُ

مَضَوْا يُزْمِعُونَ السَّيْرَ إلاَّ تَلَفُّتًا

كَمَا التَفَتَتْ بيَنْ َالأرَاَك ِالربارِبُ[3]

وَأتْبَعْتُهُم طَرْفِي وَقَلْبِي وَمَا دَرَوْا

بِأنِّي عَلَى آثَارِ هَذَيْنِ ذَاهِبُ

وَمَا رَاعَنِي إلاَّ المَآقِي تَحَدَّرَتْ

بِهِنَّ قُلُوبٌ فِي الدُّمُوعِ ذَوَائِبُ

---

(3) والربارب ج الربرب وهو القطيع من الظباء، ومن البقر الوحشي والإنسي.

وَقَدْ طُوِيَتْ شَمْسُ الأَصِيلِ بِأُفقِهَا

كَمَا نُشِرَتْ لِلَّيْلِ مِنْهَا نَوَائِبُ

وَسِرْنَا وَتَرْجِيعُ الحُدَاةِ يَحثُّنَا

كَمَا رَجَّعَ الإِنْجِيلَ فِي الصُّبْحِ رَاهِبُ

نَمِيلُ عَلَى الأَكْوَارِ سُهْدًا كَأَنَّنَا

نَشَاوى مُدَامٍ أَنْحَلَتْهَا الحقَائِبُ

أَقُولُ لِصَحْبِــي وَالضَّعَائِنُ تَرْتَمِي

وَقَدْ أَخَذَتْ منِاَ السُّرَى وَالنَّجَائِبُ

وَقَدْ ظَمِئَتْ مِنَّا المَطِيُّ وَأَظْلَمَتْ

دُجَى خَفِيَتْ فِيهَا عَلَيْنَا المَذَاهِبُ

رِدُوا لَيْسَ يَرْوِينَا الغَمَامُ وَهَذِهِ

دُمُوعِيَ لاَ يَظْمَا بِهَا بَعْدُ شَارِبُ!

وَإِنْ يَكُ بِالشُّهْبِ اهْتِدَاءٌ فَهَذِهِ

بِصَدْرِيَ شُهْبٌ لِلْغَرَامِ ثَوَاقِبُ

رَعَى اللَّهُ عَهْدًا ضَمَّهُ أُفْقُ تُونِسٍ

وَمَعْهَدَ أُنْسٍ لَمْ تَرُعْهُ النَّوَائِبُ

وَجَادَتْ عَلَيْهِ الغَانِيَاتُ بِمَا حَوَتْ

مِنَ الظَّلْمِ لاَ مَا تَحْتَوِيهِ السَّحَائِبُ[4]

وَرَوَّض مِنْهَا كُلَّ قَطْرٍ بِأَغْصُنِ الـ

قُدُودِ اللَّوَاتِي لَمْ تُتْرِهَا الأَهَاضِبُ

---

(4) الظلم: ماء الأسنان وبريقها.

بلادٌ بها عقّ الشّبَابُ تمَائِمِي

وَلاَ مَس فِيهَا التّرْبَ مِنِّي التّرَائِبُ

يُذَكِّرُنِي عَهْدَ الرِّضَا فِي جَنَابِـــهَا

أَمَانٍ تَقَضَّتْ لِي بِهَا وَمَآرِبُ

فَأَصبُو وَلَكِنْ أَيْنَ مِنِّي مَزَارُهَا؟

وَأَبْكِي وَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَنِّي السَّحَائِبُ

وَيُقْلِقُنِي شَوْقٌ تَضَرَّم بِالحَشَا

فَتحْرِقُنِي لَوْلاَ الدُّمُوعُ لَوَاهِبُ

أَبِيتُ تُنَاجِينِي الهُمُومُ كَأَنَّنِي

صَدِيقٌ عَفَـــا فِي الحُبِّ وَهْيَ تُعَاتِبُ

وَإِنْ قُمْتُ غَذَّنِي قِيَانٌ أَدَاهِمٌ

لَهَا بَيْنَ أَقْدَامِ الكُمَاةِ مَلاَعِبُ

وَقَدْ أَمْتَطِي فِكْرِي لَدَى اللَّيْلِ مَرْكَبًا

بِذِكْرِ الَّذِي تُحْدَى إِلَيْهِ الرَّكَائِبُ

وَأَعْشُو إِلَى مَدْحِ الخَلِيفَةِ فَارِسٍ

فَتَنْجَابُ عَنِّي لِلخطوبِ غَيَاهِبُ

إِمَامُ هُدًى ضَاءَتْ شُمُوسُ اهْتِدَائِهِ

فَبَانَـتْ لَنَا مِنْ بَيْنِهِـنَّ المَذَاهِـبُ

تَرَقْرَقَ مَاءُ البِشْرِ فِي صَفَحَاتِهِ

وَأَيْنَعَ مِنْهُ المَجْدُ فَالمَحْـلُ عَاشِـبُ

وَأَوْسَعَ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ نَوَالُهُ

فَلَيْسَ سِوَى مِمَّنْ يُنَوِّلُ كَاسِبُ

خَلاَئِقُ يَحْكِيهَا الرِّيَاضُ بَدَائِعًا

فَتُعْزَى لَهُ إِنْ حَقَّقَ القَوْلَ نَاسِبُ

جَرَى الجُودُ أَنْهَارًا ـ بِكَفَّيْهِ ـ عَذْبَةً

ومَا تِلْكَ فِي الرَّاحَاتِ مِنْهَا مَشَارِبُ

وَسَارَ عَلَى الآفَاقِ طِيبُ ثَنَائِهِ

فَمَا المِسْكُ لَوْلاَ عَرْفُهُ المُتَطَايِبُ؟

وَأَشْرَقَتِ الدُّنْيَا بِنُورِ جَبِينِهِ

فَمَا المِسْكُ لَوْلاَ عَرْفُهُ المُتَطَايِبُ؟

وَأَشْرَقَتِ الدُّنْيَا بِنُورِ جَبِينِهِ

فَمَا الشَّمْسُ إِلاَّ إِنْ بَدَا مِنْهُ حَاجِبُ!

مَنَاقِبُ تَحْكِي الشُّهْبَ ضَوْءًا وَرِفْعَةً

فَيَسْرِي بِهَا فِي مَهْمَهِ الخَطْبِ رَاكِبُ

فَفِكْرٌ إِذَا مَا أَظْلَمَ الخَطْبُ نَيِّرٌ

وَفَهْمٌ إِذَا مَا أَشْكَلَ العِلْمُ ثَاقِبُ

وَهِمَّةُ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الإِرْثَ وَحْدَهُ

طَرِيقَ العُلَى حَتَّى اسْتَتَمَّتْ مَنَاصِبُ

تَزَاحَمُ تِيجَانُ المُلُوكِ بِبَابِهِ

كَمَا ازْدَحَمَتْ بِالدَّارِعِينَ المَوَاكِبُ

وَتَفْخَرُ مِنْ مَلْكٍ أَغَرَّ مُهَذَّبٍ

ثَقِيلِ المَرَاقِي عِنْدَهُ والمـنـاصِب

جَبَرْتَ عِمَادَ الدِّينِ بَعْدَ انْصِدَاعِهِ

عَلَى حِينِ لَمْ يَجْبِرْ لَهُ الصَّدْعَ شَاعِبُ

وَمِلْتَ عَنِ الدُّنْيَا إِلَى الدِّينِ رَاغِبًا

عَلَى رَغْبَةٍ مِنْهَا فَنِعْمَ المَرَاغِبُ

وَشَيَّدْتَ فَخْرًا فِي ذُؤَابَةِ مَعْشَرٍ

نَمَتْكَ إِلَى العَلْيَاءِ مِنْهُمْ عَصَائِبُ

وَمَهَّدْتَ رُكْنَ المُلْكِ مِنْكَ بِعَزْمَةٍ

تَذُبُّ بِهَا عَنْــهُ الحُمَاةُ الضَّوَارِبُ

وَدَوَّخت أَرْضَ الغَرْبِ حَتَّى تَسَابَقَتْ

لِأَمْرِكَ طَوْعًا عُجْمُـــهُ وَالأَعَــارِبُ

فَأَوْطَأْتَهُمْ فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ مَنْزِلاً

فَلَيْسَ لَهُمْ إِلاَّ هُنَــاكَ مَرَاتِــبُ

وَلَمَّا طَغَى بِالشَّرْقِ كُلُّ مُكَـــذِّبٍ

عَصِيٍّ تُنَاجِيــهِ الأَمَــانِي الكَـوَاذِبُ

وَيَخْلُو عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ بِنَفْسِهِ

فَتَعْصِيهِ مِنْ طَعْنِ العِدَا مَا يُطَالِبُ

بَدَأْتَهُمْ بِالقَوْلِ لَوْ أَنَّ سَعْيَهُمْ

حَمِيدٌ لَمَــا سَــاءَتْ لَدَيْهِمْ عَوَاقِبُ

وَلَكِنْ أَبَوْا إِلاَّ جِمَاحًا وَمَا دَرَوْا

بِأَنَّكَ حِزْبُ اللَّهِ، وَاللَّـهُ غَالِبُ!

وَلَجُّوا عَلَى ظَنٍّ بِأَنَّ حُصُونَهُمْ

مُمَنَّعَـةٌ لَوْ أَنَّ غَيْرَكَ طَالِبُ

فَسُمْتَهُمْ بِالرُّعْبِ قَبْلَ نِزَالِهِمْ

فَفُلَّـتْ جُمُوعٌ مِنْهُمُ وَمَضَارِبُ

وَأَرْسَلْتَهُمْ مِنْ آلِ أَعْوَجَ غُلَّبٍ

عَلَيْهَا مِنَ الأَبْطَالِ شُوسٌ أَغَالِبُ

مِنَ القَوْمِ مَا غَيْرُ القَنَا فِي طَرِيقِهِمْ

أَنِيسٌ وَلاَ غَيْرُ المُهَنَّدِ صَاحِبُ

إِذَا أَظْلَمَتْ جُنْحَ النَّهَارِ دُرُوعُهُمْ

أَضَاءَتْ وُجُوهٌ مِنْهُمُ وَمَنَاقِبُ

وَإِنْ ظَلَّ فِي لَيْلِ الكِفَاحِ دَلِيلُهُمْ

هَدَتْهُمْ مِنَ العَزْمِ الصَّمِيمِ كَوَاكِبُ

بِأَيْدِيهِمُ سُمْرُ الرِّمَاحِ كَمَا عَلَى

عَوَاتِقِهِمْ بِيضُ السُّيُوفِ القَوَاضِبُ

فَذَاكَ أَصَمُّ يَبْلُغُ الطَّعْنَ لِلْعِدَى

وَهَذَا سَمِيعٌ إِنْ تَنَاجَى الكَتَائِبُ!

غَمَائِمُ لِلْعَافِينَ، تهتن صَيِّبُ

وَفِي عَرَصَاتِ المَارِقِينَ مَصَائِبُ

فَفِي الحَرْبِ آسَادٌ وَفِي السِّلْمِ سَادَةٌ

وَيَوْمَ النَّدَى وَالمَكْرُمَاتِ سَحَائِبُ

نَدَبْتَهُــــمُ لِلَّــــهِ ثُــمَّ بَعَثْتَهُـــمْ

تُقَامُ عَلَى الأَعْدَاءِ مِنْهُم نَوَادِبُ

وَسِرْتَ فَلَوْلاَ أَنَّ أَمْرَكَ وَازِعٌ

لَسَارَتْ جِبَالٌ عِنْدَهَا وَأَهَاضِبُ

وَرِيعُوا فَلَوْلاَ طَوْدُ حِلْمِكَ قَدْ رَسَا

لَزُعْزِعَ مِنْ ذَاكَ الأَشَمِّ جَوَانِبُ

بِجَيْشٍ يَغَصُّ الأُفْقُ مِنْهُ بِمَرْكَبٍ

وَيَعْجِزُ عَنْ حَصْرِ الكَتِيبَةِ حَاسِبُ

يُبَاحُ حِمَى الأَفْلاَكِ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ

وتَنْهَبُ إِنْ أَوْمَى إِلَى الشُّهبِ نَاهِبُ

أَثَرْتَ بِهِمْ فَوْقَ الأَعَادِي مَصَائِبًا

مِنَ النَّقْعِ جَدْوَاهَا السِّهَامُ الصَّوَائِبُ

وَجُسْتَ عَلَى رَغْمٍ خِلاَلَ دِيَارِهِمْ

تُعَطَّرُ بِالأَرْدَانِ مِنْكَ مَسَاحِبُ

فَلَوْلاَ اعْتِصَامٌ كَانَ مِنْهُمْ بِطَاعَةٍ

لَأَغْرَقَهُــمْ طُوفَانُـــكَ المُتَرَاكِــبُ

وَلَمَّا انْتَضَى جَبَّارُ تُونِسَ عَزْمَةً

وَرَامَ فِرَارًا لَوْ نَجَــا مِنْكَ هَــارِبُ

بَعَثْتَ بِهَا غِرْبَانَ زَجْرٍ يَحُثُّهَا

لِتَفْرِيقِ شَمْلٍ مِنْ أَعَادِيكَ نَاعِبُ

وَمَلَّكْتَهَا شَرْقًا وَغَرْبًا كَأَنَّمَا

لِأَمْرِكَ مِنْ جَارِي المَقَادِيرِ صَاحِبُ

وَلَوْلاَ خُطُوبٌ كُنْتَ حَاسِمَ دَائِهَـا

لَقَدْ عَلِمُوا كَيْفَ الغَرِيمُ المُطَالِبُ

أَمَوْلاَيَ طَابَ القَوْلُ لِي فَأَطَلْتُهُ

وَمَا طَيِّبُ الأَقْوَالِ إِلاَّ الأَطَايِبُ!

وَمَا كَانَ لِي نَظْمُ القَرِيضِ بِضَاعَةً

وَلَكِنْ دَعَانِي نَحْوَ مَدْحِكَ جَاذِبُ

فَجِئْتُ بِهَا حَسْنَاءَ تَلْتَمِسُ الرِّضَا

وَإِنْ رَغِمَ الوَاشُونَ مِنْهَا وَشَاغَبُوا

فَعَفْوًا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ لِي

يَدَانِ بِسخْطٍ مِنْكَ وَالصَّبْرُ عَازِبُ

أُسَاقُ مَدَى الأَيَّامِ فِي القَيْدِ مُفْعَمٌ

وَجِسْمٌ عَلِيلٌ بَعْدَ ذَلِكَ شَاحِبُ

وَقَدْ وَضَحَتْ لِلْحِلْمِ فِي كُلِّ طَيِّعٍ

وَعَاصٍ شَرُودٍ عَنْكَ طُرْقٌ لَوَاحِبُ

وَأَرْضَعْتَهُمْ ثَدْيَ الأَمَانِي وَكَمْ بَغَوْا

وَأَوْرَدْتَهُمْ صَفْوَ الأَمَانِي وَحَارَبُوا

أَبَى اللَّه إلاَّ أَنْ يَكُونَ لَكَ العُلاَ

تُنِيلُ الوَرَى عَفْوًا فَتُعْفَى المَعَايِبُ

وَإِنْ أَثْبَتَ الأَعْدَاءُ أَنِّيَ مُذْنِبٌ

فَصَفْحُكَ يَا مَوْلاَيَ لِلذَّنْبِ سَالِبُ

وَهَبْهُمْ رَمَوْنِي بِالَّتِي لَسْتُ أَهْلَهَا

أَلَيْسَ انْتِسَابِي وَاضِحٌ مُتَنَاسِبُ؟

أَبَعْدَ انْتِزَاحِي عَنْ بِلاَدِي تَحُثُّنِي

إِلَى بَابِكَ الأَعْلَى مَطِيٌّ شَوَازِبُ[1]

وَغَرَّاء مِنْ نَسْلِ الجَدِيلِ وَشَدْقَمٍ[2]

لَهَا فِي الرِّيَاحِ العَاصِفَاتِ مَنَاسِبُ

يُجَاذِبُ عِطْفِيهَا المِرَاحُ فَتَنْثَنِي

كَمَا الْتَفَتَتْ فِي الرَّوْضِ حَسْنَاءُ كَاعِبُ

وَتَكْبُرُ قَدْرًا أَنْ يَمِيلَ بِمِثْلِهَا

لِغَيْرِكَ قَصْدًا أَوْ تَعِنُّ مَطَالِبُ

رَقَمْتُ بِهَا فِي صَفْحَةِ البِيدِ أَسْطُرًا

كَمَا زَانَ رَقْمًــا فِي الصَّحِيفَةِ كَاتِبُ

وَجُبْتُ بِهَا غَوْرَ الفَلاَةِ وَنَجْدَهَا

وَلَيْسَ سِوَى مِنْ ذَنْبِــيهَا مَا أُصَاحِبُ؟

---

(1) شوازب: ج شازب: وهو الضامر.

(2) الجديل وشدقم فحلان مشهوران للنعمان بن المنذر.

كَأَنِّــي لَفْــظٌ وَالبِــلاَدُ تُجِيبُنِــي
خَوَاطِرُ مِنْهَا لِلْمَعَانِي صَوَائِبُ
نَظُــنُّ بِــأَنَّ الشَّــرْقَ عَنْ حَمْلِ كَتْمِه
يَضِيقُ فَتَطْوِي سِرَّهُنَّ المَغَارِبُ
إِلَى أَنْ حَطَطْتُ الرَّحْلَ فِي سَرْحَةِ العُلاَ
لَدَى بَابِكَ الأَعْلَى كَمَا حَطَّ آيِبُ
وَأَصْدَرْتَنِــي عَــنْ وِرْدِ نُعْمَاكَ نَاهِلاً
وَقَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي لَدَيْكَ المَوَاهِبُ
فَكَيْــفَ أُوَلِّــي شَطْرَ غَيْرِكَ وِجْهَةً
أُؤَمِّلُ مِنْهَا نُجْعَةً أَوْ أُرَاقِبُ
وَمَــــا خَلَصَتْ إِلاَّ لِبَابِكَ هِجْرَتِي
وَلَمْ تَصْفُ لِي مِمَّنْ سِوَاكَ المَشَارِبُ
وَإِنِّــي عَلَــى عِلْــمٍ بِأَنْ لاَ مُمَلَّكٌ
سِوَاكَ عَلَى الدُّنْيَا وَلاَ عَنْكَ ذَاهِبُ
وَلَكِــنْ عَــوَادٍ إِنْ عَدَتْنِي عَنِ الرِّضَا
زَمَانًا فَإِنِّي اليَوْمَ مِنْهُنَّ تَائِبُ
سَأَنْــزَعُ عَمَّــا أَنْتَ - وَاللَّه - سَاخِطٌ
فَأَمْرُكَ مَحْتُومٌ عَلَى الخَلْقِ وَاجِبُ
وَأَسْطُــو عَلَــى الأَيَّامِ مِنْكُ بِنَوْبَةٍ
كَمَا افْتَرَسَتْنِي بَيْنَهُنَّ النَّوَائِبُ!
وَتُوسِعُنِــي رُحْمَــاكَ أَفْضَلَ نَعْمَةٍ
تَرِيشُ بِهَا عَظْمِي وَتَتْرَى المَكَاسِبُ
فَمَا فِي اللَّيَالِي مِنْ ذَمِيمٍ - وَلَوْ أَتَى -
إِذَا حُمِدَتْ بَعْدَ المَبَادِي العَوَاقِبُ

المصدر: نثير الجمان : ص 299 ـ 310 منها خمسة أبيات في «التعريف» ص 69 ـ 70 (ط. لبنان) وص 67 (ط. الطنجي).

صحا الشوق

من قصيدة أنشدها سنة 765 في ختان ولد محمد الخامس سلطان غرناطة:

(الطويل)

صَحَا الشَّوْقُ لَوْلاَ عَبْرَةٌ وَنَحِيبُ ... وَذِكْرَى تُجِدُّ الوَجْدَ حِينَ تَثُوبُ

وَقَلْبٌ أَبَى إِلاَّ الوَفَاءَ بِعَهْدِهِ ... وَإِنْ نَزَحَتْ دَارٌ وَبَانَ حَبِيبُ

واللَّه مِنِّي بَعْدَ حَادِثَةِ النَّوَى ... فُؤَادٌ لِتِذْكَارِ العُهُودِ طَرُوبُ

يُؤَرِّقُهُ طَيْفُ الخَيَالِ إِذَا سَرَى ... وَتُذْكِي حَشَاهُ نَفْحَةٌ وَهُبُوبُ

خَلِيلَيَّ إِلاَّ تُسْعِدَا فَدَعَا الأَسَى ... فَإِنِّي لِمَا يَدْعُو الأَسَى لَمُجِيبُ

أَلِمَّا عَلَى الأَطْلاَلِ يَقْضِ حُقُوقَهَا ... مِنَ الدَّمْعِ فَيَّاضُ الشُّؤُونِ سَكُوبُ

وَلاَ تَعْذِلاَنِي فِي البُكَاءِ فَإِنَّهَا ... حُشَاشَةُ نَفْسِي فِي الدُّمُوعِ تَذُوبُ

ومنها في تقدُّم ولده للإعذار من غَير نُكول :

فَيَمَّمَ مِنْهُ الحَفْلَ لاَ مُتَقَاعِسٌ ... لِخَطْبٍ وَلاَ نِكْسُ اللِّقَاءِ هَيُوبُ

وَرَاحَ كَمَا رَاحَ الحُسَامُ مِنَ الوَغَى ... تَرُوقُ حِلاَهُ وَالفِرِنْدُ[1] خَضِيبُ

شَوَاهِدُ أَهْدَتْهُنَّ مِنْكَ شَمَائِلٌ ... وَخُلْقٌ بِصَفْوِ المَجْدِ مِنْكَ مَشُوبُ

---

(1) الفرند: السيف .

ومنها في الثّناء على ولديه:

هُمَا النَّيِّرَانِ الطَّالِعَانِ عَلَى الهُدَى ... بِآيَاتِ فَتْحٍ شَأْنُهُنَّ عَجِيبُ
شِهَابَانِ فِي الهَيْجَا غَمَامَانِ فِي النَّدَى ... تَسُحُّ المَعَالِي مِنْهُمَا وَتَصُوبُ
يَدَانِ لِبَسْطِ المَكْرُمَاتِ نَمَاهُمَا ... إِلَى المَجْدِ فَيَّاضُ اليَدَيْنِ وَهُوبُ

المصدر: التّعريف: ص 88 ـ 89

3 ـ أسرفن في هجري

قصيدة أنشدها ليلة المولد النّبوي الشّريف سنة 762 هـ للسّلطان أبي سالم المريني.

(الطويل)

أَسْرَفْنَ فِي هَجْرِي وَفِي تَعْذِيبِي ... وَأَطَلْنَ مَوْقِفَ عَبْرَتِي وَنَحِيبِي
وَأَبَيْنَ يَوْمَ البَيْنِ وَقْفَةَ سَاعَةٍ ... لِوَدَاعِ مَشْغُوفِ الفُؤَادِ كَئِيبِ
لِلَّهِ عَهْدُ الظَّاعِنِينَ وَغَادَرُوا ... قَلْبِي رَهِينَ صَبَابَةٍ وَوَجِيبِ
غَرَبَتْ رَكَائِبُهُمْ وَدَمْعِي سَافِحٌ ... فَشَرِقْتُ بَعْدَهُمُ بِمَاءِ غُرُوبِ[1]
يَا نَاقِعًا بِالعَتْبِ غُلَّةَ شَوْقِهِمْ ... رُحْمَاكَ فِي عَذْلِي وَفِي تَأْنِيبِي
يَسْتَعْذِبُ الصَّبُّ المَلاَمَ وَإِنَّنِي ... مَاءُ المَلاَمِ لَدَيَّ غَيْرُ شَرُوبِ
مَا هَاجَنِي طَرَبٌ وَلاَ اعْتَادَ الجَوَى ... لَوْلاَ تَذَكُّرُ مَنْزِلٍ وَحَبِيبِ
أَهْفُو إِلَى الأَطْلاَلِ كَانَتْ مَطْلَعًا ... لِلْبَدْرِ مِنْهُمْ أَوْ كِنَاسَ رَبِيبِ[2]
عَبِثَتْ بِهَا أَيْدِي البِلَى وَتَرَدَّدَتْ ... فِي عِطْفِهَا لِلدَّهْرِ أَيُّ خُطُوبِ
تَبْلَى مَعَاهِدُهَا وَإِنَّ عُهُودَهَا ... لِيُجِدُّهَا وَصْفِي وَحُسْنُ نَسِيبِي

(1) الغروب: الدموع حين تخرج من العين .
(2) الربيب: ولد الظبي .

وَإِذَا الدِّيَارُ تَعَرَّضَتْ لِمُتَيَّمٍ هَزَّتْهُ ذِكْرَاهَا إِلَى التَّشْبِيبِ

إِيهٍ عَنِ الصَّبْرِ الجَمِيلِ فَإِنَّهُ أَلْوَى[3] بِدَيْنِ فُؤَادِيَ المَنْهُوبِ

لَمْ أَنْسَهَا وَالدَّهْرُ يَثْنِي صَرْفَهُ وَيَغُضُّ طَرْفَيْ حَاسِدٍ وَرَقِيبِ

وَالدَّارُ مُونِقَةٌ مَحَاسِنُهَا بِمَا لَبِسَتْ مِنَ الأَيَّامِ كُلَّ قَشِيبِ

يَا سَائِقَ الأَظْعَانِ يَعْتَسِفُ الفَلاَ وَيُوَاصِلُ الإِسْآدَ[4] بِالتَّأْوِيبِ[5]

مُتَهَافِتًا عَنْ رَحْلِ كُلِّ مُذَلَّلٍ نَشْوَانَ مِنْ أَيْنٍ وَمَسٍّ لُغُوبِ[6]

تَتَجَاذَبُ النَّفَحَاتُ فَضْلَ رِدَائِهِ فِي مُلْتَقَاهَا مِنْ صَبًا وَجَنُوبِ

إِنْ هَامَ مِنْ ظَمَإِ الصَّبَابَةِ صَحْبُهُ نَهَلُوا بِمَوْرِدِ دَمْعِهِ المَسْكُوبِ

أَوْ تَعْتَرِض مَسْرَاهُمُ سُدُفُ الدُّجَى صَدَعُوا الدُّجَى بِغَرَامِهِ المَشْبُوبِ

فِي كُلِّ شِعْبٍ مُنْيَةٌ مِنْ دُونِهَا هَجْرُ الأَمَانِي أَوْ لِقَاءُ شَعُوبِ[7]

هَلاَّ عَطَفْتَ صُدُورَهُنَّ إِلَى الَّتِي فِيهَا لُبَانَةُ أَعْيُنٍ وَقُلُوبِ

فَتَؤُمَّ مِنْ أَكْنَافِ يَثْرِبَ مَأْمَنًا يَكْفِيكَ مَا تَخْشَاهُ مِنْ تَثْرِيبِ

حَيْثُ النُّبُوَّةُ آيُهَا مَجْلُوَّةٌ تَتْلُو مِنَ الآثَارِ كُلَّ غَرِيبِ

سِرٌّ عَجِيبٌ لَمْ يُحَجِّبْهُ الثَّرَى مَا كَانَ سِرُّ اللَّهِ بِالمَحْجُوبِ

ومنها بعد تعديد معجزاته صلى الله عليه وسلّم :

يَا سَيِّدَ الرُّسلِ الكِرَامِ ضَرَاعَةً تَقْضِي مُنَى نَفْسِي وَتُذْهِبُ حُوبِي[8]

---

(3) ألوى: مطل .

(4) الإسآد: سير اللّيل كلّه.

(5) التّأويب: سير النّهار.

(6) اللّغوب: التّعب.

(7) شعوب: الموت .

(8) الحوب: الذنب

عَافَـتْ ذُنُوبِي عَـنْ جَنَابِكَ وَالمُنَى فِيهَـا تُعَلِّلُنِـي بِكُـلِّ كَـذُوبِ

لاَ كَالأُلَـى صَـرَفُوا العَزَائِمَ لِلتُّقَى فَاسْتَأْثَـرُوا مِنْهَا بِخَيْرِ نَصِيبِ

لَمْ يُخْلِصُوا لِلَّهِ حَتَّـى فَرَّقُوا فِي اللَّـهِ بَيْـنَ مَضَاجِعٍ وَجنُوبِ

هَبْ لِـي شَفَاعَتَكَ الَّتِي أَرْجُو بِهَا صَفْحًـا جَمِيلاً عَنْ قَبِيحِ ذُنُوبِي

إِنَّ النَّجَاةَ وَإِنْ أُتِيحَتْ لامْرِئٍ فَبِفَضْلِ جَاهِـكَ لَيْـسَ بِالتَّسْبِيبِ

إِنِّـي دَعَوْتُـكَ وَاثِقًـا بِإِجَابَتِـي يَـا خَيْـرَ مَدْعُـوٍّ وَخَيْـرَ مُجِيبِ

قَصَّرْتُ فِي مَدْحِـي فَإِنْ يَكُ طَيِّبًا فَبِمَـا لِذِكْرِكَ مِنْ أَرِيجِ الطِّيبِ

مَاذَا عَسَى يَبْغِي المُطِيلُ وَقَدْ حَوَى فِـي مَدْحِـكَ القُرْآنُ كُلَّ مطِيبِ

يَـا هَـلْ تُبَلِّغُنِي اللَّيَالِي زَوْرَةً تُدْنِـي إِلَـيَّ الفَـوْزَ بِالمَرْغُـوبِ

أَمْحُو خَطِيئَـاتِي بِإِخْلاَصِـي بِهَا وَأَحُطُّ أَوْزَارِي وَإِصْـرَ ذُنُوبِـي

فِـي فِتْيَـةٍ هَجَرُوا المُنَى وَتَعَوَّدُوا إِنْضَـاءَ كُـلِّ نَجِيبَـةٍ وَنَجِيب

يَطْـوِي صَحَائِفَ لَيْلِهِمْ فَوْقَ الفَلاَ مَا شِئْتَ مِنْ خَبَبٍ وَمِنْ تَقْرِيبِ

إِنْ رَنَّمَ الحَادِي بِذِكْرِكَ رَدَّدُوا أَنْفَـاسَ مُشْتَـاقٍ إِلَيْكَ طَـرُوبِ

أَوْ غَـرَّدَ الرَّكْـبُ الخَلِـيُّ بِطيبَـة حَنُّوا لِمَغْنَاهَـا حَنِـينَ النِّيـبِ

وَرِثُوا اعْتِسَـافَ البِيـدِ عَنْ آبَائِهِمْ إِرْثَ الخِلاَفَـةِ فِي بَنِي يَعْقُـوبِ

الطَّاعِنُـونَ الخَيْـلَ وَهْيَ عَوَابِسٌ يَغْشَى مُثَارُ النَّقْعِ كُـلَّ سَبِيـبِ[9]

وَالوَاهِبُـونَ المُقْرَبَـات صَوَافِنًـا مِـنْ كُـلِّ خَوَّارِ العِنَانِ لَعُـوبِ[10]

وَالمَانِعُـونَ الجَـارَ حَتَّى عِرْضَهُ فِي مُنْتَـدَى الأَعْـدَاءِ غَيْرُ مَعِيـبِ

تُخْشَـى بَوَادِرُهُمْ وَيُرْجَى حِلْمِهِمْ وَالعِـزُّ شِيمَـةُ مُرْتَجًـى وَمَهِيبِ

---

(9) السبيب: شعر عرف الفرس.

(10) خوار العنان: لين العطف.

وَمِنْهَا :

سَائِلْ بِهِ طَامِي العُبَابِ وَقَدْ سَرَى ... تزْجِيهِ رِيحُ العَزْمِ ذَاتُ هُبُوبِ

تَهْدِيهِ شُهْبُ أَسِنَّةٍ وَعَزَائِمٍ ... يَصْدَعْنَ لَيْلَ الحَادِثِ المَرْهُوبِ

حَتَّى انْجَلَتْ ظُلَمُ الضَّلَالِ بِسَعْيِهِ ... وَسَطَا الهُدَى بِفَرِيقِهَا المَغْلُوبِ

يَا ابْنَ الأُلَى شَادُوا الخِلَافَةَ بِالتُّقَى ... واسْتَأْثَرُوكَ بِتَاجِهَا المَغْصُوبِ

جَمَعُوا بِحِفْظِ الدِّينِ آيَ مَنَاقِبٍ ... كَرمُوا بِهَا فِي مَشْهَدٍ وَمَغِيبِ

لِلَّهِ مَجْدُكَ طَارِفًا أَوْ تَالِدًا ... فَلَقَدْ شَهِدْنَا مِنْهُ كُلَّ عَجِيبِ

كَمْ رَهْبَةٍ أَوْ رَغْبَةٍ لَكَ وَالعُلَا ... تُقْتَادُ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ

لَا زِلْتَ مَسْرُورًا بِأَشْرَفِ دَوْلَةٍ ... يَبْدُو الهُدَى مِنْ أُفقِهَا المَرْقُوبِ

تحْيِي المَعَالِي غَادِيًا أَوْ رَائِحًا ... وَجَدِيدُ سَعْدِكَ ضَامِنُ المَطْلُوبِ

المصدر : التعريف: ص 70 ـ 74 ، والإحاطة في أخبار غرناطة: انظر مؤلفات ابن خلدون: ص 307 ـ 310.

4 ـ هذي الدِّيار

قال يصف الأطلال من قصيدة طويلة ضاعت:

(الكامل)

هَذِي الدِّيَارُ فَحَيِّهِنَّ صَبَاحَا ... وَقِفِ المَطَايَا بَيْنَهُنَّ طِلَاحَا[1]

لَا تَسْأَلِ الأَطْلَالَ إِنْ لَمْ تَرْوِهَا ... عَبَرَاتِ عَيْنِكَ وَاكِفًا مُمْتَاحَا

فَلَقَدْ أَخَذْنَ جُفُونَكَ مَوْثِقًا ... أَنْ لَا يُرَيْنَ مَعَ البِعَادِ شِحَاحَا

إِيهٍ عَنِ الحَيِّ الجَمِيعِ وَرُبَّمَا ... طَرِبَ الفُؤَادُ لِذِكْرِهِمْ فَارْتَاحَا

وَمَنَازِلٍ لِلظَّاعِنِينَ اسْتَعْجَمَتْ ... حُزْنًا وَكَانَتْ بِالسُّرُورِ فِصَاحَا

المصدر: التّعريف: ص 133.

---

(1) الطلاح: ج طلح، الناقة الضامرة المجهدة.

5 ـ قدحت يد الأشواق

من قصيدة خاطب بها أبا سالم المريني يصف فيها الزّرافة وقد وصلت هديّة من ملك السّودان:

(الكامل)

قَدَحَتْ يَدُ الأَشْوَاقِ مِنْ زَندِي ... وَهَفَتْ بِقَلْبِي زَفْرَةُ الوَجْدِ

وَنَبَذْتُ سُلْوَانِي عَلَى ثِقَةٍ ... بِالقُرْبِ فَاسْتَبْدَلْتُ بِالبُعْدِ

وَلَرُبَّ وَصْلٍ كُنْتُ آمُلُهُ ... فَاعْتَضْتُ مِنْهُ بِمُؤْلِمِ الصَّدِّ

لاَ عَهْدَ عِنْدَ الصَّبْرِ أَطْلُبُهُ ... إِنَّ الغَرَامَ أَضَاعَ مِنْ عَهْدِي

يَلْحَى العَذُولُ فَمَا أُعَنِّفُهُ ... وَأَقُولُ ضَلَّ فَأَبْتَغِي رُشْدِي

وَأُعَارِضُ النَّفَحَاتِ أَسْأَلُهَا ... بَرْدَ الجَوَى فَتَزِيدُ فِي الوَقْدِ

يَهْدِي الغَرَامُ إِلَى مَسَالِكِهَا ... لِتَعَلُّلِي بِضَعِيفِ مَا تُهْدِي

يَا سَائِقَ الأَظْعَانِ مُعْتَسِفًا ... طَيَّ الفَلاَةِ لِطِيَّةِ الوَجْدِ

أَرِحِ الرِّكَابَ فَفِي الصَّبَا نَبَأٌ ... يُغْنِي عنَ المُسْتَنَّةِ الجُرْدِ[1]

وَسَلِ الرُّبُوعَ بِرَامَةٍ[2] خَبَرًا ... عَنْ سَاكِنِي نَجْدٍ وَعَنْ نَجْدِ

مَالِي تُلاَمُ عَلَى الهَوَى خُلُقِي ... وَهْيَ الَّتِي تَأْبَى سِوَى الحَمْدِ

لأَبَيْتُ إِلاَّ الرُّشْدَ مُذْ وَضَحَتْ ... بِالمُسْتَعِينِ مَعَالِمُ الرُّشْدِ

نِعْمَ الخَلِيفَةُ فِي هُدًى وَتُقًى ... وَبِنَاءِ عِزٍّ شَامِخِ الطَّوْدِ

نَجْلُ السَّرَاةِ الغُرِّ شَأْنُهُمُ ... كَسْبُ العُلَى بِمَوَاهِبِ الوُجْدِ

ومنها في ذكر الخلوص إليه وما ارتكبه فيه :

---

(1) المستنة الجرد: الذاهبة على وجهها وقصيرة الشعر.

(2) رامة: مكان في طريق البصرة إلى مكّة.

لِلَّــهِ مِنِّــي إِذْ تُــأَوِّبُنِــى ذِكْــرَاهُ وَهْــوَ بِشَاهِــقٍ فَــرْدِ
شَهْــمٌ يَفُــلُّ بَوَاتِــرًا قُضُبًــا وَجُمُــوعَ أَقْيَــالٍ أُولِــي أَيْــدِ
أَوْرَيْــتُ زَنْــدَ العَــزْمِ فِي طَلَبِي وَقَضَيْــتُ حَقَّ المَجْدِ مِنْ قَصْدِي
وَوَرَدْتُ عَــنْ ظَمَــإٍ مَنَاهِلَــهُ فَرَوِيــتُ مِــنْ عِــزٍّ وَمِنْ رِفْدِ
هِــيَ جَنَّــةُ المَــأْوَى لِمَنْ كَلِفَتْ آمَالُــهُ بِمَطَالِــبِ المَجْــدِ
لَــوْ لَــمْ أُعَلَّ بِــوِرْدِ كَوْثَرِهَــا مَا قُلْــتُ هَــذِي جَنَّــةُ الخُلْدِ
مَــنْ مُبْلِــغٌ قَوْمِــي وَدُونَهُــم قُــذُفُ النَّوَى وَتَنُوفَــةُ البُعْدِ[3]
أَنِّــي أَنِفْــتُ عَلَى رَجَائِــهِــمُ وَمَلَكْــتُ عِــزَّ جَمِيعِهِمْ وَحْـدِي

* * *

وَرَقِيمَــةِ الأَعْطَــافِ حَالِيَــةٍ مُوشِيَّــةٍ بِوَشَــائِعِ البُــرْدِ
وَحْشِيَّــةِ الأَنْسَــابِ مَــا أَنِسَتْ فِــي مُوحِــشِ البَيْــدَاءِ بِالقَوْدِ
تَسْمُــو بِجِيــدٍ بَالِــغٍ صعـداً شَــرَفَ الصُّــرُوحِ بِغَيْرِ مَا جَهْـدِ
طَالَــتْ رُؤُوسَ الشَّامِخَــاتِ بِهِ وَلَرُبَّمَــا قَصُــرَتْ عَــنِ الوَهْـدِ
قَطَعَــتْ إِلَيْــكَ تَنَائِفًــا وَصَلَــتْ إِسْآدَهَــا بِالنَّــصِّ وَالوَخْــدِ
تَخْــدِي عَلَــى اسْتِصْعَابِهَــا ذُلُــلاً وَتَبِيــتُ طَــوْعَ القِــنِّ وَالقِــدِّ[4]
بِسُعُــودِكَ الــلاَّئِي ضَمَــنَّ لَنَا طُــولَ الحَيَــاةِ بِعِيشَــةٍ رَغْـدِ
جَاءَتْــكَ فِــي وَفْــدِ الأَحَابِشِ لاَ يَرْجُــونَ غَيْــرَكَ مُكْــرِمَ الوَفْـدِ
وَافَــوْكَ أَنْضَــاءً تُقَلِّبُهُــمْ أَيْــدِي السُّــرى بِالغَــوْرِ وَالنَّجْدِ
كَالطَّيْــفِ يَسْتَقْــرِي مَضَاجِعَــهُ أَوْ كَالحُسَــامِ يُسَــلُّ مِنْ غِمْـدِ

---

(3) التنوفة: القفر من الأرض.

(4) تخدي: تسرع، القن: العبد، القدّ: سير من جلد غير مدبوغ.

يُثْنُونَ بِالحُسْنَى الَّتِي سَبَقَتْ مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ وَلاَ جَحْدِ

وَيَرَوْنَ لَحْظَكَ مِنْ وِفَادَتِهِمْ فَخْرًا عَلَى الأَتْرَاكِ وَالهِنْدِ

يَا مُسْتَعِينًا جَلَّ فِي شَرَفٍ عَنْ رُتْبَةِ المَنْصُورِ وَالمَهْدِي

جَازَاكَ رَبُّكَ عَنْ خَلِيقَتِهِ خَيْرَ الجَزَاءِ فَنِعْمَ مَا يُسْدِي

وَبَقِيتَ لِلدُّنْيَا وَسَاكِنِهَا فِي عِزَّةٍ أَبَدًا وَفِي سَعْدِ

المصدر : التّعريف: ص 74ـ 75 والإحاطة، انظر: مؤلّفات ابن خلدون: ص 310ـ312.

6 ـ ضحكت وجوه الدّهر بعد عبوس

قصيدة خاطب بها أبا العبّاس أحمد الحفصي حينما أبلّ من مرض أصابه:

(الكامل)

ضَحِكَتْ وُجُوهُ الدَّهْرِ بَعْدَ عبُوسِ وَتَجَلَّلَتْنَا رَحْمَةٌ مِنْ بُوسِ

وَتَوَضَّحَتْ غُرَرُ البَشَائِرِ بَعْدَمَا انْبَهَمَتْ فَأَطْلَعَهَا حُدَاةُ العِيسِ

صَدَعُوا بِهَا لَيْلَ الهُمُومِ كَأَنَّمَا صَدَعُوا الظَّلاَمَ بِجَذْوَةِ المَقْبُوسِ

فَكَأَنَّهُمْ بَثُّوا حَيَاةً فِي الوَرَى نُشِرَتْ لَهَا الآمَالُ مِنْ مَرْمُوسِ

قَرَّتْ عُيُونُ الخَلْقِ مِنْهَا بِالَّتِي أَضْفَتْ مِنَ النَّعْمَاءِ خَيْرَ لَبُوسِ

فَكَأَنَّ قَوْمِي نَادَمَتْهُمْ قَرْقَفٌ شَرِبُوا النَّعِيمَ لَهَا بِغَيْرِ كُؤُوسِ

يَتَمَايَلُونَ مِنَ المَسَرَّةِ وَالرِّضَى وَيُقَابِلُونَ أَهِلَّةً بِشُمُوسِ

مِنْ رَاكِبٍ وَافَى يُحَيِّي رَاكِبًا وَجَلِيسِ أُنْسٍ قَادَهُ لِجَلِيسِ

وَمُشَفَّعٍ لِلَّهِ يُؤْنَسُ عِنْدَهُ أَثَرُ الهُدَى فِي المَعْهَدِ المَأْنُوسِ

يَعْتَدُّ مِنْهَا رَحْمَةً قُدُسِيَّةً فَيَبُوءُ لِلرَّحْمَنِ بِالتَّقْدِيسِ

طَبٌّ بِإِخْلاَصِ الدُّعَاءِ وَإِنَّهُ يُشْفِي مِنَ الدَّاءِ العَيَاءِ وَيُوسِي

يَا ابْــنَ الخَلاَئِفِ وَالَّذِينَ بِنُورِهِمْ نُهِجَــتْ سَبِيلُ الحَقِّ بَعْدَ دُرُوسِ

وَالنَّاصِــرُ الدِّينَ القَوِيم بِعَزْمَـــةٍ طَرْدُ اسْتِقَامَتِهَـــا بِغَيْـــرِ عُكُوسِ

هَجَـــرَ المُنَى فِيهَـــا وَلَذَّاتِ المُنَى فِي لَذَّةِ التَّهْجِيـــــرِ وَالتَّغْلِيــسِ[1]

حَاطَ الرَّعِيَّـــةَ بِالسِّيَاسَةِ فَانْضَوَتْ مِنْـــهُ لِأَكْـــرَمِ مَالِــكٍ وَسَؤُوسِ

أَسَدٌ يُحَامِـــي عَنْ حِمَى أَشْبَالِهِ حَتَّى ضَـــوَوا مِنْهُ لِأَمْنَعِ خِيسِ[2]

قَسَمًا بِمَوْشِـــيِّ البِطَاحِ وَقَدْ غَدَتْ تَخْتَـــالُ زَهْوًا فِي ثِيَـــابِ عَرُوسِ

وَالمَاثِلاَتِ مِـــنَ الحَنَايَـــا جُثَّمًـــا يُخْبِـــرْنَ عَنْ طَسْمٍ وَفَلِّ جَدِيسِ[3]

خُـــــوصٌ مُضَمَّرَةُ البُطُونِ كَأَنَّهَا أَنْضَـــاءُ رَكْبٍ فِي الفَلاَةِ حَبِيسِ[4]

وَخَـــزَ البِلَى مِنْهَا الغَوَارِبَ وَالذُّرَى فَلَفَتْـــنَ خَزْرًا بِالعُيُونِ الشُّـــوسِ[5]

لَبَقَـــاكَ حِـــرْزٌ لِلْأَنَـــامِ وَعِصْمَةٌ وَحَيَـــاةُ أَرْوَاحٍ لَنَـــا وَنُفُـــوسِ

وَلَأَنْـــتَ كَافِـــلُ دِينِنَـــا بِحِمَايَـــةٍ لَـــوْلاَكَ ضُيِّـــعَ عَهْدُهَـــا وَتُنُوسِي

اللَّـــهُ أَعْطَـــاكَ الَّتِي لاَ فَوْقَهَـــا وَحَبَـــاكَ حَظًّـــا لَيْسَ بِالمَوْكُوسِ[6]

تَعْنُـــو القُلُـــوبُ إِلَيْكَ قَبْلَ وُجُوهِنَا سِيَّـــانَ مِـــنْ رَأْسٍ وَمِـــنْ مَرْؤُوسِ

فَإِذَا أَقَمْـــتَ فَإِنَّ رُعْبَـــكَ رَاحِـــلٌ يُحْمِـــي عَلَى الأَعْدَاءِ كُلَّ وَطِيسِ

---

(1) التهجير إلى الصلاة: التبكير والمبادرة إليها.

والتغليس: السير إلى صلاة الصبح وقت الغلس وهو ظلمة آخر الليل.

(2) الخيس: موضع الأسد.

(3) طسم وجديس: حيان من العرب البائدة، كان مسكنهما البحرين، واليمامة. وقد أوقع حسّان بن تبّع بقبيلة جديس، وإلى ذلك ينظر ابن خلدون.

(4) خوص: شهباء

انضاء: ج نضو: هزيل.

(5) الغوارب: جمع غارب، وهو مقدم سنام البعير.

ذرى: جمع ذروة، وهي أعلى سنام البعير. يعني أنّ البلى قد عمّها.

والشوس: النظر بمؤخر العين غيظا وغضبا.

(6) الموكوس: المنقوس .

وَإِذَا رَحَلْـتَ فَلِلسَّعَـادَةِ آيَـةٌ تَقْتَادُهَـا فِـي مَوْكِـبٍ وَخَمِيس
وَإِذَا الأَدِلَّـةُ فِي الكَمَـالِ تَطَابَقَتْ جَـاءَتْ بِمَسْمُـوعٍ لَهَا وَمَقِيـسِ
فَانْعَـمْ بِمُلْكِـكَ دَوْلَـةٌ عَادِيَّـةٌ تُشْقِي الأَعَادِيَ بِالعَذَابِ البِيسِ(7)
وَإِلَيْكَهَـا مِنِّـي عَلَـى خَجَلٍ بِهَا عَـذْرَاءَ قَدْ حَلِيَتْ بِكُلِّ نَفِيسِ
عُـذْرًا فَقَدْ طُمِسَ الشَّبَابُ وَنُورُهُ وَأَضَـاءَ صُبْحُ الشَّيْبِ عِنْدَ طُمُوسِ
لَوْلاَ عِنَايَتُـكَ الَّتِـي أَوْلَيْتَنِـي مَا كُنْـتُ أُعْنَى بَعْدَهَـا بِطُرُوسِ
وَاللَّـهِ مَـا أَبْقَتْ مُمَارَسَـةُ النَّـوَى مِنِّـي سِوَى مَرَسٍ أَحَمَّ دَرِيسِ(8)
أَنْحَى الزَّمَانُ عَلَيَّ فِي الأَدَبِ الَّذِي دَارَسْتُـهُ بِمَجَامِـعٍ وَدُرُوسِ
فَسَطَـا عَلَـى وَفْرِي وَرَوَّعَ مَأْمَنِي وَاجْتَـثَّ مِنْ دَوْحِ النَّشَاطِ غُرُوسِي
وَرِضَـاكَ رَحْمَتِـيَ الَّتِي أَعْتَدُّهَا تُحْـيِي مُنَى نَفْسِي وَتُذْهِبُ بُوسِي

المصدر: التّعريف: ص 241 ـ 244.

7 ـ أطوي على الزّفرات قلبا

وقال يخاطب عمر بن عبد الله مدبر ملك المغرب(9):

(الكامل)

يَـا سَيِّـدَ الفُضَـلاَءِ دَعْوَةَ مُشْفِقٍ نَـادَى لِشَكْـوَى البَثِّ خَيْرَ سَمِيعِ
مَـا لِـي وَلِلْإِقْصَاءِ بَعْدَ تَعِلَّـهِ بِالقُـرْبِ كُنْـتُ لَهَا أَجَـلَّ شَفِيعِ
وَأَرَى اللَّيَالِـي رَنَّقَـتْ لِي صَافِيًـا مِنْهَـا فَأَصْبَحَ فِي الأُجَاجِ شُرُوعِي
وَلَقَـدْ خَلَصْـتُ إِلَيْكَ بِالقُرْبِ الَّتِي لَيْـسَ الزَّمَـانُ لِشَمْلِهَـا بِصَدُوعِ

---

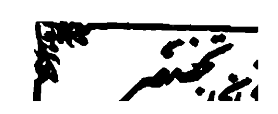
(7) عادية: نسبة إلى عاد الأمة المعروفة. ويريد أنّها طويلة الأمد.

(8) المرس (بفتح الميم والراء): الحبل. والأحمّ: الأسود. والدريس: الخلق.

(9) كان وزيرا للسلطان ابي الحسن، أخباره في تاريخ ابن خلدون: ج 7، ص 319 ـ 322.

وَوَثِقْتُ مِنْكَ بِأَيِّ وَعْدٍ صَادِقٍ — إِنِّي الْمَصُونُ وَأَنْتَ غَيْرُ مُضِيعِ
وَسَمَا بِنَفْسِي لِلْخَلِيفَةِ طَاعَةً — دُونَ الأَنَامِ هَوَاكَ قَبْلَ نُزُوعِ
حَتَّى انْتَحَانِي الكَاشِحُونَ بِسَعْيِهِمْ — فَصَدَدْتَهُمْ عَنِّي وَكُنْتَ مَنِيعِي
رَغِمَتْ أُنُوفُهُمُ بِنُجْحِ وَسَائِلِي — وَتَقَطَّعَتْ أَنْفَاسُهُمْ بِصَنِيعِي
وَبَغَوْا بِمَا نَقَمُوا عَلَيَّ خَلاَئِقِي — حَسَدًا فَرَامُونِي بِكُلِّ شَنِيعِ
لاَ تُطْمِعَنْهُم بِبَذْلٍ فِي الَّتِي — قَدْ صُنْتُهَا عَنْهُمْ بِفَضْلِ قُنُوعِي
أَنَّى أُضَامُ وَفِي يَدِي القَلَمُ الَّذِي — مَا كَانَ طَيِّعُهُ لَهُمْ بِمُطِيعِ
وَلِيَ الخَصَائِصُ لَيْسَ تَأْبَى رُتْبَةً — حَسْبِي بِعِلْمِي ذَاكَ مِنْ تَفْرِيعِي
قَسَمًا بِمَجْدِكَ وَهُوَ خَيْرُ أَلِيَّةٍ — أَعْتَدُّهَا لِفُؤَادِيَ الْمَصْدُوعِ
إِنِّي لَتَصْطَحِبُ الهُمُومُ بِمَضْجَعِي — فَتَحُولُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ هُجُوعِي
عَطْفًا عَلَيَّ بِوِحْدَتِي عَنْ مَعْشَرٍ — نَفَثَ الإِبَاءَ صُدُودُهُم فِي رُوعِي
أَغْدُو إِذَا بَاكَرْتُهُمْ مُتَجَلِّدًا — وَأَرُوحُ أَعْثُرُ فِي فُضُولِ دُمُوعِي
حَيْرَانَ أُوجِسُ عِنْدَ نَفْسِي خِيفَةً — فَيُسَرُّ فِي الأَوْهَامِ كُلُّ مَرُوعِ
أَطْوِي عَلَى الزَّفَرَاتِ قَلْبًا آدَهُ — حَمْلُ الهُمُومِ تَجُولُ بَيْنَ ضُلُوعِي
وَلَقَدْ أَقُولُ لِصَرْفِ دَهْرٍ رَابَنِي — بِحَوَادِثٍ جَاءَتْ عَلَى تَنْوِيعِ
مَهْلاً عَلَيْكَ فَلَيْسَ خَطْبُكَ ضَائِرِي — فَلَقَدْ لَبِسْتُ لَهُ أَجَنَّ دُرُوعِ
إِنِّي ظَفِرْتُ بِعِصْمَةٍ مِنْ أَوْحَدٍ — بَذَّ الجَمِيعَ بِفَضْلِهِ الْمَجْمُوعِ

المصدر: الإحاطة في أخبار غرناطة ونفح الطيب: انظر مؤلفات ابن خلدون: ص 312 ـ 313.



8. هنيئا بصوم

وقال يخاطب الوزير عمر بن عبد الله مستجيرا بصديقه مسعود بن رحو بن ماساي:

(الطويل)

هَنِيئًا بِصَوْمٍ لاَ عَدَاهُ قَبُولُ ... وَبُشْرَى بِعِيدٍ أَنْتَ فِيهِ مُنِيلُ

وَهُنِّئْتَهَا مِنْ عِزَّةٍ وَسَعَادَةٍ ... تَتَابَعُ أَعْوَامٌ بِهَا وَفُصُولُ

سَقَى اللَّهُ دَهْراً أَنْتَ إِنْسَانُ عَيْنِهِ ... وَلاَ مَسَّ رَبْعاً فِي حِمَاكَ مُحُولُ

فَعَصْرُكَ مَا بَيْنَ اللَّيَالِي مَوَاسِمٌ ... لَهَا غُرَرٌ وَضَّاحَةٌ وَحُجُولُ

وَجَانِبُكَ الْمَأْمُولُ لِلْجُودِ مَشْرَعٌ ... يَحُومُ عَلَيْهِ عَالِمٌ وَجَهُولُ

عَسَاكَ وَإِنْ ضَنَّ الزَّمَانُ مُنَوِّلِي ... فَرَسْمُ الأَمَانِي مِنْ سِوَاكَ مُحِيلُ

أَجِرْنِي وَلَيْسَ الدَّهْرُ لِي بِمُسَالِمٍ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي ذَرَاكَ مَقِيلُ

وَأَوْلِنِيَ الحُسْنَى بِمَا أَنَا آمِلٌ ... فَمِثْلُكَ يُولِي رَاجِيًا وَيُنِيلُ

وَوَاللَّهِ مَا رُمْتُ التَّرَحُّلَ عَنْ قِلًى ... وَلاَ سَخْطَةٍ لِلْعَيْشِ فَهُوَ جَزِيلُ

وَلاَ رَغْبَةً عَنْ هَذِهِ الدَّارِ إِنَّهَا ... لَظِلٌّ عَلَى هَذَا الأَنَامِ ظَلِيلُ

وَلَكِنْ نَأَى بِالشَّعْبِ عَنِّي حَبَائِبٌ ... دَعَاهُنَّ خَطْبٌ لِلْفِرَاقِ طَوِيلُ

يَهِيجُ بِهِنَّ الوَجْدَ أَنِّيَ نَازِحٌ ... وَأَنَّ فُؤَادِي حَيْثُ هُنَّ حُلُولُ

عَزِيزٌ عَلَيْهِنَّ الَّذِي قَدْ لَقِيتُهُ ... وَأَنَّ اغْتِرَابِي فِي البِلاَدِ يَطُولُ

تَوَارَتْ بِأَنْبَائِي البِقَاعُ كَأَنَّنِي ... تَخَطَّفْتُ أَوْ غَالَتْ رِكَابِيَ غُولُ

ذَكَرْتُكِ يَا مَغْنَى الأَحِبَّةِ وَالهَوَى ... فَطَارَتْ بِقَلْبِي أَنَّةٌ وَعَوِيلُ

وَحَيَّيْتُ عَنْ شَوْقٍ رُبَاكَ كَأَنَّمَا ... يُمَثَّلُ لِي نُؤْيٌ بِهَا وَطُلُولُ

أَأَحْبَابَنَا وَالعَهْدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ... كَرِيمٌ، وَمَا عَهْدُ الكَرِيمِ يَحُولُ

إِذَا أَنَا لَمْ تُرْضِ الحُمُولَ مَدَامِعِي ... فَلاَ قَرَّبَتْنِي لِلِّقَاءِ حُمُولُ

إلامَ مُقَامِــي حَيْــثُ لَمْ تردِ العُلاَ ... مــرَادي ولَمْ تُعْطِ القِيَادَ ذَلُولُ؟

أُجَاذِبُ فَضْـــلَ العُمْرِ يوْماً ولَيْلَةً ... وَسَـــاءَ صَبَـــاحٌ بيْنَهَا وأَصِيلُ

وَيَذْهَبُ بِـــي ما بيْنَ يأْس ومَطمَع ... زَمَـــانٌ بِنيْلِ المَعْلُـــوَاتِ بَخِيلُ

تُعَلِّلُنِي مِنْــهُ أَمَــانٍ خَـــوَادِعٌ ... وَيؤيِسُنِـــي لَيَّــانُ منهُ مَطُولُ

أمَا لِلَّيَـــالِي لاَ تَـــرُدُّ خُطُوبُهَـا ... فَفِـــي كَبِـدِي مِنْ وَقْعِهِنَّ فُلُولُ

يُرَوِّعُنِـــي مِنْ صَرْفِهَـــا كُلُّ حَادِثٍ ... تَكَـــادُ لَهُ صُمُّ الجِبَالِ تَزُولُ

أُدَارِي علَى الرُّغْـمِ العِدَى لاَ لِرِيبَــةٍ ... يُصَانَـــعُ وَاشٍ خَوْفَهَــا وَعَـذُولُ

وَأَغْــدُو بِأَشْجَانِـــي عَلِيلاً كَأَنَّمَا ... تَجُــودُ بِنَفْســي زَفْــرَةٌ وَغَلِيلُ

وَإِنّي وإِنْ أَصْبَحْتُ فِي دَارِ غُرْبَةٍ ... تُحِيــلُ اللَّيَالِــي سَلْوَتِــي وتُزِيلُ

وَصَدَّتْنِي الأَيَّامُ عَنْ خَيْرِ مَنْزِلٍ ... عَهِــدْتُ بِــهِ أَنْ لاَ يُضَامَ نَزِيلُ

لَأَعْلَمُ أَنَّ الخَيْرَ وَالشَّرَّ يَنْتَهِي ... مَدَاهُ وَأَنَّ اللَّــهَ سَــوْفَ يُدِيلُ

وَأَنِّي عَزِيزٌ بِابنِ مَاسَايَ مُكْثِرٌ ... وَإِنْ هَـــانَ أَنْصَـارٌ وَبَانَ خَلِيلُ

المصدر: نفح الطّيب: انظر مؤلفات ابن خلدون ص 313 ـ 315. وفي "التعريف" ص 77 ـ 79 (ط. الطنجي) وص 80 ـ 82 (ط. بيروت).

9 ـ هل غير بابك للغريب مومل

قصيدة خاطب بها السّلطان الحفصي أبا العبّاس أحمد مادحا إيّاه مستعطفا بهديّة كتابه "المقدّمة" إليه:

(الكامل)

هَـــلْ غَيْرُ بَابِكَ لِلْغَرِيبِ مُؤَمَّـــلُ ... أَوْ عَـــنْ جَنَابِـــكَ لِلأَمَانِي مَعْدِلُ

هِـــيَ هِمَّةٌ بَعَثَتْ إِلَيْكَ عَلَى النَّـوَى ... عَزْمَـــا كَمَا شَحَذَ الحُسَامَ الصَّيْقَلُ

مُتَبَـــوَّأُ الدُّنْيَا وَمُنْتَجَـــعُ المُنَـــى ... وَالغَيْــثُ حَيْــثُ العَارِضُ المُتَهَلِّلُ

حَيْثُ القُصُورُ الزَّاهِرَاتُ مُنِيفَةٌ تُغْنَى بِهَا زُهْرُ النُّجُومِ وَتَحْفِلُ
حَيْثُ الخِيَامُ البِيضُ يُرْفَعُ لِلعُلاَ وَالمَكْرُمَاتِ طِرَافُهَا المُتَهَدِّلُ[1]
حَيْثُ الحِمَى لِلعِزِّ فِي سَاحَاتِهِ ظِلٌّ أَفَاءَتْهُ الوَشِيجُ الذُّبَّلُ[2]
حَيْثُ الكِرَامُ يَنُوبُ عَنْ نَارِ القِرَى عَرْفُ الكِبَاءِ بِحَيِّهِمْ وَالمَنْدَلُ[3]
حَيْثُ الرِّمَاحُ يَكَادُ يُورِقُ عُودُهَا مِمَّا تُعَلُّ مِنَ الدِّمَاءِ وَتُنْهَلُ
حَيْثُ الجِيَادُ أَمَلَّهُنَّ بَنُو الوَغَى مِمَّا أَطَالُوا فِي المُغَارِ وَأَوْغَلُوا
حَيْثُ الوُجُوهُ الغُرُّ قَنَّعَهَا الحَيَا وَالبِشْرُ فِي صَفَحَاتِهَا يَتَهَلَّلُ
حَيْثُ المُلُوكُ الصِّيدُ وَالنَّفَرُ الأُلَى عَزَّ الجِوَارُ لَدَيْهِمُ وَالمَنْزِلُ
مِنْ شِيعَةِ المَهْدِيِّ بَلْ مِنْ شِيعَةِ التَّـ ـوْحِيدِ[4] جَاءَ بِهِ الكِتَابُ يُفَصِّلُ
بَلْ شِيعَةِ الرَّحْمَنِ أَلْقَى حُبَّهُمْ فِي خَلْقِهِ فَسَمَوا بِذَاكَ وَفُضِّلُوا
شَادُوا عَلَى التَّقْوَى مَبَانِيَ عِزِّهِمْ لِلَّهِ مَا شَادُوا بِذَاكَ وَأَثَّلُوا
قَوْمٌ أَبُو حَفْصٍ[5] أَبٌ لَهُمُ وَمَا أَدْرَاكَ! وَالفَارُوقُ[6] جَدٌّ أَوَّلُ
نَسَبٌ كَمَا اطَّرَدَتْ أَنَابِيبُ القَنَا[7] وَأَتَى عَلَى تَقْوِيمِهِنَّ مُعَدِّلُ
سَامٍ عَلَى هَامِ الزَّمَانِ كَأَنَّهُ لِلْفَخْرِ تَاجٌ بِالبُدُورِ مُكَلَّلُ
فَضَلَ الأَنَامَ حَدِيثُهُمْ وَقَدِيمُهُمْ وَلَأَنْتَ إِنْ فَضَلُوا أَعَزُّ وَأَفْضَلُ
وَبَنَوْا عَلَى قُلَلِ النُّجُومِ وَوَطَّدُوا وَبِنَاؤُكَ العَالِي أَشَدُّ وَأَطْوَلُ

---

(1) الطِّراف من الخباء: نواحيه.

(2) الوشيج: أصلب القنا والذبل، جمع ذابل، وهو القنا الدّقيق القصير.

(3) الكباء: المتبخّر به كالمندل.

(4) يريد مهدي الموحّدين، وهو محمد بن تومرت، مؤسس الدولة الموحديّة بالمغرب.

(5) عمر بن عبد الله الصنهاجي من أوائل أصحاب ابن تومرت المهدي منشئ الدولة الموحديّة وكان وزيرا لعبد المؤمن بن علي وإليه تنسب الدولة الحفصيّة.

(6) عمر بن الخطاب.

(7) أنبوب القنا: كعب الرّمح.

* * *

وَلَقَـدْ أَقُـولُ لِخَائِضٍ بَحْـرِ الفَـلاَ — وَاللَّيْـلُ مُزْبَـدُّ الجَوَانِـبِ أَلْيَلُ
مَـاضٍ عَلَى غَوْلِ الدُّجَـى لاَ يَتَّقِي — تيهًـا وَذَابِلُـهُ ذُبَالٌ مُشْعَـلُ[8]
مُتَقَلِّـبٍ فَـوْقَ الرِّحَـالِ كَأَنَّـهُ — طَيْـفٌ بِأَطْـرَافِ المِهَـادِ مُوَكَّلُ
يَبْغِي مَنَالَ الفَوْزِ مِنْ طُرُقِ الغِنَى — وَيَـرُودُ مُخْصِبَهَا الَّذِي لاَ يُمْحِلُ
أَرِحِ الرِّكَـابَ فَقَدْ ظَفِرت بِوَاهِبٍ — يُعْطِـي عَطَـاءَ المُنْعِمِينَ فَيُجْزِلُ
لِلَّـهِ مِـنْ خُلُقٍ كَرِيـمٍ فِي النَّدَى — كَالـرَّوْضِ حَيَّاهُ نَدِيٌّ مُخْضِـلُ
هَـذَا أَمِيـرُ المُؤْمِنِـينَ إِمَامُنَا — فِي الدِّيـنِ وَالدُّنْيَـا إِلَيْهِ المَوْئِلُ
هَذَا أَبُـو العَبَّـاسِ خَيْـرُ خَلِيفَةٍ — شَهِـدَتْ لَـهُ الشِّيَمُ الَّتِي لاَ تُجْهَلُ
مُسْتَنْصِـرٌ بِاللَّهِ فِي قَهْـرِ العِدَى — وَعَلَـى إِعَانَـةِ رَبِّـهِ مُتَوَكِّـلُ
سَبَـقَ المُلُـوكَ إِلَى العُلاَ مُتَمَهِّلاً — لِلَّـهِ مِنْـكَ السَّابِـقُ المُتَمَهِّلُ
فَلَأَنْـتَ أَعْلَى المَالِكِينَ وَإِنْ غَدَوْا — يَتَسَابَقُـونَ إِلَى العَـلاَءِ وَأَكْمَلُ
قَايِـسْ قَدِيمًـا مِنْكُـمُ بِقَدِيمِهِمْ — فَالأَمْـرُ فِيهِ وَاضِـحٌ لاَ يُجْهَلُ
دَانُـوا لِقَوْمِكُـمُ بِأَقْـوَمِ طَاعَةٍ — هِـيَ عُرْوَةُ الدِّينِ الَّتِي لاَ تُفْصَلُ
سَائِـلْ تِلِمْسَانًـا بِهَـا وَزَنَاتَةً — وَمَرِينَ قَبْلَهُـمُ كَمَـا قَدْ يُنْقَلُ
وَاسْـأَلْ بِأَنْدَلُـسٍ مَدَائِنَ مُلْكِهَـا — تُخْبِرْكَ حِينَ اسْتَيْأَسُوا وَاسْتَوْهَلُوا
وَاسْـأَلْ بِذَا مَرَّاكُشًـا وَقُصُورَهَا — وَلَقَدْ تُجِيبُ رُسُومُهَا مَنْ يَسْأَلُ

* * *

يَأَيُّهَـا المَلِـكُ الَّذِي فِي نَعْتِـهِ — مِـلْءُ القُلُوبِ وَفَـوْقَ مَا يُتَمَثَّـلُ
لِلَّـهِ مِنْـكَ مُؤَيَّـدٌ، عَزَمَاتُـهُ — تَمْضِي كَمَا يَمْضِي القَضَاءُ المُرْسَلُ

(8) الذابل: الرمح الدّقيق. الذّبال: ج ذبالة الفتيلة.

جِئْتَ الزَّمَانَ بِحَيْثُ أَعْضَلَ خَطْبُهُ فَافْتَرَّ عَنْهُ وَهْوَ أَكْلَحُ أَعْصَلُ[9]

وَالشَّمْلُ مِنْ أَبْنَائِهِ مُتَصَدِّعٌ وَحِمَى خِلاَفَتِهِ مُضَاعٌ مُهْمَلُ

وَالخَلْقُ قَدْ صَرَفُوا إِلَيْكَ قُلُوبَهُمْ وَرَجَوْا صَلاَحَ الحَالِ مِنْكَ وَأَمَّلُوا

فَعَجِلتَهُ لَمَّا انْتُدِبْتَ لِأَمْرِهِ بِالبَأْسِ وَالعَزْمِ الَّذِي لاَ يُمْهِلُ

ذَلَّلْتَ مِنْهُ جَامِحًا لاَ يَنْثَنِي سَهَّلْتَ وَعْرًا كَادَ لاَ يَتَسَهَّلُ

وَأَلَنْتَ مِنْ شَرَسِ العُتَاةِ وَذُتَّهُمْ عَنْ ذَلِكَ الحَرَمِ الَّذِي قَدْ حَلَّلُوا

كَانَتْ لِصَوْلَةَ صَوْلَةٌ وَلِقَوْمِهِ يَغْدُو ذُوَيْبُ بِهَا وَتَسْطُو المَعْقِلُ[10]

وَمُهَلْهِلٌ تُسْدِي وَتُلْحِمُ فِي الَّتِي مَا أَحْكَمُوهَا بَعْدُ فَهْيَ مُهَلْهَلُ

عَجِبَ الأَنَامُ لِشَأْنِهِمْ بَادُونَ قَدْ قَذَفَتْ بِحَيِّهِمُ المَطِيُّ الذُّلَّلُ

رَفَعُوا القِبَابَ عَلَى العِمَادِ وَعِنْدَهَا الجُرْدُ السَّلاَهِبُ وَالرِّمَاحُ العُسَّلُ[11]

فِي كُلِّ ظَامِي التُّرْبِ مُتَّقِدِ الحَصَى تَهْوِي لِلُجَّتِهِ الظِّمَاءُ فَتَنْهَلُ

جِنٌّ شَرَابُهُم السَّرَابُ وَرِزْقُهُمْ رُمْحٌ يَرُوحُ بِهِ الكَمِيُّ وَمُنْصُلُ

حَيٌّ حُلُولٌ بِالعَرَاءِ وَدُونَهُمْ قُذُفُ النَّوَى إِنْ يَظْعَنُوا أَوْ يُقْبِلُوا[12]

كَانُوا يَرُوعُونَ المُلُوكَ بِمَا بَدَوْا وَغَدَتْ تُرَفِّهُ بِالنَّعِيمِ وَتُخْضَلُ

فَبَدَوْتَ لاَ تَلْوِي عَلَى دَعَةٍ وَلاَ تَأْوِي إِلَى ظُلَلِ القُصُورِ تُهَدَّلُ

طَوْرًا يُصَافِحُكَ الهَجِيرُ وَتَارَةً فِيهِ بِخَفَّاقِ البُنُودِ تُظَلَّلُ

وَإِذَا تُعَاطِي ضُمَّرًا يَوْمَ الوَغَى كَأْسَ النَّجِيعِ فَبِالصَّهِيلِ تُعَلَّلُ

---

(9) الكلوح: تكشر في عبوس. وأعصل: معوج شديد ملتو.

(10) المراد بصولة صولة بن خالد بن حمزة أمير أولاد أبي الليل. وذويبٌ: هو ابن عمه أحمد بن حمزة والمعقل فريق من العرب من أحلافهم. ومهلهلٌ: هم بنو مهلهل بن قاسم أنظارهم.

(11) السلاهب، جمع سلهب: وهو الطويل العظيم من الخيل.

رمح عاسل: لدن مضطرب، والجمع عسّل.

(12) قذف (بضمتين): بعيدة. والنوى، والنيّة: الوجه ينويه المسافر من قرب أو بعد. وهي مؤنثة.

مُخْشَوْشِنًـا فِـي العِزِّ مُعْتَمِلاً لَهُ فِـي مِثْلِ هَذَا يَحْسُنُ المُسْتَعْمَلُ

تَفْـرِي حَشَا البَيْدَاءِ لاَ يَسْرِي بِهَا رَكْـبٌ وَلاَ يَهْـوِي إِلَيْهَا جَحْفَلُ

وَتَجُرُّ أَذْيَـالَ الكَتَائِـبِ فَوْقَهَا تَخْتَالُ فِي السُّمْرِ الطِّوَالِ وَتَرْفُلُ

تَرْمِيهِمُ مِنْهَـا بِكُـلِّ مُدَجَّـجٍ شَاكِـي السِّلاَحِ إِذَا اسْتَعَارَ الأَعْزَلُ

وَبِكُلِّ أَسْمَـرَ غُصْنُـهُ مُتَأَوِّدٌ وَبِكُـلِّ أَبْيَـضَ شَطُّـهُ مُتَهَدِّلُ

حَتَّـى تَفَـرَّقَ ذَلِكَ الجَمْعُ الأُلَى عَصَفَـتْ بِهِمْ رِيحُ الجِلاَدِ فَزُلْزِلُوا

ثُمَّ اسْتَمَلْتَهُـمُ بِأَنْعُمِـكَ الَّتِـي خَضَعُـوا لِعِزِّكَ بَعْدَهَا وَتَذَلَّلُوا

وَنَزَعْـتَ مِنْ أَهْـلِ الجَرِيـدِ غَوَايَةً كَانَـتْ بِهِـمْ أَبَدًا تَجِدُّ وَتَهْزِلُ

خَرَّبْـتَ مِـنْ بُنْيَانِهَـا مَا شَيَّدُوا وَقَطَعْتَ مِـنْ أَسْبَابِهَا مَا أَصَّلُـوا

وَنَظمـتَ مِـن أَمْصَـارِهِ وَثُغُورِهِ لِلْمُلْـكِ عِقْـدًا بِالفُتُـوحِ يُفَصَّلُ

فَسَـدَدْتَ مُطَّلَعَ النِّفَاقِ وَأَنْتَ لاَ تَنْبُـو ظُبَـاكَ وَلاَ العَزِيمَةُ تَنْكُلُ

بِشَكِيمَـةٍ مَرْهُوبَـةٍ وَسِيَاسَـةٍ تَجْـرِي كَمَا يَجْرِي فُرَاتٌ سَلْسَلُ

عَـذُبَ الزَّمَـانُ لَهَا وَلَذَّ مَذَاقُهُ مِنْ بَعْـدِ مَا قَدْ مَرَّ مِنْهُ الحَنْظَـلُ

فَضَـوَى الأَنَامُ لِعِزِّ أَرْوَعَ مَالِكٍ سَهْـلِ الخَلِيقَـةِ مَاجِدٌ مُتَفَضِّـلُ

وَتَطَابَقَتْ فِيكَ القُلُوبُ عَلَى الرِّضَى سِيَّـانَ مِنْهَـا الطِّفْـلُ وَالمُتَكَهِّلُ

يَـا مَالِكًـا وَسِـعَ الزَّمَـانَ وَأَهْلَهُ دَعَـةً وَأَمْنًـا فَوْقَ مَا قَدْ أَمَّلُـوا

فَالأَرْضُ لاَ يُخْشَى بِهَا غُولٌ وَلاَ يَعْـدُو بِسَاحَتِهَا الهِزَبْـرُ المُشْبِلُ

وَالسَّفْـرُ يَجْتَابُـونَ كُلَّ تَنُوفَـةٍ سِرْبَ القَطَا مَا رَاعَهُنَّ الأَجْـدَلُ[13]

سُبْحَـانَ مَنْ بِعُلاَكَ قَدْ أَحْيَا المُنَى وَأَعَادَ حَلْيَ الجِيـدِ وَهْوَ مُعَطَّلُ

---

(13) التنوفة: القفر من الأرض لا ماء فيه. الأجدل: الصقر.

سُبْحَانَ مَنْ بِهُدَاكَ أَوْضَحَ لِلْوَرَى ... قَصْــدَ السَّبِيــلِ فَأَبْصَرَ المُتَأَمِّلُ

فَكَأَنَّمَــا الدُّنْيَــا عَرُوسٌ تُجْتَلَى ... فَتَمِيــسُ فِــي حُلَلِ الجَمَالِ وَتَرْفُلُ

وَكَأَنَّ مُطْبَقَــةَ البِــلاَدِ بِعَدْلِــهِ ... عَادَتْ فَسِيحًــا لَيْسَ فِيهِ مَجْهَلُ

وَكَــأَنَّ أَنْوَارَ الكَوَاكِبِ ضُوعِفَتْ ... مِنْ نُــورِ غُرَّتِهِ الَّتِي هِيَ أَجْمَلُ

وَكَأَنَّمَا رُفِــعَ الحِجَـابُ لِنَاظِرٍ ... فَــرَأَى الحَقِيقَةَ فِي الَّذِي يَتَخَيَّـــلُ

وَمِنْهَا فِي العُذْرِ عَنْ مَدْحِهِ :

مَــوْلاَيَ غَاضَــتْ فِكْرَتِي وَتَبَلَّدَتْ ... مِنِّــي الطِّبَــاعُ فَكُـلُّ شَــيْءٍ مُشْكِلُ

تَسْمُــو إِلَى دَرْكِ الحَقَائِقِ هِمَّتِي ... فَأُصَــدُّ عَــنْ إِدْرَاكِهِــنَّ وَأُعْــزَلُ

وَأَجِــدُّ لَيْلِي فِي امْتِرَاءِ قَرِيحَتِي ... وَتَعُــودُ غَــوْرًا بَيْنَمَا تَسْتَرْسِلُ[14]

فَأَبِيــتُ يَعْتَلِــجُ الكَـلاَمُ بِخَاطِرِي ... وَالنَّظْــمُ يَشْــرُدُ وَالقَوَافِــي تُجْفِلُ

مِــنْ بَعْــدِ حَوْلٍ أَنْتَقِيهِ وَلَمْ يَكُنْ ... فِــي الشِّعْــرِ حَوْلِــيٌّ يُعَابُ وَيُهْمَلُ

فَأَصُــونُهُ عَنْ أَهْلِــهِ مُتَوَارِيًــا ... أَنْ لاَ يَضُمَّهُــمُ وَشِعْرِيَ مَحْفِلُ

وَهْــيَ البِضَاعَةُ فِي القَبُـولِ نَفَاقُـهَا ... سِيَّــانَ فِيهَــا الفَحْلُ وَالمُتَطَفِّـلُ

وَبَنَــاتُ فِكْـرِي إِنْ أَتَتْكَ كَلِيلَةً ... مَرْهَاءَ تَخْطِرُ فِي القُصُورِ وَتَخْطِلُ[15]

فَلَهَــا الفَخَــارُ إِذَا مَنَحْتَ قَبُولَهَا ... وَأَنَــا عَلَــى ذَاكَ البَلِيــغُ المِقْـوَلُ

---

(14) امتراء القريحة: استدرارها. يشير إلى ما عرف عن زهير بن أبي سلمى الشاعر، من أنَّه عمل سبع قصائد في سبع سنين، فكانت تسمى حوليات زهير، لأنَّه كان يحوك القصيدة في سنة.

(15) مرهاء: غير مكتحلة العينين.

ومنها في ذكر الكتاب المؤلّف لخزانته وهو كتاب "العبر" :

وَإِلَيْـكَ مِنْ سِيَـر الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ... عِبَـرًا يَدِيـنُ بِفَضْلِهَـا مَنْ يَعْدِلُ

صُحُفًـا تُتَرْجِمُ عَنْ أَحَادِيث الأُلَى ... غَبَـرُوا فَتُجْمِـلُ عَنْهُـمُ وَتُفَصِّلُ

تُبْـدِي التَّبَابِعُ وَالعَمَالِقُ سِرَّهَـا ... وَثَمُـودُ قَبْلَهُـمُ وَعَـادُ الأَوَّلُ

وَالقَائِمُـونَ بِمِلَّـةِ الإِسْـلاَمِ مِنْ ... مُضَـرٍ وَبَرْبَرِهِمْ إِذَا مَا حُصِّلُوا

لَخَّصْـتُ كُتْـبَ الأَوَّلِينَ لِجَمْعِهَا ... وَأَتَيْـتُ أَوَّلَهَا بِمَا قَدْ أَغْفَلُوا

وَأَلَنْـتُ حُوشِـيَّ الكَـلاَمِ كَأَنَّمَـا ... شُـرُدُ اللُّغَـاتِ بِهَا لِنُطْقِيَ ذُلَّلُ

أَهْدَيْـتُ مِنْهُ إِلَى عُـلاَكَ جَوَاهِرًا ... مَكْنُونَـةً وَكَوَاكِبًـا لاَ تَأْفُـلُ

وَجَعَلْتُهُ لِصِـوَانِ مُلْكِكَ مَفْخَـرًا ... يَبْأَى النَّدِيُّ بِهِ وَيَزْهُو المَحْفِلُ[16]

وَاللَّهِ مَـا أَسْرَفْـتُ فِيمَا قُلْتُـهُ ... شَيْئًـا وَلاَ الإِسْـرَافُ مِمَّا يَجْمُلُ

وَلَأَنْـتَ أَرْسَـخُ فِي المَعَارِفِ رُتْبَةً ... مِنْ أَنْ يُمَـوَّهَ عِنْدَهُ مُتَطَفِّـلُ

فَمِلاَكُ كُـلِّ فَضِيلَـةٍ وَحَقِيقَـةٍ ... بِيَدَيْكَ تَعْـرِفُ وَضْعَهَا إِنْ بَدَّلُوا

وَالحَـقُّ عِنْدَكَ فِي الأُمُورِ مُقَـدَّمٌ ... أَبَدًا فَمَـاذَا يَدَّعِيـهِ المُبْطِـلُ

وَاللَّـهُ أَعْطَـاكَ الَّتِي لاَ فَوْقَهَـا ... فَاحْكُمْ بِمَا تَرْضَى فَأَنْتَ الأَعْدَلُ

أَبْقَـاكَ رَبُّـكَ لِلعِبَـادِ تَرُبُّهُـم ... فَاللَّـهُ يَخْلُقُهُـمْ وَرَعْيُكَ يَكْفُـلُ

المصدر : التّعريف: ص 233 ـ 240 والإحاطة: (انظر مؤلفات ابن خلدون: ص 315).

(16) يبأى: يفخر.

8 ـ لا تضعني

قصيدة أنشدها بمصر للأمير الجوباني الطنبغا بركة بن عبد الله زين الدين، كان يحب العلماء، وله مآثر خيرية بمكة والحرم. قتل سنة 872 هـ.

(الخفيف)

سَيِّـدِي وَالظُّنُونُ فِيـكَ جَمِيـلَـه ... وَأَيَادِيـكَ بِالأَمَانِـي كَفِيلَـه

لاَ تَحُـل عَنْ جَمِيـلِ رَأْيِـكَ إِنِّي ... مَالِـيَ اليَوْمَ غَيْـرُ رَأْيِكَ حِيلَـه

وَاصْطَنَـعـنِي كَمَا اصْطَنَعْتَ بِإِسْدَا ... ءِ يَـدٍ مِنْ شَفَاعَـةٍ أَوْ وَسِيلَـه

لاَ تُضِعْنِـي فَلَسْتُ مِنْكَ مُضِيعًا ... ذِمَّـةَ الحُـبِّ، وَالأَيَـادِي الجَمِيلَه

وَأَجِرْنِـي فَالخَطْـبُ عَضٌّ بِنَابَيْـ ... ـهِ وَأَجْـرَى إِلَى حِمَـايَ خُيُولَـه

وَلَوَ أَنِّي دَعَـا بِنَصْـرِيَ دَاعٍ ... كُنْـتَ لِـي خَيْرَ مَعْشَرٍ وَفَصِيلَه

أَنه أَمْـرِي إِلَـى الَّذِي جَعَلَ اللَّـ ... ـهُ أُمُورَ الدُّنْيَـا لَـهُ مَكْفُولَـه

وَأَرَاهُ فِـي مُلْكِـهِ الآيَةَ الكُبْـ ... ـرَى فَـوَلاَّهُ ثُـمَّ كَـانَ مُدِيلَـه

أَشْهَدَتْهُ عِنَايَةُ اللَّهِ فِي التَّمْـ ... ـحِيـصِ أَنْ كَانَ عَوْنَهُ وَمُنِيلَـه

العَزِيزُ السُّلْطَـان وَالمَلِكُ الظَّـا ... هِرُ فَخْـرُ الدُّنْيَـا وَعِزُّ القَبِيلَـه

وَمُجِيرُ الإِسْـلاَمِ مِنْ كُلِّ خَطْـبٍ ... كَـادَ زِلْزَالُ بَأْسِـهِ أَنْ يُزِيلَـه

وَمُدِيـلُ العَـدُوِّ بِالطَّعْنَةِ النَّجْلاَ ... ءِ تُفَـرِّي مَاذِيَّـهُ وَنُصُولَـه[1]

وَشَكُـورٌ لأَنْعُـمِ اللَّهِ يُفْنِـي ... فِـي رِضَـاهُ غُـدُوَّه وَأَصِيلَه

وَتَلَطَّفْ فِي وَصْفِ حَالِي وَشَكْوَى ... خَلَّتِـي يَا صَفِيَّـه وَخَلِيلَـه[2]

---

(1) الطعنة النجلاء: الواسعة العريضة. تفري : تشقّ. الماذي (بالمعجمة): كل سلاح من حديد. النصول جمع نصل، وهو حديدة السهم.

(2) الخلّة: (بالفتح): الحاجة، والفقر.

قُلْ لَـــهُ وَالْمَقَالُ يَكْرُمُ مِـنْ مِثْـ لِكَ فِي مَحْفِلِ العُلَا أَنْ يَقُولَه

يَا خَوَنْـــدَ الْمُلُوكِ يَـــا مُعَـدِّلَ الدَّ هْـرِ إِذَا عَدَّلَ الزَّمَانُ فُصُولَه

لَا تُقَصِّرْ فِي جَبْرِ كَسْرِي فَمَا زِلْتُ أُرَجِّيـكَ لِلأَيَـــادِي الطَّوِيلَــــه

أَنَـــا جَـــــارٌ لَكُمْ مَنَعْتُمْ حِمَاهُ وَنَهَجْتُـــمْ إِلَى الْمَعَالِــــي سَبِيلَـه

وَغَرِيبٌ أَنِسْتُمُوهُ عَلَى الوَحْـــ شَةِ وَالحُـزْنِ بِالرِّضَى وَالسُّهُولَـه

وَجَمَعْتُـــمْ مِنْ شَمْلِهِ فَقَضَى اللَّـــ هُ فِرَاقًا وَمَـا قَضَــى مَأْمُولَـه

غَالَهُ الدَّهْـــرُ فِي البَنِينِ وَفِي الأَهْـ لِ وَمَـا كَــانَ ظَنُّـهُ أَنْ يَغُولَه

وَرَمَتْــــهُ النَّوَى فَقِيدًا قَدْ اجْتَـــا حَـتْ عَلَيْـهِ فُـرُوعَـــهُ وَأُصُولَـه

فَجَذَبْتُـــمْ بِضَبْعِـــــهِ وَأَنَلْتُـــمْ كُـلَّ مَا شَاءَتِ العُلَا أَنْ تُنِيلَـه[3]

وَرَفَعْتُمْ مِنْ قَدْرِهِ قَبْلَ أَنْ يَشْـــ ـكُو إِلَيْكُـمْ عَيَــاءَهُ وَخُمُولَـــه

وَفَرَضْتُـــمْ لَــهُ حَقِيقَـــــةَ وُدٍّ حَـــاشَ لِلَّـــهِ أَنْ تُرَى مُسْتَحِيلَه

هِمَّـــةٌ مَا عَرَفْتُهَـــــا لِسِوَاكُمْ وَأَنَـــا مَنْ خَبَرْتُ دَهْـرِي وَجِيلَه

وَالعِـــدَى نَمَّقُـــوا أَحَادِيـثَ إِفْكٍ كُلُّهَـــا فِــي طَرَائِـــقَ مَعْلُولَه

رَوَّجُـــوا فِـــي شَأْنِي غَرَائِبَ زُورٍ نَصَبُـوهَـا لِأَمْرِهِـــمْ أُحْبُولَـه

وَرَمَــوْا بِالَّذِي أَرَادُوا مِنَ البُهْــــ ـتَـانِ ظَنًّـا بِأَنَّهَـا مَقْبُولَـه

زَعَمُـــوا أَنَّنِي أَتَيْـــتُ مِنْ الأَقْوَا لِ مَا لَا يُظَــنُّ بِي أَنْ أَقُولَـه

كَيْـــفَ لِي أَغْمَطُ الحُقُـــوقَ وَأَنَّى شُكْرُ نَعْمَاكُـمْ عَلَيَّ الجَزِيلَـــه؟

كَيْفَ لِي أُنْكِرُ الأَيَادِي الَّتِي تَعْرِ فُهَـا الشَّمْـسُ وَالظِّلَالُ الظَّلِيلَـــه؟

إِنْ يَكُنْ ذَا فَقَـدْ بَرِئْــتُ مِـــنَ الـــلَّــهِ تَعَالَى وَخُنْـتُ جَهْرًا رَسُولَـه

---

(3) الضبع: العضد.

طَوَّقُونَا أَمْرَ الكِتَابِ فَكَانَتْ ... لِقِدَاحِ الظُّنُونِ فِينَا مُجِيلَه

لاَ. وَرَبِّ الكِتَابِ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِ مَنْ وَعَى تَنْزِيله

مَا رَضِينَا بِذَاكَ فِعْلاً ولاَ جِئْنَاهُ طَوْعًا وَلاَ اقْتَفَيْنَا دَلِيلَه

إِنَّمَا سَامَنَا الكِتَابَ ظَلُومٌ ... لاَ يُرَجَّى دِفَاعُهُ بِالحِيلَه

سَخَطٌ نَاجِزٌ وَحِلْمٌ بَطِيءٌ ... وَسِلاَحٌ لِلْوَخْزِ فِينَا صَقِيلَه

وَدَعُونِي وَلَسْتُ مِنْ مَنْصِبِ الحُكْمِ ولاَ سَاحِبًا لَدَيْهِم ذُيُولَه

غَيْرَ أَنِّي وشَى بِذِكْرِيَ وَاشٍ ... يَتَقَصَّى أَوْتَارَهُ وَذُحُولَه[4]

فَكَتَبْنَا مُعَوِّلِينَ عَلَى حِلْـ ... ـمِكَ تَمْحُو الإِصَارَ عَنَّا الثَّقِيلَه

مَا أَشَرْنَا بِهِ لِزَيْدٍ وَلاَ عَمْـ ... ـرٍو وَلاَ عَيَّنُوا لَنَا تَفْصِيلَه

إِنَّمَا يَذْكُرُونَ عَمَّنْ وَفِيمَنْ ... مُبْهَمَاتٍ أَحْكَامُهَا مَنْقُولَه

وَيَظُنُّونَ أَنَّ ذَاكَ عَلَى مَا ... أَضْمَرُوا مِنْ شَنَاعَةٍ أَوْ رَذِيلَه

وَهْوَ ظَنٌّ عَنِ الصَّوَابِ بَعِيدٌ ... وَظَلاَمٌ لَمْ يُحْسِنُوا تَأْوِيلَه

وَجَنَابُ السُّلْطَانِ نَزَّهَهُ اللَّـ ... ـهُ عَنِ العَابِ بِالهُدَى وَالفَضِيلَه[5]

وَأَجَلُّ المُلُوكِ قَدْرًا صَفُوحٌ ... يَرْتَجِي ذَنْبَ دَهْرِهِ لِيُنِيلَه

فَاقْبَلُوا العُذْرَ إِنَّنَا اليَوْمَ نَرْجُو ... بِحَيَاةِ السُّلْطَانِ مِنْكُم قَبُولَه

وَأَعِينُوا عَلَى الزَّمَانِ غَرِيبًا ... يَشْتَكِي جَدْبَ عَيْشِهِ وَمُحُولَه

جَارُكُمْ ضَيْفُكُمْ نَزِيلُ حِمَاكُمْ ... لاَ يُضِيعُ الكَرِيمُ يَوْمًا نَزِيله

جَدِّدُوا عِنْدَهُ رُسُومَ رِضَاكُمْ ... فَرُسُومُ الكِرَامِ غَيْرُ مُحِيلَه

دَارِكُوهُ بِرَحْمَةٍ فَلَقَدْ أَمْـ ... ـسَتْ عُقُودُ اصْطِبَارِهُ مَحْلُولَه

---

(4) الذحولة: ج نحل: العداوة، والوقر: العداوة أيضا.

(5) العاب: العيب.

وَانْحَلُـــوهُ جَبْـــراً فَلَيْـــسَ يُرَجِّي غَيْـــرَ إِحْسَانِكُـــمْ لِهَذِي النَّحِيلَه

يَا حَمِيـدَ الآثَارِ فِي الدَّهْرِ يَـا أَلطُنْبُغَـــا يَا رَوْضَ العُلاَ وَمَقِيلَه

كَيْـــفَ بِالخَانِقَاه ينقـــلُ عَنِّـي لاَ لِذَنْـــبٍ أَوْ جُنْحَـــةٍ مَنْقُولَه

بَلْ تَقَلَّدْتُهَـــا شَغُـــوراً بِمَرْسُو مٍ شَرِيـــفٍ وَخِلْعَـــةٍ مَسْدُولَه

وَلَقَــدْ كُنْـــتُ آمِـــلاً لِسِوَاهَا وَسِوَاهَـــا بِوَعْـــدِهِ أَنْ يُنِيلَـــه

وَتَوَثَّقْـــتُ لِلزَّمَـــانِ عَلَيْهَـــا بِعُقُـــودٍ مَا خِلْتُهَا مَحْلُولَـــه

أَبْلِغَــنْ قِصَّتِي فَمِثْلُكَ مَنْ يَقْـ صِدُ فِعْلَ الحُسْنَى بِمَنْ يَنْتَمِي لَه

وَاغْنَمُـــوا مِنْ مَثُوبَتِي وَدُعَائِـي قُرْبَـــةً عِنْـــدَ رَبِّكُمْ مَقْبُولَـــه

وَاصْحَـبِ العِزَّ ظَافِراً بِالأَمَانِي وَاتْـــرُكْ العُصْبَـــةَ العِدَى مَفْلُولَه

وَاعْتَمِـلْ فِي سَعَادَةِ المَلِكِ الظَّا هِـــرِ أَن تَمْحُو الأَذَى وَتُزِيلَـــه

وَتُعِيدَ الدُّنْيَـــا لِأَحْسَنِ شَمْـلٍ حِـــينَ تُضْحِي بِسَعْدِهِ مَشْمُولَه

وَاطْلُبِ النَّصْرَ مِنْ سَعَادَتِهِ يَصْـ حَبْـكَ دَأْبًا فِي الظَّعْنِ وَالحَيْلُولَه

وَارْتَقِـبْ مَـــا يُحِلُّـــهُ بِالأَعَادِي فِـــي جُمَادَى أَوْ زِدْ عَلَيْهِ قَلِيلَه

وَخُـــذُوهُ فَـــأْلاً بِحُسْـــنِ قَبُولٍ صَـــدَّقَ اللَّهُ فِي الزَّمَـــانِ مَقُولَه

فَلَقَدْ كَانَ يَحْسُنُ الفَالُ عِنْدَ المُصْـ طَفَـــى دَائِمًـــا وَيَرْضَـــى جَمِيلَه

المصدر: التعريف:ص 331 ـ 335.

11 ـ مولدية

قصيدة مولدية أُنشدها لسلطان غرناطة محمد الخامس:

(الطويل)

أَبَى الطَّيْفُ أَنْ يَعْتَادَ إِلاَّ تَوَهُّمَا فَمَنْ لِي بِأَنْ أَلْقَى الخَيَالَ المُسَلِّمَا
وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَهْدِيهِ لَوْ كَانَ نَافِعِي وَأَسْتَمْطِرُ الأَجْفَانَ لَوْ تَنْقَعُ الظَّمَا
وَلَكِنْ خَيَالٌ كَاذِبٌ وَطَمَاعَةٌ تُعَلِّلُ قَلْبًا بِالأَمَانِي مُتَيَّمَا
أَيَا صَاحِبَيْ نَجْوَايَ وَالحُبُّ لَوْعَةٌ تُبِيحُ بِشَكْوَاهَا الضَّمِيرَ المُكَتَّمَا
خُذَا لِفُؤَادِي العَهْدَ مِنْ نَفَسِ الصَّبَا وَظَبْيِ النَّقَا وَالبَانِ مِنْ أَجْرَعِ الحِمَى[1]
أَلاَ صَنَعَ الشَّوْقُ الَّذِي هُوَ صَانِعٌ فَحُبِّي مُقِيمٌ أَقْصَرَ الشَّوْقُ أَوْ سَمَا
وَإِنِّي لَيَدْعُونِي السُّلُوُّ تَعَلُّلاً وَتَنْهَانِيَ الأَشْجَانُ أَنْ أَتَقَدَّمَا
لِمَنْ دِمَنٌ أَقْفَرْنَ إِلاَّ هَوَاتِفًا[2] تُرَدِّدُ فِي أَطْلاَلِهِنَّ التَّرَنُّمَا
عَرَفْتُ بِهَاسِيمَا الهَوَى وَتَنَكَّرَتْ فَعُجْتُ عَلَى آيَاتِهَا مُتَوَسِّمَا
وَذُو الشَّوْقِ يَعْتَادُ الرُّبُوعَ دَوَارِسًا وَيَعْرِفُ آثَارَ الدِّيَارِ تَوَهُّمَا
تَأَوَّبَنِي وَاللَّيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَمِيضٌ بِأَطْرَافِ الثَّنَايَا تَضَرَّمَا
أَجَدَّ لِيَ العَهْدَ القَدِيمَ كَأَنَّهُ أَشَارَ بِتِذْكَارِ العُهُودِ فَأَفْهَمَا
عَجِبْتُ لِمُرْتَاعِ الجَوَانِحِ خَافِقٍ بَكَيْتُ لَهُ خَلْفَ الدُّجَى وَتَبَسَّمَا
وَبِتُّ أُرَوِّيهِ كُؤُوسَ مَدَامِعِي وَبَاتَ يُعَاطِينِي الحَدِيثَ عَنِ الحِمَى
وَصَافَحْتُهُ عَنْ رَسْمِ دَارٍ بِذِي الغَضَى[3] لَبِسْتُ بِهَا ثَوْبَ الشَّبِيبَةِ مُعْلَمَا

---

(1) النقا: الكثيب من الرمل.
الأجرع: الأرض الرملة السهلة المستوية .
(2) الهواتف: يعني الحمائم .
(3) الغضى: شجر صلب الخشب .

لَعَهْـدِي بِهَا تُدْنِــي الظِّبَاء أَوَانِسًا وَتُطْلِــعُ فِي آفَاقِهَــا الغِيد أَنْجُما

أَحِنُّ إِلَيْهَــا حَيْثُ سَارَ بِيَ الهَوَى وَأَنْجَــدَ رَحْلِي فِي البِلاَدِ وَأَتْهَمَا[4]

المصدر: التّعريف: ص 89 ـ 90.

12 ـ مولدية ثانية

قصيدة مولدية أُنشدها لسلطان غرناطة محمد الخامس أبا عبد اللّهِ بن الحجاج لأول قدومه ليلة الميلاد عام 764:

(البسيط)

حَيِّ المَعَاهِـدَ كَانَتْ قَبْلُ تُحْيِينِي بِوَاكِفِ الدَّمْـعِ يرْوِيهَــا وَيُظْمِينِــي

إِنَّ الأُلَــى نَزَحَتْ دَارِي وَدَارُهُمُ تَحَمَّلُــوا القَلْبَ فِي آثَارِهِمْ دُونِــي

وَقَفْتُ أُنْشُــد صَبْرًا ضَاعَ بَعْدَهُمُ فِيهِمْ وَأَسْــأَلُ رَسْمًــا لاَ يُنَاجِينِــي

أُمَثِّــلُ الرَّبْــعَ مِنْ شَــوْقٍ فَأَلْثِمُهُ وَكَيْــفَ وَالفِكْــرُ يُدْنِيــهِ وَيُقْصِينِي

وَيَنْهَبُ الوَجْــدُ مِنِّي كُــلَّ لُؤْلُؤَةٍ مَا زَالَ قَلْبِــي عَلَيْهَــا غَيْرَ مَأْمُون

سَقَــتْ جُفُونِي مَغَانِي الرَّبْعِ بَعْدَهُمُ فَالدَّمْعُ وَقْــفٌ عَلَى أَطْلاَلِه الجُونِ[1]

قَدْ كَانَ لِلْقَلْبِ عَنْ دَاعِي الهَوَى شُغُلٌ لَوْ أَنَّ قَلْبِــي إِلَى السُّلْوَانِ يَدْعُونِي

أَحْبَابَنَــا هَلْ لِعَهْدِ الوَصْلِ مُدَّكَـرٌ مِنْكُــمْ وَهَلْ نَسْمَةٌ عَنْكُمْ تُحَيِّينِي

مَالِــي وَلِلطَّيْــفِ لاَ يَعْتَــادُ زَائِرُهُ وَلِلنَّسِيــمِ عَلِيــلاً لاَ يُدَاوِينِــي

يَــا أَهْــلَ نَجْدٍ وَمَا نَجْدٌ وَسَاكِنُهَا حُسْنًا سِوَى جَنَّــة الفِرْدَوْسِ وَالعِينِ[2]

أَعِنْدَكُــمْ أَنَّنِــي مَــا مَرَّ ذِكْرُكُمُ إِلاَّ انْثَنَيتُ كَــأَنَّ الــرَّاحَ تَثْنِينِي

---

(4) أتهم وأنجد: دخل تهامة ونجدا

(1) الجون: السّود.

(2) العين: ج عيناء: الواسعة العين من النّساء.

أَصْبُو إِلَى البَرْقِ مِنْ أَنْحَاءِ أَرْضِكُمُ شَوْقًا وَلَوْلاَكُمُ مَا كَانَ يُصْبِينِي
يَا نَازِحًا وَالمُنَى تُدْنِيهِ مِنْ خَلَدِي حَتَّى لَأَحْسبُهُ قُرْبًا يُنَاجِينِي
أَسْلَى هَوَاكَ فُؤَادِي عَنْ سِوَاكَ وَمَا سِوَاكَ يَوْمًا بِحَالٍ عَنْكَ يُسْلِينِي
تَرَى اللَّيَالِيَ أَنْسَتْكَ ادِّكَارِيَ يَا مَنْ لَمْ تَكُنْ ذِكْرُهُ الأَيَّامُ تُنْسِينِي

وَمِنْهَا:

أَبَعْدَ مَرِّ الثَّلاَثِينَ الَّتِي ذَهَبَتْ أُولِي الشَّبَاب بِإِحْسَانِي وَتَحْسِينِي
أَضَعْتُ فِيهَا نَفِيسًا مَا وردت بِهِ إِلاَّ سَرَابَ غُرُورٍ لاَ يُرَوِّينِي
وَاحَسْرَتِي مِنْ أَمَانٍ كُلُّهَا خُدَعٌ تَرِيشُ غَيِّي وَمَرُّ الدَّهْرِ يَبْرِينِي

ومنها في وصف الإيوان الذي بناه لجلوسه بين قصوره والمصنع يعني القصر:

يَا مَصْنَعًا شَيَّدَتْ مِنْهُ السُّعُود حِمًى لاَ يَطْرُقُ الدَّهْرُ مَبْنَاهُ بِتَوْهِينِ
صَرْحٌ يحَارُ لَدَيْهِ الطَّرْفُ مُفْتَتِنًا فِيمَا يَرُوقُكَ مِنْ شَكْلٍ وَتَلْوِينِ
بُعْدًا لِإِيوَانِ كِسْرَى إِنَّ مَشْوَرَكَ[3] السَّـ ـامِي لأَعْظَمُ مِنْ تِلْكَ الأَوَاوِينِ
وَدَعْ دِمَشْقَ وَمَغْنَاهَا فَقَصْرُكَ ذَا "أَشْهَى إِلَى القَلْبِ مِنْ أَبْوَابِ جَيْرُونِ"[4]

ومنها في التعريض بالوزير عمر بن عبد الله وما عامله به من الوحشة:

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّيَ الصَّحْبَ الأُلَى تَرَكُوا وُدِّي وَضَاعَ حِمَاهُمْ إِذْ أَضَاعُونِي
أَنِّي أَوَيْتُ مِنْ العَلْيَا إِلَى حَرَمٍ كَادَتْ مَغَانِيهِ بِالبُشْرَى تُحَيِّينِي

---

(3) هو المكان الذي يجلس فيه السلطان للحكم.

(4) هو الإيوان الذي كان بمدائن كسرى. وللبحتري فيه القصيدة السينية المشهورة.

المشور في الاصطلاح المغربي والأندلسي: المكان الذي يجلس فيه السلطان فمن دونه من الحكام للحكم. ولا تزال الكلمة مستعملة في هذا المعنى بالمغرب. وجيرون: موضع من منتزهات دمشق أكثر الشعراء من ذكره.

وَأَنَّنِــي ظَاعِنًــا لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُــمِ دَهْرًا أُشَاكِي وَلاَ خَصْمًا يُشَاكِينِي

لاَ كَالَّتِي أَخْفَرَتْ عَهْدِي لَيَالِيَ إِذْ أُقَلِّبُ الطَّرف بَيْنَ الخَوْفِ وَالهُونِ

* * *

سَقْيًا وَرَعْيًا لِأَيَّامِي الَّتِى ظَفِرَتْ يَدَايَ مِنْهَــا بِحَظٍّ غَيْر مَغْبُونِ

أَرْتَادُ مِنْهَا مَلِيًّــا لاَ يُمَاطِلُنِي وَعْدًا وَأَرْجُو كَرِيمًــا لاَ يُعَنِّينِــي

وَمِنْهَا:

وَهَاكَ مِنْهَــا قَوَافٍ طيُّــهَــاحِكَمٌ مِثْل الأَزَاهِــرِ فِي طَيٍّ الرَّيَاحِينِ

تَلُوحُ إِنْ جُلِيتَ دُرًا وَإِنْ تُلِيَتْ تُثْنِــي عَلَيْــكَ بِأَنْفَاسِ البَسَاتِينِ

عَانَيْتُ مِنْهَا بِجُهْدِي كُلَّ شَــارِدَةٍ لَوْلاَ سُعُودُكَ مَا كَادَتْ تُوَاتِينِي

يُمَانِعُ الفِكْرَ عَنْهَا مَا تَقَسَّمَهُ مِنْ كُلِّ حُزْنٍ بِطَيِّ الصَّدْرِ مَكْنُونِ

لَكِنْ بِسَعْدِكَ ذَلَّتْ لِي شَوَارِدهَا فَرُضْتُ مِنْهَــا بِتَحْبير وَتَزْيِينِ

بُقِّيتَ دَهْرَكَ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَةٍ وَدَامَ مُلْكُكَ فِي نَصْرٍ وَتَمْكِينِ

المصدر: التّعريف: ص 85ـ 88 والإحاطة: انظر مؤلفات ابن خلدون ص 315ـ317.

1 ـ في أن الملك والدّولة العامة إنّما يحصلان بالقبيل والعصبية

وذلك أنّا قرّرنا في الفصل الأوّل أنّ المغالبة والممانعة إنّما تكون بالعصبيّة لما فيها من النّعرة والتّذامر واستماتة كلّ واحد منهم دون صاحبه. ثمّ إنّ الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدّنيويّة والشّهوات البدنيّة والملاذّ النّفسانيّة فيقع فيه التّنافس غالبا وقلّ أن يسلّمه أحد لصاحبه إلاّ إذا غلب عليه، فتقع المنازعة وتفضي إلى الحرب والقتال والمغالبة وشيء منها لا يقع إلاّ بالعصبيّة كما ذكرناه آنفا وهذا الأمر بعيد عن أفهام الجمهور بالجملة ومتناسون له لأنهم نسوا عهد تمهيد الدّولة منذ أوّلها وطال أمد مرباهم في الحضارة وتعاقبهم فيها جيلا بعد جيل فلا يعرفون ما فعل اللّه أوّل الدّولة إنما يدركون أصحاب الدّولة وقد استحكمت صبغتهم ووقع التّسليم لهم والاستغناء عن العصبيّة في تمهيد أمرهم ولا يعرفون كيف كان الأمر من أوّله وما لقي أولهم من المتاعب دونه وخصوصا أهل الأندلس في نسيان هذه العصبيّة وأثرها لطول الأمد واستغنائهم في الغالب عن قوّة العصبيّة بما تلاشى وطنهم وخلا من العصائب واللّه قادر على ما يشاء وهو بكلّ شيء عليم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المصدر: المقدّمة: ص 170 (ط: دار الجيل اللبنانية).

2 ـ في العمران البشري على الجملة وفيه مقدّمات

الأولى في أنّ الاجتماع الإنسانيّ ضروريّ ويعبّر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدنيّ بالطبع أي لا بدّ له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران وبيانه أنّ اللّه سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصحّ حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركّب فيه من القدرة على تحصيله إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادّة حياته منه ولو فرضنا منه أقلّ ما يمكن فرضُه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا، فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطّحن والعجن والطّبخ وكلّ واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين وآلات لا تتمّ إلا بصناعات متعدّدة من حدّاد ونجّار وفاخوريّ وهب أنّه يأكله حبّا من غير علاج فهو أيضا يحتاج في تحصيله أيضا حبّا إلى أعمال أخرى أكثر من هذه من الزّراعة والحصاد والدّراس الذي يخرج الحبّ من غلاف السّنبل ويحتاج كلّ واحد من هذه آلات متعدّدة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير ويستحيل أن تفي بذلك كلّه أو ببعضه قدرة الواحد فلا بدّ من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتّعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف وكذلك يحتاج كلّ واحد منهم أيضا في الدّفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه لأنّ اللّه سبحانه لمّا ركّب الطّباع في الحيوانات كلّها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكمل من حظّ الإنسان فقدرة الفرس مثلا أعظم بكثير من قدرة الإنسان وكذا قدرة الحمار والثّور وقدرة الأسد والفيل أضعاف من قدرته. ولمّا كان العدوان طبيعيّا في الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختصّ بمدافعته ما يصل إليه من عادية غيره وجعل للإنسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهيّأة للصّنائع بخدمة الفكر والصّنائع تحصّل له الآلات الّتي تنوب له عن الجوارح المعدّة في سائر الحيوانات للدّفاع مثل الرّماح التي تنوب عن القرون النّاطحة والسّيوف

النّائبة عن المخالب الجارحة والتّراس النائبة عن البشرات الجاسية إلى غير ذلك وغيره ممّا ذكره جالينوس في كتاب منافع الأعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيّما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفي قدرته أيضا باستعمال الآلات المعدّة لها فلا بدّ في ذلك كلّه من التّعاون عليه بأبناء جنسه وما لم يكن هذا التّعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتمّ حياته لما ركّبه اللّه تعالى عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له أيضا دفاع عن نفسه لفقدان السّلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر. وإذا كان التّعاون حصل له القوت للغذاء والسّلاح للمدافعة وتمّت حكمة اللّه في بقائه وحفظ نوعه فإذن هذا الاجتماع ضروريّ للنّوع الإنسانيّ وإلاّ لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إيّاهم وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم. وفي هذا نوع إثباتٍ للموضوع في فنّه الذي هو موضوع له، وهذا وإن لم يكن واجبا على صاحب الفنّ لما تقرّر في الصّناعة المنطقية أنه ليس على صاحب علم إثبات الموضوع في ذلك العلم فليس أيضا من الممنوعات عندهم فيكون إثباته من التبرّعات واللّه الموفّق بفضله. ثمّ إنّ هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قرّرناه وتمّ عمران العالم بهم فلا بدّ من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانيّة من العدوان والظّلم وليست السّلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لأنّها موجودة لجميعهم. فلا بدّ من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك. وقد تبيّن لك بهذا أنّ للإنسان خاصّة طبيعيّة ولا بدّ لهم منها وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كما في النّحل والجراد لما استقرىء فيها من الحكم والانقياد والاتّباع لرئيس من أشخاصها متميّز عنهم في خلقه وجثمانه إلاّ أنّ ذلك موجود لغير الإنسان بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسّياسة أعطى كلّ شيء

خلقه ثمّ هدى وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث يحاولون إثبات النبوّة بالدّليل العقلي وأنّها خاصّة طبيعيّة للإنسان فيقرّرون هذا البرهان إلى غاية وأنه لا بدّ للبشر من الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند اللّه يأتي به واحد من البشر وأنّه لا بدّ أن يكون متميّزا عنهم بما يودع الله فيه من خواصّ هدايته ليقع التّسليم له والقبول منه حتى يتمّ الحكم فيهم وعليهم من غير إنكار ولا تزيّف وهذه القضيّة للحكماء غير برهانيّة كما تراه إذ الوجود وحياة البشر قد تتمّ من دون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه أو بالعصبيّة التي يقتدر بها على قهرهم وحملهم على جادّته فأهل الكتاب والمتّبعون للأنبياء قليلون بالنّسبة إلى المجوس الذين ليس لهم كتاب فإنّهم أكثر أهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدّول والآثار فضلا عن الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد في الأقاليم المنحرفة في الشّمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع لهم البتّة فإنّه يمتنع وبهذا يتبيّن لك غلطهم في وجوب النبوّات وأنّه ليس بعقليّ وإنما مدركه الشّرع كما هو مذهب السّلف من الأمّة واللّه وليّ التّوفيق والهداية.

المصدر: الفصل الأوّل من الكتاب الأوّل من المقدّمة.

محمّد النّفزاوي

(ت بعد 813)

أبو عبد الله محمّد بن محمد بن عمر النّفزاوي القاضي مؤلف كتاب «تنوير البقاع في أسرار الجماع» و«الرّوض العاطر في نزهة الخاطر». ألف هذا الكتاب بطلب من محمد بن عوانه الزواوي الجزائري وزير أبي فارس عبد العزيز الحفصي. طبع «الرّوض العاطر» طبعات عديدة بتونس والمغرب وترجم الى لغات أروبية عديدة ،طبع أخيرا عن دار الرّيس بلندن سنة 1990

1 ـ قصة تأليف كتاب «الرّوض العاطر»

وبعد فهذا كتاب جليل ألّفته بعد كتابي الصغير المسمّى (تنويع الوقاع في أسرار الجماع). وذلك أنّه اطلع عليه وزير مولانا عبد العزيز صاحب تونس المحروسة باللّه، وهو الوزير الأعظم، وكان شاعره ونديمه ومؤنسه وكاتم سرّه . وكان لبيبا حاذقا فطنا، وكان اسمه محمد عوانة الزواوي وأصله من زواوة ونشأته بالجزائر،

تعرف بمولاي السلطان عبد العزيز الحفصي يوم فتحه الجزائر فارتحل معه الى تونس، وجعله وزيره الأعظم، فلما وقع هذا الكتاب المذكور بيده أرسل الي أن أجتمع به، وصار يؤكّد غاية التّأكيد للاجتماع بي فأتيته سريعا فأكرمني غاية الإكرام.

فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام اجتمع بي وأخرج لي الكتاب المذكور وقال لي:

هذا تأليفك؟ فخجلت منه! فقال لي: لا تخجل فإنّ جميع ما قلته حق ولا مروّغ لأحد عمّا قلته، وأنت واحد في جماعة، ولست أول من ألّف في هذا العلم، وهو والله ممّا يحتاج الى معرفته. ولا يجهله ويهزأ به إلاّ جاهل أحمق قليل الدّراية. ولكن بقيت لنا فيه مسائل! فقلت: وما هي؟ فقال:

نريد منك أن تزيد فيه رسائل ـ أي زيادات ـ فتجعل فيه الأدوية التي اقتصرت عليها، وتكمل الحكايات من غير اختصار، وتجعل أسباب الجماع وأسباب امتناعه. وتجعل فيه أدوية [للقوة الجنسية] وما يزيل [رائحة النساء] بحيث يكون كاملا غير مختصر من شيء فان ألفته نلت المراد. فقلت له:

كل ما ذكرت ليس بصعب إن شاء اللّه فشرعت عند ذلك بتأليفه مستعينا باللّه ومصلّيا على سيّدنا محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم تسليما. وسمّيته: الروض العاطر في نزهة الخاطر والله الموفّق للصّواب. ولا ربّ غيره ولا خير الا خيره. نسأله التوفيق والهداية لأقوم طريق. ولا حول ولا قوّة الاّ باللّه العليّ العظيم.

ورتّبته على واحد وعشرين بابا، ليسهل على الطّالب قراءته والحاجة التي يطلبها. وجعلت لكلّ باب ما يليق به من منافع وأدوية وحكايات ومكائد، وإنّي أردت لهذا الكتاب أن يحيّر العرب والعجم. فإذا قرأه العرب سرح بهم عنوانه الى خلاف مضمونه. واذا خطر للأعاجم أن يترجموه ضلوا في حدائقه ورياضه وبساتينه. حتى اذا وقع في أيدي المتعاجمين في شكله الأعجمي فغروا أفواههم من الدهش.

المصدر : الروض العاطر : ص 87 ـ 88

2 ـ قصة زواج مسيلمة الكذّاب وسجاح الكاهنة

حُكِي والله أعلم أنّ مسيلمة بن قيس الكذّاب لعنه الله ادّعى النبوّة على عهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ هو وجماعة من العرب فأهلكهم الله جميعا، وكان مسيلمة [قد] عارض القرآن كذبا وزورا. فالسّورة التي كان ينزل بها جبريل على النّبيّ يأتي بها المنافقون اليه، فيقول: وأنا أيضا أتاني جبريل بسورة مثلها. فكان ممّا عارض به سورة الفيل فقال لعنة الله عليه :

«الفيل وما أدراك ما الفيل. له ذنب وذيل وخرطوم طويل. ان هذا من خلق ربّنا الجليل».

ومما عارض به أيضا سورة الكوثر:

«إنّا أعطيناك الجماهر، فاختر لنفسك وبادر، واحذر من أن تكاثر، ولا تطع كل ساحر». وفعل ذلك في سورتين كذبا وزورا.

وكان ممّا يعارض به أيضا اذا سمع النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وضع يده على رأس أقرع فنبت شعره. وتفل في بئر فكثر ماؤه. ووضع يده على رأس صبي فقال : عش قرنا فعاش ذلك الصبي مائة عام.

فكان قوم مسيلمة اذا شاهدوا ذلك يأتون الى مسيلمة ويقولون له: ألا ترى

ما فعل محمد! فيقول لهم: أنا أفعل لكم أكثر من ذلك فكان عدوّ اللّه اذا وضع يده على رأس من كان شعره قليلا يرجع أقرع في حينه. وإذا تفل في بئر كان ماؤه قليلا نضب ماؤه. أو كان حلوا رجع ماؤه مرًا بإذن اللّه. وإذا تفل في عين أرمد كفّ بصره لحينه.

وإذا وضع يده على رأس صبيّ وقال (له): عش قرنا مات في وقته!

وكانت على عهده امرأة من بني تميم يقال هلا سجاح التّميميّة ادعت النّبوّة وسمعت به وسمع بها. وكان في عسكر عظيم من بني تميم. فقالت لقومها: النبوّة لا تتّفق بين اثنين، إمًّا أن يكون هو نبيّ وأتبعه أنا وقومي. وإمّا أن أكون أنا ويتبعني هو وقومه! وذلك بعد وفاة النّبيّ ـ صلّى اللهّ عليه وسلّم ـ فأرسلت اليه كتابا تقول فيه: «أما بعد فان النّبوّة لا تتّفق بين اثنين في زمن واحد. ولكن نجتمع ونتناظر في ملإ من قومي وقومك، ونتدارس ما أنزل الله علينا فالذي على الحق تتبعه». ثم ختمته وأعطته للرسول وقالت له: سر بهذا الكتاب لليمامة ومكّنه لمسيلمة بن قيس وأنا أسير بإثرك في الجيوش، فسار ذلك الرّسول فلمّا كان بعد يوم وليلة ركبت مع قومها وسارت في أثره. فلمّا وصل الرّسول الى مسيلمة سلّم عليه وناوله الكتاب ففكّه وقرأه وفهم ما فيه فحار في أمره، وجعل يستشير قومه واحدا بعد واحد، فلم ير فيهم ولا في رأيهم ما يشفي الغليل. فبينما هو كذلك حائر في أمره اذ قدم اليه شيخ كبير من بين النّاس وقال: يا مسيلمة طب نفسا وقرّ عينا فأنا أشير عليك مشورة الوالد على ولده!

قال : تكلّم فما عهدناك الاّ ناصحا. فقال له:

اذا كان صبيحة غد، اضرب خارج بلادك قبّة من الدّيباج الملوّن، وافرشها بأنواع الحرير، وانضحها نضحا عجيبا بأنواع المياه المسكّة، مثل: الورد، والزّهر، والنّسرين، والقرنفل، والبنفسج وغيره فاذا فعلت ذلك فأدخل تحت المباخر المذهّبة بأنواع الطّيب مثل: عود الأقمار، والعنبر الخام، والعود الرّطب، والمسك، وغير ذلك من أنواع الطّيب. [واسدل] أطناب القبّة حتّى لا يخرج منها

شيء من ذلك البخور. وارسل لها واجتمع بها في تلك القبّة أنت وهي لا غير. فاذا اجتمعت بها وشمّت تلك الرّائحة وارتخى منها كلّ عضو، وتبقى مدهوشة فاذا رأيتها في تلك الحالة راودها على نفسها فإنّها تطيعك فاذا [نجحت...] نجوت من شرّها وشرّ قومها. فقال مسيلمة: أحسنت واللّه نعم المشورة هذه. ثم إنّه فعل لها جميع ما قاله ذلك الشّيخ، فلمّا قدمت عليه أمرها بالدّخول الى القبّة فدخلت واختلى بها، وطاب حديثهما، فكان مسيلمة يحدّثها وهي داهشة باهتة، فلمّا رآها على تلك الحالة علم أنها اشتهت [أن يغازلها].... فعند ذلك ارتقى عليها وقضى منها حاجته. فقالت : اخطبني من عند قومي اذا أنا خرجت. ثم إنّها انصرفت والتقت بقومها فقالوا لها: ما الذي رأيت منه يا نبيّة اللّه؟ فقالت لهم: وجدته على الحقّ فاتّبعته فخطبها من قومها فأعطوها له. وطلبوا منه المهر فقال لهم (مسيلمة) تترك عليكم صلاة العصر!؟ فكان بنو تميم لا يصلون العصر الى زماننا هذا ويقولون: مهر نبيّتنا ونحن أحقّ به من غيرنا. ولم يدع النبوّة من النّساء غيرها وفي ذلك يقول القائل منهم:

أضحت نبيّتنا أنثى نطوف بها وأصبحت أنبياء النّاس ذكرانا

فأمّا مسيلمة فهلك على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قتله زيد بن الخطاب وقيل وحشيّ واللّه أعلم أنه وحشي وفي ذلك يقول: قتلت خير النّاس في الجاهلية حمزة بن عبد المطلب، وقتلت شرّ النّاس في الاسلام مسيلمة. وأرجو اللّه أن يغفر لي هذا بهذا. أي أنّه لمّا كان في الجاهلية قتل حمزة رضي اللّه عنه، ولمّا دخل الاسلام قتل مسيلمة. وأما سجاح التميمية فإنّها تابت للّه سبحانه وتزوّجها رجل من الصّحابة رضوان اللّه عليهم أجمعين.

المصدر : الرّوض العاطر: 90 ـ 92

محمّد الأبّي

(ت 828)

أبو عبد اللّه محمّد بن خلفة بن عمر الوشتاتي الأُبّي، من أنجب تلامذة ابن عرفة، تكوّن في مختلف الفنون ثم اضطلع بتدريس تفسير القرآن والحديث والفقه لطلبة تونس وتولّى قضاء الوطن القبلي سنة 808. من تآليفه:

- تفسير للقرآن الكريم عن شيخه ابن عرفة : 8 أجزاء نشر منه جزآن تحقيق حسن المناعي. نشر مركز البحوث بالكلية الزيتونية 1407 / 1986.

- إكمال، إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم: مطبوع في 8 أجزاء اقتبسنا منه نتفا تهمّ الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية بتونس نشرناها في كتابنا «في الحضارة العربية التونسية» نشر دار المعارف، سوسة 1988

- شرح لمدوّنة سحنون.

- كتاب المقاصد الحسان في معرفة ما يلزم الانسان.

1 ـ يمينا

خاطب شيخه ابن عرفة معلّقا على أبيات تائية ثلاثة قالها:

(الطويل)

يمينًا بمن أولاك أرفعَ رُتْبَةٍ
وزانَ بك الدُّنْيَا بأكملِ زينةِ
لَمَجْلِسُكَ الأعلى كَفِيلٌ بكلِّها
على حسن ما عنها المجالسُ ولَّت
فأبقَاكَ من رقَّاكَ لِلخَلْق رحمةً
وللدِّين سيفًا قاطعا كلَّ بِدْعَةِ

المصدر: في الحضارة العربية التونسية : ص 100 عن إكمال الإكمال : ج 4، ص 345 ـ 347

2 ـ تخميس

قال مخمّسا ابياتا لشيخه ابن عرفة:

(المتقارب)

علمتُ العلومَ وعلَّمْتُهَا ... ونلتُ الرّيَاسةَ بلْ حُزْتُها
فَهَاكَ سِنِينِيَ عَدَّدْتُهَا ... "بلغتُ الثَّمانِينَ بل جُزْتُها
فهان على النَّفْسِ صعبُ الحِمَام"

فلم تُبْقِ لي في الورى رَغْبَةً ... ولا في العلى والنهى بغيةً
وكيف أرَجِّيهِمَا لحظةً ... "وآحادُ عصري مَضَوْا جُمْلَةً
وعادُوا خَيَالاً كَطَيْفِ المنام"

ونـــادى الـــرَّدَى ومالي مُغيـــث وحَـــثَّ المَطِيَّـــةَ كُـــلَّ الحَثِيث
وإِنِّـــي لـــرَاجٍ وحُبِّي أثيـــث "وأرجـــو بِهِ نَيْلَ صَدْرِ الحَديـــث
بحبِّ اللِّقَاءِ وكُرْهِ المُقَام"

فيـــا رَبِّ حقِّـــقْ رَجَـــاءَ الذَّلِيل لِيَحْظَـــى بِدَارِكَ عَمَّـــا قَليـــل
فيُمْسِـــى رجائـــي بِمَوْتِي كَفِيل "وكانـــت حياتِـــي بِلُطْـــفٍ جَميل
لسبق دعاء أبي في المقام"

المصدر: البستان: ص 198، تاريخ الدولتين: ص 120 ـ 121 (وهنا نسب التخميس للرملي)

3 ـ أيا طالبيّ العلم

قال يمدح شيخه ابن عرفة :

(الطويل)

أَيَا طَالِبِـــيَّ العِلْمَ يَبْغُونَ حِفْظَه هَلُمُّـــوا فَـــإِنَّ العِلْمَ هَانَتْ سَبِيلُهُ
فَهَـــذَا هُدِيتُمْ لِلصَّوَابِ ابنُ عَرْفَـــة أَتَاكُـــمْ بِوَضْعٍ لَمْ يُشَاهَـــدْ مَثِيلُـــهُ
فَدُونَكُـــمُ مُغْـــنٍ عَنْ الكُتْبِ كُلِّهَـــا وَإِنْ قَـــلَّ حَجْمًـــا وَالعيـــان دَلِيلُهُ
وَحَـــلَّ مِنَ التَّحْقِيـــقِ أَرْفَعَ رُتْبَـــةٍ وَهَـــذَّبَ مَبْنَـــاهُ فَصَحَّـــتْ نُقُولُهُ
وَأَحْكَـــمَ مِنْ كُـــلِّ الحَقَائِقِ رَسْمَهَـــا فَلاَ خَلَـــلٌ يُخْشَـــى لَدَيْـــهِ حُلُولُه
وَرَدَّ مِـــنَ التَّخْرِيـــجِ وَالنَّقْلِ وَاهِيًا وأَوْرَدَ تَنْبِيهًـــا يَحِـــقُّ قَبُولُـــهُ
كَذَا فَلْيَكُنْ وَضْعُ التَّآلِيفِ أَوْ يُدَعْ ولاَ غَـــرْوَ ذَاكَ العِلْمُ هَذَا قَلِيلُهُ
فَإِنْ جَاءَ فَرْضًا مَنْ يُرِيدُ اعْتِرَاضَهُ فَـــدَعْ أَمْـــرَهُ إِنَّ التَعَسُّـــفَ قِيلُهُ
وَمَالنَّـــاسُ إلاَّ مُضْعِـــفٌ وَمُكَابِرٌ فَـــذَاكَ مُقَرَّرٌ لاَ خَيْـــرَ جَهْـــلُـــه

المصدر: البستان : ص 199 وعنوان الأريب: ج 1، ص 114 ـ 115 بنقص ثلاثة أبيات.

أحمد الشمّاع

(ت 833 هـ 1339 م)

أبو العباس أحمد بن محمد الشمّاع الهنتاتي أبو المؤرخ، وكان يمدح بشعره السلطان الحفصي أبا فارس عبد العزيز. تولّى الخطابة بجامع القصبة والنظارة على القضاة والعدول كما تولّى قضاء المحلّة. له رسالة «مطالع التمام ومنجاة الخواص والعوام في ردّ القول بإباحة غرم ذوي الإجرام»

حثّ على الجهاد

قدّم المؤرخ محمد الشماع ابن الشاعر هذه الأبيات بقوله: وقد نظم الوالد ـ رحمه الله ـ قصيدة على حرف الدال عددها تسعة وخمسون بيتا في الحثّ على الجهاد قدّمها لمولانا المرحوم [1] :

(الطويل)

أوّلها:

تروحُ ليالي النَّصْر فينا وتغتدي بِحُرْمَـةِ ذي الجاهِ العظيمِ المجَّد
وأشرفِ خلقِ اللَّهِ أصلاً ومَحْتدا وخيــر نبيء ضمّه الحشــر والنّدي
وأشــرفِ مبعــوثٍ وأكــرمِ مُرْسَلٍ وأفضـــل آت بالهــدى والمهنّـد
فَشُدَّ مطايا العزم واقصد محمّدا نبيَّــك يا عبدَ العزيــز بن أحـمد
حَبــاك إلهُ العــرش سَعْداً مجدَّدا ونصــرا علــى مــرّ الزّمان المجدَّد

إلى أن يقول فيها:

وأسألك اللّهمَّ ذا الطَّوْلِ آيةً من النَّصر يستولي على كلّ معتد
تَخُصُّ بها عَبْدَ العزيز ونجلَه وأعوانَهم في الحقّ من كلّ مهتد
بحرمة كهفِ العزّ والمصطفى الذي رفعتَ بُناه فوق كلٍّ مشيّد
محمدٍ المحمودِ في كلّ مشهد وأصحابِه من راكعين وسُجَّد
عليه سلامُ الله ما دامت الدّنى وما ذُكِرَ الرَّحْمَانُ في كلّ مسجدِ

المصدر: الأدلّة البيّنة: ط 1 ، ص 147 ، 148.، ط 2 : ص 117 ـ 118.

---

(1) هو السلطان أبو فارس عبد العزيز انظر الترجمة رقم 160.

2 ـ مدح أبي فارس

قال من قصيدة في 76 بيتا يمدح الخليفة أبا فارس عبد العزيز:

(الوافر)

أيــا ذاك الإمــامُ ومــنْ إليـه ... تنــاهَى العِزُّ والشَّرَفُ الخَطيــرُ

ومــن عَظُمــت وقائعُــه وجلّت ... صنائعُــه فتــمَّ بــه السُّــرورُ

علــى آساس مجـدك في البرايـا ... وجَــدِّك والتّقى نُصِــبَ السَّريـر

شــددتَ الملكَ بالتّقــوى فتمت ... خِصَــالُ المَجْدِ وانتظمَ النّفيـر

وشيَّــدتَ المنابــرَ إذ بناهــا ... بَنُــو حَفْــصٍ فعزّ لك النّظيرُ

عُزِزْت بنُصْــرَةٍ عند الأعـادي ... ظَفِــرْت وحُــزتَ واللّهُ النَّصيرُ

عقــدتَ العزمَ في ترك الخطايـا ... فمثلُــكَ لا يُجَــارُ ولا يَجُورُ

وأشْهَــدْتَ العبيد بذاك طُــرّاً ... فلــم يَضْرُرْكَ حاسِــد أو كفورُ

فــوفٍّ بما عقــدتَ ولا تماطل ... فمــا تــدري متى يأتي السّفير

ولا تتبــعْ هَوَى من لا يبالــي ... بما يؤذيــك فالمولــى غيــورُ

فقد وضــحَ السَّبيــلُ لمن أراد ... وإنّ الحــقَّ مركبُــه يسيــرُ

وإنّ الحــقَّ لا يُعتــاض عنــه ... ولا معْــه مثيــلٌ أو نفيــــرُ

حــدودُ اللّـــه كافيــةٌ لزجــر ... ومــن قد قال: لا تكفــي، كفورُ

المصدر: الأدلّة البيّنة: ط 1، ص 145 ـ 146.، ط 2 : ص 115 ـ 116

أبو القاسم بن ناجي

(ت 839)

أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التّنّوخي القيرواني مذيّل «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» وشارح رسالة ابن أبي زيد القيرواني والتهذيب للبراذعي ومختصر ابن الجلاّب. ولد بالقيروان ودرس ثم انتقل الى تونس وأخذ عن علمائها. تولّى خطابة جامع الزيتونة بالقيروان والقضاء والخطابة بجزيرة جربة ومدن عديدة بإفريقية.

1 ـ الشيخ محمد الرمّاح

قال شيخنا أبو عبد الله محمّد بن شبل الرّياحي الدّعيجي: قال لي الشّيخ أبو عبد الله محمّد الرّمّاح: لمّا كنت أقرأ بتونس قلّ ما بيدي، حتى كنت أمشي في الأزقّة برسم أن أرى ورق بقل ملقى على باب دار فأرفعه، فإذا وجدت شيئا منه أقف حتّى يتباعد من يكون هناك من المارّين وآخذه، وأعمله في محفظتي خفية من النّاس، وآتي إلى المدرسة، وأغسله في بيتي، خفية من الطّلبة، وأطبخه وأفوّحه حتى يظنّ الطّلبة المجاورون أنه لحم طبخته فبقيت على هذا مدّة هو أكثر قوتي حتى اصفرّ لوني وتغيّر حالي، فكلّم الطّلبة الشّيخ أن يعيّن لهم واحدا يقرؤون عليه دول الميعاد فقال: انظروا فذكرت عنده، فقال: اقرأوا عليه، فصاروا يقرؤون عليّ دولهم، فنذكر لهم ما نعرفه من الأقوال. فكثر تعلّمهم واجتهادهم بسبب ذلك، فإذا سمع الشّيخ في نقلهم قولا غريبا أو مسألة غريبة يقول: من ذكر هذا؟ فنعزوه لناقله، فاستغرب نقلي وحفظي، وعلم أنّ كثرة سكوتي فيما مضى ليس هو على جهل.

فقال لي بوّاب المدرسة يوما: حاجتي بمفتاح البيت، فعطيته له[1]وخرجت لقضاء حاجتي. واعتقادي أنه يكنس لي البيت لأنّا ألفنا منه ذلك، فلمّا قضيت حاجتي ورجعت أعطاني المفتاح فحللت البيت ودخلت، وإذا في وسط البيت ثوب وجبّة ملف[2] معلّقان في مسمار، وحرام[3] وعمامة في مسمار آخر، وكسوة أخرى مثل ذلك سواء، وقنطار سميذ ونصف قنطار فحما، أو العكس، ولحم مقطّع، ونصف لحم[4] معلّق، وعليها دراهم، وغير ذلك من حوائج البيت. فقلت: أظنّ هذا البيت ليس هو بيتي فخرجت منه وأخذت أعدّ البيوت فتحقّقت أنّه هو فقلت للبوّاب: ما هذا ؟ فقال لي: يقول لك الشّيخ: كنت أولا جاهلا بك وبحالك

---

(1) عامية: الأصل: أعطيته له.

(2) من أرفع أنواع الأنسجة الصوفية.

(3) الحرام والاحرام: الرداء وأصله ما يلبس في الإحرام بالحج أو العمرة.

(4) يعني : نصف شاة .

فلا سبيل أن تتشوّش من شيء لا من طعام ولا من غيره. فمن ذلك اليوم يا ولدي فتح اللّه عليّ بالدنيا إلى الآن.

وتمادى على تعلّم العلم وتعليمه حتى رجع الى القيروان مدرّسها ومفتيّها.

.... وقال أبو عبد الله محمد بن شبل: لما طالت حياة الشّيخ الرّمّاح وكثرت طلبته جدا أمر طلبته الكبار أن يعملوا المواعيد[5]، فامتثلوا أمره في ذلك فكان الشّيخ أبو الحسن علي العبيدلي يعمل ميعادا بكرة بزاويته المعروفة إلى الآن يقرىء فيه التّفسير والحديث والفروع، وكذلك موسى بن عيسى المناري، وأبو محمد عبد الله الحجاجي وأبو عبد الله محمد القلال. وأمر جماعة آخرين يجلسون في غير ذلك الوقت لإقراء النّحو والفرائض والحساب وغير ذلك، فكان في القيروان في زمانه بميعاده ستّة عشر ميعادا، على صفة ما ذكر. وكان المدرّسون الأوّلون يحضرون عند الشّيخ بزاويته بعد صلاة الجمعة وجلوسه للفتوى، ويذكر كلّ إنسان منهم ما أشكل عليه في ميعاده في تلك الجمعة[6] من معارضة مسألة بمسألة ليطلب الفرق بينهما ونحو ذلك، ويتكلّمون حتى يزول ما التبس على كلّ واحد منهم.

المصدر: معالم الإيمان: ج 4، ص 109 ـ 113

---

(5) المواعيد : ج ميعاد، يريد انه أذن لهم ان يجعلوا مجالس يقومون هم بالتعليم فيها.

(6) يعني بكلمة الجمعة : الأسبوع .

محمّد بن الشمّاع

(ت بعد 861)

أبو عبد اللّه محمّد بن أحمد بن محمّد الشمّاع اشتهر بكتابة "الادلّـــــة البيّـــنة النّورانية على مفاخر الدّولة الحفصية" في تاريخ بني حفص. ليس لنا أخبار عن حياته ولا عن تآليفه. يتّضح من تآليفه المذكور ميله لقطف ثمار الأدب.

الخليفة الحفصي ابو فارس عبد العزيز

في ذكر بعض صفاته الحميدة وبعض سيرته.

كان - رحمه اللّه - شجاعا حازما تقيًا معتقدا للصالحين من أول نشأته، موقّرا للعلماء مثبتا، ورعا، كثير الصّدقة فطنا، ذكيًا فصيحا محبًا للخير وأهله. فمن فضائله: - رحمه اللّه - عموم صدقته وصلته لأهل الحرمين الشريفين، ولعلماء المشرق، وصلاحه يوجّه لهم بذلك صحبة المركب الحجازي عند طلوعه على الدّوام والاستمرار.

ومن فضائله ما وظّف لأهل الاندلس من الطّعام وغيره، يوجّه لهم ذلك في كل عام اعانة لهم على عدوّ الدّين ومالهم عليه من ممارستهم مع الكفّار.

ومن حسناته خزانة الكتب المشتملة على أمّهات الدّواوين أخرجها من قصره، وجعل لها مقصورة بموضع بمجنبة الهلال من جامع الزّيتونة الاعظم. وأوقفها على طلبة العلم ينتفعون بها بالنّظر والنّسخ بشرط ألاّ يخرج منها شيء من المجنبة، خشية ضياعها. وجعل لها قومة يقومون بها في نفضها، ومناولتها للطّلبة، وردّها لمكانها بعد الفراغ منها. ووقّف لها وقتا محدودا كلّ يوم. وأوقف عليها وقفا مؤبّدا تصرف فائدته للقومة بها يكفيهم وتصرف بقيّتها في ضرورة الكتب.

ومن فضائله ملازمته لقراءة العلم بمجلسه سفرا وحضرا وتواضعه وجلوسه على الحصير حين قراءته للحديث النّبويّ.

شاهدت ذلك منه - رحمه اللّه - أيام حضوري مع الوالد. وكانت تصدر منه - حين القراءة - نكت تدلّ على جودة فهمه، وقوّة ذهنه. وكان هو الذي يستدعي الوالد في كثير الأوقات للقراءة، ولا سيما حين يرد عليه من يرد من فحول العلماء من الأندلس والمغرب، وكان مولعا بتمييز الرّجال، وكان يعترف للوالد بأنه حاز قصب السّبق.

ومن جسناته - رحمه اللّه - قطعه للقبالة التي كانت خارج باب البحر وبناؤه في موضعها موضعا الصلاة ولتدريس العلم وقراءة القرآن وسكنى الطلبة، وأوقف عليها وقفا مؤبدا، يكفيها وجعل فيها سماطا جاريا للمقيمين بها، والواردين عليها، فعمرت بذلك بسببه واستمرت عمارتها الى الآن.

ومن حسناته - رحمه اللّه - أن مهدت السبل وعمرت البلاد وأمنت العباد، وكان - رحمه اللّه - مقتصرا في ملبسه، متحريا في مطعمه ومشربه.

المصدر: الأدلّة البيّنة: ص 113 ـ 115 (ط 2).

أبو المواهب

(882 ـ 820)

محمد بن أحمد بن الحاج بن رغدان التّونسي المشهور بالمشرق بأبي المواهب، تكنية بعنوان ديوانه: "مواهب المعارف". أديب متصوّف وشاعر. ولد بتونس ونشأ بها فحفظ القرآن وأخذ مختلف العلوم على أيدى علمائها ثم رحل إلى مصر وصار فيها من أقطاب التّصوّف له مؤلفات عديدة منها:

ـ قوانين حكم الاشراق إلى كافة الصّوفية في جميع الآفاق.

ـ شرح الحكم العطائية.

ـ ديوان شعر.

ـ فرح الاسماع برخص السّماع: طبع بتونس بتحقيق محمد الشريف الرحموني، الدار العربية للكتاب، 1985.

ـ كتاب الأذكياء في أخبار الأولياء.

ـ بغية السّؤال عن مراتب أهل الكمال.

ـ سلاح الوفائية بثغر الاسكندرية.

ـ 1 ـ القانون السادس قانون المحبة

قال اللّه تعالى:" يحبهم ويحبونه" (نفحة) نظرت عين العناية لعبد سبقت له عواطف الحنان من الحنان، فدخل حضرة الامتنان بالأمان. (لمحة) لوامع حضرة السَّنَى، برقت بالأسماء الحسنى. فهل رأيت ذلك الجمال، وهل همت بالوجد بين الرجال. (نفحة) حقيقة المحبة نار تحرق الاكباد، ولوعة تنمو وتزداد.

(المنسرح)

وفي فؤاد المحبّ نارُ جوى　　　أحرُّ نارِ الجحيم أبردُها

(لمحة) يا من نظر حسن الغيد بحيها والبطاح. فغدا مفتونا بدلال تلك الملاح.

(المجتث)

جمال ليلى تجلّى　　　فاشهد وطبْ وتملاّ

(نفحة) حقيقة المحبة كتمان سر المحبوب، فيما تجلى على المحب من مشاهدة الغيوب.

(الكامل)

بالسرّ إن باحوا تَباح دماؤُهم　　　وكذا دماءُ البائحين تُباح

(لمحة) سرت نسمة المحبوب للمحب فطار فرحا وشوقا، فكيف به لو رأى جماله عيانا كان يموت حقا.

يا نَسْمَةً قَدْ سَرَتْ سِرّاً لَنَا سَحَرًا　　　من الحبيب لنا قد أنعشت نَفَسًا

كَيْفَ العقيقُ وأبياتٌ بذي سَلَمٍ　　　وَكَيْفَ خَلَّفْتَ ذَاكَ المَنْزِلَ القُدُسَا؟

(البسيط)

(نفحة) حقيقة المحبّة خلاص جوهر الرّوح من الأعراض، وفناء النفس من الحظوظ والأغراض.

(البسيط)

هم العريبُ بنجد مذ عرفتُهُم　　لم يبق لي معهم مالٌ ولا نَشَبُ

(لمحة) إن شئت أن تلتذّ بلمحة شهود العيان، فتذلّل لمحبوبك في كل الأماكن والأزمان.

(الطويل)

تذلَّلْ لمن تهوى لتَكْسِبَ عِزَّةٍ　　فكم عزّةٌ قد نالها المرءُ بالذّلّ

(نفحة) أعظم المحبة ما يسكّن القلب أول وهلة، وتنزعج منه جميع الخواطر بلا مهلة.

(الطويل)

أتاني هواها قبل أن أعرفَ الهوى　　فصادف قلبا فارغا فتمكّنا

(لمحة) المحبّ من لا يغيره عذل الرّقيب، بل يزيده ذلك حبّاً في الحبيب.

(الطويل)

أحبُّك يا شمسَ الزَّمَان وبدرَه　　وإن لامني فيك السّهى والفراقدُ

(نفحة) المحبّة الحقيقية جذبة اضطرارية، غير اختيارية عند المحققين من الصوفية.

(الطويل)

وأصرف طَرْفي نحو غيرِكَ عامدا　　على أنَّهُ بالرُّغْم نحوك راجع

(لمحة) سوق الشّوق، به تطيب المحبّة والذّوق. لهذا ترى الأشباح، تابعة للأرواح.

(الطويل)

وما زال بي شوقي اليك يقودُني يذلّل منّي كلُّ ممتنِع صَعْب

إذا كان قلبي سائرا بزمامه فكيف لجسمي بالمقام بلا قلب؟

(نفحة) اذا قوي على المحب الشوق استعرت فيه النيران، فترادفت عليه الهموم والأحزان. فاستمع قصص أخبارهم، عن أحبارهم.

(الكامل)

قُصُّوا عليَّ حديثَ من قَتَلَ الهوى إنّ التأسّي رَوْحُ كُلِّ حزين

(لمحة) روح المحبِّ المشوق، كالغصن المشوق. كلّما مرت به نسمة لطيفة، أوجبت له حركة ظريفة.

(البسيط)

أهتزُّ عند تمنّي وصلها طَرَبًا وربّ أمنيةٍ أحلى من الظَّفَر

(نفحة) المحبّ أبدا يخاف فوات الوصال، وينشد لسان حاله قول من قال.

(الطويل)

وكم فرصة فاتت فأصبحت نادما تعَضُّ عليها الكفُّ أو تقرع السِّنّا

(لمحة) سمع المحب في ليلة شبه صوت محبوبة في المنام، فنهض وبادر للقيام. فإذا هو من الهيام، وغلبة الأوهام.

(الكامل)

من لم يبت والبينُ يقرعُ قلبَه لم يدرِ كيف تفتّت الأكباد

(نفحة) تفاوتت أحوال أهل الغرام، وتباينت في الحال والمقام. فالمريد صحا بعد سكره وانطوى في نشره. والمراد كلما صحا ازداد سكرا. فلذلك طاب عَرفه نشرا.

(البسيط)

صحا المريدون منها بعد ما سكروا   وللمرادين سكرٌ عندها باقي

(لمحة) اذا تراءى جمال المحبوب، من عالم الغيوب. زاد الهيام، وامتنع الكلام. إلاّ عند الشكوى، من ألم البلوى.

(الكامل)

الحبّ ما منع الكلامَ الألسنا   وألذُّ شكوى عاشقٍ ما أعلنا

(نفحة) حضر المحبّ مع المحبوب في المقام، فسكر سكر الهوى والمدام. فلا عجب إن غاب، واستمع وطاب.

(الكامل)

سكران سكرَ هوى وسكرَ مُدَامة   أنَّى يُفيق فتى به سكْران؟

(لمحة) دخل المحبّ ليلة حمى الحبيب، عند غفلة الواشي والرقيب. فالتذّ بسماع الخطاب، في حضرة الأحباب.

(البسيط)

يا ليلة بالحِمَى ما كان أطيبَها   من طِيبِها رقصت من تحتنا النُّجُب

(نفحة) اذا سمح الحبيب بالوصال، وآنس محبه بشهود الجمال، فذلك إذن له بالخطاب، يا من رفع له الحجاب.

(الطويل)

وعند اجتماعي بالحبيب أبثُّه   أحاديثَ لا تطوى عليها الصحائفُ

(لمحة) من لم يحصل له من المحبة، ذرة او حبة، فقد حجب من النّعيم بالياس، وليس في شيء من الناس.

(الطويل)

وما النّاس الا العاشقون ذوو الهوى   ولا خيرَ فيمن لا يحبُّ ويعشَقُ

(نفحة) تالله لا يطيق الكتمان، من قلبه بالمحبة ملآن.

(الطويل)

ومَنْ قَلْبُه مَع غَيْرِهِ كيف حَالُهُ   ومن سِرُّه في جفنه كيف يَكْتِمِ؟

(لمحة) صاحب مقام الصبر دون التصبر في المحبة ملوم، فاذا عوقب بهجر فليس بمظلوم.

(الكامل)

الصّبرُ يُحْمَدُ في المواطن كلِّها   إلا علَيــــك فَإِنَّــه مذمـــــــومُ

(نفحة) قلب المحبّ لا يرعوي عن المحبوب، واذا قال غير ذلك فهو كذوب.

(الوافر)

ألستَ وعدتَني يا قلـبُ أنّـي   إذا ما تُبْتُ عن لَيْلَى تَتُوبُ؟

فما أنا تائبٌ عن حبِّ ليلـى   فمـالَكَ كُلَّمَا ذُكِرَتْ تَـذُوبُ؟

(لمحة) من لم يفن ويمت في هوى الحبيب، لم يحصل في وصله على أوفر نصيب.

(البسيط)

فلا ينالُ حياةَ القُرْب عاشقُنا   إلا اذا صار في أعداد قتلانا

(نفحة) علامة المحبّة قيام المحبّ بأوامر محبوبه، واستحلاء ما مرّ من شؤونه وخطوبه.

(الكامل)

تعصِـي الإلَـهَ وأنـت تُظْهِرُ حبَّــه   هذا لعمـري فــي القيــاس بديــعُ

لو كــان حبُّــك صادقــا لأطعتَــه   إن المحــبَّ لمــن يحــبُّ مطيــعُ

(لمحة) حال المحبّ الصادق ينتقل ويترقّى، حين يكون بذلك من غيره أرقى.

(الوافر)

أراك تــــزيد في عينـــي جمـــالا وأعشـــق كلَّ يوم منك حـــــالا

تزيـــد مَلاَحَــــةً وأزيـــد حبّــا وحالــــي فيك ينتقــل انتقـــالا

(نفحة) قلب المحبّ عن محبوبه لا ينقلب بانقلاب الحبيب، وهذا هو الشأن وضدّه الأمر العجيب.

(الكامل)

وأقول للقلــب الــذي لا ينتهــــي عــــن حبّكــم أبدا ولا يتجنّـــب

قد كدت أنــك لا تسميك الــورى قلْبـــا لكونـــك عنـــه لا تتقلّـــب

ولـــو استطعــتُ تركتُـــه وأدرتُـــه عنكـــم ولكن ما لقلبـــي لولـــب

(لمحة) غلبة نار الجوى، هاجت بالهوى، فأحرقت روح المحبّ فذابت، وتدفقت من آماقه وسالت.

(الطويل)

وليس الذي يجري من العين ماؤهـــا ولكنّهـــا روحـــي تـــذوب فتقطـــر!

المصدر: كتاب قوانين حكم الإشراق: ص 2 ـ 25 .

محمّد الرّصّاع

(ت 894)

أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصارى الرّصاع، ولد بتلمسان وقرأ بها ثم واصل تعلّمه بتونس حيث استقر، وتولّى التّدريس والقضاء والامامة والخطابة والافتاء والتآليف. من مؤلفاته:

- الفهرست.
- شرح حدود ابن عرفة.
- تحفة الأخيار في فضل الصّلاة على النّبيّ المختار.
- تذكرة المحبّين في أسماء سيّد المرسلين.
- شرح وصيّة الظريف.
- الجمع والتّقريب في ترتيب آي مغني اللّبيب لابن هشام.
- اختصار فتح الباري في شرح صحيح البخارى.

1 ـ المولد النّبوي الشّريف

من آداب المحبّ لهذا النّبيّ الشّريف أن يكون معظّما ليلة ميلاده واليوم الذي أظهر اللّه فيه العاقب لأنبيائه وهي اللّيلة الثّانية عشرة من ربيع الأول على الصّحيح ومن مذهب الجمهور. فينبغي لكلّ شائق ومحبّ أن يظهر السّرور والبشارة في تلك اللّيلة وصبيحتها ويمتّع أهله وأولاده بما أمكن اللّه لحصول بركتها ويدخل السّرور عليهم ويعلّمهم أنّه إنّما فعل ذلك محبّة لتلك اللّيلة وسرورا بها واعتناء بفضلها، ويبيّن لهم أنّها أشرف اللّيالي عند اللّه لأنّها ولد فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، ويذكر لهم صفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم وجماله وحسنه وكماله وفضائله وشمائله وكلامه وفصاحته وكرمه وجوده وخلقه وعفوه وصفحه ومعجزاته وآياته وكلّ ما يحبّبه في قلوبهم، ويعظّمه ويحفّظهم القصائد التي في مدحه والثّناء عليه، وهذا عندي وعند كلّ محبّ من حسن الرّأي والنّظر لأنّ تعليم لشيء في الصّغر كالنّقش في الحجر سيما والصّغير مولع بالإعجابات، ومعجزاته صلّى اللّه عليه وسلّم من أعجب العجائب.

وينبغي لك أن تزيّن الأولاد في ذلك اليوم بأحسن زينتهم وتدخل السّرور بما أمكن على معلّميهم، وتزيّن المكاتب بما تجوز به الزّينة شرعا وتحيي ذكره صلّى اللّه عليه وسلّم بما يحسن من الأقوال والأمداح سمعا، وتغيّر المناكر في ذلك اليوم وتظهر على الإسلام والإيمان وتبذل الجهد في رحمة أمّته عليه الصّلاة والسّلام بالصّدقة والاحسان، وتذكّر العامة بمحامد صفاته ومعجزاته وتسرد لهم ما أكرمه به مولاه وما خصّه به من آياته، وتتجمّل ذلك اليوم بما أمكن من اللّباس الحسن المأذون فيه ممّا أذن به الصّادق الأمين وتعتقد أنّه عيد أعاده اللّه على العالمين لبروز حبيبه فيه سيّد المرسلين...

وما أنكر من أنكر ما يقع في هذا الزّمان من الاجتماع في المكاتب بالاطفال إلا خيفة المناكر واختلاط النساء والرّجال، فاذا أمكن من ذلك فلا شكّ في حسن ما يفعل من الاجتماع وذكر محاسنه والصّلاة عليه صلّى اللّه عليه وسلّم في

سائر البقاع. وتحرم آلات اللّهو عند الاجتماع في هذه اللّيلة ولا يجوز تعظيم نبيّ اللّه إلاّ بما يرضيه ويرضي اللّه سبحانه بما يفعل في تلك الأيام من الأطعمة فإنّ ذلك أسلم من فساد النيّات ومن حضور الاجتماعات.

المصدر: تذكرة المحبّين في أسماء سيّد المرسلين وحبيب ربّ العالمين: مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 13348: ص 29 ب - 30 أ - 30 ب. وفي النّص الأصلي اخطاء عديدة صوبناها.

2 - أسماء المصطفى

إنّي لمّا رأيت من نفسي الاشتغال بما لا يغني من المسائل ولم أحصّل مع كثرة تعبها (على) طائل جعلت وسيلة بيني وبين سيّد الأولين والآخرين وقائد الغرّ المحجّلين ما نرجو به الرّضى والسّول، وبلوغ المأمول، في الدّنيا والدّين، وقد ألهمني اللّه منّة منه وفضلا الى شرح بعض أسماء المصطفى وما وقع من ذلك في كتاب "الشّفا"[1] وقد كنت قبل ذلك أنظرها وأتفهّمها وأتوسّل إلى اللّه في الشّدائد ببركتها.

ثم تقوّى عندي الحبّ في فهم معناها فعرض لي في هذا الوقت أن أطلب من اللّه تعالى ما نعدّه في الحياة والمعاد، وما نتّخذه عند حبيب اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم من المحبّة ونذكر حبّه في قلوب العباد، وما نرجو به من المولى العفو والغفران، وإن كنت كثير السّيئات قليل الزاد، فأردت أن أشرح أسماءه التي في كتاب "الشفا" وأذكر اشتقاقها ومعناها وأذيّل عليها ما يليق بمدلولها وما تشير اليه بفحواها، وما يصحّ للمريد أن يتخلّق به من أسماء المصطفى وما ينتهي إليه مقام الكمّل من أهل الصّدق والوفاء، وأذكر بيان كلّ اسم رأيته فيه مع ما أضيف إلى ذلك بعد كمال ما في الكتاب وشرح ما لحقته فيه من فحوى الخطاب.

المصدر: تذكرة المحبين: المصدر المذكور في النص السابق: ص 1 ب - 2 أ.

---

(1) للقاضي عياض.

أحمد الخلوف

(829 _ 899)

شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن محمّد بن عبد اللّه الحميري الخلوف الفاسي الأصل القسنطيني المولد التونسي القرار، تفوّق في الشّعر والنّثر الفنّي، كان يمدح خلفاء بني حفص وتفرّغ في آخر حياته للمديح النّبوي بقصائد طويلة منها ما يفوق 550 بيتا .

ولد بقسنطينة ثم ارتحل صغيرا مع والده الى بيت المقدس وأقام هنالك يافعا وشابا وتكون خاصة في الأدب ثمّ رجع الى تونس في حوالي الثلاثين من عمره واختصّ بالبلاط الحفصي ينظم القصائد الطوال في أبي عمرو عثمان وابنه ولي العهد محمد المسعود باللّه واشتغل كاتبا لهذا الأخير. يتّسم شعره بالغنائية وتقليب المعنى وطول النّفس. من تآليفه:

ـ ديوان في المدح في جزأين: جزء في مدح بني حفص منشور سابقا بلبنان ثم نشر بتونس وجزء في المديح النّبوي لم ينشر.

ـ مواهب البديع في علم البديع.

ـ جامع الأقوال في صيغ الأقوال.

ـ تحليل الميزان لتصحيح الاوزان.

ـ نظم المغني لابن هشام.

ـ نظم تلخيص القزويني في البلاغة.

1 ـ في شكلها اندرج الزمان

قال يمدح الخليفة أبا عمر وعثمان (ت 893 هـ) :

(الكامل)

أَذَوَابِــلٌ أَمْ قَامَــةٌ هَيْــفَـــــاءُ
وَمَنَـاصِـــلُ أَمْ مُقْلَـــةٌ وَطْفَـاءُ
وَخَمَـــائِــلُ مُخْضَـــرَّةٌ أَمْ سَالِـفٌ
وَغَزَالَـــةٌ هَاتِيـــكَ أَمْ أَضْــوَاءُ
وَهِـــلاَلُ أُفْــقٍ طَالِـــعٌ أَمْ وَاضِحٌ
وَزُلاَلُ رِيـــقٍ ذَاكَ أَمْ صَهْبَـــاءُ
وَأَسَـــاوِدٌ أَمْ تِلْــكَ سُــودُ ذَوَائِبٍ
وَغَزَالَـــةٌ هَاتِيـــكَ أَمْ أَسْمَـــاءُ
خُــودٌ صَوَارِمُهَـــا الجُفُونُ وَمُعْجِـزٌ
فِـــي جَفْنِهَـــا، إِنَّ الجُفُـونَ ظُبَاءُ
فِـي شَكْلِهَا انْدَرَجَ الزَّمَانُ، فَثَغْرُهَا
مَـــعَ شَعْرِهَـــا. الإِصْبَاحُ وَالإِمْسَاءُ
رَاضَعْتُهَـــا ثَـــدْيَ الوِصَالِ وَبَيْنَنَا
بِجَنَـــى الحَدِيـــثِ حَدِيقَـــةٌ غَنَّـاءُ
فِي رَوْضَةٍ أَضْحَى النَّسِيمُ لِسَانَهَا
يَصِـــفُ الَّـــذِي أَهْدَتْ لَهُ الأَنْوَاءُ
حَيْـــثُ الحِمَـــى فَلَكٌ تَمُوجُ بِرُوجُهُ
وَالـزَّهْـــرُ زُهْـــرٌ وَالرِّيَاضُ سَمَاءُ

وَالطَـــلُّ فِي الأَوْرَاقِ يُثْبِتُ مَا غَدَتْ

بِاللَّحْــنِ تُعْرِبُــهُ لَـــهُ الوَرْقَــاءُ

وَالأَيْــكُ تَخْفِـضُ لِلنَّسِيمِ رؤُوسَهَا

أَدَبًـــا وَتَرْفَـــعُ سُجْفَهَـــا الظَّلْمَاءُ

وَالأُفْـــقُ أَشْــرَقَ نُـــورُهُ فَكَأَنَّمَا

غَشَّـــاهُ مِـــنْ وَجْـــهِ المَلِيكِ سَنَاءُ

مَلِــكٌ رَأَيْـــتُ الشُّهْـــبَ ثُمَّ رَأَيْتُهُ

فَوَجَـــدْتُـــهُ جِسْمًـــا وَهُمْ أَسْمَاءُ

غَيْــثٌ يَجُـــودُ لِآلِ حَفْصٍ فَخْرُهُ

فَيَـــدَاهُ أَرْضٌ سَمْحَـــــةٌ وَسَمَاءُ

عَمَّـــتْ مَوَاهِبُـــهُ فَمِنْهَا لِلصَّدِيــ

قِ غِنًـــى وَمِنْهَـــا لِلعَـــدُوِّ عَنَاءُ

مَلِــكٌ لِمَـــا مَلَكَــتْ يَدَاهُ مُفَرِّقٌ

يُرْضِيــكَ مِنْــهُ الأَخْـــذُ وَالإِعْطَاءُ

وَلِـــيَ الأُمُـــورَ بِعِـزَّةٍ فَسَدَادُهَا

مِـــنْ حَزْمِـــهِ الإِحْكَامُ وَالإِمْضَاءُ

فَثَنَـــى العَـــدُو إِلَيْـــهِ حُكم لِوَائِهِ

فَعَـــلَاهُ فِيـــهِ الصَّعْـــدَةُ السَّمْرَاءُ

مَـــلَأَ العُيُـــونَ فَمَا بِهِنَّ غَضَاضَةٌ

وَشَفَـــى الصـــدورَ فَمَـــا بِهِنَّ أَذَاءُ

يَا خَائِفًا مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ الَّذِي

مِنْ شَأْنِهِ الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ

لاَ تَرْهَبَنَّ دُجَى الحَنَادِسِ بَعْدَمَا

مُدَّتْ بِبَارِقِ عَدْلِهِ الأَضْوَاءُ

مَوْلاَيَ يَا عُثْمَانُ عِشْ مُتَرَقِّيًا

أَدَمُ الهِلاَلِ لأَخْمَصَيْكَ حِذَاءُ

لِلَّهِ أَنْتَ صَلاَحُ أَمْرٍ فَاسِدٍ

وَضِيَاءُ خَطْبٍ قَدْ عَلاَهُ دُجَاءُ

لَمْ أَدْرِ إِذْ لَمْ تَنْسَنِي وَذَكَرْتَنِي

بِمَوَاهِبٍ سَارَتْ بِهَا الأَنْوَاءُ

أَيُّ اليَدَيْنِ أَجَلُّ عِنْدِي نِعْمَةً

ذِكْرَاكَ إِيَّايَ أَمِ الإِغْنَاءُ

فَاللَّهُ يُولِيكَ الَّذِي لَمْ يُولَهُ

بَشَرٌ وَلَمْ يَبْلُغْ رَجَاهُ مَدَاءُ

وَبَقِيتَ لِلْمُدَّاحِ يَا مَوْلاَيَ مَا

رَقَصَ القَضِيبُ وَغَنَّتِ الوَرْقَاءُ

المصدر: الديوان: ص 71 ـ 73.

2 - تهنئة بعيد الفطر

قال يهنّىء بعيد الفطر السلطان أبا عمرو عثمان الحفصي:

(البسيط)

تَبَسَّـــمَ النُّورُ عَنْ مَغْسُولِ لَمْيَاء
لَمَّا رَأَى الرَّوْضَ يَجْلُو وَجْـهَ حَسْنَاءِ
وَغَرَّدَ الطَّيْرُ فَوْقَ العُودِ مِنْ طَرَبٍ
إِذْ مَالَتِ القُضْبُ تَحْكِي رَقْصَ هَيْفَاءِ
وَكَلَّـلَ الطَّـلُ أَفْوَاهَ الأَقَاحِ فَقُلْ
يَـا حَبَّـذَا شَنَـــبٌ فِي ثَغْرِ لَمْيَاءِ
وَحَـرَّكَ الآسُ آذَانَـــا لِيُسْمِعَهَـا
لَحْـنَ الفَصِيحَيْــنِ شُحْرُورٍ وَوَرْقَاءِ
وَأَرْضَــعَ البَـانُ فِي أَجْيَادِ دَوْحَتِهِ
ضَــرْعَ النُّمِيرَيْـــنِ، أَنْهَارٍ وَأَنْدَاءِ
وَأَظْهَــرَ الــوَرْدُ خَدّاً طَالَمَا كَتَبَتْ
أَيْـــدِي الكَمَــامِ عَلَيْهَا بَابَ إِخْفَاءِ
كَأَنَّـــهُ كَـــأْسُ يَاقُــوتٍ عَلَى فَنَنٍ
مِـــنَ الزُّمُـــرُّدِ يَجْلُو تِبْرَ صَهْبَاءِ
وَنَبَّهَـــتْ أَعْيُنَ النَّسْرِينِ مِنْ سِنَةٍ
إِذْ نَــاحَــتِ الوُرقُ فِي أَفْنَانِ إِلْغَاءِ
كَأَصْحُـنٍ مِنْ لُجَيْنٍ أُشْحِنَتْ ذَهَباً
لِتَصْطَفِينَـــا بِبَيْضَـــاءٍ وَصَــفْـرَاءِ

وَصَــوَّرَتْ شَجَـرَاتُ اليَاسَمِينِ لَنَا

بِـرُوجَ أُفْــقٍ أَقَلَّــتْ شُهْبَ إِصْغَاءِ

أَوْ لُجَّــةً بِلُجَيْــنِ المَوْجِ تُرْقَمُ أَوْ

قِبَــابَ بَشْــمٍ عَلاَهَا دُرُّ حَصْبَاءِ[1]

أَوْ مَــرْطَ خَــزٍّ بِبِلَّوْرٍ تَرَصَّعَ أَوْ

شُبَّــاكَ دُرٍّ عَلَــى غَضْرَاءِ خَضْرَاءِ

كَـأَنَ مَا اخْضَرَّ مِنْ مُبْيَضِّ ظَاهِرِهَا

تَأْثِيــرُ عَـضٍّ بَدَا فِي خَدِّ عَذْرَاءِ

وَحَـدَّقَ النَّرْجَـسُ المَبْهُـوتُ نَاظِرَهُ

لِيَحْـرُسَ الــوَرْدَ مِنْ أَلْحَاظِ عَيْنَاءِ

كَـكُوبِ دُرٍّ تَغَشَّــاهُ النُّضَارُ عَلَى

قُضْـبِ الزَّبَرْجَدِ، يُبْدِي لَحْظَ شَهْلاَءِ

وَلِلقَرنْفُــلِ رَاحَــاتٌ مُخَضَّبَــةٌ

عَلَــى مَعَاصِمِ خُضْرٍ فِتْنَةِ الرَّائِي

كَأَنْجُمٍ مِنْ عَقِيقٍ فِي ذُرَى فَلَكٍ

مِــنَ الزُّجَاجِ أَرَتْ أَشْطَانَ لَأْلاَءِ

وَقَدْ جَرَى النَّهْرُ فِي أُخْدُودِهِ عَجِلاً

كَمَــا جَرَى النَّوْمُ فِي أَجْفَانِ وَطْفَاءِ

(1) البشم: حجر كريم يشبه الزبرجد، لكنه أصفى منه.

كَأنَّمَا النُّورُ مَنْشُوراً بِصَفْحَتِه

جَوَاهِرَ نُظِّمَتْ فِي جِيدِ غَيْدَاءِ

يَنْسَابُ كَالفَجْرِ فِي مَجْرَى غَيَاهِبِهِ

وَيَلْتَوِي كَالْتِوَا رَقْشَاءِ رَقْطَاء

وَقَامَ لِلصُّبْحِ فِي الآفَاقِ مُنْتَصِرٌ

بِآيَةِ النُّورِ يَمْحُو آيَ ظَلْمَاءِ

فَظَلَّ يَنْعَى الدُّجَى فِي لَيْلِ مُحْتَطِبٍ

بِحُلَّةٍ مِنْ سَوَادِ الرِّيشِ دَكْنَاءِ

كَرَاهِبٍ فِي أعَالِي الدَّيرِ مُجْتَهِدٍ

بِقَرْعِ نَاقُوسِهِ فِي جُنْحِ دَهْمَاءِ

كَأَنَّمَا صَوْتُهُ إِذْ نَاحَ صَوْتُ شَجٍ

مُتَيَّمٍ لِفِرَاقِ الأَهْلِ بَكَّاءِ

أَحْنَتْ لِتَغْرِيدِهِ أَهْدَابُ مُقْلَتِه

فَخِلْتُهُ أُذُنَا تُصْغِي لِأَنْبَاءِ

وَالجَوُّ شَمَّرَ أَفْرَاسَ الرِّيَاحِ، فَمَا

أَجْرَى سَوَابِقَهَا فِي حَلْبَةِ المَاءِ

وَزَاجِرُ الرَّعْدِ يَحْدُو نُجْبَ سَارِيَةٍ

بِسَوْطِ بَرْقٍ إِلَى فَيْحَاءَ زَهْرَاءِ

وَالغُدْرُ جَعَّدَهَا كَفُّ النَّسِيمِ كَمَا

تَجَعَّدَتْ عُكَنٌ فِي عِطْفِ وَطْفَاءِ

وَنَشْــــرُ طَيِّ الرُّبَى يَرْوِي التَّضَوعَ عَنْ

مَوْلاَيَ عُثْمَان فِي أَنْحَاءِ أَرْجَــــــاءِ

مَــــوْلًى غَدَتْ تَحْذِفُ الأَمْوَالَ رَاحَتُهُ

حَذْفَ الإِضَافَــةِ تَنْوِينًــا بِأَسْمَــاءِ

رَاعَــى النَّظِيرَ وَقَدْ جَازَ السُّهَى بِخُطًى

تُقْصِــي السِّمَــاكَ وَلَمْ تَعْبَأْ بِعَوَّاءِ

وَطَابَــــقَ الوَصْفَ فِيهِ كُلَّ مَنْقَبَةٍ

بِبَــثِّ مَكْرُمَــةٍ أَوْ حَسْــمِ بَلْوَاءِ

قُــلْ لِلَّــذِي قَــاسَ بِالأَنْوَاءِ نَائِلَهُ

أَخْطَــأْتَ إِذْ قِسْــتَ طُوفَانًا بِأَنْوَاءِ

قَــدْ تَوَّجَتْــهُ مَعَالِيــهِ بِتَــاجِ هُدًى

وَمَنْطَقَتْــهُ يَــدُ العَلْيَــا بِجَــوْزَاءِ

وَدَبَّجَــتْ رَاحَــةُ الحُسْنَــى لَهُ حُلَلاً

أَبْــــهَى وَأَبْهَرَ مِنْ تَدْبِيجِ صَنْعَاءِ

يَسْمُــــو بِكَـفٍّ عَلَى الرَّاجِينَ حَانِيَةٍ

جُــودًا، وَطَرْفٍ عَلَى العَلْيَاءِ رَنَّاءِ

بِــهِ اسْتَقَـرَّتْ هِضَابُ المُلْكِ وَاتَّسَعَتْ

أَفْنَانُــــهُ فِــي رُبَــى عِزٍّ وَعَلْيَاءِ

ذُو الجُودِ وَالبَأْسِ فِي يَوْمَيْ نَدًى وَرَدًى

كَالغَيْــمِ يَهْمِــي بِضَــرَّاءٍ وَسَرَّاءِ

سَهْلُ السَّمَاحِ أَسِيلٌ فِي حَمَاسَتِهِ
كَالعُودِ يَجْمَعُ بَيْنَ النَّـــــارِ وَالمَــاءِ

فِي كَفِّهِ قَلَمٌ، فَصلُ الخِطَابِ غَدَا
مُبَرَّأً مِنْ خَنَـــا غَـــيٍّ وَفَحْشَاءِ

يُلْقِي عَلَى الطِّرْسِ أَشْيَـاءً مُغَيَّبَةً
كَأَنَّـــهُ قَـــدْ تَلَقَّاهَـــــا بِإِيحَــاءِ

يَمُصُّ رِيقَــةَ ثَغْــرِ النُونِ مِنْ ظَمَإٍ
كَأَنَّمَـــا هُـــوَ مَـــوْسُومٌ بِحَلْوَاءِ

إِنْ جَــادَ أَغْنَى بِجُودٍ غَيْرِ مُمْتَنِعٍ
أَوْ قَــالَ أَبْــدَى مَقَالاً غَيْرَ خَطَّاءِ

طَابَتْ بِفَحْوَاهُ أَفْوَاهُ الرُّوَاةِ، فَمَا
عَــرْفُ القَرَنْفُلِ أَوْ عَرْفُ الخُزَامَاءِ؟

مُرَفَّـــعٌ عَــنْ شَبِيـــهٍ فِي خَلاَئِقِهِ
إِذْ عَنْـــهُ قَدْ عَقِمَتْ أَرْحَامُ حَوَّاءِ

إِذَا انْتَضَــى سَيْفَهُ وَالنَّقْعُ مُرْتَكِمٌ
فَالصُّبْـــحُ يَطْلَعُ فِي دَيْجُورِ لَيْلاَءِ

وَإِنْ دَجَــى لَيْلُ خَطْبِ الحَادِثَاتِ وَلَمْ
تَبْــدُ بِآفَاقِــهِ أَضْــــوَاءُ لَألاَءِ

أَضَــاءَهُ بِشِهَــابٍ مِــنْ عَزِيمَتِهِ
وَوَاضِـــحٍ مِـنْ سَدِيدِ الرَّأْيِ وَضَّاءِ

مُظَفَّــرٌ بِحُسَــامٍ فِي الوَغَى دَلِقٍ[2]
مُؤَيَّــدٌ بِيَــدٍ فِــي السِّلْمِ بَيْضَاءِ

يَــرَى صَلِيــلَ الظُّبَى وَالخَيْلُ صَاهِلَةٌ
أَشْهَــى وأَطْيَبَ مِنْ عُودٍ وَمِنْ نَاءِ[3]

ثَبْــتُ الجَنَــانِ إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُ وَغَى
يُــذْرِي الكُمَــاةَ بِأَهْــوَالٍ وَأَهْوَاءِ

كَــأَنَّ أَسْيَافَــهُ فِــي النَّقْعِ إِذْ لَمَعَتْ
أَشِعَّــةُ البَــرْقِ فِــي أَكْنَافِ وَطْفَاءِ

إِنِ انْتَضَتْهَــا أَكُــفُّ الضَّارِبِينَ بِهَا
تَظُنُّهَــا خُلُجَــا سَابَــتْ بِبَطْحَاءِ

قَوَاضِــبٌ خَطَبَــتْ بِالنَّصْرِ أَلْسُنُهَا
عَلَــى مَنَابِــرِ أَعْنَــاقٍ وَأَعْضَاءِ

بِيضٌ بِأَيْدِي وُلاَةِ الصِّدْقِ قَدْ حَصَدَتْ
زَرْعَ الغِوَايَــةِ مِــنْ هَامَاتِ أَعْدَاءِ

طَلْــقُ الجَبِــينِ نَدِيُّ الكَفِّ تَحْسَبُهُ
كَالزَّهْرِ فِي الأُفْقِ أَوْ كَالزَّهْرِ فِي المَاءِ

فَلَيْــسَ يَنْفَــكُّ مِــنْ جُــودٍ وَمِنْ أَمَلٍ
مُكَــرَّراً بَيْــنَ إِصْبَاحٍ وَإِمْسَاءِ

(2) الدّلق: السيف السلس الخروج من الغمد .

(3) الناء: يعني به الناي.

مِــــنْ مَعْشَرٍ أَوْقَدَ الرَّحْمَنُ نُورَهُمُ

فَكَيْــفَ يَطْمَـــعُ شَانِيهِــمْ بِإِطْفَاءِ

هُـــمْ هُــمُ القَوْمُ شَدَّ اللَّهُ وَطْأَتَهُمْ

عَلَـــى العِـدَاةِ بِبَـتَّــارٍ وَسَمْـــرَاءِ

بِـــأَوَّلِ الأَمْـــرِ مِنْهُــمْ أَوْ بِآخِرِهِمْ

بَرَاهُـــمُ اللَّـــهُ أَنْـــوَاراً لِظَلْمَـــاءِ

قَـــوْمٌ إِلَـــى عُمَرَ الفَارُوقِ نِسْبَتُهُمْ

لِــذَاكَ عَـــزُّوا بِأَلْقَابٍ وَأَسْمَاءِ[4]

شَـــرَوْا بِأَرْوَاحِهِــمْ فِــي اللَّهِ جَنَّتَهُ

فَاسْتَوْجَبُـــوا رِبْحَ إِخْلاَصٍ بِإِغْلاَءِ[5]

لاَ يَرْتَجُـــونَ سِوَى نَصْرِ الإِلَهِ وَلاَ

يَخْشَـــوْنَ إِنْ أَزْمَعُوا تَهْوِيلَ شَنَّاءِ

كَأَنَّهُـــمْ، وَعُيُـــونُ اللَّـــهِ تَكْلَؤُهُـمْ

أَقْمَـــارُ دَاجِيَـــةٍ أَوْ صِيـــدُ هَيْجَاءِ

يَؤُمُّهُـــمْ فِــي صَلاَةِ النَّصرِ أَعْلَمُهُمْ

بِالفَتْـــحِ وَالنَّصْرِ فِي خَتْمٍ وَإِبْدَاءِ

هِــزَبْـــرُ حَــرْبٍ يَصُونُ المُلْكَ مُرْهَفُهُ

وَرُبَّ كَنْـــزٍ غَـــداً يُحْمَـــى بِرَقْشَاءِ

---

(4) يشير إلى ادعاء الحفصيين الانتساب إلى عمر بن الخطاب، وسوف يكرر هذا الادعاء في أغلب مدائحه.

(5) في البيت تلميح إلى الآية: إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة (التوبة 111) .

يَــا مَالِكًــا أَيَّــدتْ تَصوِيرَ مَنْطِقِهِ

عِنْــدَ القِيَــاسِ بَرَاهِيــنُ الأدِلاَّءِ

رَفَعْــتُ جُمْلَةَ نَظْمٍ فِيكَ مَا انْخَفَضَتْ

بِحَــرْفِ مِيــمٍ وَلاَ دَالٍ وَلاَ حَاءِ[6]

فَلْتَهْــنَ بِالعِيدِ، عِيدِ الفِطْرِ إِذْ طَلَعَتْ

نُجُــومُ إِسْعَــادِهِ فِــي أُفْقِ بِشْرَاءِ

هِــلاَلُ شَــوَّالِــهِ حَيَّاكَ مُبْتَسِماً

كَالــلاَّمِ لِلــدَّالِ أَوْ كَالنُّــونِ لِلرَّاءِ

فَـاهْنَــأْ بِــهِ، وَبِأَضْعَافٍ تَعِيشُ بِهَا

فِــي طِيــبِ عَيْشٍ وَإِجْلاَلٍ وَنَعْمَاءِ

وَهَــاكَ عَذْرَاءَ نَظْمٍ قَدْ زَفَفْتُ بِهَا

لِخَيْــرِ بَعْــلٍ يُــرَى مِنْ خَيْرِ أَكْفَاءِ

جَلَّتْ عَنِ الوَصْفِ إِذْ جَلَّتْ صِنَاعَتُهَا

عَــنْ قُبْــحِ خَرْمٍ وَإِقْــوَاءٍ وَإِيــطَــاءِ[7]

---

(6) ميم ودال وحاء أي مدح، أي أنّ شعره ارتفع وتشرّف بمدحه.

(7) الخرم والقواء والايطاء، من عيوب الشعر. فالخرم هو حذف حرف من أول الابحر المبدوءة بأحد الأصول الثلاثة وهي فعولن ومفاعيلن ومفاعلتن المبدوءة بوتد مجموع. ويكون الخرم بحذف أول حرف من أول جزء من البيت، فتصبح "فعولن" مثلا عولن، وتنقل إلى "فعلن".

والإيطاء هو من عيوب القافية، ويتمثل في تكرار كلمة الروي لفظا ومعنى في أقل من سبعة أبيات على المشهور، وأفحشه ما كان في بيتين متواليتين وأما الاقواء فهو اختلاف روي البيت على روي سابقه أو لاحقه، كأن تكون القصيدة على حرف مضموم، فيؤتى به مكسورا.

إنْ لَمْ تَكُنْ صَنْعَةُ الأَعْشَى فَصَانِعُهَا

يَرْوِي عَنْ ابن هلال شمـــس لألاءِ[8]

يُنْسِيكَ ثَغْرُ أَقَاحِيهَا إِذَا ابْتَسَمَتْ

كَمْ مُقْلَةِ لِلشَّقِيقِ الغَضِّ رَمْدَاءِ

لاَ زِلْتَ كَالنَّجْمِ فِي سَعْدٍ وَفِي شَرَفٍ

تُنْشِي الجَمِيلَ وَتُنْسِي حاتم الطائي"[9]

مَا رَقْرَقَ القَطْرُ فِي الأَغْصَانِ أَدْمُعَهُ

وَمَا رَنَا الـزَّهْـرُ عَنْ أَجْفَـانِ وَطْفَاءِ

المصدر: الديوان . ص 78 ـ 85

3 . تذكر الحبيب

(الكامل)

ذَكَـــرَ الفُـــؤَادُ حَبِيبَـــهُ فَـارْتَاحَا

وَأَهَاجَــهُ نَـــوْحُ الحَمَـــامِ فَنَاحَا

وَأَعَـارَهُ البَـــرْقُ الخَفُوقُ طُرُوبَهُ

فَلِـــذَاكَ طَـــارَ وَمَا اسْتَعَارَ جَنَاحَا

وَأَمَـــدَّهُ صَـــوْبُ الغَمَـــامِ كَأَنَّـهُ

أَنْشَـــا بِقَلْـــبِ الخَـافِقَيْـــنِ رِيَاحَا

---

(8) الاعشى، يريد به أعشى قيس، شاعر جاهلي ادرك الاسلام ولم يسلم. وكان يلقب بصناجة العرب لتمكنه من صنعة الشعر ولمتانة بنائه وجمال أسلوبه توفي سنة 629/7 وابن هلال لعله يريد به أبا هلال العسكري صاحب كتاب "الصناعتين".

(9) حاتم الطائي: يضرب به المثل في الكرم عند العرب، كان من أهل نجد ومن فرسان الجاهلية وشعرائها، أرخت وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي، أي 578م.

وَأضلَّـــهُ هَدْيُ النُّجُـــومِ عَشيَّةً

وَأعَلَّـــهُ بُـــرْءُ النَّسيـــمِ صَبَاحَـا

وَصَـــغَى لِتَغْرِيـــدِ الحَمَـــامِ فَهَاجَهُ

بَـــرْقٌ بِأكْنَـــافِ الأُبَيْـــرِقِ لاَحَا

وَأعَـــادَ مِـــنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ مَوْقِفًا

أضْنَـــى الجُسُومَ وَأنْعَشَ الأرْوَاحَا

هَـــلاَّ نَهَـــاهُ نُهَاهُ عَنْ ذِكْرِ الهَوَى

فَأرَاحَ مِـــنْ قَـــوْلِ العَذُولِ وَرَاحَا

يَـــا عَـــاذِلِي، لاَ ذُقْتَ مَا أنَا ذَائِقٌ

مِـــنْ حُـــزْنِ قَلْبٍ لاَزَمَ الأتْرَاحَا

وَعَدَتْـــكَ أشْجَـــانُ الهَوَى وَشُؤُونُهُ

وَعَـــدِمْـــتَ رُشْـــدًا بَعْـــدَهُ وَفَلاَحَا

أتَظُـــنُّ أنَّ العَـــذْلَ يَنْفَعُ مَنْ يَرَى

أنْ لاَ يَـــرَى لِفَسَـــادِهِ إصْلاَحَا

هَـــبْ أنَّ عَذْلَـكَ مُؤْذِنٌ بِنَصِيحَةٍ

أرَأيْـــتَ صَبًّـــا يَأْلَـــفُ النُّصَّاحَا

فَـــدَعِ التَّعَتُّبَ وَاطَّرِحْ نُصْحِي فَمَا

كُلِّفْـــتَ لِـــي الإسْعَـــادَ وَالإفْلاَحَا

وَبِمُهْجَتِـــي تَغْرِيـــدُ قُمْـــرِيٍّ حَكَى

ثَكْـــلاَءَ أيْقَظَـــتِ النِّيَـــامَ صِيَاحَـا

فِــي رَوْضَــةٍ حَاكَ الرَّبِيعُ لِخُودِهَا

حلـــلا وصــاغ لهــا الخليج وشاحا

وَأَعَارَهَـــا الاصبَـــاحُ بَهْجَتَهُ، كَذَا

تلقـــى بهــا غيـدَ الزُّهــور صِباحَا

قَــدْ مِسْنَ قُضْبًا، وَابْتَهَجْنَ شَقَائِقًا

وسفــرن وردا وابتسمـــن أقاحــا

وَتَبَسَّمَـــتْ أَزْهَـــارُهَـــا لَمَّـــا جَرَى

دمـــع الغمام على البطاح وساحا

وَتَمَايَلَـــتْ أَغْصَـــانُهَـــا طَرَبًـــا كَمَا

مالــت زنـــوجٌ قـــد سُقِــينَ الرّاحا

المصدر: الديوان: ص 274 ـ 276.

4- على وجنتيها الورد

(الطويل)

عَلَى وَجْنَتَيْهَا الوَرْدُ إِنْ فُقِدَ الوَرْدُ

وَفِي ثَغْرِهَا الصَّهْبَاءُ مَازَجَهَا الشَّهْدُ

وَلَوْلاَ الهَوَى مَا حَلَّ أَحْمَدُ رِيقَهَا

وَمَنْ حَرَّمَ السَّلْسَالَ خَالَطَهُ النَّدُّ؟

وَلَمَّا سَقَتْنِيهِ حُدِدْتُ بِلَحْظِهَا

وَمَنْ يَشْرَبِ الصَّهْبَاءَ يَلْزَمُهُ الحَدُّ

وَأُقْسِمُ لَوْلاَ عَقْرَبُ الصُّدْغِ رَاعَنِي
لَمَا كَانَ لِي مِنْ لَثْمِ وَجْنَتِهَا بُدُّ
أَضَلَّتْ رَشَادِي فِي الهَوَى بِسُؤَالِهَا
أَغَارُ عَلَيْهَا إِذْ تَحَمَّلَهَا الخَدُّ
تَثَنَّتْ فَحَارَ الفَهْمُ فِي وَصْفِ حُسْنِهَا
وَقَدْ يَتَثَنَّى الغُصْنُ لِأَنَّهُ فَرْدُ
وَمَا هِيَ إِلاَّ الشَّمْسُ أَنْكَرَ ضَوْءَهَا
وُشَاةٌ، إِذَا لاَحَتْ، لَهُمْ أَعْيُنٌ رُمْدُ
تَنَاسَبَتِ الأَفْعَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
عَلَى أَنَّهَا فِي الحُسْنِ لَيْسَ لَهَا نِدُّ
فَقَلْبِي وَقُرْطَاهَا وَصَبْرِي وَخِصْرُهَا
وَوَجْدِي وَرِدْفَاهَا وَدَمْعِيَ وَالعِقْدُ
جَحَدْتُ هَوَاهَا خِيفَةً مِنْ صُدُودِهَا
وَمَاذَا عَسَى يُغْنِي مُتَيَّمَهَا الجَحْدُ
وَمُذْ هَجَرَتْنِي وَاصَلَ السُّهْدُ مُقْلَتِي
فَنَوْمِي وَصُبْحِي لَيْسَ لِي بِهِمَا عَهْدُ
وَمَا قَطَعَ الطَّيْفُ الزِّيَارَةَ عَنْ قِلًى
وَلَكِنَّ جَفْنِي لاَ يُفَارِقُهُ السُّهْدُ
سُهَادِي بِهَا أَحْلَى لَدَيَّ مِنَ الكَرَى
وَأَوْقَدُ مَا أَلْقَاهُ فِي حُبِّهَا بَرْدُ

المصدر: *الدّيوان: ص 277 ـ 278.*

5 ـ رثاء ابنه محمد

(البسيط)

أَصَبْـــتَ عَيْنَ المَهَا يَا مَوْتُ بِالرَّمَدِ
وَقَدْ أَهَضْتَ جَنَاحَ المَجْدِ، فَاتَّئِدِ

جَدَعْتَ مَارِنِيَ الأَقْنَى، وَعَنْ غَرَضٍ
رَمَيْتَ جَفْنِيَّ بَعْدَ المَوْتِ بِالسَّهَدِ[1]

هَدَمْــتَ مَا شِيدَ مِنْ رُكْنِ الفَخَارِ وَلَمْ
تَتْرُكْ لَهُ أَبَدًا بَادٍ إِلَى الأَبَدِ

نَاجَزْتَ فِي صَرْفِ آجَالٍ قَدِ اقْتَرَبَتْ
إِذْ لاَ تُسَلِّمُهَا إِلاَّ يَدًا بِيَدِ

كَمْ زِدْتَ فِي نَقْصِكَ العلْيَا جَوَى كَبِدٍ
حَرَّى، فَيَالَيْتَ لَمْ تُنْقِصْ وَلَمْ تَزِدِ

وَكَمْ تَرَكْتَ رُبُوعًا لَيْسَ يَعْمُرُهَا
سِوَى الحدَايَةِ وَالخُطَّافِ وَالصَّرَدِ[2]

وَكَمْ قَطَعْتَ غُصُونًا، غَيْرَةً، فَنَوَتْ
كَأَنَّكَ القَلْبُ مَجْبُولٌ عَلَى الحَسَدِ

وَكَمْ أَخَذْتَ حَلِيفًا لِلسَّخَاءِ، وَكَمْ
تَرَكْتَ زَنْدَ النَّدَى كَفًّا بِلاَ عَضُدِ

---

(1) المارن: طرف الأنف.

(2) الحداية، طائر من الجوارح، وهي عامية، فصيحها الحدأة. والصرد طائر ضخم الرأس.

وَكَمْ تَرَكْتَ أَبًا يَبْكِي عَلَى وَلَدٍ

أَذَقْتَهُ طَعْمَ ثُكْلِ الأُمِّ لِلْوَلَدِ

وَكَمْ لُحُودِ قُبُورٍ قَدْ نَثَرْتَ بِهَا

أَعْضَاءَ حُسْنٍ كَمِثْلِ الجَوْهَرِ النَّضِدِ

وَكَمْ تَوَسَّدْتَهَا رَأْسًا بِلاَ عُنُقٍ

كَمَا ارْتَدَيْتَ بِهَا ثَوْبًا بِلاَ جَسَدِ

وَكَمْ تَرَكْتَ أَمِينًا غَيْرَ مُؤْتَمَنٍ

كَمَا تَرَكْتَ عِمَادًا غَيْرَ مُعْتَمَدِ

وَكَمْ تَرَقَّيْتَ مَرْقًى عَزَّ مَدْرَكُهُ

وَكَمْ تَخَلَّلْتَ حَتَّى غَابَةِ الأُسُدِ

يَا مُرْتَدٍ بِالشَّبَابِ الغَضِّ، مُنْتَشِيًا

مِنْ كَأْسِهِ، هَلْ أَحَبَّ السُّكْرَ ذُو رَشَدِ

لاَ تَغْتَرِرْ بِشَبَابٍ أَنْتَ تَهْدِمُهُ

إِنَّ المَنِيَّةَ لاَ تُبْقِي عَلَى أَحَدِ

وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لِمْ لاَ تَنْهَ نَفْسَكَ عَنْ

مَا قَدْ جَنَتْ مِنْ فَسَادٍ جَلَّ عَنْ عَدَدِ

هَبِ الشَّبَابَ لَهُ عُذْرٌ بِصَاحِبِهِ

مَا عُذْرُ أَشْيَبَ فِي العِصْيَانِ مُنْفَرِدِ؟

لاَ تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا

مَنْ سَرَّهُ اليَوْمُ وَافَاهُ اكْتِئَابُ غَدِ

وَالعُمْرُ مَيْدَان سَبْقٍ وَالحِمَامُ مَدًى

وَكُلُّ جَارٍ سَيَلْقَى غَايَةَ الأَمَــدِ

يَا لَيْلَة بِاعْتِلاَجِ البَرْقِ قَدْ عَلِقَتْ

جَوزَاؤُهَا كَاعْتِلاَقِ القَلْــبِ بِالكَبِــدِ

أَبْدَيْتِ مِثْلَ الَّذِي أَدْبَــرْت مِنْ قَلَقٍ

وَلَمْ يَكُنْ بِالَّذِي أَكْمَنْتِ مِنْ كَمَــدِ

وَكَمْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لاَتَ مُصْطَبَرٍ

فَالآنَ أَجْهُدُ حَتَّى لاَتَ مُجْتَهَــدِ

عِنْدِي شَوَائِبُ حُزْنٍ لَوْ رَمَيْتُ بِهَا

عِنْدَ التَّفَجُّعِ هَامَ الغَيْــث لَمْ يَجُدِ

وَحَسْــرَةٌ جَــادَهَا دَمْعِي فَأَوْقَدَهَا

وَلَوْ عَدَتْ بِجَوَاهَا النَّجْمَ لَمْ يَقِــدِ

عُمْرِي لَقَدْ غَالَنَا الرُّزْء الَّذِي طَرَقَتْ

بِهِ اللَّيَالِي، وَجَلَّ الخَطْبُ عَنْ جَلَدِ

هِــيَ المَقَــادِيرُ فَاقْبَلْ مَا حَبَتْكَ بِهِ

مِنْ آجِلٍ نَضــرٍ أَوْ عَاجِلٍ نَكِــدِ

فَلِــلأُمُــورِ مَوَاقِيــتٌ مُقَــدَّرَةٌ

مَا بَيْنَ مُنْعَكِسٍ مِنْهَا وَمُطَّرِدِ

إِنْ لَجَّ شَوْقِي فَلاَ بِـدع لِذِي عَجَبٍ

أَوْ قَلَّ صَبْرِي فَلاَ لَوْم لِذِي نَكَدِ

عَيْــنٌ مُسَهَّــدَةُ الأَجْفَــانِ أَرَّقَهَـا

نَأْيُ الحَبِيبِ، وَقَلْبٌ نَاحِلُ الجَسَدِ

لَهفِي! وَهَلْ نَافِعِي لَهَفِي عَلَى وَلَدٍ

إِذَا لَجَأْتُ لِصبرِ فِيهِ لَمْ أَجِدِ

لَهفِي! وَهَلْ نَافِعِي لَهْفِي عَلَى قَمَرٍ

رَمَاهُ بِالخَسْفِ نَحْسُ الطَّالِعِ النَّكِدِ

لَهفِــي وَلَهـفَ بَنِي الأَيَّامِ قَاطِبَة

عَلَى محمد إِذْ وَلَّى وَلَـمْ يَعُـدِ

وَكُلِّ عَيْنٍ بِمَاءِ الدَّمْعِ فِي غَرَقٍ

وَكُلُّ قَلْبٍ بِنَارِ الشَّوْقِ مُتَّقِدِ

لاَ أَعْتَبُ الزَّمَنَ المُودِي بِسَيِّدِهِ

يَكْفِيهِ مَا حَلَّ فِي أَحْشَاهُ مِنْ كَمَدِ

وَكَمْ طَلَبْتُ اللَّيَالِي أَنْ تُغَيِّبَهُ

عَنِ المَنَايَا، فَلَمْ تَفْعَلْ وَلَمْ تَكدِ

آهٍ لِعَطْفِ بَيَانٍ فِيهِ ذِي نَسَقٍ

قَدْ نَازَعَ القرب فِيهِ عَامِلُ البعدِ

بُنَيَّ لَيْتَكَ لَمْ تُخْلَقْ لِوَرْيٍ بِلًى

يَا لَيْتَنِي لَمْ أُسَمْ بِالصَّبْرِ عَنْ شَهَدِ

وَلَيْتَ بَدْرَكَ لَمْ يَطْلُعْ عَلَى أفُقٍ

وَلَيْتَ شَمْسكَ لَمْ تُشْرِقْ عَلَى بَلَدِ

مَا كَانَ أَقْصَرَ سَاعَاتٍ بِكَ ارْتُصِدَتْ

فَلَيْتَنِي كُنْتُ مَوْقُوفًا عَلَى الرَّصَدِ

سَقَى الحَيَا قَبْرَكَ الزَّاكِي وَوَاصَلَهُ

سَحَابُ عَفْوٍ وَغُفْرَانٍ مَدَى الأَبَدِ

وَصَبَّرَ اللَّهُ قَلْبَ الوَالِدَيْنِ عَلَى

مَنْ حَرَّكَ الوَجْدُ فِيهِ سَاكِنَ الجَلَدِ

المصدر : الديوان: ص 250 ـ 254

6 ـ ورود وخدود

(الوافر)

أَرَانَـــا الـــوَرْدَ فِـــي حُمْرِ الخُدُودِ

وَقَـــدْ حَمَلَتْـــهُ بَانَـــاتُ القُـدُودِ

وَلاَحَ الجُلَّنَـــارُ بِـــوَجْـنَـتَـيْـــهِ

فَبَشَّـــرَنَـــا بِرُمَّـــانِ النُّهُـــودِ

وَقَـــوَّسَ حَاجِبًـــا فَرَمَـــى سِهَامًا

تَشُـــقُّ قُلُوبَنَـــا قَبْـــلَ الجُلُـــودِ

يَمِينًـــا بِالقَـــوَامِ إِذَا تَثَـنَّـــى

وَبِـــالدُّعْـــجِ المُكَحَّـــلَـــةِ الرُّقُـــودِ

لَئِـــنْ قَطَـــعَ المُهَنَّـــدُ دُونَ غِمْدٍ

فَسَيْـــفُ اللَّحْظِ أَقْطَعُ فِي الغُمُودِ

وَإِنْ نُسِـــبَ الجَبِـــينُ إِلَى هِلاَلٍ

فَقَـــدْ نُسِـبَ العِـــذَارُ إِلَـــى زَرُودِ!

غَـــزَالٌ نَافِـــرٌ إِنْ رُمْـــتَ أُنْساً

وَكَيْـــفَ الأُنْـــسُ لِلظَّبْيِ الشَّرُودِ

لَـــهُ فِـــي لَحْظِـــهِ آيَـــاتُ سِحْرٍ

تُـــرِيـــكَ الظَّـــبْـــيَ يَلْعَبُ بِالأُسُـــودِ

رَآهُ الغُصْـــنُ ثُمَّ سَهَـــا، فَلَمْ لاَ

أَتَـــى مِـــنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالسُّجُودِ

ضَلُلْـــتُ بِلَيْـــلِ طُرَّتِـــهِ، وَلَكِـــنْ

هُدِيـــتُ بِصُبْـــحِ طَالِعِهِ السَّعِيدِ

شَنِيـــبُ الثَّغْـــرِ مَعْسُـــولُ الثَّنَايَا

كَحِيـــلُ الطَّـــرْفِ وَرْدِيُّ الخُدُودِ

يُدِيـــرُ الـــرَّاحَ بِالكَاسَـــاتِ كَيْمَا

يُرِيـــكَ الشَّمْـــسَ فِي بُرْجِ السُّعُودِ

خَطَبْنَـــا بِكْرَهَـــا فِي وَقْتِ أُنْسٍ

فَهَـــلْ لَـــكَ أَنْ تَكُـــونَ مِنَ الشُّهُودِ

المصدر: الديوان: ص 288 ـ 289.

7 ـ أضرم الدمع في الحشاشة نارا

(الخفيف)

أَضْرَمَ الدَّمْعُ فِي الحُشَاشَةِ نَارَا

حِينَ قَالُوا شَطَّ الحَبِيبُ وَسَارَا

سَارَ عَنِّي، وَلَمْ أَجِدْ لِيَ صَبْرًا

كَيْفَ حَالِي! وَلَمْ أَجِدْ لِي اصطِبَارَا

طَيَّرَ العَقْلَ ثُمَّ قَصَّ جَنَاحِي

وَقَصَا مَنْزِلاً وَشَطَّ مَزَارَا

وَيْحَ قَلْبِي، وَوَيْحَ كُلِّ مُحِبِّ

فَقَدَ العَيْنَ فَاقْتَفَى الآثَارَا

يَرْقُبُ النَّجْمَ فِي الظَّلاَمِ وَمَهْمَا

لَمَعَ البَرْقُ فِي الغَمَامِ اسْتَطَارَا

وَإِذَا نَاحَ فِي الغُصُونِ حَمَامٌ

مَزَّقَ القَلْبَ ثُمَّ شَقَّ الإِزَارَا

وَإِذَا زَارَ لِلأَحَبَّةِ طَيْفٌ

نَكَّسَ الرَّأْسَ ذِلَّةً وَصَغَارَا

لاَزَمَ السُّهْدَ وَالأَسَى فَلِهَذَا

عَلَّمَ النَّوْحَ وَالبُكَا الأَطْيَارَا

فَقَدَ الصَّبْرَ وَالسُّلُوَّ فَأَضْحَى

يُظْهِرُ الحُبَّ لَوْعَةً وَاسْتِعَارَا

وَكَسَا جِسْمَهُ السَّقَامُ، فَأَمْسَى

سُهْدُ عَيْنَيْهِ لِلْجُفُونِ شِعَارَا

يَا لَقَوْمِي! أَمَا مَعِينٌ مُعِينٌ

غَيْرَ دَمْعٍ أَفَاضَ مِنْهُ البِحَارَا

أَوْ شَقِيقٌ يَرِقُّ لِي، أَوْ رَفِيقٌ

يَحْفَظُ الجَارَ أَوْ يُرَاعِي الجِوَارَا

أَوْ صَدِيـــقٌ صَدُوقُ وَعْدٍ، يُبَارِي

نَقْــضَ عَهْــدِي وَيَكْتُمُ الأَسْرَارَا

أَوْ سَمِيرٌ يُصْغِي إِلَى شَرْحِ حَالِي

فَحَدِيثِـــي لَيُطْــرِبُ السُّمَّـــارَا

كَـانَ مَـا كَـانَ يَا فُؤَادِي فَدَعْهُ

فَالّـــذِي كُنْتُ أَخْتَشِي مِنْهُ صَارَا

قُضِيَ الأَمْرُ، فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ،

فَلَـــكَ الوَصْـــلِ بِالقَطِيعَـــةِ دَارَا

آهِ مِـــنْ فُرْقَـــةٍ وَفَيْـــضِ جُفُونٍ

صَيَّـــرَ الطَّـــرْفَ وَالفُؤَادَ حَيَارَى

مَـــنْ نَصِيـــرِي وَلَيْسَ غَيْرُ فُؤَادٍ

مَــاتَ شَوْقًــا وَمَــا دَرَى الانْتِصَارَا

وَيْـــحَ أَهْلِ الهَوَى يُرَوْنَ سُكَارَى

بِهَـــوَاهِــمْ، وَمَــا هُـــمُ بِسُكَارَى

صَيَّـــرُوا الـــذُّلَّ شِرْعَـــةً لِأُنَاسٍ

أَنِفُـــوا الذُّلَّ فِي الهَوَى وَالصَّـغَارَا

يَـــا قُسَـــاةَ القُلُـــوبِ، رِفْقًا بِقَلْبٍ

لَـــمْ يَكُـــنْ قَطُّ يَأْلَفُ الأَحْجَارَا

قَـــدْ نَسِيتُـــمْ عُهُـــودَنَـــا، وَفُؤَادِي

لَـــمْ يَـــزِدْهُ البِعَـــادُ إِلاَّ ادِّكَـارَا

كَــمْ جُفُــونٍ كَسَوْتُمُوهَــا سُهَـادًا

وَقُلُــوبٍ سَلَبْتُمُــوهَــا القَـــرَارَا

كُــلَّ يَــوْمٍ يَسُومُنِـــي الحُـــبُّ حَتْفًا

بِنَــوًى شَـــبَّ فِــي الأَضَالِعِ نَارًا

وَإِذَا مَــا الظَّــلاَمُ جَــنَّ رِمَانِـــي

سَهْــمُ وَجْــدٍ يُهَـيِّـــجُ الافْكَارَا

طَالَ لَيْلِي، وَلَمْ يَلُحْ وَجْهُ صُبْحِي

يَــا تُــرَى هَــلْ أَرَى الظَّلاَمَ يُوَارَى

لَــوْ يَكُــونُ الصَّبَاحُ حَيًّا يُرَجَّى

لَــمْ تَــرَ الــزُّهْرَ فِي السَّمَاءِ حَيَارَى!

المصدر: الديوان: ص 299 ـ 301.

8 ـ مدح أبي عمرو عثمان الحفصي

(الكامل)

حَسَــرَ اللِّثَامَ عَنِ المُحَيَّا الأَزْهَــرِ

فَأَبَانَ عَنْ فَلَقِ الصَّبَـــاحِ المُسْفِرِ

وَرَنَـــا بِأَحْــوَرِ لَحْظِهِ لَمَّا انْثَنَى

فَرَأَيْتُ أَبْيَضَ يُنْتَضَى مِنْ أَسْمَرِ

وَاخْضَــرَّ آسُ عِــذَارِ وَرْدَةِ خَدِّهِ

فَحَمَـــاهُ سَالِفُـــهُ بِعَقْــرَبِ عَنْبَــرِ

وَرَوَى "مُبَــرِّدٌ" رِيــقِ مَبْسَمِــهِ لَنَا
عِقْدَ الجَوَاهِرِ عَنْ صِحَاحِ "الجَوْهَرِيِ"
قَمَــرٌ أَبَانَــتْ وجْنَتَــاهُ شَقَائِقًــا
نُعْمَانُهَــا بِالمَنْــعِ أَصْبَــحَ مُنْــذِرِي
أَصْــلُ المَلاَحَــةِ فِيــهِ فَرْعٌ أَسْحَمٌ
قَامَــــتْ أَدِلَّــتُــهُ بِفَــرْقٍ نَــيِّــر
يَهْتَــزُّ مِــنْ مَــرَحِ الشَّبَابِ قَوَامُهُ
كَالغُصْــنِ صُوفِحَ بِالنَّسِيمِ السَّحَرِي
فِــي أُفْــقِ وجْنَتِهِ المُنِيرَةِ كَوْكَبٌ
نَــادَى بِهَــا العُشَّــاقَ يَا للمُشْتَرِي
وَبِثَغْــرِهِ شَهْــدٌ يُنَــادِي عَوْفُهُ
يَــا أَيُّــهَا الحَلَوِيُّ يَا ابْنَ السُّكَّرِي
مَــا زِلْــتُ أَطْلُبُ قُرْبَهُ حَتَّى دَنَا
وَالصَّــدُّ مِــنْ شِيَــمِ الظِّبَاءِ النَّــفَّرِ
فَحَلَلْــتُ جَــنَّــةَ وَصْلِهِ، فَأَبَاحَنِي
رِضْــوَانُ مَبْسَمِــهِ شَــرَابَ الكَوْثَرِ
وَرَشَفْــتُ رِيقَتَــهُ فَشَبَّ بِمُهْجَتِي
لَهَبُ الجَوَى مِنْ رَشْفِ مَاءِ السُّكَّرِ
حَيْــثُ الصَّبَاحُ أَبَانَ صَارِمَ نُورِهِ
فَمَحَــا بِــهِ آيَ الظَّـــلاَمِ الأَعْكَرِ

وَامْتَــدَّ مِضْمَـارُ الربَى لما انْبَرَتْ

تَجْرِي بِهَا خَيْلُ النَّسِيمِ الأَعْطَرِ

وَشَـدَتْ عَلَى العِيدَانِ وَرْقَاءُ الحِمَى

بِلُحُونِ "مَعْبَدَ" مِنْ حِصَارِ العكبَرِي

وَافْتَـرَّ ثَغْـرُ الأُقْحُوَانَـةِ ضَاحِكًا

لَمَّا بَـــكَى جَفْنُ الغَمَامِ المُمْطِرِ

فَالغَيْـمُ بَيْــنَ تَقَشُّـــعٍ وَتَرَاكُمٍ

وَالشَّمْـسُ بَيْــنَ تَبَـرُّجٍ وَتَسَتُّرِ

وَالــرَّوْضُ بَيْــنَ مُعَصْفَــرٍ وَمُوَرَّدٍ

وَالأُفْــقُ بَيْــنَ مُمَسَّــكٍ وَمُعَنْبَرِ

وَالــدَّوْحُ بَيْــنَ مُتَــوَّجٍ وَمُشَنَّفٍ

وَالغُصْـــنُ بَيْـــنَ مُوَشَّحٍ وَمُؤَزَّرِ

وَالنَّهْــرُ بَيْـــنَ مُــزَرَّدٍ وَمُدَرَّعٍ

وَالزَّهْــرُ بَيْــنَ مُدَرْهَـــمٍ وَمُدَنَّرِ

فِــي رَوْضَـــةٍ لَوْلاَ شَذَا أَنْوَارِهَا

قُلْنَــــا لآَلٌ فِـــي بِسَاطٍ أَخْضَرِ

حَصْبَاؤُهَـــا مِـــنْ جَوْهَرٍ وَنَسِيمُهَا

مِـــنْ عَنْبَـــرٍ وَمِيَاهُهَـــا مِـــنْ سُكَّرِ

وَطُيُورُهَـــا مَـــدَّتْ أَكُـفَّ دُعَائِهَا

بِبَقَـــا "أَبِـي عَمْرُو" المَـلِيكِ الأَكْبَرِ

مَـــوْلاَيَ "عثمَـــانَ" الَّـــذِي إِنْعَامُـــهُ
أَزْرَى بِسَيْـــلِ الشَّـــاهِقِ المُتَحَدِّرِ
ملـــكٌ لَـــهُ هِمَـــمٌ تَرَفَّعَ قَدْرُهَا
عَـــنْ هِمَّةِ "النُّعْمَـــانِ" وَالإِسْكَنْدَرِ
مُسْتَظْهِـــرٌ بِظَهِيـــرَةٍ مِـــنْ فِكْرَةٍ
تُمْضِـــي الأُمُورَ بِمُظْهَرٍ وَبِمُضْمَرِ
فَـــإِذَا اسْتَنَـــارَ بِرَأْيِـــهِ مُتَحَيِّرٌ
أَهْـــدَاهُ لِلإِرْشَـــادِ بَعْـــدَ تَحَيُّرِ
فَهْـــمٌ أَدَقُّ مِـــنَ النَّسِيمِ وَفِطْنَةٌ
رَدَّتْ أَقَاصِـــي الغَيْـــبِ رَدَّ المُبْصِرِ
مُسْتَكْثِـــرٌ فِـــي كُلِّ يَوْمٍ سُؤْدَدًا
وَمُشَـــارِفُ الإِقْـــلاَلِ مَنْ لَمْ يُكْثِرِ
سَفَـــرَتْ لَنَـــا آثَـــارُ دَوْلَةِ مُلْكِهِ
عَـــنْ وَجْـــهِ بَـــدْرٍ بِالكَمَـــالِ مُنَوَّرِ
ذُو هِمَّـــةٍ رُفِعَـــتْ بِإِسْمٍ ظَاهِرٍ
نُصِبَـــتْ لَهَا العَلْيَا بِفِعْلٍ مُضْمَرِ
غَيْـــثٌ نُرَجِّيـــهِ وَيُـــرْهَبُ بَأْسُـــهُ
وَلَـــرُبَّ غَيْـــثٍ بِالصَّـــوَاعِقِ مُمْطِرِ
فَـــإِذَا العَـــدُوُّ طَغَـــى سقاه عَلْقَمًـــا
وَإِذَا الوَلِـــيُّ دَعَـــا، حَبَـــاهُ بِسُكَّرِ

يَا مَنْ يُقَصِّرُ إِذْ يَرُومُ لَحَاقَهُ

هَلْ نِسْبَــةُ الأَعْــرَاضِ مِثْلِ الجَوْهَرِ

مَنْ ذَا يُضَاهِي البَدْرَ حَالَ تَمَامِهِ

أَوْ مَــنْ يَقُولُ الذِّئْبُ مِثْلُ القَسْوَرِ

شَرُفَتْ مَعَانِيهِ فَلَيْسَ لِوَصْفِهَا

حَــدٌّ فَيُعْرِبُــهُ لِسَــانُ المُخْبِــرِ

مِنْ مَعْشَرٍ كَرُمَتْ عَشَائِرُهُمْ لِذَا

حَازُوا العُلاَ، أَكْرِمْ بِهِمْ مِنْ مَعْشَرِ

كَرُمَتْ أُصُولُ فَخَارِهِمْ شَرَفًا وَقَدْ

طَابَــتْ فُرُوعُهُــمُ لِطِيــبِ العُنْصُرِ

عَزَمَاتُهُمْ بِيضُ الصَّوَارِمِ إِنْ دَجَا

خَطْــبٌ وَأَيْدِيهِــمْ غِمَــارُ الأَبْحُــرِ

قَدْ صَحَّحُوا فِي الحَرْبِ سُمْرَ رِمَاحِهِمْ

فَــإِذَا انْبَــرَتْ لِلْحَرْبِ لَمْ تَتَكَسَّرِ

الطَّاعِنِــينَ النَّحْــرَ وَهْــوَ مُمَنَّعٌ

وَالضَّارِبِــينَ الهَــامَ تَحْتَ العِثْيَرِ

وَالسَّائِسِيــنَ المــلك، لاَ آرَاؤُهُمْ

تُخْطِــي وَلاَ مَيْسُورُهُــمْ بِمُعَسَّرِ

لَوْ لَــمْ يَخَافُــوا تِيــهَ سَــارٍ نَحْوَهُمْ

وَهَبُــوا النُّجُومَ مَعَ الصَّبَاحِ النَّــيِّرِ

فَبأيِّ جُـــودٍ لَمْ تَفِــضْ أَيْدِيهِمِ

أَمْ أيُّ جَبَّــارٍ بِهِـــمْ لَــمْ يُقْهَـرِ

حُزْتُــمْ بَنِــي الفَارُوقِ فِي عَلْيَائكُمْ

شِيَمــاً كَرُمْـــنَ، وأَنعُمــاً لَمْ تُكْفَرِ

فَلْيَهْنكُـــمْ فِي الدَّهْرِ أَنَّ جِيَادَكُمْ

سَبَقَـــتْ إِلَى أَمَدِ العُلَى وَالمَفْخَرِ

ولْيَكْفِكُـــمْ مَجْــداً بِــأَنَّ لِبَيْتِكُمْ

شَرَفــاً يَفُـــوقُ سَنَــاهُ نُورَ النَّيِّرِ

يَا ابْنَ المُلُوكِ الشَّائدِينَ حِمَى الهُدَى

بِذَوَابِــلٍ سُمْـــرٍ وَبِيـــضٍ بُتَّرِ

قَدْ أُعْطِيَتْ تَرْشِيشُ مِنْكَ نِهَايَةَ الـ

حـظِّ المُقَـــوَّمِ وَالنَّصِيـبِ الأَوْفَرِ

وَأَعَـــدْتَ فِينَــا سِيـــرَةً عُمَرِيَّــةً

أَضْحَـــتْ تَتِيهُ عَلَى جَمِيعِ الأَعْصُرِ

عَلِــقَ الرَّجَا بِحِبَالِ جُودِكَ إِذْ غَدَا

كَهْــفَ المُقِــلِّ وَعُـــدَّةَ المُتَحَيِّرِ

مَــا بَعْــدَ دِيمَتِــكَ الرَّوِيَّةِ دِيمَةٌ

يَشْكُـــو لَهَــا ظَمَــأً لِسَانُ المُقْتِرِ

لِلَّـــهِ كَــمْ لَــكَ مِــنْ يَــدٍ مَأْثُورَةٍ

عِنْــدِي وَكَمْ لَكَ مِنْ نَدًى مُسْتَغْزَرِ

فَاسْلَــمْ أَمِيــرَ المُـؤْمِنِينَ مُسَرْبَلاً

سِرْبَــالَ مَنْصُـــورِ اليَدَيْــنِ مُظَفَّرِ

المصدر: الديوان: ص 104 . 109.

9- مصارع العشاق

(الكامل)

مَـنْ لَـمْ تَرُعْـهُ صَوَارِمُ الأَحْدَاقِ
لَمْ يَـدْرِ كَيْـفَ مَصَـارِعُ العُشَّاقِ

إِنْ لَمْ تَرُعْكَ وَلَمْ تُشَاهِدْهَا، فَسَلْ
بَـرْقَ الحِـمَى عَـنْ قَلْبِيَ الخَفَّاقِ

وَاصْـغِ لِتَغْرِيـدِ الحَمَـامِ وَشَدْوِهِ
يُنْبِئْـكَ عَـنْ وَجْدِي وَعَنْ أَشْوَاقِي

فَبِسُحْـبِ دَمْعِي وَالْتِهَابِ جَوَانِحِي
أُنْـذِرْتُ بِـالإِغْـرَاقِ وَالإِحْـرَاقِ

وَبِسُهْـدِ جَفْنِي وَادِّتِبَابِ حُشَاشَتِي
أُرْسِـلْتُ لِلْعُشَّـاقِ بِالأَشْـوَاقِ

فَالحُـبُّ دِينِـي وَالتَّـوَلُّهُ شِرْعَتِي
وَالوَجْـدُ عَهْـدِي وَالهَوَى مِيثَاقِي

وَالشَّـوْقُ طَبْعِي وَالصَّبَابَةُ شِيمَتِي
وَالتَّـوقُ وَصْفِـي وَالجَوَى أَخْلاقِي

أَمُخَلِّفًـا جَسَـدِي وَسَالِبَ مُهْجَتِي
مَـاذَا يَضُـرُّكَ لَوْ سَلَبْتَ البَاقِي

إِنِّـي وَإِنْ أَخْفَـرْتُ ذِمَّـةَ مُهْجَتِي
لَـمْ أَرْضَ أَخْفَـرُ ذِمَّـةَ المِيثَاقِ

فَعَــــلاَمَ خَلَّفْــتَ الفُــؤَادَ مُرَوَّعًــا

مَــــا بَيْــنَ إِخْــــلاَف إِلَى إِخْلاَقِ

هَبْنِـي أسَأْتُ فَكُنْ بِعَبْدِكَ مُحْسِنًا

وَاشْفِــقْ عَلَــى المُهَّجَاتِ وَالأَرْمَاقِ

أَوَ لَــمْ تَـــرِقَّ لِرِقِّ عَبْدٍ عِزُّهُ

أَنْ لَــمْ تَسُمْــــهُ بِذِلَّةِ الإِعْتَاقِ؟

دَنِــفٌ إِذَا ذُكِرَ الوِصَالُ تَمَزَّقَتْ

أَحْشَــاهُ قَبْــلَ تَمَــزُّقِ الأَطْوَاقِ

يَبْكِـــي لُيَيْـــــلاَتٍ تَقَضَّتْ بِالهَنَا

مَا بَيْـــنَ تَقْبِيـــــلٍ وَطِيبِ عِنَاقِ

حَيْـــثُ الغُصُونُ تَمَايَلَـــتْ أَفْنَانُهَا

وَالتَفَّـــتِ الأَوْرَاقُ بِــــــالأَوْرَاقِ

يَــا رَاحِــلاً عَنِّي وَسَاكِنَ مُهْجَتِي

هَــــلاَّ أَقَمْــتَ لَنَــــا بِقَدْرِ فُوَاقِ

وَرَحِمْــتَ إِشْفَاقِــــي عَلَيْكَ حَنَانَةً

إن الحَنَانَــــةَ شِيمَـــــةُ الإِشْفَاقِ

وَمَنَنْـــتَ لِــــي بِالقُرْبِ مِنْكَ تَكَرُّمًا

فَالَّــــهُ حَـــبٌّ مَكَـــارِمِ الأَخْلاَقِ

يَكْفِيكَ مِنِّي أَنْ أَبِيتَ مُعَذَّبًا
قَلِقَ الفُؤَادِ مُسَهَّدَ الأَحْدَاقِ
أَرْعَى النُّجُومَ وَهُنَّ أَفْصَحُ مُخْبِرٍ
عَمَّا أُقَاسِي فِي الدُّجَى وَأُلاَقِي
وَأُرَاقِبُ الجَوْزَاءَ أَسْأَلُ قُطْبَهَا
عَنْ ثَالِثِ القَمَرَيْنِ فِي الإِشْرَاقِ
وَأُرَاسِلُ الغَيْثَ الهَتُونَ وَبَرْقَهُ
بِلَظَى حَشَايَ، ومَدْمَعِي الرَّقْرَاقِ
وَأُطَارِحُ القُمْرِيَّ فِي تَغْرِيدِهِ
بِنَوَى يَرَاعِي أَوْ بِهَوْلِ سِبَاقِي
وَأُسَائِلُ الأَظْعَانَ وَالرُّكْبَانَ عَنْ
بَدْرِي المُضَلَّلِ فِي دُجَى الآفَاقِ
فَعَسَى بَشِيرٌ بِاللِّقَا، وَلَعَلَّ مَنْ
عَقَدَ الأُمُورَ يَمُنُّ بِالإِطْلاَقِ
أَمُعَنِّفِي زَعْمًا بِأَنَّكَ نَاصِحٌ
اكْفُفْ فَإِنَّكَ رَأْسُ كُلِّ نِفَاقِ
وَدَعِ التَّعَنُّفَ وَاطَّرِحْ نُصْحِي فَمَا
كُلِّفْتَ إِسْعَافِي وَلاَ إِرْفَاقِي
فَلَنَا الَّذِي أَوْضَحْتُ مِنْهَاجَ الهَوَى
لِذَوِي نُفُوسٍ بِالغَرَامِ رِقَاقِ

فَلْيُبْلِـغِ الأَحْبَـابُ عَنِّي أَنَّنِـي

فَانٍ عَلَى دِيـنِ المَحَبَّـةِ بَـاقِ

لاَ أَنْثَنِـي عَنْ حُبِّ مَنْ لَمْ يَثْنِهِ

عِنْـدَ الـوَدَاعِ تَذَلُّـل الأَشْوَاقِ

لَوْ كُنْـتَ شَاهِدَنَا وَقَدْ حَكَمَ الهَوَى

بِفِرَاقِنَـا لَجَزِعْـتَ مِنْ إِشْفَاقِ

وبكيــتَ مشتاقـا بكـى لبكائـه

جَفْـنُ الغَمَـامِ بِدَمْعِهِ الرَّقْرَاقِ

وَهِـيَ الفـؤاد وطـار عقلي عندما

جَـرَت الأُمُورُ عَلَى خِلاَفِ وِفَاقِ

فجـرت مـن الأجفـان حُمْرُ مدامع

حَازَتْ بِسَفْـحِ الخَدِّ فَضْلَ سِبَاقِ

فبكـى وقـال: أذاك دمـع أمْ دَمٌ

وَلَـرُبَّ دَمْـعٍ كَالدِّمَـا مُهْرَاقِ

فأجبتـه والدّمـع يُظْهِـره على

مَـا فِي الحَشَا مِنْ شِدَّةِ الإِحْرَاقِ

لا تحسبنّ الدّمـع فـاضَ وإنّما

قَلْبِـي أُذِيبَ فَسَالَ مِنْ آمَـاقِي

يا أمّـة الأشواق هل من مسعف

يُرْجَـى لِـدَفْعِ حَوَادِثِ الأَشْوَاقِ

أَمْ هَلْ لِنَـارِ تَلَهُّفِـي مِنْ مُطْفِـيءٍ
أَمْ هَلْ لِفَيْـضِ مَدَامِعِـي مِنْ وَاقِ
أَمْ هَـلْ لِأَوَّلِ لَوْعَتِـي مِنْ آخـرٍ
أَمْ هَـلْ لِذَاهِبِ مُهْجَتِي مِنْ بَاقِ
أَمْ هَلْ لِكَسْرِ حُشَاشَتِي مِنْ جَابِرٍ
أَمْ هَـلْ لِـدَاءِ صَبَابَتِـي مِنْ رَاقِ
أَمْ هَـلْ لِعَهْـدِ المُلْتَقَى مِنْ مَوْعِدٍ
فَلَقَـدْ وَهَى جَسَـدِي وَشُدَّ وَثَاقِي
آهٍ، وَمَـا آهٍ بِنَافِعَـةٍ وَقَـدْ
أَزِفَ الفِـرَاقُ وَلَاتَ حِينَ تَلَاقِ
لَـوْ كَانَ يَعْلَمُ خَازِنُ النِّيرَانِ مَا
تَحْـتَ الفِرَاقِ مِنَ العَذَابِ البَاقِي
لَأَذَاقَ حِـزْبَ الكُفْـرِ زَقُّومَ النَّوَى
وَإِنْ اسْتَغَـاثَ سَقَاهُ كَأْسَ فِرَاقِ

المصدر: الديوان: ص 323 ـ 327.

10 ـ دعوة إلى الشراب

(البسيط)

قُمْ زَوِّجِ ابْنَ غَمَامٍ بِنْتَ زَرْجُونٍ
وَاجْعَلْ شُهُودَكَ مِنْ وَرْدٍ وَنِسْرِينِ[1]
فَخَاطِبُ الطَّيْرِ نَادَى فِي مَنَابِرِهِ
هُبُّوا إِلَى الرَّاحِ مَا بَيْنَ الرَّيَاحِينِ

---

(1) الزرجون: واحدها زرجونة، قضبان الكروم .

وَالرِّيحُ مَدَّ عَلَى الأَغْصَانِ إِذْ نُصِبَتْ

ذَيْلاً فَأَعْرَبَ عَنْ مَدٍّ وَعَنْ لِينِ

وَالرَّوْضُ زَفَّ عَرُوسَ الزَّهْرِ فِي حُلَلٍ

قَدْ أَبْرَزَتْ بَيْنَ تَدْبِيجٍ وَتَلْوِينِ

وَالطَّلُّ يَكْتُبُ فِي طِرْسِ الرِّيَاضِ فَهَلْ

أَبْصَرْتَ خَطًّا بِلاَ حَدْسٍ وَتَخْمِينِ

وَعَارِضُ الظِلِّ فِي خَدِّ الغَدِيرِ حَكَى

مِسْكًا تَنَاثَرَ فِي أَوْرَاقِ مَرْسِينِ[1]

فَاسْتَجْلِ بِكْرَ مُدَامٍ زَانَهَا حَبَبٌ

كَلُؤْلُؤٍ مِنْ نَفِيسِ الدُرِّ مَكْنُونِ

مَعْ غَادَةٍ لَوْ بَدَا كَافُورُ مَبْسَمِهَا

لِلشَّمْسِ لاَحْتَجَبَتْ فِي عَنْبَرِ الجُونِ[2]

المصدر: الديوان: ص 392

11 ـ هزوا القدود

قال يمدح أبا عمرو عثمان السلطان الحفصي:

(الكامل)

(1) المرسين: نبات طيب الرائحة .

(2) الجون: الأسود.

هَــزُّوا القــدُودَ وأرهفُوا الأجْفَانَا

أوَمَــا رَأيْــتَ البَــانَ وَالغزْلاَنَا

واستَبْدَلُــوا بَـدَلَ السِّهَامِ لَوَاحِظًا

لَمَّــا انْتَضَوْا عِوَضَ الظُّبَى أجْفَانَا

وَثَنَــوْا مَعَاطِفَهُمْ وَقَدْ لاَحُوا فَهَلْ

أبْصَـرْتَ أقْمَــارًا عَلَتْ أغْصَانَا

وَجلَــوْا بُرُوقَ مَبَاسِمٍ مَا أوْمَضَتْ

إلاَّ وَأمْطَـــرَ مَدْمَعِـي[1] العِقْيَانَا

غِيـدٌ نَفَـرْنَ وَقَــدْ أمَتُّ تَوَلُّهِي

فَأعَدْنَهُ حَيًّــا كَمَــا قَــدْ كَانَــا

وَبِمُهْجَتِــي مِنْهُــنَّ خَــودٌ خَدُّهَــا

قَـدْ شَاكَـلَ النُّعْمَانَ وَالسُّوسَانَا

حَرَسَـــتْ بِأسْوَدِ شَعْرِهَا أعْطَافَهَا

وَكَـــذَا الأسَاوِدُ تَحْرِسُ الكُثْبَانَا

وَلَــوَتْ عَقَارِبَ صُدْغِهَا فِي خَدِّهَا

فَحَمَـــتْ بِمُنْذِرِ[2] آسِهَا النُّعْمَانَا

وَجلَـتْ مَعَاطِفُهَا النُّهُودَ وَلَمْ أكُن

شَاهَــدْتُ بَانًــا أثْمَــرَ الرُّمَّانَــا

---

(1) في المخطوط: مدمعي وفي الديوان: دمعي.

(2) في المخطوط: بمنوّر

نَادَيْـــتُ مَبْسِمَهَـــا المُنَضَّــدَ دُرُّه

يَا جَوْهَـــرًا كَيْفَ اغْتَدَيْتَ جُمَانَـــا

وَدَعَـــوْتُ بُلْبُلَ خَالِ وَرْدِ خُدُودِهَـــا

يَـــا عَنْبَـــرًا مَـــنْ قَدْ حَمَى مَرْجَانَا

يَا مُدَّعِـــي كِتْمَانَ وَاضِحِ خَـــدِّهَا

أَمَـــعَ المَدَامِـــعِ تَدَّعِـــي الكِتْمَانَا

وَتَـــرُومُ تَشْهَـــدُ كَائِنَاتِ جَمَالِهَـــا

أَبِغَيْـــرِ عَيْـــنٍ تَشْهَـــدُ الأَكْوَانَا

لاَ تُنْكِـــرَنَّ فَإِنَّ قَلْبَـــكَ لَمْ يَـــزَلْ

كَلِفًـــا بِـــذَاكَ البَـــانِ لَمَّـــا بَانَـــا

يَا صَاحِبَـــيَّ قِفَـــا بِتُونِسَ بُرهَـــةً

كَـــيْ تُنْعِشَـــا الأَرْوَاحَ وَالأَبْـــدَانَا

وَاسْتَنْشِـــدَا عَنْ سِرْبِـــهِ وَكِنَاسِهِ[3]

إِنْ خِلْتُمَـــا الرُّكْبَـــانَ وَالأَظْعَانَا

فَبِأَيْمَـــنِ الشَّاطِـــيِّ مِنْ غَرْبِيِّهَـــا

ظَبْـــيٌ سَبَـــا الآسَـــادَ وَالغِـــزْلاَنَا

شَاكِـــي السِّلاَحِ أَقَلُّ مِنْ أَعْطَافِهِ

رُمْحًـــا وَسَـــلَّ مِـــنَ اللِّحَاظِ سِنَانَا

(3) المخطوط: سربها وألباسها.

بَدْرٌ تَحَيَّـرَ فِيـهِ مَنْ رَامَ الهُدَى

وَإِذَا اهْتَـدَى فَتَخَالُـهُ الحَيْرَانَـا

كَالشَّمْسِ وَجْهًا وَالقَضِيبِ مَعَاطِفًا

وَالزَّهْـرِ ثَغْـرًا وَالمَهَى إِنْسَانَا

تَجْلُـو عَوَارِضُـهُ لَكَ العَلَمَيْنِ إِذْ

يُبْـدِي لِعَيْنِـكَ خَـدُّهُ نعْمَـانَا

فَبِثَغْـرِهِ شِمْـتُ "العُذَيْبَ" وَ"بَارِقًا"

وَبِقَـدِّهِ خِلْـتُ النَّقَـا وَالبَـانَـا

فَتَنَـتْ مَحَاسِنُـهُ فُـؤَادَ مُحِبِّـهِ

أَوَ لَيْـسَ فَاتِـكُ لَحْظِهِ فَتَّانَا

رَشَـأٌ رَشِيقُ القَدِّ مَعْسُولُ اللَّمَى

فَضَـحَ الرُّبَـى وَالحُورَ وَالوِلْدَانَا

فِـي نَارِ وجْنَتِهِ الجِنَانُ تَزَخْرَفَتْ

مُـذْ صَـارَ خَـازِنُ عَدْنِهَا رِضْوَانَا

رَامَـتْ نُجُـومُ الأُفْقِ تَحْكِي خَدَّهُ

فَلِـذَاكَ أَكْسَـبَ بَدْرَهَـا النُّقْصَانَا

وَالـرَّوْضُ أَهْـدَى الأُقْحُوَانَ لِثَغْرِهِ

فَحَمَـتْ سَوَاسِنُ قده[4] الأَغْصَانَا

---

(4) المخطوط: مؤانس قدّها.

أَتْلُــو بِــهِ سُــوَرَ الشُّجُونِ وَلَيْتَهَا

عَنْ "نَافِــعٍ" تَــرْوِي لَنَا الأَشْجَانَا

دَبَّ العِــذَارُ بِوِجْنَتَيْــهِ، فَمَنْ رَأَى

فِــي النَّــــارِ وَرْدًا أَنْبَتَ الرَّيْحَانَا؟

يَــا مَنْ حَكَتْ سُمْرَ القَنَا أَعْطَافُهُ

وَحَكَتْ فَوَاتِرُ(5) طَرْفِهِ الخُرْصَــانَا

مَــا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ طَرْفَكَ سَاحِرٌ

حَتَّــى تَقَلَّــبَ حَبْلُــه ثُعْبَانَــا

قسَمًــا وَلَــوْلاَ أن رِيقَكَ قَرْقَفٌ

مَــا مِسْتَ يَا غُصْنَ النَّقَا نَشْوَانَا

أَسْكَنْــتُ حُبَّكَ فِي فُؤَادِي وَالحَشَا

فَعَمَــرْتَ مِنِّــي القَلْبَ وَالأَجْفَانَا

وَأَنَــرْت مِصْبَاحَ الهُدَى فِي غَيْهَبِي

حَتَّــــى أَقَمْــــت لِعَاذِلِي البُرْهَانَا

حَيْــثُ الــرِّيَاضُ أَذَاعَ من رِيَّاهُ ما

وَشَّــــى الجُيُــــوبَ وَعَطَّرَ الأَرْدَانَا

وَالقُضْبُ مَاسَت فِي الغَلاَئِلِ عِنْدَمَا

صَــاغَتْ أَزَاهِرُهَــا لَهَــا تِيجَانَــا

(5) المخطوط: بواتر.

والطَّيْـــرُ أَعْـــرَبَ لَحْنَهَا[6] فِي عُودِهِ

لِيُعَلِّـــمَ الإيقَـــاعَ وَالأَلْحَانَـــا

والصُّبْـــحُ أَظْهَـــرَ آيَـــةً يمحُو بِهَا

صِبْـــغَ الظَّـــلاَمِ فَخِلْتُهُ السُّلْطَانَا

مَـــوْلاَيَ "عُثْمَـــانَ" الَّـــذِي بِيَمِينِهِ

"نُـــوحُ" النَّدَى أَجْرَى لَنَا الطُّوفَانَا

مَـــوْلًى إِذَا مِلْنَـــا لِبَـــثِّ صِفَاتِـــهِ

كَـــيْ نَسْتَمِـــدَّ الرُّوحَ وَالرَّيحَانَا

أَمْلَـــى عَلَيْنَـــا مَجْدُهُ، فَإِذَا انْتَهَى

هِمْنَـــا، فَلَـــمْ نَـــدْرِ الَّذِي أَمْلاَنَا

عَلَـــمٌ إِذَا مَـــا قُلْتَ أَقْرَانَا الغِنَى

فَلَقَـــدْ تَقُـــولُ بِعِلْمِـــهِ أَقْرَانَـــا

لَـــوْ عَايَنَ "الطَّائِيِّ" وَ"مَالِكٌ" شَخْصَهُ

قَـــالاَ: نَعَـــمْ! هَـــذَا الَّذِي أَغْنَانَا

فَهْـــوَ الفَرِيدُ نَدًى وَعِلْمًا، قَدْ رَوَى

غُـــرَرَ النَّـــوَالِ وَقَـــرَّرَ التِّبْيَانَا

سَحَّـــابُ ذَيْـــلِ سَخًى وَذَيْلِ سَحَابَةٍ

تَلْقَـــاهُ أَنَّـــى زُرْتَـــهُ "سَحْبَانَا"

---

(6) المخطوط: لحنه .

وَتَــرى الوَفَــاءَ مُفَرَّقًــا وَمُجَمَّعًا

يَحْتَــلُّ مِنْــهُ مُهْجَــةً وَلِسَانًــا

نَفَــتِ التَوهُّــمَ عَنْــهُ حِـدَّةُ ذِهْنِهِ

فَاسْتَرْغَــمَ الآنَــافَ وَالأَذْقَانَـــا

حَــازَ الكَمَــالَ وَلَــوْ بِأَيْسَرِهِ حَبَا

بَــدْرَ الدُّجَى لَمْ يَخْتَشِ النُّقْصَانَا

مُتَهَلِّــلٌ طَلْــــقٌ إِذَا وَعَدَ الغِنَى

بِالبِشْـــرِ أَتْبَــعَ بِــرَّهُ الإِحْسَانَا

كَالغَيْــمِ مَــا سطعتْ لوَامِعُ بَرْقِهِ

إِلاّ وَأَهْــدَتْ غَيْثَــهُ الهَتَّانَـا

سَحَّــتْ سَحَــائِبُ جُـودِ كَفَّيْهِ فَلَمْ

يَجْنَــحْ إِلَــى غَرْبٍ وَلاَ أَشْطَانَا

ذُو رُتْبَــةٍ رَجَحَــتْ بِعَيُّوقِ العُلَى

مِـنْ قَبْلِ أَنْ تَسْتَرْصِدَ المِيزَانَا

وَمَكَانَـــةٍ فَــوْقَ السِّمَــاكِ مَكِينَةٍ

لَــمْ تُبْــقِ لِلرَّاقِينَ بَعْدُ مَكَانَا

شَـرَفٌ إِلَيْــهِ وَبَيْــتُ مُلْكٍ شَامِخٍ

بِعُــلَى الكَمَــالِ بَنَــى لَهُ إِيوَانَا

يقْظَــانُ أبْلَــجُ قَــدْ جَلاَ بِجَبِينِهِ

وَحُسَامِــــه الظَّلْمَـــــاءَ والأضْــغَـــانَـــا

نِعْــمَ الرَّشَــاد إِذَا الدجنَّةَ أُطلعت[7]

سنـــن[8] الــرشَـــادِ وأوضــح البرهَانَــا[9]

أمَّـــا نَــدَاهُ وَبَأْسُــــهُ فَكِلاَهُمَا

قَـــدْ أرْغَـــمَ الأَفْهَـــامَ وَالأَذْهَانَــــــــا[10]

مَلِــكٌ تَشَامَــخَ ملكــــه فَلأَجْلِ ذَا

أَضْحَـــى المُلُــــوكُ لِعِـــزِّهِ عُبْدَانَــــا

الجَاعِـــلُ المَلْــكَ الذَّلِيـــلَ مُعَزَّزًا

وَالتَّــــارِكُ المَلْــكَ العَزِيــزَ مُهَانَــــــا

لاَ يَسْتَكِــنُّ الرعـــبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ

وَاللَّيْـــثُ لاَ يَتَـــخَـــوَّفُ السِّرْحَانَـــا

ثَبْــتُ الجَنَـــانِ، فَلاَ يَخَافُ، كَأَنَّمَا

جَعَـــلَ المَخُــوفَ مِنَ المَخُــوفِ أمَانَـــا

بَطَـــلٌ إِذَا رَمَقَـــتْ لَوَاحِظ سُمْرِه

خَــرَّتْ لَهَـــا صُـــمّ الكُلَـــى عُمْيَانَـــا

---

(7) المخطوط: أظلمت .

(8) المخطوط: سنّ .

(9) المخطوط: وأرشد الحيرانا .

(10) المخطوط: الآنافا والأذقانا.

كَــمْ لَيْــثِ غَــابٍ صَيَّرَتْهُ فَرِيسَةً

أَرْمَاحُــهُ كَــيْ تُقْــرِيَ العِقْبَانَــا

أعطتــهُ مُهْجَتَهَــا السهامُ نَوَاظِراً

وَأَرَتْــهُ أنفُسَهَــا الظُّبَــى أَجْفَانَــا

أَمُقَتِّــلَ الصَّيــدِ الكُمَــاةِ بِرُعْبِــهِ

لِمَــنْ ادَّخَــرْتَ السَّــيْفَ وَالْمُرَّانَا

لَــمْ تَكْتَــسِ أَعْــدَاكَ إِذْ حَارَبْتَهُــمْ

ضَافِــي الدُرُوعِ، بَلْ اكْتَسَوْا أَكْفَانَا

غَــادَرْتَ أَوْجُهَهُــمْ بِحَيْــثُ لَقِيتَهُمْ

أَقْفَــاهُــم[11] وَعُيُــونَهُــمْ أَذْقَانَا

يَــا مُنْكِــراً دَعْوَى خِلاَفَتِهِ ارْتَجِعْ

فَلَقَــدْ أَتَيْــتَ الــزُّورَ وَالبُهْتَانَــا

لاَ تُنْكِــرَنَّ فَــإِنَّ قَائِــمَ سَيْفِــهِ

أَبْدَى الدَّلِيــلَ وَأَظْهَــرَ البُرْهَانَا

أَفْضَــتْ إِلَيْهِ خِلاَفَــةُ "الفَــارُوقِ" إِذْ

سَمَّتْــــهُ أَلْسِنَةُ الرِّضَى "عُثْمَانَا"

مَلِــكٌ بِــهِ رَوْضُ الخِلاَفَةِ قَدْ زَهَا

إِذْ هَــزَّ مِــنْ أَقْلاَمِــهِ الأَفْنَانَا

---

(11) المخطوط: قفاهم.

بَيْنَــا يَهُــزُّ بِهَا الغُصُونَ لِمُجْتَلٍ

إِذْ هَــزَّ لِلجَانِــي بِهَا الخُرْصَانَا

وَكَــأَنَّ مَنْطِقَـــهُ بِصَفْحَةِ طِرْسِهِ

زَهْــرٌ بِــرَوْضٍ نَقَّــطَ الغُدْرَانَا

مِنْ مَعْشَرٍ هُمْ فِي النَّدَى سُحُبٌ وَإِنْ

جَــنَّ الوَغَـــى فَتَرَاهُــمُ شُهْبَانَــا

جَعَلُــوا السُّـــرُوجَ أَرَائِكًا لِنِزَالِهِمْ

وَالسُّمْــرَ قُضْبًا وَالظُّبى خِلْجَانَا

وَالنَّبْــلَ نُــوراً وَالحِمَــامَ مَطَاعِمًا

وَالنَّقْـــعَ رَوْضًـــا وَالعِدَى ضِيفَانَا

صِيــدٌ إِذَا غَابَــتْ جُفُونُ سُيُوفِهِمْ

جَعَلُـــوا الطُّلَى لِسُيُوفِهِمْ أَجْفَانَا

قَــوْمٌ حَــوَتْ أَنْسَابُهُمْ "عمر" الذي

دَحَـــضَ النِّفَاقَ وَأَظْهَرَ الإِيمَانَا

نَسَــبٌ نَدِينُ بِحُبِّ فَارُوقِيِّهِ الـــ

ـــمَوْلَى وَنطردُ بِاسمِهِ الشَّيْطَانَا

شَرَفًــا بَنِي الفَارُوقِ أَنَّ لَكُمْ سَنًى

قَــدْ نَــوَّرَ الآفَـــاقَ وَالأَكْوَانَا

وَلْيَهْنِكُــمْ فِي الدَّهْــرِ أَنَّ ثَنَاءَكُــمْ

سَــرَّ القُلُــوبَ وَشَنَّــفَ الآذَانَـا

وَلْيَكْفِكُــمْ فَخْــرًا يُمَجِّــدُ شَــأْوُهُ

قَــدْ أَعْجَــزَ الأَمْثَــالَ وَالأَقْرَانَا

يَــا شَائِــدَ البَيْتِ الَّذِي بَانِي عُلاَ

هُ عَلَــى التُّقَى قَدْ أَسَّسَ البُنْيَانَا

قَدْ شِــدْتَ أَرْكَانَ النَّدَى فَحَجِيجُهُ

لَزِمُــوا الطَّــوَافَ وَقَبَّلُوا الأَرْكَانَا

لَوْ تَعْقِــلُ الشَّجَــرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا

أَلْقَــتْ إِجَابَتَهَــا لَــكَ الأَغْصَانَا

أَرِجَ الطَّرِيــقُ فَمَا مَرَرْتَ بِمَوْضِــعٍ

إِلاَّ أَقَمْــتَ بِــهِ الشَّــذَا أَزْمَانَا

طَوَّقْــتَنِــي بِالجُــودِ مِنْكَ فَأَعْرَبَتْ

وَرْقَــا امْتِدَاحِــي فِيكُمُ الأَلْحَانَا

فَانْعَمْ بِشَهْــرِ الصَّــوْمِ عَيْنًا إِنَّـــهُ

شَهْــرٌ تَنَـــالُ بِصَوْمِــهِ القُرْبَانَا

نِعَمًـــا مِــنَ اللَّهِ ارْتَضَاكَ لِنَيْلِهَا

وَاللَّـــهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَا الرِّضْوَانَا

فَاسْعَــدْ بِمَغْفِرَةِ الإِلَهِ فَلَمْ يَــزَلْ

يَمْحُــو الذُّنُــوبَ وَيَمْنَــحُ الغُفْرَانَا

المصدر: الديوان: ص 136 ـ 144.

12 ـ غيث على محمّد ابنه

(البسيط)

هَـلاَّ تَرَى الغَيْثَ قَدْ فَاضَتْ مَآقِيهِ

عَلَى "محمَّد" إِذْ غَاضَتْ أَيَادِيهِ

نَعَى "مُحَمد" نَاعِيهِ، فَيَا أَسَفِي

قَدْ قَدَّ قَلْبَ المُعَنَّى نعيُ نَاعِيهِ

لَهْفِي! وَهَلْ نَافِعِي لَهفِي عَلَى وَلَدٍ

بَاتَ الغَمَامُ عَلَى الآفَاقِ يَبْكِيهِ

لَهْفِي عَلَى ذَلِكَ المَوْلُودِ حِينَ قَضَى

مِنَ الحمَامِ عَلَيْهِ حُكْمُ قَاضِيهِ

تُرَى دَرَى الدَّهْرُ مِقْ.ارَ الذِي فَقَدَتْ

مِنْ نُورِ طَلْعَتِهِ أَبْصَارُ رَانِيهِ؟

وَهَلْ ثَنَى الدَّهْرُ غَرْبًا مِنْ مَحَاسِنِهِ

فَكَانَ كَوْكَبَ شَرْقٍ فِي لَيَالِيهِ

لاَ أَعْتِبُ الزمنَ المُودِي بِسَيِّدِهِ

يَكْفِيهِ مَا قَدْ تَوَلَّى مِنْهُ، يَكْفِيهِ

بُنَيَّ لَيْتَكَ لَمْ تطلعْ عَلَى أفُقٍ

وَلَيْتَ بَدْرَكَ لَمْ تُشْرِقْ دَيَاجِيهِ

سقى ضريحك رضوانٌ، ولا برحت

سَحَائِبُ العَفْوِ وَالغُفْرَانِ تَسْقِيهِ

نعـم السّحائب يَسْـقِـي وبلُ صيّبهـا

نِعْمَ الضَّرِيحُ، وَنِعْمَ البَدْرُ ثَاوِيـهِ

كان الزّمـــان له عرساً بدولتــه

فَأَحْسَنَ اللَّهُ للدَّهْرِ العَــزَا فِيــهِ

وصبّـــر اللّه قلب الوالدين علـى

مَنْ طَاوَعَ الحُزْنَ فِيهِ دَمْعُ عَاصِيهِ

المصدر: الديوان: ص 254 ـ 255.

أبو الفتح بن عبد السّلام

(977_ 901)

أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد السّلام بن أحمد الربعي الخرّوبي التّونسي. ولد بتونس وبها نشأ وتلقّى العلوم فبرع في الأدب والفقه حتى فاق أقرانه. هاجر إلى المشرق وعمره 34 سنة بسبب الأحداث السياسية التي عرفتها تونس خاصة اكتساح الإسبان للبلاد. كان يدرّس بدمشق وتولى فيها القضاء والإفتاء. نظم الشّعر في المدح والهجاء والوصف ورثاء المدن

1 ـ حنين إلى تونس

(الطويل)

سلوا البارق النجديَّ عن سُحب أجفاني وعمّا بقلبي من لَوَاعِجِ نيرانِ

ولا تسألوا غيرَ الصَّبا عن صبابتي وشدَّةِ أشواق إليكمْ وأشجان

فما لي سواها من رسولٍ إليكمُ سريعِ السُّرى في سَيرِهِ ليس بالواني

فيا طالَ بالأسحارِ ما قد تكلفتْ بإنعاشِ محزونٍ وإيقاظِ وسنانِ

وتنفيسِ كربٍ عن كئيبٍ متيَّمٍ يحنُّ إلى أهلٍ ويصبو لأوطانِ

فللَّهِ ما أذكى شَذا نَسْمَةِ الصّبا صباحًا إذا مرّت على الرَّندِ والبانِ

وسارتْ مسيرَ الشمسِ وهْنًا فأصبحتْ من الشرقِ نحو الغربِ تجري بحسبانِ

وقد وَقَفَتْ بالشامِ وقْفَةَ حاملٍ نوافجَ مسكٍ من ظباء خراسانِ

لترتاضَ في تلك الرياضِ هَنيئةً وتزدادَ من أزهارها طيبَ أردانِ

وما غربتْ حتى تضاعفَ نشرُها بواسطتَـــيْ رَوْحٍ هناكَ وريحـانِ

فكمْ نحوكمْ حمَّلتُها من رسالــــة مدوَّنَةٍ في شرحِ حالي ووجداني

وناشدتُها باللّهِ إلاّ تفضّلَـــتْ بتبْلِيغِ أحبابي السلامَ وجيراني

تحيّةَ مشتاقٍ إلى ذلــكَ الحمى وسكّانِهِ والنّازحيـــنَ بأظعـانِ

سَقى اللّهُ هاتيك الديارَ وأهلَهـــا سحائبَ تحكي صوبَ مدمعيَ القاني

وحَيّا ربوعَ الحيِّ من خيرِ بلدة تخيرها قِدْمًا أفاضـــلُ يونانِ

هي الحضرةُ العليا مدينةُ تونسٍ أنيسَةُ إنسانٍ رآها بإنسانِ

لها الفَخْرُ والفضلُ المبينُ بما حوَتْ من الأنسِ والحُسْنِ المنوطِ بإحسانِ

لقد حلَّ منها آلُ حفصٍ ملوكها مراتبَ تسمو فوق هامَةِ كيوانِ

وسادوا بها كلّ الملوكِ وشيَّدُوا بها من مَبَانِي العزِّ أفْخَرَ بنيانِ

وكان لهمْ فيهـا بهـاءٌ وبهجـةٌ وحسنُ نظـامٍ لا يعـابُ بنقصانِ

وكان لهـم فيهـا عساكـرُ جَمَّةٌ تصولُ بأسيافٍ وتسطو بمُرَّانِ

جيوشٌ وفرسانٌ يضيقُ بها الفَضا ويحجِم عنها الفُرسُ من آلِ ساسانِ

وكانَ لأهليها المفاخِـرُ والعُـلا وكانَ بها حصنـا أمانٍ وإيمانِ

وكانَ على الدُّنيـا جمـالٌ بحسنها وحُسْنِ بنيهـا من ملـوكٍ وأعيانِ

وكانـت لطـلاّبِ المعـارفِ قِبْلَةٌ لما في حِماهـا من أئمّـةِ عرفانِ

وكانَ لأهلِ العلـمِ فيهـا وجاهةٌ وجاهٌ وعزٌّ مجـدُهُ ليسَ بالفاني

وكان بواديهـا المقـدَّسِ فِتْيَةٌ تُقدّس باريهـا بذكـرٍ وقـرآنِ

ومن أدبـاء النّظْمِ والنَّثْرِ معشرٌ تفوقُ بناديهـا بلاغـةَ سحبـانِ

وكانت على الأعداء في حومةِ الوغى تصـولُ بأبطالٍ، وتسطو بشجعانِ

وما برحَتْ فيها محاسنُ جَمَّةٌ وفي كلّ نـوعٍ أهلُ حذقٍ وإتقانِ

إلى أن رَمَتْهَـا الحادثاتُ بأسْهُمٍ وسلّتْ عليهـا سيفَ بغيٍ وعدوانِ

فما لبثت تلكَ المحاسنُ أن عفَتْ وأقفرَ ربعُ الأنـسِ من بعـد سكّانِ

وشُتِّتَ ذاكَ الشّملُ من بعد جَمْعِهِ كما انتثرتْ يومًـا قلائـدُ عقيـانِ

فأعظِمْ برُزْءٍ خـصَّ خيرَ مدينةٍ وخيرَ أناسٍ بين عُجْمٍ وعربانِ

لعمري لقد كـادت عليها قلوبُنا تضرَّمُ من خطـبٍ عَراها بنيرانِ

وقد عمَّنـا غمٌّ بعظـمِ مصابها وإن خَصّنـي منه المضرُّ بجثماني

وما بَقِيتْ فيمـا علمناهُ بلـدةٌ من الشرق إلاّ ألبستْ ثوبَ أحزانِ

فصبرًا أخي صبـرا على المحنةِ التّي رمتكَ بها الأقدار ما بين إخـوانِ

فما الدَّهْرُ إلاّ هكَذا فاصطبرْ له: رزيّةُ مـالٍ أو تفـرُّقُ خلاّنِ

أأحبابَنا إن فَرَّق الدَّهْـرُ بيننا وطالَ مغيبي عنكُـمُ منذ أزمانِ

فإني على حفظ الوداد وحقّكـمْ — مقيمٌ، وما هَجْـرُ الأحبَّةِ من شاني

ووالـلّــهِ والـلّــهِ العظيـمِ أليّــةً — على صدقها قامـتْ شواهدُ برهانِ

لقد زاد وجــدي واشتياقي إليكُمُ — وبَرَّحَ بـي طولُ البعـادِ وأضناني

فلا تحسبــوا أنّي تسلّيتُ بعدكُمْ — بشيء منَ الدُّنيـا وزُخْرُفها الفاني

ولا أنّنــي يومًـا تناسيتُ عهدكمْ — بحــالٍ، ولا أنَّ التكاثــرَ ألهانـي

ولا راقني روضٌ، ولا هشَّ مسمعي — لنغمـــةِ أطيـارٍ ورنّــةِ عيـدانِ

ولا حلَّ في فكري سواكـمْ بخلوةٍ — ولا جلـــوةٍ ما بـين حُورٍ وولدانِ

ولا اختلجتْ يومًـا ضمائرُ مُهجتي — لغيركم فــي سـرّ سرّيَ وإعلاني

ولو لم أسَلِّ النفس بالقـربِ واللقا — لأدْرج جسْمي في مقاطع أكفاني

فما أنا في عَوْدِي إليكمْ بآيسٍ — فما اليأسُ إلاّ من علامة كفرانِ

عليكم سلامُ اللّهِ في كلّ ساعةٍ — تحيّــة صـبٍّ لا يديـنُ بسلْوَانِ

مدى الدهرِ ما ناحتْ مطوَّقَةٌ وما — تعاقــب بــين الخافقين الجَديدانِ

عنوان الأريب: ج 1، ص 119 ـ 121.

المصدر: نفح الطّيب: ج 5، ص 29 ـ 32، وأنشأها بدمشق وهو غريب عن الأوطان سنة 951 وقد احتلت جيوش الاسبان تونس،

المصادرُ والمراجعُ

حسب العناوين(*)

- **الإحاطة في أخبار غرناطة**: للسان الدين بن الخطيب، مجلدان، تحقيق محمد عبد الله عنان، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة 1973 ـ 1974.

- **الأدلّة ألبيّنة النورانيّة على مفاخر الدّولة الحفصية**: الطبعة الأولى تحقيق عثمان الكعاك، تونس 1936. والطبعة الثانية، تحقيق الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس 1984.

- **أزهار الافكار في جواهر الأحجار**: لاحمد بن يوسف التيفاشي. تحقيق د. محمد يوسف حسن ومحمد بسيوني خفاجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1977.

- **برنامج الوادي آشي**: تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1400 ـ 1980.

- **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، لأبي عبد الله محمد الشّريف المليتي، الجزائر، 1908/1326.

- **تاريخ الدولتين الموحّدية والحفصية** لأبي عبد الله محمد الزركشي تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط 2، تونس 1966.

- **بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة** لجلال الدين السيوطي، جزآن، تحقيق محمد أبو الفاضل ابراهيم، مصر 1964 ـ 1965.

(*) للتّوسّع انظر القائمة البيليوغرافية في كتابنا "الحياة الادبية بتونس في العهد الحفصي

- **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق** لخالد البلوي، جزآن، تقديم وتحقيق الحسن السائح، المغرب د. ت.

- **تحفة العروس ونزهة 'النفوس** لابي عبد اللّه محمد بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم التجاني (النسبة غالطة فالكتاب لعبد اللّه التجاني)، مكتبة التراث الاسلامي، د. ت. كما أنّ النّصّ غير سليم فليرجع إلى الطبعة الأولى القاهرة 1301.

- **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا لابن خلدون:**

. ط 1 تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة 1951.

. ط 2: دار االكتاب اللبناني، بيروت ودار الكتاب المصري القاهرة، 1979.

- **الحلة السيراء** لابي عبد اللّه محمد بن الابّار القضاعي، ج 1، تحقيق. د. حسين مؤنس، القاهرة. ، 1963.

- **الحياة الأدبيّة بتونس في العهد الحفصي:** لأحمد الطويلي، تونس 1993.

- **الدراري السبع:** مجموعة من الموشحات الاندلسية نشر المكتبة العتيقة تونس ضمن مجموع، تونس 1349 (ص 268 ـ 279) .

- **درّة الحجال في أسماء الرّجال** لابي العباس احمد بن القاضي، 3 أجزاء، دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس 1970/1390.

- **الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة** لأحمد بن حجر العسقلاني، 5 أجزاء، تحقيق محمد سعيد جاد الحق، القاهرة 1966.

- **ديوان ابن الأبّار**. نشر الدكتور عبد السّلام الهرّاس، الدّار التونسية للنشر، تونس 1985.

- **ديوان الادب التونسي**: الرئيس ابن ابي الحسين: فصل نشر بمجلة البدر التونسية. ج 4، مجلة 2، منتصف ربيع الثاني 1340، ص 225 ـ 236.

- **ديوان حازم القرطاجني**: تحقيق عثمان الكعاك، دار الثقافة، بيروت 1964.

- **ديوان ابن الخلوف**: ديوان شهاب الدين بن الخلوف، جمع وتحقيق د. هشام بوقمرة، الدار العربية للكتاب، تونس 1988.

- **رايات المبرّزين وغايات المميّزين** لابي الحسن علي بن موسى بن سعيد، تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضي، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، 1973/1393.

- **رحلة التجاني**: تقديم حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس 1958/1377.

- **رحلة ابن رشيد**، انظر النشرة العلمية، وملء العيبة.

- **رحلة العبدري**: او الرحلة المغربية، تحقيق وتقديم محمد الفاسي، جامعة محمدّ الخامس، الرباط 1968.

- **رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة** لابي القاسم محمد الغرناطي، جزآن، مطبعة السعادة، مصر 1344.

- **الرّوض العاطر في نزهة الخاطر** لمحمد بن محمد النفزاوي، شهادات ومختارات. اعداد وتحقيق هاني الخير. منشورات مكتبة أسامة. دمشق 1983.

- **سرور النّفس بمدارك الحواسّ الخمس** لابي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي، تهذيب ابن منظور تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1980/1400.

- **ابن سعيد المغربي**، لمحمد عبد الغني حسن، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1969.

- **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**: 14 جزءا، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة 1963.

- **شرح حدودا ابن عرفة**، للرصّاع وعنوان الكتاب: الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق ابن عرفة الوافية، المطبعة التونسية، تونس 1350.

- **الشّهب اللاّمعة في السّياسة النّافعة** لابي القاسم بن رضوان المالقي، تحقيق د. علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984.

- **الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية** لابي العبّاس احمد بن قنفذ القسنطيني، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس 1968.

- **فوات الوفيات** لمحمد بن شاكر الكتبي، جزآن طبعة بولاق، مصر 1299.

- **في الحضارة العربية التونسية** لاحمد الطويلي، دار المعارف سوسة، تونس 1988.

- **عنوان المرقصات والمطربات**: لابن سعيد المغربي، الجزائر 1949.

- **القدح المعلى** والعنوان هو: اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى لابي الحسن علي بن سعيد اختيار محمد بن عبد الله بن خليل، تحقيق ابراهيم الأبياري، القاهرة، 1959.

- **قصائد ومقطعات** صنعة أبي الحسن حازم القرطاجنّي، تقديم وتحقيق الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، الدّار التونسية للنشر تونس 1972.

- **قوانين حكم الإشراق** لأبي المواهب دمشق 1966.

- **عنوان الأريب عمّن نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب،** لمحمد النيفر، ج 1، تونس 1951.

- **عنوان الدّراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لاحمد** الغبريني. تحقيق عادل نويهض، بيروت 1969..

- **مؤلفات ابن خلدون** لعبد الرحمان بدوي، الدّار العربية للكتاب، تونس 1979.

- **مجمل تاريخ الادب التونسي** لحسن حسني عبد الوهاب، مكتبة المنار، تونس 1968.

- **مختارات من الشعر العربي والاندلسي،** تحقيق وتقديم ابراهيم بن مراد، دار الغرب الاسلامي، 1986.

- **المرتبة العليا في تعبير الرؤيا** : لابن راشد القفصي، حقق في نطاق شهادة الكفاءة في البحث، لكلية الآداب والعلوم الانسانية بتونس تحت اشراف الدكتور محمد السويسي القسم الأوّل تحقيق حسناء التواتي والقسم الثّاني: حسين المديني.

- **معالم الايمان في معرفة اهل القيروان:** للدبّاغ وابن ناجي. 4 أجزاء. المكتبة العتيقة، تونس 1968 - 1991.

- **المقتطف من أزاهر الطرف** لابن سعيد الاندلسي، تقديم وتحقيق. د. سيد حنفي حسنين، الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1984.

- **مقدمة ابن خلدون:** المطبعة الازهرية. القاهرة، 1348 - 1930.

- **مشارق انوار القلوب ومفاتح اسرار الغيوب** لابن الدباغ. تحقيق هـ. ريتر. دار صادر بيروت، 1959.

- **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة** لابي عبد الله محمد الفهري السبتي. تقديم وتحقيق: د. محمد الحبيب بن الخوجة، ج 2 (تونس عند الورود) الدار التونسية للنشر، 1982/1402.

- **نفح الطّيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** لشهاب الدين احمد المقري، 8 أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968.

-**نثير الجمان في شعر من نظمني واياه الزمان**: لابي الوليد اسماعيل بن الأحمر، كتاب نشر تحت عنوان"أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن "تحقيق وتقديم د. محمد رضوان الداية، بيروت 1976.

- **النشرة العلمية للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين**. (مجلة) فصل ابو الفضل التجاني كما يصوره ابن رشيد في رحلته. السنة الاولى. العدد الاول، 1971.

- **الوافي بالوفيات** لصلاح الدين خليل الصفدي، دار النشر فراتر شتاينر بقبادن. اجراء مطبوعة وأخرى ما زالت مخطوطة بدار الكتب الوطنية بتونس ارقام 13320 - 13317 - 13319

- **وصف افريقية والمغرب والاندلس اواسط القرن الثامن للهجرة** مقتطف من كتاب "مسالك الابصار في ممالك الامصار" لشهاب الدين احمد العمري، نشر وتعليق حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة النهضة، د.ت. وأعيد نشره بمجلة "كراسات تونس". ومنه فصلة صدرت سنة 1974 عن كلية الآداب والعلوم الانسانية بتونس.

الفهرس

الصفحة

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية

2004



عاش في العهد الحفصي بتونس أدباء أثروا في الأدب العربي وترجمت آثار بعضهم إلى لغات أجنبية، وحصل عدد منهم على شهرة عالمية مثل التيفاشي صاحب «نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب» و «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار»، وكلا الكتابين طبع وترجم إلى لغات عديدة، وكذلك القاضي النفزاوي صاحب «الروض العاطر في نزهة الخاطر»، وابن خلدون الذي جمعنا أشعاره في هذا الكتاب.

وهذه مدونة لواحد وخمسين شاعرا وأديبا حفلت بهم تونس في العهد الحفصي، وقد حاولنا أن نستقصي نصوصهم وأن نجمع شعرهم ونقدم نماذج من نثرهم إن كانت، وقد تميزوا غالبا برتبتهم العالية في البلاغة والبيان وترصيف الكلام، وجلهم أصيلو إفريقية، وبعضهم نزح إلى تونس من الأندلس في صدر الدولة الحفصية واختار الإقامة بالحاضرة طيلة سنوات كثيرة، واضطلع فيها بدور أدبي وعلمي نشيط، وتدل هذه النصوص على ما بلغته الحياة الأدبية في تونس الحفصية من ازدهار وتألق وإشعاع كبير صارت بها من أهم مراكز الأدب العربي مشرقا ومغربا.

مركز النشر الجامعي تونس 2004
ك 9973-37-169-0

الثمن : 18 ديناراً